



# مجلة كلية الآداب



مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب بجامعة الزاوية

الجزء الأول

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي.

القحط والجفاف وأثره في النزوح السكاني في ولاية طرابلس الغرب 1947 - 1948م.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه.

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة.

الهوية الثقافية وعلاقتها بالفضن التشكيلية المعاصرة.

Some Intra-lexical factors that Affect the Remembering of foreign-Second-language Words

العدد الثامن والعشرون - ديسمبر 2019م

# مجلة كلية الآداب

مجلة علمية دورية فصلية محكمة تصدر عن كلية الآداب بجامعة  
الزاوية العدد الثامن والعشرون الجزء الأول

ديسمبر 2019 م

رئيس التحرير  
د. إبراهيم محمد سليمان

مدير التحرير  
د. مختار محمد الأمير

المراجعة اللغوية  
د. محمد علي البنداق

## الهيئة الاستشارية

د. مختار عمر برطشة

د. أكرم أبوبكر الهوش  
د. البشير عبد الحميد مفتاح

د. مولود علي بريش  
د. محمد الغرباوي

المشرف الفني  
أ. أشرف محمد عبد الله مرقب

الترقيم الدولي ISSN2521-9235  
ترسل المراسلات باسم رئيس التحرير – جامعة الزاوية  
[www.aladab.zu.edu.ly](http://www.aladab.zu.edu.ly)

السعر ديناران أو ما يعادلها خارج ليبيا

تمت الطباعة والإخراج الفني والمونتاج (دار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان)  
الزاوية – شارع عبد المنعم رياض - 0925031603

## قواعد النشر

- تنشر مجلة "كلية الآداب" الأبحاث الأصلية والمبتكرة التي تتسم بالجدية والدقة والمنهجية، والتي لم يسبق نشرها في أي مطبوعة أخرى، وليست جزء من رسالة ماجستير أو دكتوراه للباحث.
- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى الفحص العلمي بشكل سري من قبل متخصصين، وتحدد صلاحيتها للنشر بناء على رأي لجنة التحكيم.
- يجب أن يتقيد الباحث بالمنهجية، وأصول البحث العلمي، أن يشير إلى الهوامش والمراجع في المتن بالأرقام، وترد قائمتها في نهاية البحث لا في أسفل الصفحة.
- يجب إن يقدم البحث مطبوعا بالحاسوب من نسختين، مرفقا معهم قرص (CD) يتضمن البحث المطلوب نشره.
- يجب أن يكتب الباحث اسمه وعنوان البحث ومكان العمل ودرجته العلمية في ورقة مستقلة، ويعاد كتابة عنوان البحث فقط على الصفحة الأولى للبحث.
- اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمجلة، ونرحب بالبحوث المكتوبة باللغات الأجنبية على أن ترفق بملخص واف باللغة العربية.
- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) التي تمت مناقشتها وإجازتها، كما ترحب بإسهام الباحثين بعرض الكتب والدراسات والتقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية.
- تقبل المجلة نشر الإعلانات المتعلقة بالأنشطة العلمية.
- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها للمجلة، على أن تكون مستوفية الشروط سالفة الذكر.
- الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط

## المحتويات

رت	عنوان البحث	الباحث	رقم الصفحة
1	حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة دراسة جغرافية	د. ناجية إسماعيل عبدالرحمن	23 - 1
2	المورد الاقتصادي للزيتون في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثاني (1835-1911م) (دراسة وثائقية)	د. فتحية المريمي	39 - 24
3	السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي	أ. الصغير أحمد محمد العتيري	59 - 40
4	القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي دراسة عن منطقة عين زاره - طرابلس	د. أحمد علي الكوت	90 - 60
6	القحط والجفاف وأثره في النزوح السكاني في ولاية طرابلس الغرب 1947 - 1948	د. أسمهان ميلود معاطي	113 - 91
7	تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه	أ. مباركة قويدر عمّار خليفة	165 - 114
8	تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية	د. منصور رمضان سالم غربي	186 - 166
9	صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة	د. خيرية محمد الجربي	211 - 187
10	معايير جودة الأداء التدريسي ومدى توفرها لدى طلبة كليات التربية جامعة طرابلس	أ. نادية المبروك رعدان	233 - 212
11	الإبدال في اللغة العربية من منظور لساني	د. محمود فتح الله الصغير	246 - 234
12	دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية	د. طارق حامد المزوغي نورالدين نصر شلوف	267 - 247
13	الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأعراضه البلاغية	د. محمد الكامل العكروت	293 - 268
14	السيمانية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها	د. إبراهيم سليمان	315 - 294
15	الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة	د. عبد الكريم حسن عامر صولة	336 - 316
16	Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering of Foreign-/Second-Language Words	د. فوزية أوحيدة	366 - 337

## حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

### دراسة جغرافية

د. ناجية إسماعيل عبد الرحمن

كلية الآداب. جامعة طبرق

### الملخص

تتناول الدراسة موضوع حركة النقل الجوي بمطار طبرق الدولي، حيث تم تصنيف الحركة إلى حركة دولية،- حركة الركاب - التوزيع الجغرافي لها، في الفترة (2015 - 2018م) مع إجراء مقارنة بين الشركات - وتم التحقق من أن الحركة الدولية تستحوذ على النسبة الأكبر أكثر من 70% بالمطار طيلة السنوات المذكورة ، هذا التصنيف تم على أساس حركتي الطائرات والركاب سواء منها الدولية أو المحلية.

تحصلت شركة الخطوط الجوية الليبية على أعلى درجة تلتها شركة طيران ليبيا في حركة الرحلات الدولية، بينما تحصلت الأخيرة على المرتبة الأولى في حركة الرحلات المحلية أما من حيث حركة الركاب، فكانت شركة الخطوط الجوية الليبية هي الأعلى دولياً وتحصلت شركة البراق على المرتبة الأولى محلياً.

بالنظر الى أهم المدن والدول التي يتعامل معها المطار خلال سنة 2018م، اتضح أن الرحلات الأكثر محلياً كانت متوجهة الى طرابلس ، في حين كانت الرحلات الدولية من نصيب جمهورية مصر من خلال النظر الى احصائيات الرحلات، اتضح أن المطار حقق أرقاماً قياسية في الحركة الملاحية رغم قلة الإمكانيات به، وذلك بسبب إغلاق الموانئ الجوية الأخرى في السنوات الماضية ، واللجوء إلى ميناء طبرق الجوي كأهم الموانئ العاملة بالدولة الليبية.

وعليه فإن الدراسة توصلت إلى مجموعة من التوصيات على رأسها، ضرورة تزويد المطار بالتقنيات الحديثة والاهتمام والعناية الفائقة بالمهابط خاصة المهبط الرئيسي لتسهيل إقلاع وهبوط الطائرات وعدم توقف الرحلات والحفاظ على سلامة المسافرين.

Abstract:

The study deals with the issue of air traffic at Tobruk International Airport, where the movement was classified into the movement of aircraft – passenger traffic – geographical distribution, in the period of 2015–2018 with a comparison between the companies. It was verified that the international movement holds got the largest percentage, which were 70% at the airport for the above years. The classification was based on the movement of both aircraft and passenger traffic, international or domestic Libya Airways received the highest grade, and Libya Air lines has a lower degree of traffic in terms of international flights, while received first place in domestic flights.

In terms of passenger traffic, Libyan Airlines was also the highest internationally and Al-Buraq Company ranked first locally, thus identifying the most important cities and countries handled by the airport during the year 2018. It turned out that the most locally trips was Tripoli and Egypt were internationally It has become clear that the airport has achieved record numbers in the navigation movement despite the lack of potential, because of the closure of other air ports in the past years and the resort to the port of Tobruk air as the most important ports operating in the Libyan state Finally, the study reached a set of recommendations, foremost of which is the need to provide the airport with modern technologies and attention and care of the highways, especially what is the main landing point of descent to facilitate the takeoff and landing aircraft to non-stop flights and maintain the safety of passengers.

### المقدمة:

جاء الاهتمام بالنقل الجوي كونه أحد أنماط النقل المهمة التي اختصرت المسافات بين الدول والقارات، لتمتعه بالسرعة الفائقة التي تمكنه من الوصول إلى أبعد المسافات في زمن قصير، تعجز عن تحقيقه وسائل النقل الأخرى . تتجلى أهمية النقل الجوي في الخدمات التي يقدمها في مجال نقل الركاب والأمتعة والبريد الجوي من مدينة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى، والتي أدت إلى تسهيل عملية النقل وزيادة الروابط والعلاقات الدولية، الامر الذي ساعد بدوره على نشر الحضارة ونقل الأفكار وكل ما هو جديد من المبتكرات العلمية والثقافية من الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الدراسات الجغرافية تركز على دراسة وتحليل الحركة واتجاهاتها بما فيها رحلات المسافرين لما يترتب عليها من نتائج ، وانعكاسات على الإقليم أو المدينة التي يقع فيها المطار، وهذا ما جعل الدراسة تركز اهتمامها على النقل الجوي ووقع الاختيار على مطار طبرق الدولي كمنطقة للدراسة، كونه يمثل أحد الاستثمارات المهمة وحافزاً للنمو الاقتصادي والاجتماعي في مدينة طبرق ، لذلك عدته الدراسة دافعاً وعنصراً فاعلاً في الكشف عن دور المطار في تنمية مدينة طبرق.

### مشكلة الدراسة:

إن تحديد مشكل البحث تتطلب صياغة الأسئلة التالية:-

هل أن حركة النقل عبر مطار طبرق الدولي في تطور وزيادة مستمرة؟

ما اتجاهات حركة الملاحة الجوية لمطار طبرق الدولي؟

ما أهم الخصائص التي يتمتع بها مطار طبرق الدولي؟

### أهداف الدراسة:

- دراسة حركة النقل واتجاهاتها عبر مطار طبرق الدولي.

- التعرف على أهمية مطار طبرق الدولي وتأثيره على الواقع الاقتصادي.

- الوصول إلى نتائج وتوصيات تفيد صناع القرار حول دور المطار في تنمية المدينة.

### أهمية الدراسة:-

تظهر أهمية هذه الدراسة في التعرف على تأثير مطار طبرق الدولي ودوره في التنمية بالمدينة ، فضلاً عن أهميته وموقعه الجغرافي والسياسي والاستقرار الأمني المتميز، كما أن

. ناجية إسماعيل عبد الرحمن

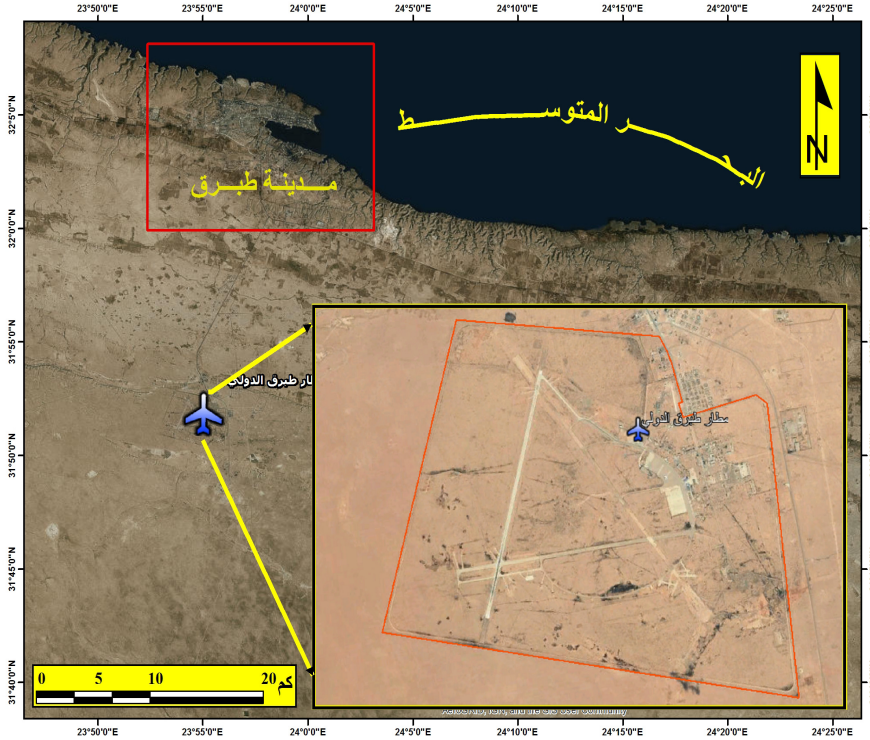
### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

النقل عبره يتمتع بمزايا لا تتمتع بها وسائل النقل الأخرى من حيث كونه الأكثر سرعة، وأمانا، والأكثر استيعابا لحجم الحركة المنقولة.

منطقة الدراسة:

يقع مطار طبرق في الجزء الجنوبي الشرقي للمدينة، على طريق طبرق- الجغبوب ويبعد عن مدينة طبرق 25.50 كم من جزيرة شهداء اليوستر وسط المدينة، كما تبلغ مساحة المطار 17.19 كم<sup>2</sup> شاملة، يقع عند تقاطع خط طول مع دائرة عرض 23 59.55'54° وE 3151'55.87° N

خريطة رقم (1) موقع مطار طبرق الدولي



المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على المرئية الفضائية ETM 2018.



### المنهجية:

تطلبت عملية البحث العلمي الاعتماد على عدة مناهج علمية لاستكمال البحث، فتم الاعتماد على المنهج التاريخي، لأجل دراسة تطور المطار منذ تأسيسه حتى الان واطهار حركة النقل فيه بشكل عام، كما تم الاعتماد على المنهج الوصفي لارتباط الدراسة بظاهرة معاصرة بقصد وصفها وتحليلها، كذلك تم الاعتماد على المنهج التحليلي الكمي في دراسة حركة الرحلات واتجاهاتها والعلاقة بين عدد الرحلات وعدد المسافرين.

### مصادر البيانات والمعلومات:

هناك العديد من مصادر البيانات والمعلومات منها:

- الأبحاث العلمية والدراسات المنشورة وغير المنشورة، وكذلك المجالات وشبكة المعلومات الدولية.
- الهيئات العاملة في مجال الطيران المدني على المستوى المحلي.
- زيارات ميدانية لمطار طبرق الدولي.
- مقابلات شخصية مع المختصين في مجال النقل الجوي بمطار طبرق الدولي.

### نبذة تاريخية عن المطار:

بدأت أولى الرحلات المدنية بمطار طبرق المدني، إذ كانت هذه صيغة المطار سابقاً في عام 2006 إذ عمل فقط كمهبط عن طريق علاقات المسؤولين وبمعدل رحلة في الشهر تقريبا، وتعد حركة طيران النفط أولى الرحلات المحلية بالمطار ثم توالى حركة الملاحة الجوية من مطار طرابلس إلى مطار طبرق وبالعكس بواقع رحلتين أسبوعياً. توقفت الحركة الجوية بالمطار بعد عملية تفشير المهبط الرئيسي 15-33 من قبل شركة الجرف القاري لفترة طويلة، ثم بدء العمل على الربط بين المهبط 15-33 والمهبط 20-02 الاحتياطي وبعد إتمام اعمال الصيانة من قبل العاملين بالمطار في تلك المدة وبإمكانيات بسيطة باشرت حركة الطيران في المطار بواقع ثلاث رحلات أسبوعياً من مطار طرابلس إلى مطار طبرق وبالعكس، بالإضافة الي بعض الرحلات المتوجهة الي الحقول النفطية.

استمرت الرحلات بشكل منظم بعد موافقة مصلحة الطيران المدني على تنفيذ تحويل صالة الركاب بالمطار وكذلك إنشاء برج مراقبة جديد والموافقة على صيانة المبني الإداري

. ناجية إسماعيل عبد الرحمن

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

المستعار من القاعدة الجوية وتركيب بعض الأجهزة الخاصة بمنظومة التفقيش بالمطار والموافقة على إنشاء صالة ركاب جديدة عام 2008م من قبل الشركة الليبية للتنمية. وفي عام 2010م صدر قرار من اللجنة الشعبية العامة سابقاً رقم (276) لسنة 2010م بإنشاء مصلحة المطارات الصادرة في 6-7-2010م والتي من اختصاصاتها:

- تنفيذ التشريعات المتعلقة بالمطارات.
  - تنظيم وتطوير أسلوب العمل بالمطارات.
  - القيام بأعمال الصيانة الدورية.
  - دراسة وتحديد وتنمية المشاريع السياحية والخدمية.
  - المحافظة على النظام والأمن داخل بالمطارات.
- وبعد مباشرة الشركة الليبية للتنمية والاستثمار تم تركيب وتجهيز صالة الركاب الجديدة، ونظراً لأحداث 17 فبراير توقفت نسبة الإنجاز في الصالة بنسبة 21%.
- بعد ذلك تم إجراء الصيانات اللازمة وياشرت الحركة الجوية في المطار من طرابلس إلى طبرق والعكس، ومع أعمال الصيانة التي تمت بالمطار من صيانة الإنارة وكذلك توسيع ممر التوصيل (Tax way) واستعمال المهبط 20-02 الاحتياطي تم اعتماد مطار طبرق منفذ "دولي" وذلك بالقرار رقم (859) بتاريخ 30-1-2013م الصادر عن السيد وزير المواصلات والنقل.

كانت أول رحلة دولية من مطار طبرق إلى مطار برج العرب بجمهورية مصر العربية بتاريخ 29-4-2013م ، وأول رحلة إلى مطار قرطاج بتونس 12-11-2013م كما كانت أول رحلة شحن بضائع من دولة تركيا شهر 12-2013م.

أول رحلة عمرة إلى المملكة العربية السعودية شهر 8-2014م والشركات التي كانت

ولا يزال بعضها يعمل بالمطار هي:

شركة الخطوط النفط. الليبية.

شركة الخطوط الجوية الإفريقية .

شركة ليبيا للطيران .

شركة البراق.

شركة طيران النفط .

. ناجية إسماعيل عبد الرحمن

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

الخطوط الجوية التونسية.

الخطوط الجوية التركية.

شركة البحر المتوسط \*

#### حركة الطائرات:

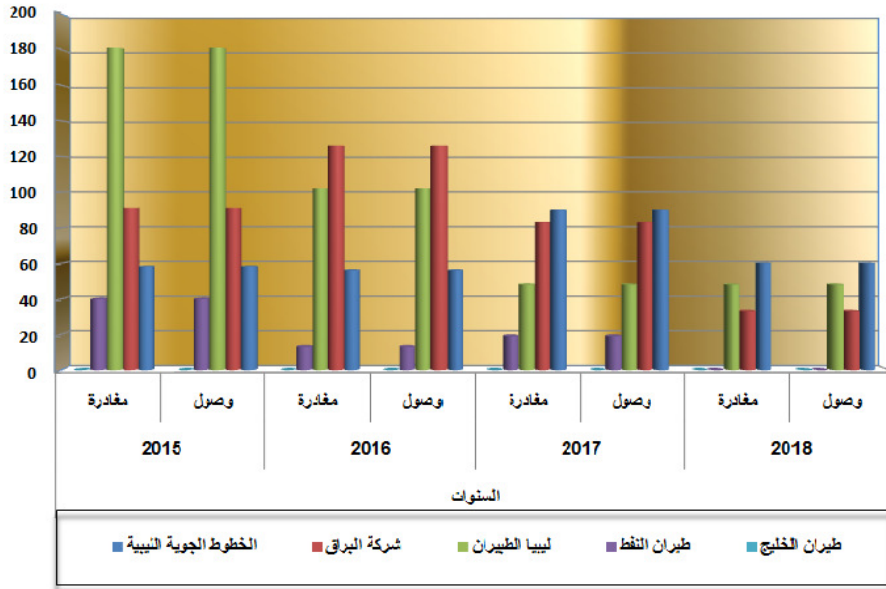
تتباين حركة الطائرات في مطار طبرق الدولي من سنة لأخرى تبعاً للعديد من المتغيرات المحلية والدولية . فمن خلال تتبع البيانات المتاحة والخاصة بحركة الطائرات في مطار طبرق الدولي خلال المدة من (2015- 2018) لوحظ أن تسجيل البيانات تم من خلال تقسيمها إلى حركة طائرات (رحلات) قادمة ومغادرة دون تفصيل لنوع حركة الطائرات واتجاهاتها في هذه الدراسة تم التطرق إلى حركة الطائرات على المستوى السنوي، وكذلك على مستوى المدة المدروسة.

جدول رقم (1) يمثل عدد الرحلات الداخلية (القادمة والمغادرة) لشركات الخطوط الجوية الليبية خلال السنوات من 2015 - 2018م.

السنوات								الشركات
2018		2017		2016		2015		
مغادرة	وصول	مغادرة	وصول	مغادرة	وصول	مغادرة	وصول	
60	60	90	90	56	56	58	58	الخطوط الجوية الليبية
33	33	83	83	126	126	91	91	خطوط البراق
48	48	48	48	102	102	181	181	ليبيا للطيران
0	0	19	19	13	13	40	40	طيران النفط
0	0	0	0	0	0	0	0	طيران الخليج

المصدر :- إعداد الباحثة اعتمادا على بيانات دولة ليبيا، وزارة المواصلات والنقل، مصلحة المطارات، مطار طبرق الدولي، مكتب النقل الجوي إحصائيات مطار طبرق الدولي للسنوات (2015- 2018).  
شكل رقم (1) الرحلات الداخلية (القادمة والمغادرة) لشركات الخطوط الجوية الليبية خلال السنوات من 2015 - 2018م.

حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة



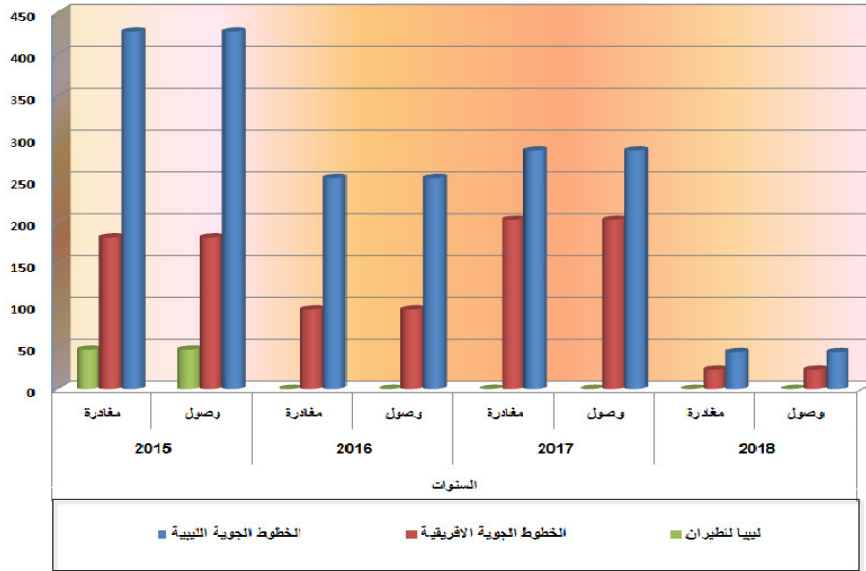
جدول رقم (2) يمثل عدد الرحلات الخارجية (القادمة والمغادرة) لشركات الخطوط الجوية الليبية خلال السنوات من (2015 - 2018م).

السنوات								الشركات
2018		2017		2016		2015		
مغادرة	وصول	مغادرة	وصول	مغادرة	وصول	مغادرة	وصول	
44	44	285	285	252	252	427	427	الخطوط الجوية الليبية
23	23	202	202	95	95	181	181	الخطوط الجوية الإفريقية
0	0	0	0	0	0	47	47	ليبيا للطيران

المصدر:- إعداد الباحثة اعتمادا على بيانات دولة ليبيا، وزارة المواصلات والنقل، مصلحة المطارات، مطار طبرق الدولي، مكتب النقل الجوي إحصائيات مطار طبرق الدولي للسنوات (2015 - 2018).

حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

شكل رقم (2) الرحلات الخارجية (القادمة والمغادرة) لشركات الخطوط الجوية الليبية خلال السنوات من (2015 - 2018م).



ومن دراسة الشكلين (1- 2) الخاصين بحركة النقل الجوي وفقاً لشركات الخطوط الجوية بمطار طبرق الدولي خلال المدة أعلاه يتضح الآتي:-

سجل خلال المدة المدروسة (2015-2018م)، (2096) رحلة داخلية لحركة الطائرات بمطار طبرق الدولي، حيث كان عدد الرحلات القادمة مساوياً لعدد الرحلات المغادرة وقد كان أقل مجموع لعدد الرحلات القادمة والمغادرة في سنة (2018م) حيث كان مجموعها (208) رحلة في حين كان أعلى مجموع لعدد الرحلات (القادمة والمغادرة) في سنة (2015م) بأجمالي (740) رحلة، ويرجع سبب ذلك إلى إحراق مطار طرابلس الدولي عام 2014م من قبل الميليشيات المسيطرة هناك، وإغلاق مطار بنينا في بنغازي في نفس العام من قبل الجيش إذ كان قبلها تحت سيطرة التنظيمات والمليشيات وبعد سيطرة الجيش على مدينة بنغازي صدرت الأوامر بإغلاق المطار إلى الانتهاء من العمليات العسكرية هناك ، عليه لم يكن أمام المسافرين إلا مطاري الأبرق وطبرق خلال عامي (2016 - 2017) سجلا حوالى (480-594) رحلة على التوالي ولنفس الأسباب السابقة.

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

في حين سجلت سنة (2018م) أقل عدد للرحلات وذلك يعود إلى إعادة افتتاح مطاري (معيتيقة الدولي - وبينينا) مما خفض من حركة الرحلات فضلاً عن عزوف بعض الشركات عن التعامل مع مطار طبرق وذلك لحدوث هبوط في أحدى المهابط في المطار ، حيث انخفضت رحلات كلا من شركة البراق وكذلك شركة ليبيا للطيران منذ 2016م، ليصل عدد رحلاتها إلى 66 رحلة للأولى و96 رحلة للتالية.

سجلت الرحلات الدولية خلال المدة نفسها (2015- 2018م) (3112) رحلة قادمة ومغادرة) بحيث سجلت رحلات القدوم (1556) رحلة وبالمقابل سجلت رحلات المغادرة العدد نفسه، وهنا نود أن نوضح أن الدراسة حاولت الحصول على بيانات تفصيلية شهرية تكشف عن عدد الرحلات القادمة والمغادرة خلال مدة الدراسة، أو حتى منذ استئناف تسيير الرحلات المدنية بالمطار، لكن البيانات التي تم الحصول عليها دلت على وجود تناقض واضح على اختلاف الجهات والاختصاصات بالمطار، وبعد الاستفسار من عدد من المسؤولين عن ذلك التناقض الكامن في تقييد بعض الرحلات في سجلاتهم وترك الأخرى من دون تقييد، كان ردهم هو عدم توافر السجلات الخاصة بتقييد الرحلات المفترض إرسالها من مصلحة الطيران المدني ببنغازي، ولذلك كانت الرحلات التي تصادف وجود سجلات سواء قادمة كانت أم مغادرة تدون، وعند انتهاء السجلات المرسله من المصلحة تترك دون تقييد، مع أن تلك الرحلات تكون قد سئرت فعليا قادمة أو مغادرة، وهذا الإهمال وبتلك الحجة أظهر لنا لبساً وغموضاً بل هوة وفراغاً غريباً بالنسبة لبعض الأشهر غير المقيدة في السجلات الرسمية على الرغم من تسييرها من قبل شركات الخطوط بالفعل وعند التركيز على دراسة طبيعة الحركة من خلال شركات الخطوط الجوية تبين التالي:

#### شركة الخطوط الجوية الليبية:

تعد من أهم وأكبر الشركات التي تتعامل مع المطار بمختلف أنواع الرحلات الخارجية منها والداخلية وقد كان لها أول رحلة دولية من مطار طبرق الدولي إلى مطار برج العرب بجمهورية مصر العربية بتاريخ 29-4-2013م، وتوالت رحلاتها بواقع رحلتين أسبوعياً وبالنظر إلى السجلات الخاصة برحلات هذه الشركات وجد أنها قد سجلت أعلى عدد للرحلات الدولية بواقع (2016) رحلة (قادمة ومغادرة) بما يمثل (64.8%) من إجمالي

. ناجية إسماعيل عبد الرحمن

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

الرحلات الدولية بالمطار طبعاً خلال المدة المدروسة (2015 - 2018) مقابل رحلات داخلية حملت معها (582) رحلة وبنسبة 24.5% من إجمالي الرحلات المحلية. وعند تفصيل وتحليل البيانات خلال فترة الدراسة وجد أن سنة 2015م سجلت فيها الشركة (854) رحلة دولية مقابل (504 - 570 - 88) رحلة للسنوات على التوالي (2016 - 2017 - 2018م) بينما سجلت الرحلات الدولية (116) رحلة لسنة 2015م وبقية السنوات متتالية (112 - 180 - 120) رحلة، وسبب هذا التذبذب والانخفاض في بعض السنوات ذكر سابقاً بالإضافة إلى إلغاء هذه الشركة وبشكل خاص جميع تعاملاتها ورحلاتها مع دولة تركيا لأسباب سياسية.

### شركة الخطوط الجوية الإفريقية:

وهي ثاني أكبر شركة خطوط عاملة مع مطار طبرق الدولي وتعد جميع رحلاتها دولية وقد أقلعت لأول مرة من مطار طبرق الدولي في رحلة دولية إلى المملكة العربية السعودية بتاريخ 24-1-2014م، تواصلت رحلاتها الدولية لتصل إلى 1002 رحلة، بما يمثل 32.2% من إجمالي الرحلات الدولية، ويبدو وقع الأحداث السياسية والأمنية الحاصلة في الغرب الليبي واضحاً من خلال ارتفاع النسبة لسنة 2015م عنها في السنوات التالية لها وكيف انخفضت مع استقرار الوضع السياسي والأمني، 2015م سجلت (362) رحلة مقابل (190-404-46) رحلة خلال السنوات التالية لها علماً بأن هذه الشركة بالذات ليس لها خط مباشر من مطار طبرق الدولي إلى أي مطار دولي آخر خاصة العاميين 2017 - 2018م وبالنظر إلى السجلات الخاصة برحلاتها وجد أنه لا يوجد قادمون ولا مغادرون وما هو مقيد (عابرون) فقط أي نظام (ترانزيت) وهذا ما يفسر ارتفاع عدد الرحلات خلال العام 2017م تحديداً وسيأتي لاحقاً في هذا البحث تفسير لطبيعة هذه الحركة بشكل أدق.

### شركة ليبيا للطيران:

سجلت خلال المدة ذاتها (94) رحلة دولية فقط بما يمثل 3%، وهذه النسبة تمثل رحلاتها فقط خلال سنة 2015م، بينما السنوات 2016 - 2017 - 2018م فكانت نسبتها صفر% وعليه لم تسجل أي رحلة دولية منذ العام 2015م، بينما شكلت رحلاتها المحلية خلال المدة ذاتها (758) رحلة منها (362) رحلة خلال العام 2015م مقابل (204 - 96 - 96) رحلة للأعوام التالية لها.

### شركة البراق:

هي شركة خاصة، وعليه فإن جميع رحلاتها محلية (طبرق - معيتيقة) والعكس وهي ثاني أكبر حركة نقل داخلي من حيث عدد الرحلات (732) رحلة قادمة ومغادرة وبما أن لها خط مباشر مع مطار معيتيقة فإن عدد الرحلات القادمة مساوياً لعدد الرحلات المغادرة، إذ سجلت ما نسبته 34% بالنسبة لبقية الشركات الأخرى العاملة على الرحلات الداخلية، علماً بأن آخر رحلة لها لمطار طبرق كانت (4-2018م) وذلك بسبب حدوث هبوط للمهبط الرئيسي بالمطار، ولدواعي أمنية وخوفاً من الحوادث أوقفت الشركة نشاطها بالمطار.

### طيران النفط:

من خلال اسمها نستدل على أنها خاصة بقطاع النفط ورحلاتها طبرق - الحقول النفطية وأيضاً هناك ما يسمى بطيران الخليج والمقصود به أن شركة الخليج العربي للنفط تقوم (باستجار) طائرات بهدف تقديم خدمات للشركة سواء نقل عاملين أو معدات وأجهزة أو خبراء... الخ عليه تسجل تحت اسم طيران الخليج ولكن للأسف لا تسجل عدد مرات الوصول أو المغادرة وتسجيلها (صفر) رغم تسجيل حالات (قادمون ومغادرون وعابرون) بما يمثل (2964) مسافراً دون تقييد عدد الرحلات وعليه لن تمثل النسبة الصورة الحقيقية لهذه الحركة، حيث إن تقييد الرحلات لشركة طيران النفط فقط، وقد مثلت (134) رحلة وبنسبة 12.5% وهو ما نوهنا عليه سابقاً، أما الشركات الدولية التالية التي لا تعمل حالياً مع المطار والتي وجبت الإشارة إليها؛ فهي:

### الخطوط التونسية:

بداية رحلاتها من وإلى مطار طبرق الدولي شهر 11-2013 بإجمالي (6) رحلات وتوالى الرحلات إلى أول شهر (8) سنة 2014م وعليه بلغ عدد رحلاتها 87 رحلة. ثم أوقفت جميع رحلاتها بسبب إحراق مطار طرابلس الدولي. بحيث أصبح هناك تخوف أمني في ليبيا بشكل عام.

### الخطوط التركية للشحن الجوي:

أول رحلة لها بتاريخ 7-12-2013م وأخر رحلة 25-12-2014م خطها طبرق / اسطنبول بحيث وصل عدد رحلاتها إلى 39 رحلة لا غير، ونوعية الشحن ملابس - أحياناً يتم شحن مستأجر من قبل شركة الخليج العربي للنفط (زيت) خاص بتشغيل المحركات في



. ناجية إسماعيل عبد الرحمن

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

شركة الخليج، أحيانا شحن خاص بوزارة الصحة بمعدل طائرتي عينات طبية وعلاج لغسيل الكلى بمركز طبرق الطبي.

#### شركة البحر المتوسط:

أول رحلة 18 - 1 - 2014م آخر رحلاتها 12-7-2014م (طبرق - معيتيقة) هي شركة مالطية خاصة بالتقريب ونقل خبراء البترول<sup>(1)</sup>.

إلى جانب ما سبق فإن هناك أمرا آخر سعت الدراسة إلى الوقوف عليه وهو متعلق بتصنيف الرحلات؛ فالرحلة القادمة من غرب ليبيا تصنف على أنها رحلة داخلية ومتى ما دخلت أجواء مطار طبرق الدولي وهبطت به ثم أقلعت للخارج فهي تكتسب صفة الرحلة الدولية وعكس هذا يكون الأمر أي عند عودتها إلى ليبيا فإنها تعود إلى طبرق غير أنها في هذه المرة سعياً للتزود بالوقود لا لاكتساب صفة الدولية.

ولكن التساؤل المطروح هنا ما سبب هبوطها في مطار طبرق؟ ولم لا تواصل رحلاتها مباشرة من مكان إقلاعها إلى خارج ليبيا؟؟ وكانت الإجابة عن ذلك بأنه وبسبب الفرض الدولي على أساس أن مطار طبرق الدولي ومطار الأبرق يتبعان الشرعية الدولية الممثلة في مجلس النواب، كان يجب على الطائرات المغادرة من ليبيا أن تأخذ تصريحها من تلك المطارات التابعة للشرعية وهذه المطارات المحظورة هي (مطار طرابلس الدولي - مطار معيتيقة - مطار مصراته- بنينا) فبسبب الوضع الأمني القلق فيها، إلى جانب حرق مطار طرابلس سنة 2014م، وإغلاق مطار بنينا وبالتالي عدم سيطرة الدولة عليه كان أن أصبح هناك فرضاً دولياً على هذه المطارات فلا يسمح بمرور أو هبوط طائرات ليبية إلا من خلال هذين المطارين (الأبرق وطبرق).

لكن هذه الحال كانت سبباً في تواصل حركة الملاحة الجوية الليبية مع انفصال الحكومتين إدارياً، فعلى الرغم من الانقسام الإداري بين مصلحة المطارات ووزارة المواصلات في الحكومتين شرقاً وغرباً، إلا أن طبيعة الموقف حتمت التواصل بين أبراج المراقبة في المطارات الليبية المختلفة أينما كانت.

#### حركة الركاب:

تتنوع حركة الركاب بين ثلاث فئات رئيسية هي (قادمون- مغادرون- عابرون)\* متفق عليه في أغلب المطارات الجوية في العالم، ولإعطاء فكرة واضحة عن أعداد

ناجية إسماعيل عبد الرحمن

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

المسافرين، سوف نتطرق إليها على المستوى السنوي وعلى مستوى المدة المدروسة، وكذلك اتجاهاتها على مستوى المدن سواء كانت داخلية أم خارجية.

جدول رقم (3) يوضح حركة الركاب على الخطوط الجوية الليبية الدولية خلال المدة (2015-2018م).

الشركات	السنوات											
	2018			2017			2016			2015		
	عابرون	مغادرون	قادمون	عابرون	مغادرون	قادمون	عابرون	مغادرون	قادمون	عابرون	مغادرون	قادمون
الخطوط الجوية الليبية	1123	5687	4859	47797	6528	5455	0	40631	35521	0	56735	53826
الخطوط الجوية الإفريقية	2745	0	0	19345	0	0	0	11205	10567	0	20166	2021
ليبيا للطيران	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	2523	1637

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على بيانات دولة ليبيا، وزارة المواصلات والنقل، مصلحة المطارات، مطار طبرق الدولي، مكتب النقل الجوي إحصائيات مطار طبرق الدولي للسنوات (2015-2018).

جدول رقم (4) يوضح حركة الركاب على الرحلات الداخلية للخطوط الجوية الليبية الدولية خلال المدة (2015-2018م).

الشركات	السنوات											
	2018			2017			2016			2015		
	عابرون	مغادرون	قادمون	عابرون	مغادرون	قادمون	عابرون	مغادرون	قادمون	عابرون	مغادرون	قادمون
الخطوط الجوية الليبية	0	5035	4611	0	9098	8252	0	5799	6149	0	5617	7552
البراق	0	4493	3129	0	9630	10871	0	14252	16745	0	9976	9959
ليبيا للطيران	0	598	336	56	3	167	0	925	846	0	2170	2842
طيران النفط	0	0	0	0	244	16	0	170	101	0	1222	655
طيران الخليج	0	1076	0	489	1386	13	0	0	0	0	0	0

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على بيانات دولة ليبيا، وزارة المواصلات والنقل، مصلحة المطارات، مطار طبرق الدولي، مكتب النقل الجوي إحصائيات مطار طبرق الدولي للسنوات (2015-2018).

ومن دراستنا ( للجدولين ) يمكننا توضيح التالي:

إجمالي المسافرين لكلا الوجهتين الدولية والمحلية وخلال مدة الدراسة وصل إلى (491372) مسافراً منهم (346551) أي ما يقارب 71% لركاب الرحلات الدولية، مقابل (144821) ما يمثل 29% لركاب الرحلات الداخلية.

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

تباينت أعداد الركاب بمطار طبرق الدولي من سنة لأخرى، إذ سجلت حركة الركاب (القادمون /المغادرون) سنة 2015م أكبر عدد للمسافرين خلال مدة الدراسة بإجمالي عدد (194321) مسافراً ونجدت شكلت حركة الملاحة الدولية 80% وبعده وصل إلى (155088) مسافراً، مقابل (39233) للرحلات المحلية وهذا دليل على الدور الذي لعبه المطار في هذه المدة بالذات نظراً للأسباب السياسية والأمنية التي مرت بها البلاد في تلك الآونة.

كما لوحظ أن أكبر نسبة من المسافرين كانت على متن الخطوط الجوية الليبية في رحلاتها الدولية بإجمالي عدد (110561) مسافراً خلال هذه السنة، بل جميع سنوات المقارنة وهذا ما سنجده واضحاً خلال الصفحات القادمة من هذا البحث.

أما بالنسبة لرحلات المحلية فكانت الصدارة لشركة البراق بعدد (19175) مسافراً. أما الأقل عدد من حيث الركاب الدوليين فكانت شركة ليبيا للطيران بـ 4160 راكباً ومحلياً طيران الخليج (صفر) راكب، لكونها طائرات مستأجرة وحسب الطلب، وقد حل محلها طيران النفط بإجمالي 1877 راكباً خلال هذه السنة.

سجلت سنة 2016 الترتيب الثاني بالنسبة لسنوات المقارنة من حيث عدد الركاب حيث وصل إلى (142930) راكباً، منهم 97924 راكباً دولياً، أمام 45006 راكباً محلياً، علماً بأن الخطوط الجوية الإفريقية في هذا العام تحديداً كان معدل رحلاتها خلال ستة أشهر الأولى للسنة بعدد (21772) راكباً دولياً ثم أوقفت جميع رحلاتها، كذلك الحال بالنسبة لشركة ليبيا للطيران، التي أوقفت أيضاً رحلاتها بداية من شهر (7) إلى نهاية السنة ذاتها وكان عدد الركاب (1771) راكباً محلياً أما دولياً فكما نلاحظ أنها أوقفت جميع رحلاتها بداية من هذا العام إلى وقتنا الحالي أما شركة طيران النفط فإن عدد الركاب لا يتجاوز (300) راكب وبالعودة إلى السجلات الرسمية وبخصوص هذه الشركة لوجدناه أنها لم تقم برحلات إلا خلال أشهر 10 - 11 - 12 فقط.

وعليه فقد تصدرت شركة البراق أيضاً هذا العام بالنسبة لإعداد الركاب بإجمالي (30997) راكباً محلياً بينما أعداد الركاب الدوليين فقد كان أكبر عدد لهم على متن الخطوط الجوية الليبية بـ (76152) راكباً دولياً مقابل (11948) راكباً محلياً.

. ناجية إسماعيل عبد الرحمن

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

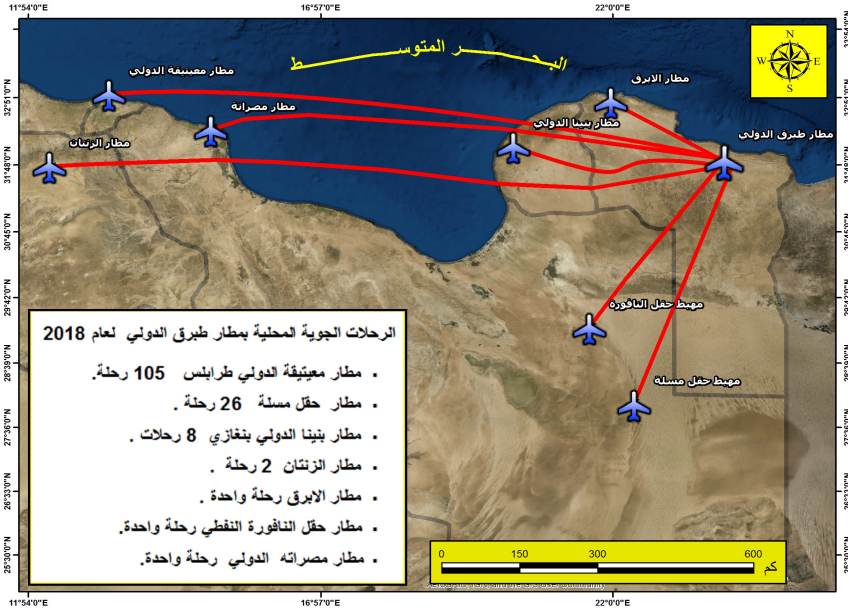
أما السنوات (2017 - 2018م) تحديداً فنلاحظ تأثير قرار الفرض الدولي بشأن عدم السماح للطائرات الليبية بدخول الاجواء الدولية لها إلا بعد حصولها على تصاريح مرورها بمطاري الابرق أو طبرق، فعليه نلاحظ أن فئة (العابرين) طغت على فنتي (القادمين والمغادرين) من الركاب، فقد وصل مثلاً عدد العابرون على متن الخطوط الليبية خلال هاتين السنتين إلى (48920) عابر مقابل (22629) راكب العابرين ما بين قادم ومغادر. أما الخطوط الافريقية وهي ثاني اكبر شركة خطوط دولية فنجد أن جميع الركاب خلال المدة ذاتها هم عابرون ولا وجود لفئة (القادمين) أو (المغادرين) بمطار طبرق الدولي على متنها، بحيث وصل عدد (العابرين) إلى (22090) أما الركاب المحليون فدائماً شركة البراق لها الصدارة في ذلك، فقد سجلت خلال هذه المدة حوالي (28123) راكباً محلياً، مقابل (26996) راكباً محلياً على متن شركة الخطوط الجوية الليبية، طيران النفط سجل (260) راكباً محلياً خلال العام 2017م مقابل (صفر) راكب خلال العام 2018م مع (2964) راكب على متن طيران الخليج العربي، مع (1160) راكباً على خطوط ليبيا للطيران.

### التوزيع الجغرافي لحركة الطيران:

بالرغم من عدم توفر بيانات تفصيلية عن حركة الطائرات واتجاهاتها للمدة (2015-2018) على مستوى توزيعها الجغرافي حسب المدن والدول، عليه فقد تم الاعتماد على وسيلة المقابلة الشخصية مع بعض المختصين في مطار طبرق الدولي<sup>(\*)</sup>، والاجتهاد معهم فقد قامت الباحثة بعمل خرائط لتوزيع الرحلات حسب أعدادها واتجاهاتها الجغرافية ومنها يمكن توضيح التالي

حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

خريطة رقم (2) التوزيع الجغرافي للرحلات الجوية المحلية بمطار طبرق الدولي لعام 2018م



المصدر: - إعداد الباحثة اعتماداً على المرئية الفضائية ETM باستخدام برنامج ARCGis.10.2

الرحلات الجوية المحلية لمطار طبرق الدولي عام 2018م:-

كان مجموع الرحلات الداخلية (معيتيقة - بينا - مصراته - الحقول النفطية - الزنتان - الأبرق) عام 2018م هو (145) رحلة، وكان أكبر عدد من الرحلات من مطار معيتيقة الدولي هو (105) رحلة، بينما بلغ أدنى عدد من الرحلات الجوية من مطاري مصراته والنافورة بعدد (رحلة واحدة) لكل منهما، وذلك بسبب أن النافورة هي إحدى مناطق الحقول النفطية، وبالتالي الرحلات تركزت على مسلة كبديل ثانٍ للرحلات النفطية، أما مصراته قد تكون هذه الرحلة هي في الواقع دولية، وبسبب ما ذكر سابقاً عن الفرض الدولي مما أضطرها للهبوط في مطار طبرق وعليه تعد رحلة داخلية، ومن ثم إقلاعها منه على أساس رحلة دولية من مطار طبرق.

خريطة رقم (3) التوزيع الجغرافي للرحلات الجوية الدولية بمطار طبرق الدولي لعام 2018م



المصدر: المرئية الفضائية ETM باستخدام برنامج ARCGis.10.2 - إعداد الباحثة

الرحلات الجوية الدولية لمطار طبرق الدولي عام 2018م:

مجموع الرحلات الخارجية وصل إلى (59) رحلة دولية فقط خلال هذا العام، إذ بلغ أقل عدد للرحلات الخارجية من المدن التالية (تونس العاصمة - عمان) رحلة لكل منهما، وقد سبقهما (جدة) بواقع (4) رحلات، بينما بلغ أكبر عدد لمدينة الإسكندرية بواقع (52) رحلة خلال هذا العام.

مع العلم بأن هذا المطار قد أوقفت أغلب رحلاته تقريباً بداية من منتصف العام إلى نهاية شهر (12) من نفس العام، وذلك بسبب نزول المهبط الرئيسي، والذي ترتب عليه إيقاف الرحلات، وهذا يعكس انخفاض عدد الرحلات الجوية سواء الداخلية منها أو الخارجية، أما ما يتعلق بالتوزيع الجغرافي للسنوات السابقة لهذا العام بالتحديد، فكما أسلفنا في بداية طرح

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

هذه الجزئية انه لا توجد أي بيانات حول هذا الموضوع تحديداً ونتيجة للاجتهادات بالرغم من صعوبتها، فقد تحصلنا فقط على التوزيع الجغرافي للرحلات الخارجية لشركة الخطوط الجوية الليبية، بحيث وصل عدد رحلاتها الخارجية إلى (287) رحلة منها 187 رحلة لمدينة الإسكندرية و(21) رحلة إلى تونس، 77 رحلة إلى جده، و2 رحلة إلى عمان، أما شركة الخطوط الإفريقية، فقد تعذر الحصول على بيانات التوزيع الجغرافي لرحلاتها الدولية، والذي اقتصر فقط على العام 2018م.

وأخيراً أود أن اؤنوه إلى أنه كان من أهداف الدراسة التعرف على أهمية مطار طبرق الدولي وأثره على الواقع الاقتصادي فيها، بوصفه يمثل إحدى الاستثمارات المهمة بالمدينة، كما كان من أهداف الدراسة أيضاً وفق العرف البحثي العلمي والعملي، الوصول إلى نتائج وتوصيات تفيد صناع القرار بشأن دور مطار طبرق في تنمية المدينة خاصة والدولة الليبية بوجه عام.

وبعد المناقشة والحوار والبحث في الأسباب والمسببات لوحظ أن شركات الطيران الليبية، بل وحتى غير الليبية تحديداً شركة الشحن التركية والخطوط الجوية التونسية لا تدفع الرسوم المستحقة عليها لمطار طبرق الدولي.

وعند الاستفسار عن ذلك من ذوى الاختصاص توصلنا إلى أنها تطالب هذه الشركات بتلك الرسوم المستحقة والمدونة في شكل مخاطبات رسمية لكن دون جدوى ولا رد، وحسب ما ورد إلى علمنا أن الخطوط الليبية بشكل خاص وهي ملكية عامة ويقصد بها (الخطوط الجوية الليبية - الخطوط الإفريقية) بل وجميع شركات الخطوط دون استثناء، حاولت مع الجهات العليا في مصلحة الطيران المدني والتي مقرها في بنغازي، والتابعة لوزارة المواصلات، مع الجهات ذات العلاقة بغية أن توجّل دفع المديونية المستحقة عليها، ولذلك فهي لم تدفع اية مستحقات من إيرادات ورسوم .

ومما يزيد الامر سوءاً أيضاً أن هذه الشركات لا تدفع حتى أقل الرسوم استحقاقاً كضريبة المسافرين وضريبة الانتظار في ساحات المطار، وبدل أن يقابل ذلك معاملة حسنة لمن يرتادون المطار من الليبيين نجد أنها ترفع أسعار التذاكر بلا رقيب أو حسيب ليصل سعر التذكرة إلى تونس مثلاً (840 د.ل) للراكب وإلى تركيا (1320 د.ل) ومصر (955 د.ل).

### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

وعند التساؤل عن موقف مطار طبرق الدولي، ولماذا لا يتخذ موقفاً من تلك الشركات فلا يسمح لها بارتداد المطار ولا الهبوط به إلا بعد سداد المديونية المستحقة له على شركات الطيران؟ كان الرد بأن الجهات المختصة حددت بإغلاق المطار وإيقاف العمل به، بحجة أن تلك الشركات هي سبب حركة الملاحة الجوية فيه، وفي حال زاد الإلحاح عن مثل ذلك فلا حق ولا رسوم، ولعل هذا ما دفع بعض المسؤولين الشرفاء ممن تقلدوا رئاسة المطار بان يقدموا استقالتهم كأقل شيء يعبرون فيه عن ذلك الغضب وذلك الامتناع.

### الخاتمة:

إن النقل الجوي المتمثل (بمطار طبرق الدولي) لم يسهم مساهمة فعالة في عملية التنمية الشاملة لمدينة طبرق سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو العمرانية، بما كان يرجى منه من خلال مردودات مالية كان من المفترض أن يتحصل عليها المطار من عملية نقل المسافرين والبضائع ويضيفها إلى ميزانية المدينة والإقليم والدولة عامة.

أولى الرحلات المدنية لمطار طبرق المدني كانت في عام 2006م كمهبط فقط، وتعد شركة طيران ليبيا أول شركة قدمت رحلة محلية للمطار مع الحقول النفطية، وتم اعتماد مطار طبرق منفذاً دولياً 30-1-2013م وعلية انطلقت الرحلات الدولية لأول مرة في العام نفسه إلى كل من مصر - تونس - تركيا، وأول رحلة إلى المملكة العربية السعودية عام 2014م.

شركات الخطوط الجوية التي تعامل معها المطار دولياً هي شركة الخطوط الجوية الليبية - شركة الخطوط الجوية الأفريقية - شركة ليبيا للطيران - الخطوط الجوية التونسية - الخطوط الجوية التركية - شركة البحر المتوسط، ومحلياً الخطوط الجوية الليبية - شركة ليبيا للطيران - شركة البراق - شركة طيران النفط.

حركة الطائرات بمطار طبرق الدولي سجلت (2544) رحلة محلية - بينما دولياً (3112) رحلة، وذلك خلال مدة الدراسة، وعليه يعد المطار دولياً أكثر من كونه محلياً.

تعد شركة الخطوط الجوية الليبية أكبر الشركات التي تتعامل مع مطار طبرق الدولي من حيث الرحلات الدولية بحيث وصل عددها إلى (2016) رحلة دولية قادمة ومغادرة، بالمقابل شركة طيران ليبيا هي الأقل دولياً من حيث حركة الطائرات بـ (94) رحلة دولية، وبالعكس محلياً احتلت هذه الشركة المرتبة الأولى بواقع (758) رحلة قادمة ومغادرة.



### حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

إجمالي حركة الركاب بمطار طبرق الدولي وصل إلى (491372) راكباً 71% منهم لركاب الرحلات الدولية مقابل 29% لركاب الرحلات المحلية، وكل هذا خلال مدة الدراسة. تمثل فئة (العابرون) النسبة الأكبر لركاب الرحلات الدولية بمطار طبرق الدولي خلال (2017-2018م) ووصل عددهم إلى (70010) عابر- مقابل (22629) راكباً ما بين قادم ومغادر وذلك بسبب فرض الحظر الدولي على ليبيا بعدم السماح للطائرات الليبية بدخول أجوائها إلا بعد المرور بمطار طبرق، أما حركة الركاب المحلية فالصدارة لشركة البراق بإجمالي (28123) راكباً محلياً.

الامتداد الجغرافي لتعامل المطار محلياً تمثل في (معيثقة - بنينا - مصراته- الحقول النفطية- الزنتان- الأبرق)، أما التوزيع الجغرافي دولياً فتمثل مع (مصر- تونس- الأردن- السعودية - تركيا).

### التوصيات:

توصي الدراسة صناع القرار المسؤولين، وخاصة أن طبرق هي مقرهم، بتطوير المطار أسوة بالمطارات الأخرى التي وصلت مرحلة متقدمة من مراحل التشغيل والقيام بتوسعات في المطار وإنشاء مباني جديدة، والإيعاز للحكومة ضرورة التركيز على تطوير المطار، الذي سيسهم في زيادة الطلب على النقل الجوي ، وبالتالي زيادة حركة الركاب مع الدول الأخرى وتحقيق مردودات مالية كبيرة في مجال النقل الجوي تساعد في تنمية المدينة والدولة عامة. كما توصي الدراسة الجهات المختصة والرقابية بالعمل على حل معضلة عدم دفع المديونية من قبل شركات الخطوط الجوية من أجل المساهمة في التنمية عامة. توصي إدارة المطار بالاهتمام بتوثيق كثير من البيانات، ومنها البيانات المتعلقة بإلغاء الرحلات الجوية أو تأجيلها، مما يؤثر سلباً على شركات النقل الجوي والمسافرين، فضلاً عن تسجيل البيانات الخاصة باتجاه الرحلات والمسافرين بشكل تفصيلي في كل السنوات. لا بد من تزويد المطار بالتقنيات الحديثة، والاهتمام والعناية الفائقة بالمهبط خاصة ما هو حاصل للمهبط الرئيس حفاظاً على سلامة الركاب وتسهيل إقلاع وهبوط الطائرات وعدم توقف الرحلات.

**أولاً- المصادر:**

دولة ليبيا، وزارة المواصلات والنقل، مصلحة المطارات، مطار طبرق الدولي، مكتب الإيرادات والاستثمارات للسنوات من 2013-2014-2015-2016-2017-2018م.  
دولة ليبيا، وزارة المواصلات والنقل، مصلحة المطارات، مطار طبرق الدولي، مكتب النقل الجوي، إحصائيات مطار طبرق الدولي، للسنوات 2015-2016-2017-2018م.

**ثانياً - الكتب:**

سعيد عبده، أسس جغرافية النقل، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، الطبعة الأولى 1994م.  
محمد خميس الزوكة، جغرافية النقل، القاهرة، دار المعرفة الجامعية بدون ط، 2000ف.

**ثالثاً - الرسائل العلمية:**

ضرغام داود سليمان، مطار أربيل الدولي، دراسة في جغرافية النقل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الانبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم الجغرافيا، 2017م.  
مسفرة بنت صالح الغامدي، ميناء الظهران الجوي بالمملكة العربية السعودية دراسة في جغرافية النقل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب للبنات بالدمام قسم الجغرافيا، 2000م.

**رابعاً- المقابلات الشخصية:**

أ. سعد جاب الله عبدالسلام، مدير عام مطار طبرق الدولي، بتاريخ شهر 2- 2019م.  
أ. حاتم سالم صالح، مدير مكتب الإيرادات والاستثمارات بمطار طبرق الدولي، بتاريخ متعددة.  
أ. عبدالقادر جمعه أجبالي، مساعد مدير مطار طبرق الدولي، سابقاً لسنة 2018 بتاريخ 3 - 3 - 2018م.

\* - مقابلة مع السيد عبد القادر جمعه أجبالي، نائب مدير مطار طبرق الدولي سابقاً، بتاريخ 8-3-2019م.

1- مقابلة مع أ. حاتم سالم صالح، مدير مكتب الإيرادات والاستثمارات بمطار طبرق الدولي ، يناير، 2019.

. ناجية إسماعيل عبد الرحمن

حركة الملاحة بمطار طبرق الدولي وأثرها على تنمية المدينة

---

\* الراكب العابر: حسب التعريف الدولي هو المسافر الذي يصل على إحدى الطائرات ثم يستأنف الرحلة على نفس الطائرة أو طائرة أخرى ولا تتعدى إقامته 24 ساعة.

\* - البيانات بناءً على اجتهاد علمي من أ. حاتم سالم صالح، مدير مكتب الإيرادات والاستثمارات.

#### مقدمة:

تحتل شجرة الزيتون أهمية كبرى في الحياة الاقتصادية للمجتمع الليبي، لكونها توفر أهم المواد الاستهلاكية الأساسية للمواطن الليبي، وهي زيت الزيتون الذي يعد أحد أهم عناصر الأمن الغذائي في البلاد، ومصدر من مصادر الدخل الرئيسة على نطاق الأسرة والدولة وهو عامل مهم في الاقتصاد، استعمل في عدة أغراض كالصناعة والاثارة والطب، وأسهم أيضا في الصناعات التقليدية، فمن شجر الزيتون تستخدم الأدوات الزراعية والمنزلية وأغراض بناء المساكن وفي ألواح الكتابة في الزوايا التعليمية وغيرها من الاستخدامات الأخرى. وقد ارتبطت شجرة الزيتون ارتباطا وثيقا بتراثنا ووجداننا وديننا وبالتالي كان الاهتمام بهذه الشجرة المباركة كبيرا وخلال العهد العثماني الثاني، ونظرا لأهمية شجرة الزيتون، عملت الحكومة العثمانية على النهوض بالزراعة في ولاية طرابلس الغرب التي كانت آخر ولاية تابعة لها بالشمال الأفريقي، وشجعت الأهالي على غرس أشجار الزيتون لأنها تعتبر مصدرا لدخل الولاية.

#### اشكالية البحث:

تتمثل اشكالية الدراسة في التساؤلات الرئيسية التالية:

- ما هو الدور الاقتصادي الذي قامت به أشجار الزيتون في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثاني؟
- إلى أي حد أسهمت هذه الزراعة في توفير فرص عمل موسمية وسد حاجة السكان للزيت كمادة استهلاكية؟
- ما هي السياسة الزراعية التي اتبعتها الحكومة العثمانية للاهتمام بهذا المورد الاقتصادي؟
- ما اسهامات أشجار الزيتون في الاقتصاد المحلي على مستوى السكان وخزينة الدولة؟

#### أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تحاول الكشف عن أحد الجوانب المهمة في الأداء الاقتصادي للبلاد في تلك الفترة.

- أنها تتناول موضوعا مهما لم تتناوله الدراسات السابقة بهذا التفصيل، أملين أن تكون إضافة جديدة في التاريخ الاقتصادي.؟؟

#### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى تتبع الدور البارز لأشجار الزيتون في تنمية الاقتصاد المحلي، وذلك من خلال الاعتماد على الوثائق العثمانية والتي تعد من المصادر الأولية لدراسة الموضوع نظرا لما تحتويه من معلومات غزيرة وقيمة قلما نجدها في المصادر المطبوعة. منهج الدراسة اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي، القائم على جمع المعلومات من مصادرها الأصلية، ثم دراستها وتحليلها وتفسيرها، وصولا الى استخلاص النتائج ودلالاتها.

#### تقسيمات الدراسة:

تكون البحث من تمهيد وثلاثة محاور رئيسة جاءت على النحو التالي:

التمهيد: -الخلفية التاريخية لزراعة أشجار الزيتون في البلاد الليبية منذ القدم.

المحور الثاني: اجراءات المتبعة من الحكومة العثمانية للنهوض بهذا المورد الاقتصادي.

المحور الثاني: الضرائب المفروضة على أشجار الزيتون.

المحور الثالث: اسهامات شجرة الزيتون في اقتصاد الولاية.

#### تمهيد: الخلفية التاريخية لزراعة أشجار الزيتون في ليبيا منذ القدم:

تعتبر ولاية طرابلس الغرب منطقة تصلح لزراعة أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة، وخاصة الزيتون الذي يعتبر من أهم الأشجار المثمرة في؟؟الولاية، وكان يحظى باحترام السكان وعنايتهم، لأن شجرة الزيتون شجرة مباركة، وتعد مصدر غذاء رئيسي كانت زراعة الزيتون معروفة لدى العرب الليبيين قبل مجئ العثمانيين بمئات السنين، وهذا أمر طبيعي لأن أصل الزيتون وانتشاره بدأ في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبي والشرقي، واستطاع أن يقوم بدور هام في اقتصاد الشعوب التي تعيش حول منطقة حوض المتوسط (1) عرفت زراعة الزيتون في البلاد الليبية منذ العهود السابقة، وفي عهد الاغريق كان الزيتون معروفا منذ العام (900-ق-م)، كما عرف لدى الرومان في العام (600-ق-م). واليهم يعود الفضل في انتشار زراعته في عدة مناطق من ليبيا، خاصة في منطقة لبددة ومسلاتة وترهونة والجبل الغربي وغريان وفساطو ونالوت وورفلة، وتشمل كل منطقة أكثر من معصرة واحدة لعصر الزيتون لا تزال أطلالها باقية حتى الان، وهذا يبرز الدور الكبير الذي لعبته

المورد الاقتصادي للزيتون في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني

هذه الشجرة طوال تلك الفترة. وليس أدل على انتشار أشجار الزيتون منذ فترات سابقة، أن لبدة كان بها ما يقارب المليون شجرة زيتون، مكنتها في القرن الأول قبل الميلاد من منح روما ثلاثة ملايين رطل من الزيت كجزية سنوية<sup>(2)</sup>.

أما في فترة الدراسة ونتيجة لاستقرار أحوال ولاية طرابلس الغرب حدث تغير ملحوظ في الانتاج الزراعي في البلاد، ويعزو السبب في ذلك الى اهتمام السلطات الحاكمة بالتنمية الزراعية في البلاد كمصدر أساسي لتمويل خزينة الدولة ونفقاتها والتزاماتها. ولذلك ازداد الاهتمام بزراعة المحاصيل الزراعية في ولاية طرابلس الغرب وخاصة أشجار الزيتون، من خلال اصدار عدة قوانين ولوائح (عصر التنظيمات والاصلاحات) تهدف الى اعادة تنظيم الزراعة في الولاية. ونتيجة لذلك ازداد اهتمام الحكومة العثمانية بزراعة أشجار الزيتون، وعملت على انتشاره على نطاق واسع، خاصة في المناطق الملازمة لزراعته وأصبحت منتجات الزيتون وثماره وزيوته ومشتقاته من الواردات المهمة لخزينة الولاية، فضلا عن أنها قامت بدور رئيسي في النشاط الاقتصادي للمجتمع الليبي خلال العهد العثمان الثاني.

**المبحث الأول: الاجراءات المتبعة من الحكومة العثمانية للنهوض بهذا المورد الاقتصادي**  
اتخذت الحكومة العثمانية عدة اجراءات لرفع مستوى الانتاج في الولاية، ووجهت اهتماما كبيرا للتوسع في غرس أشجار الزيتون ، وفي نطاق اهتمامها نجدها وبتاريخ 23 مارس 1869م تصدر أوامر الى والي بنغازي تطلب فيها منه الاهتمام بغابات أشجار الزيتون، وتعيين حراس من المشاة والفرسان لها ، ومراقبتهم مراقبة شديدة، وطالبت أن يكون طول غابة الزيتون مسيرة ست ساعات، وعرضها مسيرة خمس ساعات<sup>(3)</sup> وكانت الحكومة العثمانية تصدر منشورات بين الحين والآخر خاصة بزراعة أشجار الزيتون ،تتضمنها تعليمات وافية توضح كيفية غرس الأشجار والعناية بها ، وضم المنشور عشرة مواد هامة.تضمنت بعض تلك المواد أوامر صارمة من الحكومة بمنع التعدي على أشجار الزيتون واتلافها.

ففي المادتين الأولى والثانية يعاقب كل شخص أكلت دابته شجرة زيتون بالحبس، وألزمته المادة الثالثة من هذا المنشور كل مشايخ القبائل والمأمورين بالقاء القبض على كل شخص تتعدى حيواناته على الزيتون، أو يقوم بسرقة الغرس خلال ثلاثة أيام، والا فانه يكون مسئولا أمام الحكومة، وألزمته المادة الرابعة كل أفراد القبيلة بأن يتناوبوا على الحفاظ على الثمار والأشجار التي غرست، وتوفير قدر مناسب من الحراس للقيام بذلك.

المورد الاقتصادي للزيتون في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني

وألزمت المادة الخامسة الأهالي بأن يقوموا بالحراسة كل ليلة مع الحراس، بالإضافة الى مراقبتهم الدائمة للحراس والأكوخ في كل الأوقات، والقبض على سارقي ثمار الزيتون. وعليه فان المادة السادسة ألزمت باستخدام غفيرين أو أكثر بمعايش مناسب لحراسة أشجار الزيتون. وشددت المادة السابعة بصورة خاصة على الحكومة المحلية بأن لا تهمل أو تؤخر الشكايات الواقعة من الحراس والمشايخ وأصحاب الأشجار. واهتمت المادة الثامنة بكيفية غرس أشجار الزيتون وفقا للأساليب العلمية الحديثة، وركزت المادة التاسعة من جديد على معاقبة السفهاء الذين يسرقون غرسات أشجار الزيتون من الغابات والبساتين ليلا قبل انباتها أو بعد، ويبيعونها للغير، وجعلت عقوبتهم الحبس، وأجبرت المادة العاشرة والأخيرة كل الأعيان والمشايخ ورؤساء البلديات والأهالي بغرس 60 زيتونة<sup>(4)</sup>.

ولم تكف الحكومة بإصدار هذا المنشور، بل كانت حريصة على التأكد عما اذا كانت طبقت الأوامر والتعليمات التي صدرت في هذا الخصوص أم لا، حيث كانت أوامرها صارمة، ويبدو ذلك واضحا من خلال القوانين التي كانت تصدرها بين الحين والآخر للمحافظة على أشجار الزيتون من التلف والفساد، فكانت تحظر على الأهالي قطع أشجار الزيتون المثمرة، وخصوصا الجديد منها واتخاذها حطباً<sup>(5)</sup>.

وبعد صدور هذا المنشور كلف الوالي محمد نظيف باشا أهالي قضاء غريان بغرس (19000) شجرة زيتون في عام 1316-1900م موزعة على عدد (61) قبيلة من قبائل قضاء غريان وملحقاته، ووزعت على حسب عدد سكان كل قبيلة<sup>(6)</sup>. وجدير بالملاحظة أن قضاء غريان من أشهر أفضية الولاية في زراعة أشجار الزيتون لجودة تربتها وصلاحياتها لزراعته، ويمتاز الزيت المنتج منه بالجودة، وخصوصا ذلك المسمى ب(الحارتي)<sup>(7)</sup>.

ونظرا لشهرة هذه المنطقة بزراعة الزيتون، كلفت بأرسال (2000) من شتلات الزيتون لمتصرفية فزان سنة 1326 المالية -1910م، نقلت بواسطة ثلاثين جملا<sup>(8)</sup>. وفي متصرفية الخمس تم توزيع (41500) شتلة زيتون على أهالي المتصرفية لغرسها<sup>(9)</sup>.

وبتاريخ 5 نيسان 1323الماليه-الموافق 1907م تم غرس (36347) زيتونة في فساطو مع بعض الأشجار الأخرى و(51997) زيتونة في مصراتة و(18886) زيتونة في مسلاته و(1000) زيتونة في العجيلات بقصد زيادة الثروة وتوسيع دائرة العمران<sup>(10)</sup>.

المورد الاقتصادي للزيتون في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني

وتنبغي الإشارة الي جهود بعض الولاة الأتراك في الاهتمام بغرس اشجار الزيتون في ولاية طرابلس الغرب،بداية بعهد الوالي (محمد أمين باشا) (1842-1847م) الذي حرص مع الوالي (أحمد عزت باشا) خلال ولايته الأولى (1848-1852م) والثانيه (1858-1860م)، حيث عمل الوالي محمد أمين علي الاكثار من غرس أشجار الزيتون ، وغيرها من الأشجار الأخرى ، في حين شجع الوالي أحمد عزت المزارعين على الاقبال على زراعته ، وأصدر أوامره الرسمية لموظفيه في عام (1849م) باعفاء مزارعي أشجار الزيتون لأول مرة من دفع الميري والعشر لمدة خمسة عشر عاما لكل مزارع يعمل على زيادة المساحات المزروعة بأشجار الزيتون مما كانت عليه في عام (1849م) <sup>(11)</sup>.

ولم تتوقف جهود الوالي أحمد عزت باشا عن اصداره للأوامر والقرارات بل انه قام مع رجال ادارته المحلية بغرس الالاف من أشجار الزيتون الصغيرة بالجبل الأخضر والجبل الغربي، وعين عددا من الحراس والعمال للاعتناء بها والمحافظة عليها من خطر الحيوانات والناس <sup>(12)</sup> ونظرا لما كان يتميز به الوالي (أحمد راسم باشا) من حرص شديد على النهوض بالولاية، حرص على اعمار مناطق عدة بأنواع مختلفة من الأشجار المثمرة وخاصة أشجار الزيتون <sup>(13)</sup>. ونتيجة لجهود أولئك الولاة بلغ عدد الأشجار التي غرست في مناطق ترهونة والزاوية والعجيلات والنواحي الأربع وين وليد وفزان ما يزيد على نصف مليون شجرة زيتون سنة 1891 حسب ما ورد من مجلس ادارة الولاية في هذه المناطق <sup>(14)</sup>. وفي ظل الاهتمام المتأخر للعثمانيين بالزراعة وخاصة في عهد الوالي المصلح حافظ محمد باشا(1900-1902م) طالب هذا الوالي المزارعين بالاهتمام بشجرة الزيتون ، وأجبرهم على زراعة المزيد منها في أراضيهم وذلك بموجب القرار الذي أصدره بتاريخ 18 كانون الثاني 1316 مالية الموافق 31 يناير 1900 هجرية ، حيث صنف المزارعين الليبيين الي ثلاثة أصناف حسب اتساع مساحة الأرض التي يملكونها ، وفرض القرار على المزارعين من الصنف الأول زرع ثلاثين زيتونة في أرضه كل عام، والمزارعين من الصنف الثاني 15 زيتونة ، أما الصنف الثالث ففرض عليه زراعة خمس زيتونات فقط . وتنفيذا لهذا القرار فقد تم زرع (13540) زيتونة جديدة في العجيلات و(18375) في الزاوية و(24144) زيتونة في زليتن.ومن جهة أخرى وقف هذا الوالي وقفة صارمة تجاه كل مزارع يقطع شجرة زيتون من أرضه بلا سبب مقبول فارضا عليه غرامة كبيرة <sup>(15)</sup>



وفي هذا السياق، وفي نطاق اهتمامها بتعليم غرس أشجار الزيتون، قامت الحكومة العثمانية بأرسال عشرة خيالة، وعشرة رجالة ليعلموا أهل الجبل وبنغازي كيفية خدمة الزيتون والمحافظه عليه، وبما أن أهل مسلاتة لهم خبرة ودراية بهذا الشأن، فقد تقرر ارسال هؤلاء نفر من مسلاتة، وتحديد مرتب شهري لهم وقدره مائة قرش شهريا (16).

وفي نطاق اهتمامها بتنمية وتطوير وزيادة الإنتاج، اقترحت الحكومة العثمانية استدعاء هيئة فنية من جزيرة كريت لادخال معاصر حديثة خفيفة الوزن بدل المعاصر التقليدية، وتقرر أيضا صناعة هذه المعاصر وقطع غيارها في مكتب الفنون والصنائع الذي افتتح في مركز الولاية (17).

#### المبحث الثاني- الضرائب المفروضة على الزيتون:

وفضلا عن كون منتجات الزيتون شكلت موردا مهما من موارد الولاية، فإن ما فرضته الحكومة العثمانية من ضريبة على أشجار الزيتون وثمارها، ساهمت في ازدياد أهمية ذلك المورد بالنسبة لخزينة الولاية، فكان يؤخذ عن أشجار الزيتون ضريبة سنوية عن كل شجرة زيتون عرفت بضريبة "العشور" وهي الضريبة التي كانت مقررة على المنتجات الزراعية ولكنها تختلف من سنة الى أخرى حسب جودة المحاصيل، فضريبة العشر عن الزيتون مثلا تدفع نقدا بمعدل نصف مجيدي عن كل قنطار (18). وكان تحصيل تلك الضريبة يتم عن طريق الالتزام، فيتولى أفراد من الموظفين الأتراك تحديد حصة كل أرض من الضريبة وهو ما كان يعرف بالتخريف، وعن طريق المزاد يتم تعيين ملتزمين لتحصيل أعشار حاصلات المعاصر الموجودة بالولاية لاستخلاص العشر، باستثناء معاصر المستخدمين بلا معاش، والعفو عنهم، وتسليمها الى صندوق مال الولاية (19).

ولم يقتصر تعيين الملتزمين على الأهالي فحسب، بل استطاع بعض كبار التجار الأجانب الحصول على هذا الامتياز، ففي عام (1869م)، أحييت أعشار قضاء مسلاتة للتاجر (ريكارو كصار) الذي قام بدوره بتعيين نائباً عنه لتحصيل الأعشار، وبمساعدة مجلس الولاية (20). في حين تحصل التاجر (زوزاب كولين) على التزام عشر زيتون مصراتة في العام نفسه (21).

وفضلا عن حصول التجار الأجانب على هذا الامتياز، فانهم امتلكوا مساحات شاسعة من الأراضي التي تنتشر فيها أشجار الزيتون، فالتاجر اليهودي (اسحاق نينو) من سكان

مسلاته، وأحد رعايا دولة (الفلمنك) كان يمتلك الكثير من أشجار الزيتون ، ويعتبر أحد أكبر تجار الزيت في المنطقة (22).

كانت حكومة الولاية دقيقة في تحصيل الأعشار وتدوينها في دفاتر خاصة بكل منطقة على حدا، وفرز أعشار كل صنف من الأهالي والمستخدمين والمعفو عنهم. ويقوم موظفون خاصون بتلك الأعمال مقابل مبالغ مالية سنوية للقائمين على ذلك، ففي عام (1883م) خصص مبلغ وقدره (3869) قرش و(20) بارة لكل من مأمور ومخمن وكاتب عشر زيتون قضاء غريان (23).

وفي بعض سنوات الجفاف التي كانت تصيب الولاية والناطقة عن ندرة سقوط الأمطار تعجز بعض المناطق عن دفع الميري المفروض عليها، فتطلب من الحكومة اعفائها، وبما أن الحكومة كانت حريصة على جمع تلك الأعشار، فانها قد تعفي البعض من دفع الميري خلال تلك السنة، على أن يتم دفعه في سنوات لاحقة مهما كانت قيمته. فنرى على سبيل المثال في جدول ضرائب غريان المعد في عام (1865م)، بعض الضرائب المتراكمة من السنوات السابقة، اعتبارا من سنة (1841م)، وهي كثيرة ومتنوعة، فنجد متراكما في سنة (1841) قدره (34993) قرش ، ونجد من بقايا بدل عشر الزيت لسنة (1842م) مبلغا وقدره (38922) قرش، عدا الديون الأخرى (24). ولذلك كثيرا ما يتقدم الأهالي بعريضة الى حكومة الولاية يسترحمون فيه باعفائهم من دفع الميري المفروض عليهم .

وجدير بالملاحظة أن الحكومة العثمانية كانت حريصة على اختيار مأموري التخريص ممن يتصفون بالجرأة أثناء تأدية عملهم، وفي المقابل تمنح لهم معاشات شهرية تصل أحيانا الى (800) قرش شهريا (25). وكانت توضع دفاتر خاصة تحمل أسماء وشهرة ألقاب أصحاب المزارع في كل منطقة، وذكر أسماء المحلات التي توجد بها مزارعهم، وتنظيم كل ذلك في دفتر توضع فيه أسماء كل قبيلة، ويكتب بجانب كل أسم تاريخ اليومية، وترسل نسخة منه الى ادارة الولاية (26).

وعلى الرغم من أن الحكومة عممت ضريبة العشر على كل الولاية، الا انها استثنت بعض الفئات في المجتمع كمشايخ القبائل والعشائر وأفراد الوحدات العسكرية والأفراد الذين يقدمون خدمات جليلة للدولة والعلماء والقضاة والأعيان والمكلفون بأعمال في الدولة وخاصة في قطاع الجباية كالمأمورين وغيرهم من الفئات الأخرى (27). ف(القولوغلية) (\*) تم

المورد الاقتصادي للزيتون في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني

استثنائهم مقابل ما كانوا يقومون به من أعمال عسكرية للحكومة، إلا أن الوالي حافظ محمد باشا (1900-1902م) ألغى هذا الاعفاء، وأمر الجميع بدفع الضرائب دون النظر لرتبهم، إلا أن من جاء بعده أعاد ذلك الاعفاء للقولوغلية مرة أخرى وحتى صدور الدستور العثماني 1908 بحيث أعيد فرض الضرائب على القولوغلية<sup>(28)</sup>.

واستطاع بعض التجار والمشائخ والأشراف الحصول على هذا الاعفاء، ففي 5 ذي القعدة سنة 1283 الموافق 1878م على سبيل المثال وقع قائمقام الجبل رسالة اعفاء الشيخ قاسم باشا المحمودي من أداء الضرائب على أملاكه في الزاوية والجبل وعفو جماعته أولاد سلطان كذلك من الأداء<sup>(29)</sup>. وكذلك حصول مشايخ مسلاتة (الشيخ الشريف)، ونقيب الأشراف الحاج (علي العربي) على اعفاء من دفع لزمة زياتينهم<sup>(30)</sup>. هذه الاعفاءات شملت أيضا أفراد قدموا خدمات جليلة للدولة، وبتاريخ 24 جمادى الأولى 1826 وجه مجلس إدارة الولاية أمر إلى الباي (خليل بن عبدالله) متولي مسلاتة باعفاء زيتون التاجر (حسن بن الفقيه حسن)، والبالغ عددهم 55 زيتونة من اللزمة<sup>(31)</sup>. أما عن العلماء فقد جاء اعفاؤهم من منطلق وضعهم كفئة اجتماعية في البناء الاجتماعي العثماني. وشملت هذه الاعفاءات أيضا التجار الأجانب، فالتاجر الإيطالي (مشيلي الطلياني) تحصل على اعفاء ضريبي من حكومة الولاية وعلى التسهيلات اللازمة لجمع محصول غلة زيتونة<sup>(32)</sup>. وشملت الاعفاءات العديد من الفئات الأخرى التي لا يتسع المجال لذكرها هنا (\*\*).

**المبحث الثالث - اسهامات شجرة الزيتون في اقتصاد الولاية:**

تدفعنا دراسة هذا المبحث إلى عدة تساؤلات مهمة حول القيمة الاقتصادية لزراعة؟ أشجار الزيتون، وإلى أي مدى ساهمت في دعم اقتصاد الولاية، سواء أكان القطاع السكاني أو الحكومي للولاية؟

ومن خلال المصادر التي بين أيدينا سنحاول استخلاص فكرة مقبولة عن تأثير هذا المورد في حياة الأهالي وخزينة الولاية.

فمن خلال الاشارات التي وردت في تلك المصادر يمكننا القول بأن زراعة أشجار الزيتون في الولاية ساهم إلى حد كبير في مد مجموعات من السكان بمصدر مضمون للدخل النقدي، هذا فضلا عن فوائدها الكثيرة باعتبارها المادة الاستهلاكية الأساسية لسكان الولاية،

المورد الاقتصادي للزيتون في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني

فزيتها يؤكل وبياع، وخشبها يستعمل كغذاء للحيوان والوقود، وزيتها يستخدم في عدة أغراض كالصناعة والانارة والطب والغذاء.

وقد لمست حكومة الولاية أهمية ذلك المورد الاقتصادي، ولذلك أولت اهتماما بالغا بالاكثار من زراعة أشجار الزيتون في الولاية وتحسين أنواعه، وبناء المعاصر في مناطق مختلفة من الولاية. واعتمدت بذلك اعتمادا كبيرا في دخلها على عوائد هذا المورد، من خلال ما كانت تفرضه من رسوم قديما عرف بضريبة العشر.

هذه الضرائب كانت من أهم المصادر المالية لخزينة الدولة، سواء أكانت نقدا أو عينا، فهي مصدر ثابت تحرص الدولة على بقائه وتنظيمه، ولا تكاد تترك أي شي الا وضعته تحت طائلة الضرائب، ونذكر هنا أنه حتى أوقاف المساجد لم تستثن من تلك الرسوم<sup>(33)</sup>. وقد بلغت قيمة ذلك المورد أهمية كبيرة خاصة في سنوات الخصب، تلك الضرائب كانت أهم العوائد المالية التي تدخل الى خزينة الدولة، وإذا علمنا أن قيمة الرسوم التي فرضت على أشجار الزيتون في كل من يفرن وفساطو ونالوت (319.000) قرش تركي سنة 1872م لأدركنا أهمية هذا المورد<sup>(34)</sup> وفي قضاء غريان بلغت أعشار الزيتون سنة 1278 مالية (145.000) قرش تركي<sup>(35)</sup>. في حين قدرت قيمة الضريبة عن معاصر بعض أهالي قضاء مسلاته في السنة نفسها (1.476) أقة زيت<sup>(36)</sup>.

هذه العوائد المادية الهامة ساهمت في الصرف على عدة أوجه في الولاية ففي المجال العسكري خصصت نسبة من قيمة الضريبة المفروضة على أشجار الزيتون للمتطلبات العسكرية، وتقيدنا احدى الوثائق التاريخية بأن أعشار قضاء غريان لسنة 1291 مالية الموافق 1795م خصصت للمتطلبات العسكرية ومعاشات المأمورين والمتقاعدین والمحتاجين<sup>(37)</sup> وتقيدنا وثيقة أخرى بتاريخ 1307 المالية الموافق 1801م بأن أعشار قضاء غريان عن هذه السنة خصصت لاحتياجات العساكر الشاهانية<sup>(38)</sup>.

من جهة أخرى أسهمت العوائد النقدية المحصلة عن أشجار الزيتون في الصرف على بعض المنافع العامة في الولاية ومنها التعليم؛ حيث خصص جزء من واردات الزيتون النقدية سنة 1312 المالية الموافق 1896م وقدرها (10684) قرش تركي لاحتياجات المعارف<sup>(39)</sup> وبالتالي فان العوائد النقدية المحصلة من أعشار الزيتون ساهمت في الصرف على بعض قطاعات في الولاية ومهما كان من أمر السياسة الضرائبية العثمانية في الولاية،

المورد الاقتصادي للزيتون في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني

فان الزيتون ظل موردا مهما وسلعة رئيسة للتبادل التجاري داخل وخارج الولاية ، ومظهرا من مظاهر النشاط الاقتصادي في البلاد اشتملت التجارة الداخلية في ولاية طرابلس الغرب على بيع بعض المنتجات الزراعية المحلية ومنها زيت الزيتون، حيث كانت ثمار الزيتون تنقل من مناطق الجبل الغربي وغريان الى أسواق طرابلس، ومنها تنقل الى المنطقة الشرقية ويمثل زيت الزيتون أيضا أهم الصادرات الى الخارج، حيث تبلغ قيمة الصادرات سنويا الى كل من ايطاليا وفرنسا حوالي (7000) ليرة سنويا. ومن بقايا زيت الزيتون أيضا أي بقايا الزيتون بعد عصره، يصدر في كل عام الى كل من ايطاليا وتونس حوالي (2500) طن، أي بواقع الطن الواحد من 24 الى 27 فرنك، وهناك تكبس مرة أخرى ويستخرج منها الزيت بنسبة 8%<sup>(40)</sup>. وفي عام (1850) كان زيت الزيتون أحد أهم الموارد المحلية المصدرة للخارج، الى جانب بعض الموارد الأخرى، حيث بلغ مقدار ما أنتج في هذه السنة (1.370.800) كيلو غرام، أي بمعدل (742.000) ليرة<sup>(41)</sup>.

وتجدر الإشارة الى أنه في عام (1875) كان زيت الزيتون أحد أهم المنتجات الزراعية التي شاركت بها ولاية طرابلس الغرب في المعرض السنوي بفيلادفيا<sup>(42)</sup>.

وفي عام (1901) بلغت قيمة الصادرات من الزيت من بنغازي وحدها (14620) جنيها، ومن درنة (11.847) جنيها، ذهبت الى مصر والأناضول وجزيرة كريت، والجدول التالي يبين مقدار ما صدر من الزيت الى تركيا خلال السنوات (1899-1902)<sup>(43)</sup>.

السنة	1899	1900	1901	1902
مقدار الزيت المصدر	18500 لتر	42.000 لتر	55000 لتر	54000 لتر

ولعل ما تجدر الإشارة اليه بالنسبة للنشاط التجاري في الولاية في مادة الزيتون وغيرها من المواد الأخرى تمتع التجار الأجانب وخاصة الايطاليين بمستوى اقتصادي رفيع في المجتمع خاصة في المدن الكبرى، طرابلس وبنغازي ومصراتة والخمس ومسلاتة وغيرها، حيث امتلك هؤلاء أراض زراعية، وتحصلوا على تسهيلات من الحكومة العثمانية بممارسة حقوقهم في الولاية دون أن يتعرض لهم أحد في حقوقهم ، والشواهد التاريخية حول هذا الموضوع كثيرة، حيث تفيدنا أحد الوثائق الموجودة بدار المحفوظات التاريخية بأن التاجر الايطالي مشيلي امتلك أرضا بقضاء مسلاتة؟ بها أشجار زيتون وكرم وعنب، وأنه

تحصل من الحكومة العثمانية على تعهد بممارسة حقوقه دون أن يتعرض له أحد في حقوقه<sup>(44)</sup>.

حقيقة أن النفوذ الاقتصادي الإيطالي بدأ ينشط في الولاية منذ سبعينيات القرن التاسع عشر بفعل الاتفاق الموقع بين الحكومتين التركية والإيطالية بأن تكون إيطاليا أكثر الدول الأوروبية حضوة في مجال الاستثمار بالولاية<sup>(45)</sup>. ومع مطلع القرن العشرين تحولت ولاية طرابلس الغرب عمليا إلى مستعمرة اقتصادية إيطالية، حتى بدأت الأصوات في إيطاليا عام 1911 م تتادي باحتلال البلاد.

#### خاتمة:

كشف هذا البحث عن أهمية أشجار الزيتون التي لعبت دورا أساسيا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد الليبية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأسهمت إلى حد كبير في الحركة الاقتصادية للبلاد بفضل وجودها في جل المناطق، وتأثيرها في الحياة الاجتماعية وذلك طيلة العصور الماضية، فهي تمثل مصدر عيش ورزق مباشر وغير مباشر للسكان، باعتبارها مادة استهلاكية يومية للسكان.

ولم تقتصر أهمية هذه الشجرة على توفير الغذاء للسكان، بل لها فائدة كبيرة حيث أنها توفر فرص عمل للسكان، بالإضافة إلى قيمتها الغذائية الهامة.

كما أنها لعبت دورا رئيسيا في الأداء الاقتصادي للولاية، من خلال ما تم تصديره في سنوات الخصب إلى خارج البلاد. ناهيك عن الظرائب الموظفة على أشجار الزيتون والتي كانت تستخلص زيتا ونقدا في هذه البلاد المثمرة، والتي شكلت عائدا نقديا هاما لخزينة الولاية، اعتمدت عليه اعتمادا كبيرا في دخلها، مما انعكست آثاره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الولاية.

ونظرا لهذه الأهمية فإن الحكومة العثمانية أولت اهتماما كبيرا في سبيل الاعتناء بزراعة أشجار الزيتون وذلك من خلال اتخاذ عدة إجراءات للنهوض بهذا المورد الاقتصادي.

#### هوامش البحث:

1- محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ص 36.

- 2- الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا (1911-1970)، أعمال الندوة العلمية التي عقدت بمركز الجهاد الليبي، أكتوبر 1983، ص33.
- 3- د.م.ت.ط. ملف الزراعة، وثيقة رقم (23)، من حكومة الولاية الى والي بنغازي تطلب منه الاهتمام بغابات أشجار الزيتون.
- 4- د.م.ت.ط. ملف الزراعة، وثيقة رقم 2995، تعليمات بشأن غرس أشجار الزيتون.
- 5- جريدة طرابلس الغرب، 11 ربيع الآخر، 1328 هجرية، السنة الأربعون.
- 6- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، رسالة من الوالي محمد نظيف باشا الى قائم مقام غريان بخصوص تكليف بغرس أشجار الزيتون. نقلا عن: محمد امحمد الطوير، تاريخ الزراعة في ليبيا أثناء الحكم العثماني الثاني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، 1991م، ص29.
- 7- النامة طرابلس الغرب 1302 هـ -1884م، ص84.
- 8- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، ملف الزراعة، وثيقة رقم 1583، رسالة من حكومة الولاية الى قائم مقام غريان تطلب فيها ارسل ألفين من شتلات الزيتون الى متصرفية فزان، 1 كانون الأول 1326-19 ديسمبر 1910م.
- 9- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، رسالة من حكومة الولاية الى قائم مقام الخمس تطلب منه توزيع عدد 41500 شتلة زيتون على قضاة المتصرفية، 7 كانون الأول 1885م.
- 10- جريدة طرابلس الغرب، 5 ربيع الأول 1325 هـ، السنة السابعة والثلاثون، العدد 1192.
- 11- محمد امحمد الطوير، مرجع سابق، 1991، ص32.
- 12- عمر بن اسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا 1835-1881م، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، ص271.
- 13- أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي 1882-1911م، الطبعة الأولى، منشورات الجامعة الليبية، 1971م، ص114.
- 14- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، تقرير من الوالي أحمد راسم باشا بخصوص أعماله بالولاية، 16 مايو 1891م. نقلا عن: مخلوف امحمد سلامة، الإصلاحات

- العثمانية وأثرها في ولاية طرابلس الغرب 1839-1911م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزاوية، ص 85.
- 15- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس ملف الزراعة وثيقة رقم 1338، نقلا عن: تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، 1988، ص 122.
- 16- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس وثيقة غير مصنفة، بخصوص ارسال نفر من أهالي مسلاتة لتعليم أهل الجبل وبنغازي كيفية غرس الزيتون.
- 17- لامين جولاشان، مخطوط خواطر وأراء حول الزراعة، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة الثالثة، 1981م، ص 259-260.
- 18- فرانشيسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب خليفة التليسي، دار الفرجاني، طرابلس ليبيا، ص 38.
- 19- دار الوثائق التاريخية، طرابلس وثيقة غير مصنفة بخصوص بيع عشر حاصلات الزيتون وحاصلات المعاصر عن طريق المزاد في منطقة زليتن، 18 ايلول 1296.
- 20- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة، بخصوص بيع أعشار زيت قضاء مسلاتة لسنة 1288 للتاجر ريكاردو كصار، 27 تشرين الثاني 1288.؟؟
- 21- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة بخصوص بيع أعشار زيت قضاء مصراتة للتاجر زوزاب كولين 1288.
- 22- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس وثيقة غير مصنفة بخصوص التاجر اليهودي اسحاق نينو يتقدم بعرضحال الى قنصلية دولة الفلمنك لاستيفاء بعض ديونه من الأهالي 1289.
- 23- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس وثيقة غير مصنفة بخصوص تخصيص أجرة سنوية لمأمور وكاتب ومخمن أعشار زيتون قائم مقامية غريان 1883م.
- 24- صلاح الدين السوري، الضرائب العثمانية في طرابلس الغرب ومنتصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني (مشاكل الضغط والتوتر)، مجلة البحوث التاريخية، السنة السادسة، العدد الثاني، يوليو 1984م، منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، ص 370.



- 25- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس وثيقة غير مصنفة بخصوص رسالة من ادارة الولاية الى قائم مقامية غريان بخصوص تحديد أجرة مخرص زيتون غريان محمد الغول 1305هـ.
- 26- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس وثيقة غير مصنفة بخصوص تحصيل أعشار غريان لسنة 1302هـ.
- 27- عقيل محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، منشورات elga، مالطا، 1996م، ص 63.
- (\*)-القولوغلية، أو الكوارغلية، مصطلحات تشير وفق بعض المصادر الى الأبناء الناتجين من زواج أفراد الانكشارية الأتراك من النساء المحليات الليبيات، وهو قول يحتمل الخطأ عند بعض المؤرخين.حول هذا الموضوع ينظر الى: عقيل البربار، مرجع سابق، ص 65.
- 28- تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص 223.
- 30- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، ملف الضرائب، وثيقة رقم 732، بخصوص اعفاء الشيخ الشريف المسلاتي والحاج علي العربي من دفع لزمة زياتينهم.
- 31- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، تحقيق محمد الأسطى-عمار جحيدر، منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس 1984م، ص 93.
- 32- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة ،بخصوص حصول التاجر الايطالي مشيلي على اعفاء ضريبي من حكومة الولاية 1296هـ الموافق 1877م.
- (\*\*)-حول هذا الموضوع ينظر: عقيل البربار ،مرجع سابق، ص 82.
- 33- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة، بخصوص عشر زيتون أوقاف المساجد في قضاء غريان لسنة 1293 مالية الموافق 1797م وقدره ثلاثون كيلة وربع.
- 34- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة، بخصوص عشر زيتون قضاء غريان عن سنة 1291 مالية الموافق 1874م، وقدره 145.000 قرش تركي.
- 35- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة، بخصوص أعشار معاصر قضاء مسلاتة لسنة 1278مالية الموافق -1861م ومقدارها 1.476.

36- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة، تتضمن تخصيص أعشار قضاء غريان عن سنة 1291 مالية الموافق 1795 لمتطلبات العساكر والمتقاعدين والمحتاجين.

37- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة، بخصوص تخصيص أعشار قضاء غريان عن سنة 1307 الموافق 1801م لاحتياجات العساكر.

38- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة، تتضمن تخصيص جزء من أعشار الزيتون النقدية عن سنة 1312 المالية الموافق 1896م وقدره 10684 قرش تركي لاحتياجات المعارف.

39- محمد ناجي، محمد نوري، طرابلس الغرب، ترجمة أكمل الدين احسان، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ص 33-34.

40- كوستانزيو برنيا، طرابلس من 1510 الى 1850 م، تعريب خليفة التليسي، الطبعة الأولى مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1969م، 359.

41- عقيل البربار، مرجع سابق، ص 21.

42- حبيب وداعة الحسناوي، ظروف وأبعاد امتداد الادارة العثمانية الجديدة لغدامس سنة 1842، (مجلة البحوث التاريخية)، السنة الثانية، العدد الأول، مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 1980، ص 50.

43- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، وثيقة غير مصنفة، بخصوص

44- جيري لين فاو، الاستيطان الزراعي الايطالي في ليبيا، ترجمة عبد القادر المحيشي، مراجعة عبدالله ابراهيم الطبعة الأولى منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص 48.

## ملاحق البحث:

رقم الملحق	العنوان
ملحق رقم (1)	تعليمات بشأن غرس أشجار الزيتون المصدر: دار المحفوظات التاريخية، طابلس، ملف الزراعة، وثيقة رقم 2995
ملحق رقم (2)	بيان واردات أعشار معاصر بعض أهالي مسلاتة عن سنة 1892م المصدر: د.م.ت.ط. ملف الزراعة، وثيقة رقم 1561، وقدرها 1476 أقة زيت
ملحق رقم (3)	رسالة من مجلس ادارة الولاية الى قائممقام غريان لتقديم تسهيلات للسنيور مشيلي الطلياني المصدر: د.م.ت.ط. وثيقة غير مصنفة
ملحق رقم (4)	احالة أعشار قضاء مسلاتة لسنة 1897م للتاجر الايطالي ريكاردو كصار المصدر: د.م.ت.ط. وثيقة غير مصنفة
ملحق رقم (5)	أعشار زيتون قضاء غريان عن سنة 1889م وقدرها 145.000 قرش تركي

السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

أ. الصغير أحمد محمد العتيبي

قسم معلم فصل - كلية التربية يفرن

المقدمة:

إن المدرسة هي المؤسسة المختصة التي أنشأها المجتمع لتربية أفراده، بعد أن كانت الأسرة في الماضي تقوم بهذه المهمة التربوية، فالمدرسة تقوم بنقل التراث الثقافي والخبرات بشكل تدريجي وتقوم بتزويدهم بمعلومات عن البيئة الاجتماعية الخارجية بغية إعدادهم وضمان نموهم نموا سليما.<sup>(1)</sup> إن وظيفة المدرسة اليوم لا تقتصر على تعليم التلميذ وتلقينه المعلومات فقط، بل العمل على تربيته وتكوين شخصيته، فهي حلقة الوصل التي يمر بها التلميذ أثناء مراحل نموه بين الأسرة والمجتمع، ولذا فمن الضروري أن يتحقق للطفل في جو المدرسة كثير مما يتحقق له في جو الأسرة من حاجة إلى العطف والتقدير والشعور بالانتماء والاطمئنان وتنمية الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية وان تشبع حاجته للشعور بالنجاح والتقدير.<sup>(2)</sup> ويرى (كونجر) أن الأنماط المختلفة من السلوك العدواني تتكون من خلال التنشئة العائلية فالتلاميذ الذي تكثر مواجهتهم للإحباط في المنزل تنشأ عندهم دوافع واستجابات عدوانية قوية. وقد ذكر (ستور) ان الانسان ليس عدوانية بطبعه دائما، بل يصبح كذلك نتيجة الإحباط.<sup>(3)</sup> بينما توصل (ماكورد) في دراسته عن العدوانية الحادة بأنها مرتبطة بالبيئة من خلال التعرض للإيذاء من أحد الوالدين أو كليهما أو إحساس الوالدين أنفسهما بالفشل واختلاف الوالدين في اسلوب تربية التلميذ.<sup>(4)</sup>

مشكلة البحث:

أن ظاهرة العدوان هي إحدى المشكلات الاجتماعية الخطيرة التي قد تقود التلميذ الى الانحراف، وبالتالي تؤثر على المجتمع وعلى الفرد نفسه حيث أن التلميذ هو جزء من المجتمع. ومما لا شك فيه أن السلوك العدواني لدى تلاميذ المدارس أصبح حقيقة واقعية موجودة في معظم دول العالم، وهي تشغل كافة العاملين في ميدان التربية بشكل خاص والمجتمع بشكل عام، وتأخذ من إدارة المدرسة الوقت الكثير وتترك آثار سلبية على العملية التعليمية، لذا فهي تحتاج إلى تضافر الجهود المشتركة سواء على صعيد المؤسسات

أ. الصغير أحمد محمد العتيري

### السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

الحكومية أو مؤسسات المجتمع المدني أو الخاصة، لكونها ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى وانعكاساتها السلبية تؤثر على المجتمع بأسره. <sup>(5)</sup> وتتمثل مشكلة البحث في مدى انتشار ظاهرة السلوكيات العدوانية بين التلاميذ داخل البيئة المدرسية، وتطورت لتصل إلى خارج أسوار المدارس بتداعيات خطيرة، مما ينعكس سلباً على أداء كل من المدارس والتلاميذ على حد سواء أو يحول دون تمكين المدارس من تأدية رسالتها التي تصبو إليها.

ويحدد البحث حول التساؤل الرئيس التالي:

- ما أسباب انتشار ظاهرة السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي؟

#### أهمية البحث:

تنبثق أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع نفسه، وهذا يبين على أهم مظاهر السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي وبذلك تبرز أهمية هذا البحث في الآتي:

- يسهم البحث في توظيف العلاقة بين المدرسة والبيئة الخارجية من أجل تحسين العملية التعليمية.
- يسهم في حل كثير من المشكلات التي تواجه تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي.
- يزود البحث المهتمين بالتعليم المتعلقة بالسلوك العدواني بين التلاميذ بالمعلومات والمؤشرات التي تخدم التعليم.

#### هدف البحث:

يهدف البحث للوقوف على مدى انتشار ظاهرة السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي.

#### أسئلة البحث:

البحث الراهن يحاول الإجابة عن السؤال الآتي:

ما درجة انتشار ظاهرة السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي؟

#### منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي للبحث؛ كونه من أنسب المناهج لتحقيق هدف البحث، لأنه يعتمد على مصادر مكتبية تجمع الحقائق والمعلومات تم تحليلها وتفسيرها للوصول إلى نتائج مقبولة..

#### مصطلحات البحث:

**التحصيل الدراسي إجرائياً:** هو الحصيلة العلمية التي تحصل عليه في مادة دراسية أو أكثر في المجال الدراسي نتيجة لقياسه باختبار تحصيلي.  
**السلوك العدواني إجرائياً:** هذا السلوك الذي يهدف إلى تحقيق رغبة صاحبه في السيطرة مما يلحق الأذى بالآخرين أو بالذات أو الأذى قد يكون نفسياً من خلال الاعتداء بالفعل أو بالقول.

#### الدراسات السابقة:

تمكن الباحث من الحصول على عدد من الدراسات السابقة، وهي في مجملها لها قيمتها، وأهميتها للبحث الحالي، إذ خدمته من زوايا متعددة، وقد تم ترتيبها من الأقدم إلى الأحدث، وفي خطوات تبدأ بتلخيص لأهم ما ورد فيها من حيث الأهداف والمناهج المستخدمة والأداة كوسيلة لجمع البيانات على النحو التالي:

**1- دراسة البركاتي (2008) بعنوان "المشكلات السلوكية السائدة لدى التلاميذ الصفوف العليا بالمرحلة الابتدائية":** هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقات الارتباطية بين الغضب والغيرة والسلوك العدواني، وكانت غايتها (التلاميذ) حيث كان منهجها المنهج الوصفي، وكانت الأداة التي استخدمت مقياس السلوك العدواني حيث كانت نتائجها وجود علاقة بين الغيرة والسلوك العدواني.

**2- دراسة إسماعيل (2008) بعنوان: "المشكلات السلوكية لدى التلاميذ المحرومين من بيئتهم الأسرية".** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أهم المشكلات السلوكية للأطفال المحرومين من بيئتهم لأسباب مختلفة كانت نتائجها المشكلات التي يعاني منها المحرومين من بيئتهم الأسرية.

السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

3- دراسة دخيل (2009) بعنوان: "معوقات التفكير الابتكاري، وعلاقتها ببعض المشكلات السلوكية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي". هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على التلاميذ الذين يميل والذين لا يميل مدرسوهم إلى تشجيع السمات الابتكارية في مشاكل سلوكية، وكانت عينتها "التلاميذ" حيث كان منهجها المنهج التجريبي، وكأنه الأداة التي استخدمت "مقياس الخجل" في حين كانت نتائجها وجود علاقات ارتباطية بين التفكير الابتكاري وبين الخجل.

التعليق على الدراسات السابقة:

1- من حيث الأهداف:

فإن دراسة اسماعيل والبركاتي، اتفقتا من حيث الأهداف، في حين اختلفت دراسة دخيل مع البحث الحالي، حيث هدفت إلى التعرف على التلاميذ الذين يميل، والذين لا يميل مدرسوهم إلى تشجيع السمات الابتكارية في مشاكل سلوكية.

2- من حيث الأداة:

تتوافق دراسة البركاتي، ودراسة دخيل مع البحث الحالي في حين تختلف دراسة اسماعيل مع البحث الحالي.

3- من حيث المنهج:

يتوافق البحث الحالي مع دراسة اسماعيل، ودراسة البركاتي في اتباع المنهج الوصفي، في حين يختلف مع دراسة دخيل مع البحث الحالي في اتباع المنهج التجريبي.

4- من حيث النتائج:

لا يتوافق البحث الحالي مع دراسة البركاتي، في حين يختلف مع دراسة اسماعيل، ودراسة دخيل مع البحث الحالي.

حيث توصلت دراسة البركاتي إلى وجود علاقة بين السلوك العدواني والغيرة، في حين أن دراسة اسماعيل توصلت إلى أن التلاميذ المحرومين من بيئتهم لأسباب يؤثر سلباً على التحصيل الدراسي لهم، بينما توصلت دراسة دخيل إلى وجود علاقة ارتباطية بين التفكير الابتكاري والخجل.

أدبيات البحث:

- لمحة تاريخية عن السلوك العدواني:

عرف العلماء النفسيين وعلماء علم الاجتماع السلوك العدواني بأنه السلوك الذي يهدف إلي إلحاق الأذى بالآخرين أو بالذات. والأذى قد يكون نفسياً من خلال الاعتداء بالفعل أو بالقول. كما يراه البعض بأنه الاستجابة التي تكمن وراء الرغبة في إلحاق الأذى، وهو سلوك غير سوي يهدف صاحبه إلى السيطرة على الآخرين والتدمير، ويرى البعض الآخر المبارك العدواني بأنه كل فعل يتسم بالعداء تجاه الموضوع أو الذات، ويهدف إلى التدمير ويقصد به المعتدي إيذاء شخص آخر.

يرجع الاهتمام بدراسة السلوك العدواني بين الأفراد إلى محاولات "ماكوجال" المبكرة في كتابه "مقدمة في علم النفس الاجتماعي" التي كانت عبارة عن بعض التأملات النظرية حول هذا الموضوع. ثم ظهرت أول إشارة لبحوث العدوان في فهرس مجلة "الملخصات السيكولوجية" وبعد ذلك قدم -دوالرد- وزميله عام 1919 أول محاولة جادة للبحث التجريبي المنظم للعدوان البشري وهي الخاصة بالإحباط والعدوان، واستمر تأثير البحوث اللاحقة بمحاولة - دوالرد- وزميله لأكثر من 21 عاماً .

وفي أوائل السبعينات قدمت محاولات نظرية جادة لكل من "باندورا" عام 1973 و"بارون" عام 1977 و"جونسون" عام 1972. ومنذ تلك الفترة تنوعت بحوث العدوان على المساريين: النظري والواقعي وحدث نمو واضح في كم وكيف المعلومات التي تراكمت، ومع ذلك ظلت هناك كثير من المشكلات التي لم تحسم سواء فيما يخص مفهوم العدوان وأسسه النظرية وارتقائه منذ مراحل العمر المبكرة أو علاقته بغيره من المفاهيم الأخرى. وهل هو دافع فطري غريزي أم فسيولوجي عصبي شأنه شأن دوافع الطعام ينشأ تلقائياً من داخل الإنسان؟ (شحاته: 187: 2009)

- تعريف السلوك العدواني:

يعتبر السلوك العدواني أحد الموضوعات التي اختلف العلماء في تحديد مفهومها تحديداً دقيقاً بل أن ألبرت باندورا- "ABENDURU"، وهو أكثر الباحثين في المجال العدواني



السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

اعتبر دراسة السلوك العدواني من الموضوعات المعقدة التي لا يمكن تحديدها من جانب الدلالة اللفظية<sup>(6)</sup>.

ولإعطاء مفهوم شامل للعدوان اخترنا عدة تعاريف تطرقت إليه وهي كالتالي: حيث عرف باص - BASS "أي شكل من أشكال السلوك الذي يتم توجيهه إلى كائن حي آخر ويكون هذا السلوك مزعجا له " بين هذا التعريف أن السلوك العدواني هو كل سلوك مزعج ، وعرف لين (LINN، 1961) هو فعل عنيف موجه نحو هدف معين وقد يكون هذا الفعل بدنيا أو لفظيا وهو بمثابة الجانب السلوكي لانفعال الغضب والهيجان والمعدات إسماعيل، (1982، ص28) ، و لقد أشار هذا التعريف إلى نوعين من السلوكيات العدوانية وهو اللفظي والبدني بالإضافة إلى أنه أشار بان للسلوك العدواني هدف محدد وعرف واطس (WATSON،1979) " هو مجموعة من المشاعر والاتجاهات التي تدل على الكراهية والغضب والسخرية من الآخرين وبأخذ العدوان أشكالا متعددة قد تكون خفية في حالة توجيهها بسلطة ما أو تكون عنادا عبوسا في وجه الآخرين".<sup>(7)</sup> .

دل هذا التعريف على أن السلوك العدواني ينبع من المشاعر ويشمل الاتجاهات أيضا، وعرف شابلين - CHAPLIN " هو هجوم أو فعل معادي موجه نحو شخص أو شيء وهو إظهار الرغبة في التفوق على الأشخاص الآخرين ويعتبر استجابة للإحباط ما كما يعني الرغبة في الاعتداء على الآخرين أو إيذائهم والاستخفاف بهم السخرية منهم بأشكال مختلفة بغرض إنزال العقوبة بهم " (العيوسي،1997، ص 103) ، وعرف فاخر عاقل السلوك العدواني هو أفعال ومشاعر عدوانية وهو حافظ يثيره الإحباط - أو التنشيط أو تسببه الإثارة الغريزية<sup>(8)</sup>. عرف "سعدية بهارون" السلوك العدواني هو السلوك الهجومي الذي يصاحب الغضب ، وهو السلوك الذي ينتج عنه إحداث إصابة مادية لفرد آخر"<sup>(9)</sup>. وجاء تعريف سيزر (Seasar) للعدوان: أنه استجابة انفعالية متعلمة تتحول مع نمو التلميذ وبخاصة في سنته الثانية إلى عدوان وظيفي لارتباطها ارتباطا شرطية بإشباع الحاجات.<sup>(10)</sup>

كما عرف كيلي (Kelley) العدوان: أنه السلوك الذي ينشأ عن حالة عدم ملائمة الخبرات السابقة للفرد مع الخبرات والحوادث الحالية، وإذا دامت هذه الحالة فإنه يتكون لدى

**السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي**

الفرد إحباط ينتجمن جرائه سلوكيات عدواني من شأنها أن تحدث تغيرات في الواقع حتى تصبح هذه التغيرات ملائمة للخبرات والمفاهيم التي لدى الفرد.

ويعرف فيشباخ (Feshbach) العدوان: هو كل سلوك ينتج عنه إيذاء لشخص آخر أو إتلاف لشيء ما، وبالتالي فالسلوك التخريبي هو شكل من أشكال العدوان الموجه نحو الأشياء.

وعرف اليرت باندورا (Bandura) العدوان: بأنه سلوك يهدف إلى إحداث نتائج تخريبية أو مكروهة أو إلى السيطرة من خلال القوة الجسدية أو اللفظية على الآخرين، وهذا السلوك يعرف اجتماعية على أنه عدواني. ويرى فرويد أن السلوك العدواني هو نتيجة وجود غريزة فطرية هي المسئولة عن هذا السلوك، وأن العدوان رد فعل طبيعي، لما يواجه الفرد من إحباطات<sup>(11)</sup> من خلال التعاريف السابقة للمربين يمكننا استنتاج مفهوم السلوك العدواني على النحو التالي: السلوك العدواني هو ذلك السلوك الذي يقصد من ورائه إلحاق الأذى والضرر المادي أو المعنوي بالآخرين أو بالذات والى تخريب لممتلكات الذات أو الآخرين.

**- تصنيفات السلوك العدواني:**

**التصنيف الأول:**

- **العدوان البدني:** يقصد به السلوك الجسدي المؤذي الموجه نحو الذات أو الآخرين، ويهدف إلي إيذاء أو إلي خلق شعور بالخوف، ويتمثل في الضرب والدفع وشد الشعر والعض، وهذه الأفعال توافق نوبات الغضب الشديد أحيانا.

- **العدوان اللفظي:** يقصد به السلوك الذي يقوم به الفرد بهدف توجيه الإيذاء اللفظي نحو الآخرين.

- **العدوان الرمزي:** ويشمل التعبير بطرق غير لفظية عن احتقار الأفراد الآخرين وتوجيه الإهانة لهم، كالامتناع عن النظر إلى الشخص الذي يكن العداء له، أو الامتناع عن تناول ما يقدمه له، أو النظر بطريقة ازدراء وتحقير.<sup>(12)</sup>

**التصنيف الثاني:**

- **العدوان الاجتماعي:** يشمل الأفعال المؤدية التي تهدف إلي ردع اعتداءات الآخرين، ويشمل الأفعال التي يظلم بها الإنسان نفسه.

**التصنيف الثالث:**

- العدوان المباشر: هو انفعال عدواني موجه نحو الشخص الذي أغضب المعتدي.
- العدوان الغير مباشر: يتضمن الاعتداء علي شخص بديل وعدم توجيهه نحو الشخص الذي قد تسبب في غضب المعتدي وغالبا ما يطلق علي هذا النوع من العدوان اسم العدوان البديل.

**التصنيف الرابع:**

- العدوان اللفظي: الموجه نحو الأشخاص والآخرين.
- العدوان البدني: الموجه نحو الأشخاص والآخرين.
- العدوان الموجه نحو ائتلاف الممتلكات والأشياء.
- العدوان الموجه نحو الذات.

**التصنيف الخامس:**

- السلوك العدواني الصريح: ويدور حول السلوك العدواني العنيف كالعض والشد والخنق، والتخريب.
- السلوك الفوضوي: وهو السلوك العدواني المتسم بالفوضى كالشوشرة علي المعلم أثناء الحصة وإحداث الضوضاء.
- السلوك العدواني العام: وهو السلوك الظاهر المتمثل في الألفاظ البذيئة كالشتم واستفزاز الآخرين بالألفاظ والكلام الخارج عن الأدب.
- عدم القدرة على ضبط الآخرين: وهو السلوك الذي يدور حول الانتقام وعدم القدرة علي ضبط النفس والتحكم في الانفعالات.

**التصنيف السادس:**

- العدوان المزاح: هو أن العدوان لا ينصب دائما أو حتما علي الأشخاص (13)
- عوامل السلوك العدواني:

تتعدد الآراء والاتجاهات في تحديد عوامل ظهور السلوك العدواني، فبعضهم يركز على العوامل الفسيولوجية وبعضهم يركز على العوامل النفسية ويذكر الآخرون العوامل

أ. الصغير أحمد محمد العتيري

### السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

الاجتماعية والاقتصادية كمسببات للعدوان وفيما يلي عرض لبعض الآراء المختلفة عن أسباب العدوان:

#### 1- العوامل الفسيولوجية:

إن حدوث أي تغيير في الهرمونات أثناء عملية التمثيل الغذائي يؤثر في السلوك العدواني، ولهذا أجريت التجارب على الحيوانات لمعرفة هذه الهرمونات. كما أن شذوذ الصبغات الوراثية يؤثر أيضا في ظهور العدوانية، بالإضافة إلى اضطراب الدماغ مثل: تعصي في نمو الجهاز العصبي، كما تعد الوراثة أحد العوامل المسببة للعدوان، إذ تؤكد الدراسة التي أجريت علي التوائم، إن الاتفاق في السلوك العدواني بين التوائم المتماثلة أكثر من التوائم الغير متماثلة.

#### 2- العوامل النفسية:

إن أسباب السلوك العدواني هي الرغبة في التخلص من السلطة والشعور بعدم الأمن وعدم الثقة، وكذلك استقرار الاحباط لمدة طويلة مما يجعل التلميذ عدوانية. ومن الأسباب التي تدفع التلميذ إلى السلوك العدواني التي أسفرت عنها نتائج البحوث والدراسات استخدام أساليب خاطئة أثناء التعامل مع التلميذ كالمغالاة في اللوم، في الوقت الذي يحتاج فيه الي التقدير والتشجيع. (14)

#### - أسباب السلوك العدواني:

أن السلوكيات الإنسانية لا يمكن حدوثها إلا بتوفر جملة من الأسباب و إذا ما تكلمنا عن السلوك العدواني فإننا نجد أن هناك عدة عوامل تتداخل لتوفر السبب والفرصة لحدوث مثل هذه السلوكيات العدوانية فهناك أسباب نفسية وأخرى اجتماعية وأخرى بيولوجية ومن خلال هذا المبحث نحاول عرض هذه الأسباب بالتفصيل.

#### 1- الأسباب النفسية:

إن الأسباب النفسية متعددة ومتنوعة ونأخذ منها الحرمان والإحباط والغيرة والشعور بالنقص.

• **الحرمان:**

فهو شعور ينتج عن عدم إشباع رغبة معينة وقد يكون مادي كما يمكن أن يكون معنويًا<sup>(15)</sup>.

ويعتبر الحرمان من بين أحد الأسباب المؤدية إلى السلوك العدواني لأن هذا الأخير ماهو إلا تعبير ورد فعل عن الحرمان من العطف والحنان والرعاية والحاجات الأساسية فإن شعور المراهق بهذا الحرمان فيحاول التعويض عنه من خلال تصرفات وسلوكيات عدوانية قد تكون في بعض الأحيان لاشعورية قصد التعويض عن هذا النقص والحرمان الذي يعاني منه<sup>(16)</sup>.

• **الإحباط:**

وهو أحد الأسباب الرئيسية للسلوك العدواني وكل مواقف الإحباط تعرقل أهداف الفرد وتبقى رغباته دون تحقق وهذا ما يثير لديه الغضب والانفعال و القلق مما يدفعه إلى سلك سلوكيات عدوانية وقد بين كل من ميلر - miller ودولا رد. dollard أن السلوك العدواني هو استجابة نموذجية للإحباط وان هناك علاقة سببية بين الإحباط والعدوان وهذا يعني أن ظهور سلوك عدواني عند شخص ما يستلزم وجود إحباط.<sup>(17)</sup>

يعتبر السلوك العدواني استجابة حتمية ومخرج ضروري للمواقف الإحباطية التي لا محالة منها في مختلف مراحل النمو خاصة في مرحلة المراهقة فهي عتاب تحول دون إشباع الدوافع وتحقيقها ودون الوصول إلى الأهداف التي سطرها المراهق والتي غالبا لا تتماشى مع واقعه.

• **الغيرة:**

هي حالة انفعالية يشعر بها الشخص وتظهر متمثلة في الثورة والنقد والعصيان والهياج وقد تظهر كذلك على شكل انطواء وانعزال مع الامتناع عن المشاركة كما تظهر في شكل سلبي للغاية كالاعتداء والضرب والتخريب ونجد أنها تحمل صيغة القسوة وتمهد للهدم والتدمير وكل هذه الأشكال من مظاهر السلوك العدواني.

وتتجم الغيرة من متغيرات عديدة كالخوف وانخفاض الثقة في النفس وعدم الإحساس بالقيمة الذاتية فالمراهق الغيور مثلا لا يرتاح لنجاح غيره ومن الصعب عليه الانسجام

**السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي**

والتعاون معهم وهذا ما يؤدي به إلى الانطواء والانسحاب كاستجابة أولاً ثم رد فعل عدواني فاستجابة نهائية وقد يتولد هذا الشعور من عدم القدرة على التكيف مع المواقف الجديدة وهذا ما يجعله يلجأ إلى أسلوب التعويض كأن يتوهم بأنه متوقف مع غيره وهذا الشعور يقلل من قدرته على التكيف والتعامل مع غيره وديا فيقف منهم موقف عدائي ونجد أن المراهقين الذين يؤتون رفاق وأصدقاء لهم من الطبقات ومستويات اجتماعية عالية تفوق أسرهم، يعانون من مشاعر الغيرة حيث إنهم يصعب عليهم مجاراتهم وبالتالي يظهرون لهم سلوك عدوانية كاستجابة للغيرة والشعور بالنقص ويرى ادلر adler إن الغيرة والشعور بالنقص أساسا للعدوانية حيث أن المراهق الذي يشعر بقصور في علاقته مع الآخرين والمحيط الذي يعيش فيه يستجيب بسلوك عدواني كإثبات لوجوده ومحاكاة للآخرين ومناقستهم في قدراتهم.

• **الشعور بالنقص:**

أو ما يعرف بالإحساس بالدونية وهو حالة انفعالية تكون عادة دائمة ناجمة عن الخوف المرتبط بإعاقه حقيقية أو من تربية تسلطية اضطهادية والشعور بالنقص منتشر بكثرة سواء كان جسمي أو عقلي أو حقيقي أو خيالي وهو يمثل دائما فقدان جانب مهم من الناحية العاطفية وبالتالي يؤدي إلى الانطواء وعدم المشاركة ومنه إلى استجابات عدوانية اتجاه من يشعر نحوهم بالنقص والسلوك العدواني هنا يهدف إلى إعادة شيء من الاعتبار إلى الذات وإحساسها بقدرتها وسيطرتها على طرفها الوجودي بدل أن تدرج تحت مشاعر النقص والدونية فالمراهق الذي يعاني من الشعور بالنقص يعوض ذلك بالسلوك العدواني من أجل جعل نفسه تحس بأنه متفوق على غيره من الأقران. (18) من خلال التطرق للأسباب النفسية للسلوك العدواني نجد إن هذا الأخير يتأثر ودرجة كبيرة بهذه الأسباب والتي حصرت في الإحباط والشعور بالنقص والغيرة غير أن الأسباب النفسية وحدها لا تكفي لكي نستطيع إعطاء تفسير لسبب حدوث السلوك العدواني. (بويكر، بوخريسية، 2006، ص93)

**2- الأسباب الاجتماعية:**

تعتبر الأسباب الاجتماعية من بين احد الأسباب التي تسهم وتتدخل في نشوء وتكوين سلوك عدواني حيث أن البيئة والظروف الاجتماعية والأسرية لها تأثير قوي وبالغ على نمو

السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

الفرد بحيث أنه كلما كانت التنشئة الاجتماعية والعوامل المحيطة به سليمة وملائمة الاحتياجات التلميذ كانت شخصية سوية وقوية وسليمة ومن بين هذه الأسباب هي:

• الأسرة:

الأسرة تعتبر الأسرة من بين مصادر التكوين القاعدية التي تلعب دور كبير في سيرورة التنشئة الاجتماعية للطفل بحيث إنها تزوده بالمفاهيم والمواقف غير العمومية (بوبر، بوخريسية، 2006، ص93)، وتصفه بقالب الأسرة في ظل العلاقات السائدة بين أفرادها ولثقافة الأسرة دور كبير في تحديد مسؤوليات العدوان التي يجب أن يتخذها التلميذ تجاه ما يقابله وما يواجهه فالفرد يكتسب منها أصوله الأولى واتجاهاته وقيمه وذلك من خلال ما يشاهده من أساليب عملية وممارسات يظل يراقبها وهو طفل والملاحظ أن هذه الأخيرة تعمل على تنشئته وتكوين شخصيته تطبيعه بالسلوكيات التي تتماشى مع ثقافة الأسرة وبالتالي إذا كانت ثقافتها تتنافى مع العدوان فإن الفرد ينشأ غير عدوانياً إما إذا كان مورث الأسرة الثقافي يشجع ويدعم السلوكيات العدوانية فإن الفرد ينشأ حتماً عدوانياً.

- مظاهر السلوك العدواني:

- السلوك العدواني سلوك يحمل الضرر الى كائنات اخرى منها الانسان أو الحيوان، فالتلميذ قد يؤذي طفلاً آخر ينزع لعبته من يديه، وقد يفعل ذلك في مشاجرة حول ادعاء حق ملكية شيء ما، وقد يفعل الشيء نفسه اذا طلبت المعلمة أن تنزع جميع اللعب من التلاميذ وتوضع في مكان آخر، ويدخل ضمن السلوك العدواني الذي يتضمن الأضرار الجسدية:
- الأفعال التي تتدخل في أي سلوك مشروع يقوم به الآخرون مثل استخدام الأسباب أو المنع أو الاكراه بالتهديد، ومن المواقف الخاصة التي يستثار فيها السلوك العدواني النزاع حول ملكية شيء ما أو حول أحقية في مكان ما.
- المطالبة باستبعاد طفل آخر من جماعة اللعب، أو جماعة الرفاق، فالاختلاف بسبب تصادم الرغبات حول الأدوار التي يقوم بها الأطفال، أو حول التعليمات التي تحكم العمل أو التي تحكم اللعب، بينهم.

**السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي**

- التمسك بحق التفوق على الآخرين (من يتصدر؟)، فقد يصير أكثر من طفل على التصدر، والاختلاف هنا حول تنظيم العمل في المجموعة. - التشدد في تطبيق قوانين الحضانة العقاب القاسي من أجل الاتساق مع النظام الكاذب.
- إحداه فوضى في الصف عن طريق الضحك والكلام واللعب وعدم الانتباه.
- الاحتكاك بالمعلمين وعدم احترامهم.
- التدافع الحاد والقوي بين التلاميذ أثناء الخروج من قاعة الصف.
- تخريب أثاث المدرسة ومقاعد الجدران ودورات المياه.<sup>(19)</sup>
- علاج السلوك العدواني:

إن علاج العدوان يستلزم إعادة تعليم التلميذ العدواني الأساليب والطرق المقبولة في التعامل مع المحيطين به، كما يجب العمل على تغيير ظروف البيئة التي أدت إلى العدوانية، وإعطائه النماذج السليمة في التعامل مع غيره، وكذلك تعليم التلميذ العدواني قبول وتأخير إرضاء العديد من رغباته وحاجاته، وأن يجد بديلا عن ما يحرم منه من حاجات ورغبات.<sup>(20)</sup>

**ويمكن علاجه باتباع الخطوات:**

- إشباع حاجات التلميذ عن طريق الآباء والمعلمين وفهم تقنيات التلميذ ومطالبهم وتشجيع التلميذ على تفريغ الطاقة العدوانية بالرياضة والمنافسة الدراسية الحرة، وإيجاد ميادين النشاط المخزون.
- من طرق علاج السلوك العدواني تكاتف مؤسسات المجتمع جميعا ووضع برامج تكميلية بدءا من الأسرة ثم المدرسة ثم الإعلام ثم المساجد ثم النوادي، وغيرها من المؤسسات بحيث لا تتعارض برامجها مع بعضها البعض.<sup>(21)</sup>
- أن العدوانية يعاني منها الفرد والمجتمع ومن هذا المنطق فإنه ينبغي علينا أن نضع طرق للعلاج لمثل هذه الاضطرابات التي أثرت سلبا على الحياة العامة للإنسان وعليه فإننا نرى أن يكون العلاج على هذه المستويات وهي كما يلي:



## 1- العلاج النفسي:

أن التكفل النفسي للفرد له الأهمية البالغة والأثر الكبير في علاج مثل هذه الاضطرابات السلوكية ويكون العلاج النفسي بتجنب التلميذ أسباب الانفعال من الأساس والتي تسبب له نوع من الإحباط والحط من قيمته كعدم مقارنته بغيره من التلاميذ وعدم تغييره بالذنب وخطأ ارتكبه وإشعاره بذاته وتقديره واحترامه.<sup>(22)</sup> فعندما يفشل التلميذ ويصبح ذاك الفشل جزء من الخبرات التي يواجهها في البيت والمدرسة والشارع ولذلك ينبغي لنا تعليم التلميذ كيفية التعامل مع مثل هذه التجارب الفاشلة دون أن تترك في نفسه اثر ضار ودون أن تحبط من احترامه لنفسه ويقول علماء التربية أن التلميذ الذي يعاني من انخفاض في درجة احترامه لنفسه لا يستطيع التعامل مع الفشل ولا يستطيع تشكيل صداقات مع غيره ويترتب على ذلك ظهور مؤشر العدوانية<sup>(23)</sup>.

كما ينبغي علينا أيضا تجنب التلاميذ الكبت بحيث يسمح لهم بطرح الأسئلة والاستفسارات وعلينا أن نتجاوب معها بوضعية تتناسب سنه وعقله ومن خلال أيضا إشباع رغباته وتلبية حاجياته ويكون كذلك بتنميتها حتى يستطيع الشخص أن يحل مشاكله وان يواجه الصعاب بلا صعوبة أو مشكلة بالإضافة إلى تعليم التلميذ آداب الحديث والحب والتعاون والتسامح والمشاركة فكل هذه المعاني السامية تغرس فيه روح عالية ومتسامحة.<sup>(24)</sup>

## 2- العلاج الاجتماعي:

ويدخل تحت هذا العلاج ما يسمى بالعلاج البيئي وهو عبارة عن التعامل مع البيئة الاجتماعية للتعديل أو تغييرها، أو ضبطها سواء كانت هذه البيئة الأسرة أو المدرسة والعلاج الاجتماعي في الأسرة يكون عن طريق تهيئة المناخ الأسري الهادئ والسهل وكذلك من خلال معاملة الوالدين فيما يتعلق بتربية التلاميذ وتوجيههم وقد يكون هذا عن طريق تدريب الأهل على سلك تصرفات سليمة بحيث يتعلمون كيف يعدلون سلوكهم ويتعاملون مع أبنائهم فقد أشارت نتائج هذا التدريب خاصة مع تفاعل الأهل ونجاوبهم إن العدوانية انخفضت عند التلاميذ بنسبة 20 إلى 60% هذا فيما يتعلق بالأسرة وفيما يخص المدرسة فيكون العلاج عن طريق إعطاء فرصة لتلاميذها بالحركة والنشاط سواء بالنشاطات الرياضية

### السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

أو الثقافية وإدماج التلاميذ فيها وإشراكهم في التحضير وإعداد لها وبذلك تكون المدرسة قد اشبعت بعض حاجات تلاميذها، بالإضافة إلى هذا يجب توفير العلم وتطوير التعليم والاهتمام بإعداد معلمين لديهم الكفاءة والقدرة على تحويل جو المدرسة إلى جو يشجع الطلاب على العطاء والإنتاج وحب العلم<sup>(25)</sup>. كما يجب أن لا ننسى جماعة الرفاق التي لها من التأثير بحيث يجب اختيار الصحبة الصالحة والجماعة التي تلتزم بالآداب والأخلاق الفاضلة والتي تبتعد عن كل سلوك طائش وغير مقبول.

### 3- العلاج السلوكي:

يعتبر العلاج السلوكي تطبيقاً علمياً لقواعد ومبادئ وقوانين التعليم في ميدان العلاج السلوكي على الإطار النظري الذي وضعه كل من إيفان بافلوف وجون واطسن في التعليم الشرطي ويستفيد أيضاً من نظريات ثورندايك وكلاارك هل وبورس سكينر في التعزيز وتقدير نتائج التعلم مع استخدام مثيرات منفردة مثل الصدمة الكهربائية حيث ترتبط بانتظام وتكرار مع المثير الموقفي رغم أنها مؤذية نوعاً ما وصعبة مع بعض الحالاتومن بين أساليب العلاج السلوكي أسلوب التخلص من الحساسية أو التحصين التدريجي ويتم ذلك عن طريق تعريض العميل إلى المثيرات التي تحدث استجابات عدوانية وتكرارها بالتدريج في ظروف يشعر فيها بأقل درجة وهو في حالة استرخاء ثم يتم العرض على مستوى متدرج في الشدة حتى يتم التوصل إلى المستويات العالية من الشدة المثير لا تستثير الاستجابة العدوانية<sup>(26)</sup>.

### 4- العلاج الطبي:

ينتج على السلوك العدواني اختفاء للبصيرة العقلية لدى الفرد وتجعله مضطرب لسلك سلوكيات عدوانية يغيب فيها الانتباه للأخطاء وخطورتها وانطلاقاً من معرفتنا بان هناك علاقة وطيدة بين النفس والجسم ولهذا يلجأ في بعض الأحيان إلى استعمال الأدوية كمهدئات تؤدي إلى الاسترخاء العضلي والهدوء النفسي والحركي وهناك أيضاً لمسكنات الني تعمل على تثبيط وظائف الجهاز العصبي المركزي وتسكن الآلام مما يؤدي إلى الهدوء النفسي، حتى يتمكن المعالج من إقامة علاقة تواصل بينه وبين العميل إذا ما فشلت جميع هذه المحاولات وفشلت بقية أنواع ووسائل وطرق العلاج يتم الاستعانة كأخر حل بالعملية الجراحية وهي جراحة عصبية متخصصة حيث يتم فصل النص الأمامي الجبهي عن بقية

**السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي**

أجزاء المخ عن طريق قطع الألياف البيضاء الموصلة بين الفص الأمامي والمهد بذلك يتم قطع الاتصال العصبي وبالتالي تثبيط رد الفعل الانفعالي ويحد تغير في السلوك (27).

**5- العلاج الديني:**

يعتبر السلوك العدواني في نظر الدين استجابة غير سوية لضمير المريض بسبب الإهمال أو القيام الفرد بسلوك يتحدى فيه قوة الضمير، ولهذا فإنه يجب الوقاية الدينية من مثل هذه الاضطرابات ويكون ذلك بالإيمان والتحلي بالعقيدة الخالصة والعمل المخلص والسلوك يجب أن يكون وفقا لها، وتتضمن الوقاية الدينية من الاضطرابات النفسية والسلوكية الاهتمام بالتربية الدينية والأخلاقية وبناء نظام القيم كدعامة أساسية وممتينة للسلوك السوي فغاية ما يطلب هو النفس مطمئنة التي توفق بين النفس الإمارة بالسوي والنفس اللوامة. فالتعاليم الدينية والقيم الروحية والأخلاقية يهدي الفرد إلى السلوك السوي وتجنب الوقوع في الخطأ والذنب وعذاب الضمير وعليه يجب إحداث نوع من التوازن بين الجانب المادي والروحي حتى يستطيع الفرد التوفيق في حياته وأخرته وفي ذلك قال تعالى ﴿ وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا ﴾ [سورة القصص، الآية 77] ويجب أيضا الاهتمام بالنمو الديني للفرد وتوفير القدرة الصالحة الحسنة والسلوك النموذجي للاهتداء والافتداء به حيث قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب، الآية 21] ويقوم العلاج الديني على معرفة الفرد لنفسه ولدينه ولربه والقيم والمبادئ الروحية والأخلاقية (28).

**-العوامل المثيرة للسلوك العدواني:**

**1- الشعور بالألم:**

أشار ليونارد بركوفتزر (BERKOWITZ 1989) إلى أن الشعور بالألم PAIN سواء النفسي أو البدني يمكن أن يحرض على المزيد من الجوانب الانفعالية وبالتالي إمكانية حدوث السلوك العدواني، وفي المجال الرياضي يمكن ملاحظة ذلك عند إصابة لاعب المنافسة إصابة بدنية أو محاولة إصابته نفسيا عن طريق السخرية منه وشعور هذا المنافس بصورة عدوانية تجاه اللاعب المتسبب في حدوث هذا الألم. كما يدخل في إطار ذلك أيضا

**السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي**

شعور اللاعب بالألم الناتج عن الإجهاد أو الإرهاق الذي قد يدفعه إلى ارتكاب السلوك العدواني لأقل مثير.

**2- المهاجمة أو الإهانة الشخصية:**

عندما يهاجم أو يهان شخص ما فإنه قد يكون في موقف مثير ومشجع على السلوك العدواني تجاه الشخص الذي قام بمهاجمته أو أهانته في ضوء: العين بالعين والسن بالسن والبيادئ أظلم. وقد نجد في المجال الرياضي بعض أنواع من السلوك العدواني من بعض اللاعبين ضد منافسيهم كنتيجة لمهاجمتهم بعنف من هؤلاء المنافسين أو كنتيجة لشعورهم بالإهانة منهم.

**3- الإحباط:**

يقصد بالإحباط إعاقة الفرد عن محاولة تحقيق هدف ما، وأصحاب نظرية " الإحباط - العدوان " يرون أن الإحباط يؤدي إلى السلوك العدواني وقد يكون هذا السلوك العدواني موجها نحو مصدر الإحباط أو قد يتجه نحو مصدر آخر كبديل للمصدر الأصلي المسبب للإحباط وقد نلاحظ في المجال الرياضي حدوث السلوك العدواني من بعض اللاعبين كنتيجة لعدم قدرتهم على مواجهة منافسيهم بإعاقتهم عن تحقيق هدفهم.<sup>(29)</sup>

**4- الشعور بعدم الراحة:**

أشارت نتائج بعض الدراسات إلى أن الشعور بعدم الراحة مثل التواجد في أماكن مزدحمة أو مكان مغلق أو سكن غير مريح أو التواجد مع جماعة غريبة عن الفرد وغير ذلك من المواقف التي تثير لدى الفرد الضيق وعدم الراحة يمكن اعتبارها من العوامل التي تشكل نوعا من الضغوط على الفرد وبالتالي قد تسهم في إثارة السلوك العدواني لديه. وفي ضوء ذلك ننصح بضرورة توفير الشعور بالراحة للاعبين وبصفة خاصة قبيل اشتراكهم في المنافسات الرياضية حتى يمكن بذلك الابتعاد عن بعض العوامل التي قد تثير السلوك العدواني لدى اللاعبين.

**5- الاستثارة والغضب والأفكار العدائية:**

أشار دفيد ميرز (MYERS 1996) إلى أن العوامل السابق ذكرها (الشعور بالألم والمهاجمة أو الإهانة الشخصية والإحباط والشعور بعدم الراحة قد تؤدي إلى الاستثارة أو

السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

الغضب أو الأفكار أو الذكريات العدائية لدى الفرد وهو الأمر الذي قد يحدث الاستجابات العدوانية).<sup>(30)</sup>

**التوصيات:**

**بناء على أدبيات البحث يوصي الباحث الآتي:**

- 1- الاهتمام بمرحلة التعليم الأساسي التي لها من الخصوصية والأهمية تبنى عليها المراحل التعليمية الأخرى.
  - 2- الاهتمام بمشكلة السلوك العدواني والحد من تفاقمها لأنها تسهم في تدني مستوى التحصيل لدى التلاميذ كما أكدته نتائج هذا البحث.
  - 3- على المسؤولين في وزارة التربية والتعليم الاسترشاد بنتائج هذا البحث، والبحوث الأخير باعتبارها كمؤشر يمكن من خلاله الرفع من مستوى التعليم في ليبيا بشكل عام.
  - 4- إجراء بحوث أخرى على بلديات أخرى في روع ليبيا، وخاصة البلديات التي تقع في شرق ليبيا وجنوبها، بما أن هذا البحث تم تنفيذه في غرب ليبيا.
  - 5- إجراء بحوث أخرى تتناول الموضوع نفسه على مراحل التعليم المختلفة.
- هوامش البحث:**

- (1) يعقوب موسى، 2002، مبادئ التربية وعلم النفس، بنغازي، ليبيا، ص12.
- (2) وليم خولي، 2000، الموسوعة المختصة في علم النفس والطب العالي، القاهرة، دار المعارف، ص 226.
- (3) يعقوب موسى، مرجع سابق، ص11.
- (4) نفس المرجع، ص18.
- (5) موسى كمال إبراهيم، 1985، سيكولوجية العدوان، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 131، ص9.
- (6) بلقاسم أحمد البركاتي، 2008، دراسة بعض المشكلات السائدة لدى طلاب الصفوف الأولى بالمرحلة الابتدائية، جامعة أم القرى بالسعودية، ص8
- (7) الحلبي موفق هاشم صقر، 1999، الاضطرابات النفسية عند الأطفال والمراهقين، بيروت ص28

السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

- (8) الطاهر سعد الله، 1986، علاقة قدرة الابتكار بالتحصيل، اطروحة لنيل الدكتوراه، الجزائر ص15
- (9) المختار وفاق صفوت، 1976م، مشكلات التلميذ السلوكية الأسباب وطرق العلاج، القاهرة، دار العلم والثقافة.ص246
- (10) بلقاسم أحمد البركاتي، مرجع سابق، ص20
- (11) نفس المرجع، ص 100
- (12) خولة محمد يحيى، 2000، الاضطرابات السلوكية والانفعالية، دار الفكر، عمان، الأردن، ص29.
- (13) العيسوي عبدالرحمن، 2001، اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، دار الراتب، بيروت، ص13، 14.
- (14) موفق هاشم صقر، 2000، الاضطرابات النفسية عند الأطفال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص95.
- (15) العيسوي عبدالرحمن، مرجع سابق، ص82
- (16) محمد التومي الشيباني، 2001، علم النفس التربوي، بنغازي، دار الكتب الوطنية ص79، 80.
- (17) عصام العقاد، 2001، سيكولوجية العدوان وترويجها، القاهرة، دار الغرب للطباعة ص164-165
- (18) بويكر، بوخريسية، 2006، "الجامعة والبحث العلمي في الجزائر أو رحلة البحث عن النموذج المثالي، التواصل، العدد 6، جامعة عنابة، ص93
- (19) المرجع السابق، ص169.
- (20) يعقوب موسى، مرجع سابق، ص65.
- (21) موسى كمال إبراهيم، مرجع سابق، ص83.
- (22) يعقوب موسى، مرجع سابق، ص 60

أ. الصغير أحمد محمد العتيبي

السلوك العدواني لدى تلاميذ الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي

(23) حكيم فارس جادالله، (2004)، أثر الضوضاء على استثارة القلق والعدوان لدى طلبة الجامعة- دراسة تجريبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنيا، كلية الآداب، ص167)

(24) انتصار يونس، 2000، السلوك الإنساني، المكتبة الجامعية، الاسكندرية، ص60

(25) خولة محمد يحيى، 2000، الاضطرابات السلوكية والانفعالية، دار الفكر، عمان، الأردن ص 331

(26) موسى كمال إبراهيم، مرجع سابق، ص60

(27) خولة محمد يحيى، مرجع سابق، ص346

(28) نفس المرجع، ص358

(29) زكريا الشربيني، 2008، المشكلات السلوكية عند الأطفال، ط3، القاهرة، دارالشروق ص132-135

(30) نفس المرجع، ص 135-136

القنوت الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

دراسة عن منطقة عين زاره - طرابلس

د. أمحمد علي الكوت

قسم الإعلام / كلية الآداب الزاوية

مقدمة :

يتفق الكثيرون على ان العالم أصبح قرية صغيرة بل يكاد يكون بيت واحدة ، وذلك بفضل التحولات الكبيرة التي يشهدها العالم كل يوم وخاصة بعد دخول القرن والواحد والعشرون ، هذه التحولات الكبيرة والمتسارعة فاقت كل التوقعات بما أحدثته من تغيرات شكلت ثورة ثقافية وخاصة في مجال الاتصال والاعلام، حيث كان لها الاثر الكبير في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها من مناحي الحياة المختلفة على حركة المجتمع المادية والفكرية والأخلاقية والروحية والمثل والقيم والمعايير وأنماط الحياة المختلفة .

إن ثورة المعلومات بانفجارها المعرفي السريع الخطوات قدمت للعالم كميات كبيرة جداً من المعلومات والثقافات المختلفة بشكل غير مسبوق مما يؤثر على القيم والمعايير واسلوب وسلوك الناس وخاصة في المجتمعات النامية ، لان كمية هذه المعلومات تفوق استيعاب هذه المجتمعات ، ولكن قوة ثورة المعلومات فرضت بهيمنتها المادية والفكرية أشكالاً ونماذج متعددة من الثقافات والأفكار بدأت تؤثر بشكل كبير في الحياة الفكرية ومظاهر العادات والقيم الاجتماعية في الدول النامية ، وذلك بما افرزته من قيم وعادات وسلوك للحياة الغربية ، ونجد ان فئة الشباب هي الاكثر تأثراً لهذا الغزو الثقافي من خلال تعرض المنطقة العربية للمئات من القنوت الفضائية الوافدة علينا والتي تحمل الكثير من الرسائل الإعلامية التي نتلقاها مرغمين بفعل التقنية ، التي تقدم مضمون بكل تأكيد لا يتماشى مع ثقافتنا وقيمتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، مما يعرض اجيال للتشويه والسلب الثقافي والاجتماعي ومحاكاة الغرب في ثقافته واسلوب وسلوك حياته<sup>(1)</sup> وبالتالي ضياع الهوية والثقافة العربية والإسلامية، مما يستوجب البحث في هذا الأمر الهام وذلك لمعرفة التأثيرات التي تحدثها القنوت الفضائية علي عينة من الشباب الليبي، وذلك للحد من هذا التأثير وحث الجهات المسؤولة على وضع الخطط والبرامج التي تحافظ بها على قيمنا ومعاييرنا الاجتماعية والدينية الوطنية .



### مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في الإجابة على السؤال الرئيسي التالي:

- ماهي التأثيرات الاجتماعية التي خلفتها القنوات الفضائية الوافدة على الشباب الليبي ؟

### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة لتعميق الفهم لدى المجتمع الليبي وأثر تلك الفضائيات على فئة الشباب والعمل على الحد من هذه المخاطر . كما تهدف الدراسة الى توعية المجتمع بما تقدمه الفضائيات الوافدة عبر الفضاء للمجتمع الليبي.

### تساؤلات الدراسة:

وفيما يتعلق بالتساؤلات تسعى الدراسة للإجابة على التساؤل الرئيسي وهو معرفة التأثيرات الاجتماعية التي تحدثها القنوات الفضائية على الشباب الليبي.

### المنهج وأدوات البحث:

وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي لتحليل نتائج استمارات الاستبيان التي احتوت على مجموعة من الأسئلة التي يرى أنها تحقق أهداف الدراسة، وما يزيد من أهمية نتائج هذه الدراسة إن الشباب هم الأكثر تعرضاً للفضائيات والأكثر عرضة للتأثير.

### أولاً- القنوات الفضائية:

بدأ استعمال الأقمار الصناعية في الإذاعة والتلفزيون يوم 1962/7/10 ، حيث أطلقت وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية قمرها (تل ستار)، ثم استقبل هوائي التل ستار إشارات من شمال أمريكا ثم أعاد إرسالها الى الأرض لتستقبلها هوائيات في إنجلترا وفرنسا<sup>(2)</sup>.

وفي سنة 1965 م كان (انتل سات) أول قمر صناعي ليستقر في مداره المسمى محطة موجه الى الأرض، وبعد عشر سنوات بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية أول خدمة للتلفزيون عن طريق الاشتراكات بواسطة القمر الصناعي، وفي نفس الوقت بدأت فرنسا وألمانيا تختبران برامجهما للبيث التلفزيوني<sup>(3)</sup>

وفي عام 1980، انطلقت أقمار البث المباشر وذلك بالاتفاق بين لجنة الاتصالات الفدرالية الأمريكية ومؤسسة (كومسات) السوفيتية وتم في عام 1986 استخدام تلك الاقمار لإرسال الإشارات الصوتية غير ان تكلفتها كانت عالية. ومع بداية عقد التسعينات من القرن العشرين بدأ إطلاق أقمار متطورة للبيث المباشر تشتمل على (150) قناة تلفزيونية. وقد كان

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

هذا الانجاز الأكثر أهمية في ميدان أقمار البث الفضائي المباشر حيث أصبح بإمكان المشتركين استقبال البث التلفزيوني بأطباق صغيرة الحجم قطرها يتراوح بين 30-40سم<sup>(4)</sup> ويعلق (الدليمي) على تطور البث الفضائي عن طريق الأقمار الصناعية بأنه لم تعد هناك ثمة حدود أو حواجز تمنع تدفق المعلومات وهو أمر صار حقيقة لا بد من التسليم بها وأصبح هذا البث يشكل تحدياً للقيم السائدة في المجتمعات النامية والتي من ضمنها الأقمار العربية التي أصبحت متلقية ومستوردة للاتصال، وهكذا صار هذا البث الفضائي المباشر يشكل حرباً وصراعاً سياسياً وثقافياً وتقنياً وإعلامياً بين القوى الموجهة والمالكة لتلك الأقمار الصناعية وبين شعوب العالم الثالث ومن بينهم البلاد العربية منهم<sup>(5)</sup>.

**القمر الصناعي العربي:**

بدأت فكرة إنشاء القمر الصناعي العربي في سنة 1967 عقب هزيمة العرب في حرب يوليو 67 حيث عقد اجتماع للوزراء العرب في بنزرت بتونس في سنة 1967 حيث صدرت توصية مفادها أنه من الضروري الاستفادة من التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال وخاصة الأقمار الصناعية لمساندة الإعلام العربي ، وهكذا ولدت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية<sup>(6)</sup>.

ويرى (الدناي) بأن مؤسسة عرب سات تعتبر من أهم مشروعات الاتصال العربية إذ ساعدت في ربط أجزاء الوطن العربي الذي يمتد على مساحة (6500 كم) شرقاً وغرباً و(4500 كم) شمالاً وجنوباً<sup>(7)</sup>.

**ثانياً- أهم خصائص القنوات التلفزيونية الفضائية:**

إن القنوات الفضائية ما هي إلا وسيلة لنقل الأفكار والأخبار والمعلومات والبيانات والثقافات المتعددة، وأن الحكم عليها مرتبط بكيفية استخدامها لها، كما ان مكانتها مرهونة دائماً بطريقة توظيفنا لهذه الوسيلة، فهي تنقل رسائل إعلامية متنوعة من مجتمعات ذات ثقافة مختلفة بما يؤثر على ثقافة مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، ويمكن إن نذكر أهم الخصائص التي تتمتع بها هذه القنوات :-

1- إنها وسائل غير شخصية وأنها تعكس جوانب متنوعة من الثقافة ما يشير إلى إقبال واهتمام الشباب ببرامج التلفزيون، وخاصة برامج القنوات الفضائية العربية منها والأجنبية.

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

- 2- أنها تغدي لدي المتلقي شعوراً بالنقص الكبير الذي ينعكس على سلوكهم سلباً، لقوة البرامج المقدمة في هذه الوسائل من التشويق والإثارة .
- 3- قربها من الجمهور وتقديمها لرغباته الثقافية والغريزية خاصة بالنسبة للشباب و المراهقين.
- 4- أن القاسم المشترك لبرامج الفضائيات الأجنبية هو المادة الترفيهية وأفلام الجريمة والإثارة العنف والرعب والجنس.
- 5- المساهمة في تبادل المعلومات والثقافات والعلوم والمعرفة بين الدول وخاصة ذات الانتماء الواحد كالمنطقة العربية والإسلامية.
- 6- تطويع فُدرات القنوات الفضائية في الانتشار الواسع لتحقيق التنمية المستدامة وخاصة في الدول النامية والتي تتمتع بمساحات كبيرة.
- 7- يمكن استخدام القنوات الفضائية في تقوية الانتماء الوطني والقومي والديني للمجتمعات عبر ربط الجمهور ببرامج توعية وثقافية تربطه بوطنه<sup>(8)</sup>.

وتقوم وسائل الإعلام في المجتمع الحديث بدور بارز في عملية التنشئة الاجتماعية، ويزداد هذا الدور أهمية وتأثيراً بانتشار هذه الوسائل، والتطور التقني لها واختراقها لمجالات الحياة المختلفة، وتزايد قبولها بين الأفراد وخاصة الأطفال والمراهقين والشباب، وأيضاً ملازمتهم الدائمة لها وفترات طويلة ما يجعلنا نستشعر المخاطر الكبيرة لذلك التعرض المستمر لهذه القنوات.

**ثالثاً - الفضائيات والشباب:**

إن الفضائيات هي التلفزيون ببثه خارج النطاق الجغرافي للدولة أي إنه زيادة في خصائص ومميزات التلفزيون بإضفاء طابع عالمي ، وأيضاً تلقي رسائل من مجتمعات أخرى تحمل مضامين تختلف عن المجتمع، بما يجعل الشباب والمراهقين وهم الشريحة الأكثر تعرضاً للقنوات الفضائية يجعلهم الأكثر تأثراً بما تبثه هذه القنوات من برامج تحتوي في أغلبها على الإثارة والعنف والجنس، بما يؤثر في قيم الشباب وعقائدهم التي تربوا عليها، ولا يخفى على أحد إن الفضائيات سواء لعربية منها أو الأجنبية أصبحت منافس حقيقي للأسرة والمدرسة وكافة المؤسسات التربوية والاجتماعية.

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

كما إن ما يعيشه الشباب العربي من دوامة أو مأزق ما يسمى بالتغيير وحرية التعبير وغيرها من الشعارات التي نجدها هنا وهناك والتي تبعد الشباب العربي عن الاهتمام بواقعه المعاش والعمل على إيجاد الحلول لمشكلات المجتمع التي يهيشون فيها بدل الجري وراء سراب المجتمعات الغربية .

والحقيقة ان المجتمعات العربية والاسلامية تعاني الكثير من السلبيات في كثير المجالات الاقتصادية والاجتماعية وكذلك السياسية بما تحمله من فقر وفساد وفوضى واستغلال بشتى أنواعه، مما يجعلهم يستمدون من هذا المناخ السلبي نمط تفكيرهم وأسلوب حياتهم بحيث يصبح التقليد والمحاكاة لمظاهر الحياة الغربية البعيدة كل البعد عن ثقافتنا وعاداتنا وقيمنا . أما في الجانب الآخر فهناك ضغوط الثقافة الوافدة وتأثيراتها الاجتماعية والنفسية والثقافية على الشباب، وبالتالي فإن الشباب العربي يتعرض إلى ضغوطات وتحديات في المجتمع بفعل الثقافة القديمة وتصادمها بالثقافة الجديدة، وما يفرزه هذا التصادم من هوة ثقافية بين القديم والجديد وتأثيراته على البناء الاجتماعي<sup>(9)</sup>.

وللأسف ان من أخطر الظواهر التي جاءت كنتيجة للتدفق الإعلامي للقنوات الفضائية هي ظاهرة تعرض الشباب عبر هذه القنوات وخاصة الأجنبية لأفلام العنف والجريمة والمغامرات والجنس، بما يؤثر بشكل كبير في القيم والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، هذا الى جانب نشر العديد من هذه القنوات لبرامج ذات طابع ثقافي واجتماعي هابط التي لا يتماشى وطابعنا الثقافي والاجتماعي ، الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك في تأثيره في مقومات الشخصية العربية والثقافية والقومية وتعريضها للمسح والتشويه والاعتراب من خلال تكريس الحياة الغربية المبنية على الاستهلاك والإثارة والمغامرة .

بمعنى إن هناك صناعة ثقافية إعلامية لا تعتمد المقاييس الفنية والجمالية بقدر اعتمادها على الجذب والإثارة والتشويه للهوية العربية والاسلامية، وبالتالي اضعاف قدرة الشباب العربي على البذل والعطاء والمشاركة في تنمية المجتمع .

ومع تزايد القنوات الفضائيات الوافدة على المنطقة العربية يوماً بعد يوم لاشك إنها ستساهم في خلق المزيد من المشكلات للشباب والمراهقين في البلدان العربية والإسلامية وفي مقدمتها إضعاف دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية، وكذلك خلخلة العلاقات الاجتماعية وتفككها في كثير من الأحيان، دخول السلوك الشرائي لمنتجات لا تحتاجها الأسرة في كثير

د. أحمد علي الكوت

### القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

من الأحيان ولكن سلطة الإعلان هي من تقود الناس للشراء، زيادة الجريمة والعنف والانحرافات وتقليد الشخصيات الغربية في ذلك الأمر.

#### رابعاً :- الدراسة الميدانية

أجريت الدراسة على عينة عشوائية لعدد 225 طالب وطالبة من طلبة التعليم المتوسط بمنطقة تعليم عين زارة بمدينة طرابلس في الفترة من 2018/3/1 الى 2018/4/30، وتم اختيار العينة من عدد (8) مدارس للتعليم الثانوي ضمن المنطقة التعليمية لعين زارة بطرابلس يوضح الجدول التالي رقم (1) حجم مجتمع الدراسة وتوزيع الطلاب علي مدارس التعليم المتوسط بعين زارة بطرابلس وهي كالتالي:-

#### الجدول رقم (1)

يبين عدد المدارس بمنطقة تعليم عين زارة بطرابلس وحجم مجتمع الدراسة.

الرقم	أسم المدرسة	الذكور	الإناث	الإجمالي
1	عيد زارة	-	380	380
2	خالد بن الوليد	309	149	458
3	شهداء عين زارة	158	172	330
4	الوفاق	118	21	139
5	الفردوس	162	234	396
6	عبد المنعم رياض	211	233	444
7	أحفاد المختار	354	6	360
8	زرقاء اليمامة	-	311	311
	المجموع	1312	1506	2818

#### تحديد حجم العينة:

تهدف الدراسة الى وصف مجتمع ما ونظراً لكبر حجم مجتمع الدراسة وصعوبة إجراء الدراسة على كل مفردات المجتمع لذلك قام الباحث باختيار مجموعة من الأفراد ك (عينة) ، ونظراً لكبر حجم مجتمع الدراسة وهو (2818) طالب وطالبة من مجموع (8) مدارس للتعليم الثانوي بمنطقة عين زارة بمدينة طرابلس، لذلك تم اختيار حجم العينة بواقع 10%

وفق العينة العشوائية المنتظمة بإجراء المعادلة التالية :-  $225.44 = 8 \times \frac{2818}{100}$

وبحذف الكسور يكون حجم العينة (225) مفردة .

أي إن مستوى الدلالة أو درجة الثقة تساوي 95% أي إن السماح باحتمال الوقوع في الخطأ بنسبة 5% وهذا المستوى شائع الاستعمال في الدراسات والبحوث الإعلامية<sup>(10)</sup>.

### الجدول رقم (2)

يبين حجم عينة الدراسة الميدانية لطلاب مدارس التعليم المتوسط بعين زارة بطرابلس.

الرقم	المدرسة	عدد الطلاب	النسبة المئوية	حجم العينة
1	عيد زارة	380	13	29
2	خالد بن الوليد	458	16	36
3	شهداء عين زارة	330	12	27
4	الوفاق	139	5	11
5	الفردوس	396	14	32
6	عبد المنعم رياض	444	16	36
7	أحفاد المختار	360	13	29
8	زرقاء اليمامة	311	11	25
	المجموع	(2818)	%100	(225)

### طريقة اختيار العينة:

توجد عدة طرق لاختيار العينة وقد اختار الباحث طريقة العينة العشوائية المنتظمة التي تتميز بالدقة وتقل فيها أخطاء التحيز، وإجراء العملية الحسابية بتقسيم قيمة النسبة المئوية على (100) ثم ضربها في العدد الإجمالي للعينة وهو (225) نحصل على حجم العينة المطلوب سحبها من كل مدرسة من مجتمع الدراسة وهي كالتالي :-

$$29 = 225 \times \frac{13}{100}$$

\*مدرسة عيد زارة

(2) مصطفى عمر التير، مقدمة في مبادئ وأسس البحث الاجتماعي ، ط3 ، منشورات

الجامعة المفتوحة طرابلس، 1995م ، ص140.

**القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي**

والعملية الحسابية نفسها تتم على بقية المدارس لتتحصل على حجم العينة لكل مدرسة كما هو مبين في الجدول السابق رقم (2).

**تحليل البيانات:**

تم اختيار الأسئلة لغرض تحقيق الدراسة حيث بلغ عدد الأسئلة التي تضمنها الاستبيان (18) سؤالاً بدأت بالبيانات الأولية ثم بنوعية وتفصيل مشاهدة القنوات الفضائية وصولاً إلى تأثيراتها المحتملة على الشباب وهو ما تهدف إليه هذه الدراسة وجاءت النتائج كالتالي :-

الجدول رقم (3) يبين النوع لعينة الدراسة من الطلاب.

النوع	العدد	النسبة المئوية%
الذكور	125	50%
الإناث	100	50%
المجموع	225	100%

يبين الجدول رقم (3) توزيع أفراد العينة الممثلة لمجتمع الدراسة من طلبة المدارس الثانوية بمنطقة عين زارة بطرابلس والبالغ عددهم (225) وتم تقسيم العينة بحيث كان عدد الطلاب الذكور (125) فرداً وعدد (100) طالبة من الإناث .

**الجدول رقم (4)**

يبين امتلاك أفراد العينة لصحون الاستقبال البث الفضائي.

لا يمتلكون		يمتلكون		امتلاك أفراد العينة لصحون الاستقبال البث الفضائي
%	العدد	%	العدد	
0%	0	55.5%	125	طلاب
0%	0	44.5%	100	طالبات
0%	0	100%	225	المجموع

من الجدول رقم (4) نتعرف على مدى امتلاك أفراد العين لصحون الاستقبال البث الفضائي، ونلاحظ من الجدول إن كامل أفراد العينة من الطلاب والطالبات يمتلكون صحون البث الفضائي بعدد (225) بنسبة (100%).

الجدول رقم (5)

يبين نوع الرأس الفضائي الذي يستخدمه أفراد العينة.

المجموع	اللاتين معاً		أجنبي		عربي		نوع الرأس الفضائي الذي المستخدم
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
125	41	18.2%	16	7.1%	68	30.2%	طلاب
100	38	16%	11	6%	51	22.5%	طالبات
225	79	35%	27	12%	119	53%	المجموع

من الجدول رقم (5) نتعرف على توزيع أفراد العينة حسب نوع الرأس الفضائي الذي يستخدمه أفراد العينة ، ونلاحظ من الجدول إن عدد الرأس الفضائي العربي المستخدم جاءت في الترتيب الأول بعدد (119) فرداً وبنسبة (53%) ، وفي الترتيب الثاني جاء من يستخدمون الرأسين معاً بعدد (79) فرداً وبنسبة (35%) بينما جاءت في الترتيب الأخير من يملكون رأس أجنبي بعدد (27) فرداً وبنسبة (12%).

الجدول رقم (6)

يبين مدى المشاهدة للقنوات الفضائية.

لا	أحيانا		نعم		مدى المشاهدة للقنوات الفضائية
	العدد	%	العدد	%	
0	0	0%	0	55.5%	طلاب
0	0	0%	0	44.5%	طالبات
0	0	0%	0	100%	المجموع

من الجدول رقم (6) نتعرف على مدى مشاهدة أفراد العينة للقنوات الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن نسبة المشاهدة بعدد (225) فرداً وبنسبة (100%)، أي أن كامل أفراد العين ممن يشاهدون القنوات الفضائية .



القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

الجدول رقم (7)

يبين نوع القنوات الفضائية التي يشاهدها أفراد العينة.

المجموع	الاثنين معاً		الأجنبية		العربية		ما هي القنوات الفضائية التي تشاهدها	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%		
125	55.5%	47	21%	22	9.5%	56	25%	طلاب
100	44.5%	30	13.3%	7	3.1%	63	28%	طالبات
225	100%	77		29		119	53%	المجموع

نتعرف من الجدول رقم (7) على توزيع أفراد العينة وفقاً لنوع القنوات الفضائية المشاهدة ، ونلاحظ من الجدول إن القنوات العربية تأتي في المرتبة الأولى بعدد (56) ونسبة (25%) للطلاب وبنفس المرتبة للطالبات بعدد (63) ونسبة بينما جاء في المرتبة الثانية الاثنين أي العربية والأجنبية معاً للطلاب بعدد (47) ونسبة (21%) وكذلك للطالبات بعدد (30) ونسبة (13.3%)، وفي الترتيب الأخير جاءت القنوات الأجنبية بعدد (22) ونسبة (9.5%) للطلاب وبعدها (7) ونسبة (3.1%) للطالبات.

الجدول رقم (8)

يبين عدد ساعات المشاهدة للقنوات الفضائية.

المجموع	أربع ساعات فأكثر		ثلاث ساعات		ساعتان		ساعة		كم ساعة تشاهد القنوات الفضائية	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%		
125	55.5%	35	15.5%	21	9.3%	43	19.1%	26	11.5%	طلاب
100	44.5%	46	20.4%	30	13.3%	13	5.7%	11	4.8%	طالبات
225	100%	81	36%	51	22.6%	56	24.8%	37	16.4%	المجموع

نتعرف من الجدول رقم (8) على توزيع أفراد العينة وفقاً لعدد ساعات المشاهدة للقنوات الفضائية، ونلاحظ من الجدول إن الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة أربع ساعات فأكثر بعدد (46) ونسبة (20.4%) وايضاً لفئة ثلاث ساعات جاءت الطالبات بعدد (30) ونسبة (13.3%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعتان بعدد (43) ونسبة (19.1%) وجاء

د. أحمد علي الكوت

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) ونسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) ونسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) ونسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) ونسبة (5.7%). .

الجدول رقم (9)

يبين الأوقات التي تتم فيها مشاهدة القنوات الفضائية.

المجموع	حسب الظروف		الفترة الليلية		الفترة المسائية		فترة الظهيرة		الفترة الصباحية		ما هي الأوقات التي تشاهد فيها القنوات الفضائية	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%		
125	55.5%	25	11.1%	40	17.7%	36	16%	11	4.8%	13	5.7%	طلاب
100	44.5%	33	14.6%	18	8%	27	12%	7	3.1%	15	6.6%	طالبات
225	100%	58	25.7%	58	25.7%	63	28%	18	8%	28	12.4%	المجموع

نتعرف من الجدول رقم (9) على توزيع أفراد العينة وفقاً للأوقات التي تتم فيها مشاهدة للقنوات الفضائية، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفئة الفترة الليلية بعدد (40) ونسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة حسب الظروف بعدد (33) ونسبة (14.6%) وإيضاً جاء الطلاب بعدد (27) ونسبة (16%)

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

لفئة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانياً لنفس الفئة بعدد (27) وبنسبة (12%) ومن جدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهيرة التي جاءت للطلاب بعدد (11) وبنسبة (4.8%) وللطالبات بعدد (7) وبنسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) وبنسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) وبنسبة (5.7%) .

الطلاب لفئة ساعتان بعدد (43) وبنسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) وبنسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) وبنسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) وبنسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) وبنسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) وبنسبة (5.7%) .

الجدول رقم (10) يبين مع من تتم مشاهدة القنوات الفضائية.

مع من تشاهد القنوات الفضائية	بمفرد		مع عائلتي		مع الأصدقاء		بدون تحديد		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
طلاب									125	55.5%
طالبات									100	44.5%
المجموع									225	100%

نتعرف من الجدول رقم (10) على توزيع أفراد العينة وفقاً للأوقات التي تتم فيها المشاهدة للقنوات الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفئة الفترة الليلية بعدد (40) وبنسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة حسب الظروف بعدد (33) وبنسبة (14.6%) وايضاً جاء الطلاب بعدد (27) وبنسبة (16%) لفئة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانياً لنفس الفئة بعدد (27) وبنسبة (12%) ومن جدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهيرة التي جاءت للطلاب بعدد (11) وبنسبة

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

(4.8%) وللطالبات بعدد (7) ونسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) ونسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) ونسبة (5.7%). الطلاب لفئة (ساعتان) بعدد (43) ونسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) ونسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) ونسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) ونسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) ونسبة (5.7%).

الجدول رقم (11)

يبين أماكن مشاهدة القنوات الفضائية.

أين تشاهد القنوات الفضائية	في المنزل		في المقهى		في منزل صديق		بدون تحديد		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
طلاب									125	55.5%
طالبات									100	44.5%
المجموع									225	100%

نتعرف من الجدول رقم (11) على توزيع أفراد العينة وفقاً للأوقات التي تتم فيها المشاهدة للقنوات الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفئة الفترة الليلية بعدد (40) ونسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة حسب الظروف بعدد (33) ونسبة (14.6%) وايضاً جاء الطلاب بعدد (27) ونسبة (16%) لفئة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانياً لنفس الفئة بعدد (27) ونسبة (12%) ومن لجدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهيرة التي جاءت للطلاب بعدد (11) ونسبة (4.8%) وللطالبات بعدد (7) ونسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) ونسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) ونسبة (5.7%). الطلاب لفئة ساعتان بعدد (43) ونسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) ونسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) ونسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) وبنسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) وبنسبة (5.7%). .

الجدول رقم (12)

يبين مدى الحرص على متابعة برامج القنوات الفضائية.

هل تحرص على متابعة برامج القنوات الفضائية	نعم		أحيانا		لا		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
طلاب							125	55.5%
طالبات							100	44.5%
المجموع							225	100%

نتعرف من الجدول رقم (12) على توزيع أفراد العينة وفقا للأوقات التي تتم فيها المشاهدة للقنوات الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفئة الفترة الليلية بعدد (40) وبنسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة حسب الظروف بعدد (33) وبنسبة (14.6%) وايضاً جاء الطلاب بعدد (27) وبنسبة (16%) لفئة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانيا لنفس الفئة بعدد (27) وبنسبة (12%) ومن جدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهيرة التي جاءت للطلاب بعدد (11) وبنسبة (4.8%) وللطالبات بعدد (7) وبنسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) وبنسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) وبنسبة (5.7%). الطلاب لفئة ساعتان بعدد (43) وبنسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) وبنسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) وبنسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) ونسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) ونسبة (5.7%).

الجدول رقم (13)

يبين لماذا الحرص على متابعة برامج القنوات الفضائية ؟.

المجموع	لأنها برامج جيدة		لأنها تسليني		لشغل وقت فراغي		يعجبني أسلوب التقديم		أخرى		لماذا تحرص على متابعة برامج القنوات الفضائية ؟
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
125	125	55.5%	13	10.4%	11	8.8%	36	28.8%	40	32%	طلاب
100	100	44.5%	15	15%	7	7%	27	27%	18	18%	طالبات
225	225	100%	28	12.4%	18	8%	63	28%	58	25.7%	المجموع

نتعرف من الجدول رقم(13) على توزيع أفراد العينة وفقاً للأوقات التي تتم فيها المشاهدة للقنوات الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفئة الفترة الليلية بعدد (40) ونسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة حسب الظروف بعدد (33) ونسبة (14.6%) وإيضاً جاء الطلاب بعدد (27) ونسبة (16%) لفئة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانياً لنفس الفئة بعدد (27) ونسبة (12%) ومن لجدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهيرة التي جاءت للطلاب بعدد (11) ونسبة (4.8%) وللطالبات بعدد (7) ونسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) ونسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) ونسبة (5.7%) . الطلاب لفئة ساعتان بعدد (43) ونسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) ونسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) ونسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) ونسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) ونسبة (5.7%) .

الجدول رقم (14)

يبين الأوقات التي تشاهد فيها القنوات الفضائية.

المجموع	حسب الظروف		الفترة الليلية		الفترة المسائية		فترة الظهيرة		الفترة الصباحية		ما هي الأوقات التي تشاهد فيها القنوات الفضائية		
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%			
125	125	55.5%	25	11.1%	40	17.7%	36	16%	11	4.8%	13	5.7%	طلاب
100	100	44.5%	33	14.6%	18	8%	27	12%	7	3.1%	15	6.6%	طالبات
225	225	100%	58	25.7%	58	25.7%	63	28%	18	8%	28	12.4%	المجموع

نتعرف من الجدول رقم (14) على توزيع أفراد العينة وفقاً للأوقات التي تتم فيها المشاهدة للقنوات الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفترة الفترة الليلية بعدد (40) ونسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفترة حسب الظروف بعدد (33) ونسبة (14.6%) وإيضاً جاء الطلاب بعدد (27) ونسبة (16%) لفترة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانياً لنفس الفئة بعدد (27) ونسبة (12%) ومن لجدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهيرة التي جاءت للطلاب بعدد (11) ونسبة (4.8%) وللطالبات بعدد (7) ونسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) ونسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) ونسبة (5.7%) . الطلاب لفترة ساعتان بعدد (43) ونسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) ونسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفترة ساعة بعدد (26) ونسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) ونسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) ونسبة (5.7%) .

الجدول رقم (15)

يبين الأوقات التي تشاهد فيها القنوات الفضائية.

ما هي الأوقات التي تشاهد فيها القنوات الفضائية	الفترة الصباحية		فترة الظهر		الفترة المسائية		الفترة الليلية		حسب الظروف		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
طلاب	13	5.7%	11	4.8%	36	16%	40	17.7%	25	11.1%	125	55.5%
طالبات	15	6.6%	7	3.1%	27	12%	18	8%	33	14.6%	100	44.5%
المجموع	28	12.4%	18	8%	63	28%	58	25.7%	58	25.7%	225	100%

نتعرف من الجدول رقم (15) على توزيع أفراد العينة وفقا للأوقات التي تتم فيها المشاهدة للقنوات الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفئة الفترة الليلية بعدد (40) ونسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة حسب الظروف بعدد (33) ونسبة (14.6%) وإيضاً جاء الطلاب بعدد (27) ونسبة (16%) لفئة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانياً لنفس الفئة بعدد (27) ونسبة (12%) ومن لجدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهر التي جاءت للطلاب بعدد (11) ونسبة (4.8%) وللطالبات بعدد (7) ونسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) ونسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) ونسبة (5.7%) . الطلاب لفئة ساعتان بعدد (43) ونسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) ونسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) ونسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) ونسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) ونسبة (5.7%) .



## الجدول رقم (16)

يبين الأوقات التي تشاهد فيها القنوت الفضائية.

ما هي الأوقات التي تشاهد فيها القنوت الفضائية	الفترة الصباحية		فترة الظهيرة		الفترة المسائية		الفترة الليلية		حسب الظروف		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
طلاب	13	5.7%	11	4.8%	36	16%	40	17.7%	25	11.1%	125	55.5%
طالبات	15	6.6%	7	3.1%	27	12%	18	8%	33	14.6%	100	44.5%
المجموع	28	12.4%	18	8%	63	28%	58	25.7%	58	25.7%	225	100%

نتعرف من الجدول رقم (16) على توزيع أفراد العينة وفقاً للأوقات التي تتم فيها المشاهدة للقنوت الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفئة الفترة الليلية بعدد (40) ونسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة حسب الظروف بعدد (33) ونسبة (14.6%) وايضاً جاء الطلاب بعدد (27) ونسبة (16%) لفئة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانياً لنفس الفئة بعدد (27) ونسبة (12%) ومن جدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهيرة التي جاءت للطلاب بعدد (11) ونسبة (4.8%) وللطالبات بعدد (7) ونسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) ونسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) ونسبة (5.7%) . الطلاب لفئة ساعتان بعدد (43) ونسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) ونسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) ونسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) ونسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) ونسبة (5.7%) .

## الجدول رقم (17)

يبين الأوقات التي تشاهد فيها القنوات الفضائية.

ما هي الأوقات التي تشاهد فيها القنوات الفضائية	الفترة الصباحية		فترة الظهيرة		الفترة المسائية		الفترة الليلية		حسب الظروف		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
طلاب	13	5.7%	11	4.8%	36	16%	40	17.7%	25	11.1%	125	55.5%
طالبات	15	6.6%	7	3.1%	27	12%	18	8%	33	14.6%	100	44.5%
المجموع	28	12.4%	18	8%	63	28%	58	25.7%	58	25.7%	225	100%

نتعرف من الجدول رقم (17) على توزيع أفراد العينة وفقاً للأوقات التي تتم فيها المشاهدة للقنوات الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفئة الفترة الليلية بعدد (40) ونسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة حسب الظروف بعدد (33) ونسبة (14.6%) وإيضاً جاء الطلاب بعدد (27) ونسبة (16%) لفئة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانياً لنفس الفئة بعدد (27) ونسبة (12%) ومن جدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهيرة التي جاءت للطلاب بعدد (11) ونسبة (4.8%) وللطالبات بعدد (7) ونسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) ونسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) ونسبة (5.7%) . الطلاب لفئة ساعتان بعدد (43) ونسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) ونسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) ونسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) ونسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) ونسبة (5.7%) .

## الجدول رقم (18)

يبين الأوقات التي تشاهد فيها القنوات الفضائية.

ما هي الأوقات التي تشاهد فيها القنوات الفضائية	الفترة الصباحية		فترة الظهر		الفترة المسائية		الفترة الليلية		حسب الظروف		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
طلاب	13	5.7%	11	4.8%	36	16%	40	17.7%	25	11.1%	125	55.5%
طالبات	15	6.6%	7	3.1%	27	12%	18	8%	33	14.6%	100	44.5%
المجموع	28	12.4%	18	8%	63	28%	58	25.7%	58	25.7%	225	100%

نتعرف من الجدول رقم (18) على توزيع أفراد العينة وفقاً للأوقات التي تتم فيها المشاهدة للقنوات الفضائية ، ونلاحظ من الجدول إن الطلاب في المرتبة الأولى لفئة الفترة الليلية بعدد (40) ونسبة (17.7%) بينما الطالبات جاءت في المرتبة الأولى لفئة حسب الظروف بعدد (33) ونسبة (14.6%) وإيضاً جاء الطلاب بعدد (27) ونسبة (16%) لفئة الفترة المسائية بينما جاءت الطالبات ثانياً لنفس الفئة بعدد (27) ونسبة (12%) ومن لجدول نلاحظ ان اقل فترة مشاهدة هي فترة الظهر التي جاءت للطلاب بعدد (11) ونسبة (4.8%) وللطالبات بعدد (7) ونسبة (3.1%) وجاءت الفترة الصباحية بعدد (15) ونسبة (6.6%) للطالبات وثانياً للطلاب بعدد (13) ونسبة (5.7%) الطلاب لفئة ساعتان بعدد (43) ونسبة (19.1%) وجاء الطلاب في فئة أربع ساعات فأكثر بعدد (35) ونسبة (15.5%) بينما جاء الطلاب لفئة ساعة بعدد (26) ونسبة (11.5%) وفي فئة ثلاث ساعات بعدد (21) ونسبة (9.3%) بينما جاءت الطالبات في فئة ساعة بعدد (11) ونسبة (4.8%) وفي فئة ساعتان بعدد (13) ونسبة (5.7%).

## الجدول رقم (6)

يبين ساعات المشاهدة اليومية

النسبة	المجموع	عدد ساعات المشاهدة
15.5%	31	ساعة واحدة
25%	50	ساعتان
20%	40	ثلاث ساعات
8%	16	أربع ساعات
31.5%	63	أكثر من أربع ساعات
100%	200	المجموع

يبين الجدول رقم (3) إن النسبة الكبيرة من أفراد العينة لكلا الجنسين تمضي يوماً في مشاهدة القنوات الفضائية أكثر من أربع ساعات بنسبة 31.5% . وربما يعود هذا إلى عدم وجود وسائل ترفيهية وعدم وجود تقاليد للمشاهدة تنظم أوقاتهم. بينما يرتفع نسبة ساعات المشاهدة لمدة ساعتين بنسبة 25% ونسبة المشاهدة لساعة واحدة 15.5% وربما يعود هذا إلى أسباب تتعلق باهتمام الشباب بالدراسة خاصة إن عينة البحث من الشباب الجامعي ومن كليات مختلفة مع مراعاة أن الكليات العلمية والطبية تحتاج إلى تنظيم أوقات المشاهدة بسبب صعوبة الدراسة مقارنة بالكليات الإنسانية والاجتماعية.

## الجدول رقم (7)

يبين نوعية الرؤوس الفضائية التي يملكها أفراد العينة .

النسبة	المجموع	نوع الرأس المستخدم
44.5%	89	عربي
3%	6	أجنبي
52.5%	105	كلاهما
100%	200	المجموع

يلاحظ من الجدول رقم (7) إن النسبية العظمى من أفراد العينة تمتلك رؤوساً فضائية عربية وأوروبية مشتركة، ويعلل ذلك بوجود انفتاح واضح على الفضائيات الأوروبية لأسباب عديدة بعضها يندرج في اتجاه الانفتاح على العالم ومعرفة ما يدور فيه، إضافة إلى غزيرة

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

حب الاستطلاع والمشاهدة للبرامج الأوروبية التي تحفل بالأفلام المتنوعة وقنوات الأغاني الغربية وغيرها التي قد تلبي حاجات الشباب ورغباتهم. بينما يأتي امتلاك الأسر للرؤوس العربية إلى ميلهم لمشاهدة الأفلام العربية والمسلسلات والبرامج الترفيهية التي تعبر عن القيم والعادات وخاصة شباب الريف الذين يشكلون 51% من نسبة المبحوثين. أما سبب انخفاض امتلاك الرأس الأوروبي (3%) فإنه يعود إلى ارتفاع نسبة المبحوثين من الريف إضافة إلى أسباب تقنية تعود إلى سهولة امتلاك الرأس المشترك (تليكام) الذي يجمع ما بين القنوات الفضائية العربية والأجنبية معاً.

الجدول رقم (13)

يبين نوعية الأفلام الأجنبية المفضلة

النسبة	المجموع	الأفلام الأجنبية
45.5%	91	أفلام العنف والجريمة
14%	28	أفلام الخيال العلمي
7.5%	15	أفلام رعب نفسي
33%	66	أفلام اجتماعية
100%	200	المجموع

تحتل أفلام العنف والجريمة المرتبة الأولى ضمن اهتمام المبحوثين، بنسبة 45.4% وهذا يعود إلى أن الشباب يميل عادة مثل هذه النوعية من الأفلام التي تحفل بالسرعة والحركة والإثارة. بينما تأتي الأفلام الاجتماعية بالمرتبة الثانية وبنسبة 33% لأفلام الرعب رغم أن البحوث العربية والعالمية تشير عادة إلى ميل الشباب لمثل هذه الأفلام وربما يعود انخفاض النسبة إلى عدم ميل الإناث لهذه الأفلام واهتمام الذكور بأفلام العنف والجريمة والخيال العلمي. إضافة إلى قلة ساعات المشاهدة للمبحوثين حيث تكون هذه الأفلام عادة مليئة بقصص الحب الرومانسية ويتناولها لموضوعات إنسانية تقترب من مزاج الشباب وخاصة الإناث خاصة تلك المتعلقة بتناول موضوعات الأسرة والزواج والطلاق والحب وغيرها. بينما لوحظ انخفاض نسبة المشاهدة بالنسبة الجدول رقم (14).

## الجدول رقم (15)

## تأثير الفضائيات على المظهر الخارجي للشباب

النسبة	المجموع	تأثير الفضائيات على المظهر الخارجي
93%	186	أوافق
7%	14	لا أوافق
100%	200	المجموع

نلاحظ ارتفاع نسبة المبحوثين الذين يؤدون بأن الفضائيات لها دور كبير في التأثير عليهم خاصة من ناحية التقليد والمحاكاة بما يتعلق بالمظهر الخارجي وذلك بنسبة 93% علماً أننا قمنا بتعريف المظهر الخارجي وهو ما يتعلق بتأثر الشباب والشابات بالموضة الحديثة للملابس وكذلك بموضة ( قص الشعر)، إضافة إلى نوعية الإكسسوار والمكياج وغيرها بالنسبة للأثاث. وهو الأمر الذي يجعلنا نعلل هذه الظاهرة بالطبيعة السيكلوجية للشباب في حب التغيير ومحاكاة الغير وتقليدهم. إضافة إلى عوامل كثيرة أخرى منا الفراغ والملل الذي يعانيه الشباب في مجتمعاتنا نتيجة أوقات الفراغ الطويلة. مع الإقرار بأن الموضة كظاهرة اجتماعية ونفسية تحقق التوازن بين الرغبة بالمطابقة والاستحسان والشعور بالطمأنينة والرغبة في التميز والتفرد والتعبير عن الذات.

## الجدول رقم (16)

## تأثير أفلام العنف على سلوك الشباب

النسبة	المجموع	تأثير أفلام العنف
78%	156	أوافق
22%	44	لا أوافق
100%	200	المجموع

يتفق معظم المبحوثين على إن مشاهدتهم لأفلام العنف والجريمة تؤثر بشكل أو بآخر على سلوكهم الاجتماعي والنفسي، خاصة إن المؤشرات الإحصائية للبحث تشير إلى احتلال هذه الأفلام المرتبة الأولى في اهتمام الشباب كما هو في الجدول رقم (3). مما يعني وجود مخاطر حقيقية لتعرض الشباب إلى أفلام العنف والجريمة واحتمال أن تشكل هذه

القنوت الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

المشاهدة المستمرة على خلق المشكلات الاجتماعية والنفسية، وتضفي على سلوكهم نوعاً من العدوانية والانحراف حيث اعترف الكثير منهم من خلال السؤال الشفهي ومتابعة الاستبيان معهم بأنهم أحياناً يطبقون ما يرونه من مشاهد على الواقع إضافة إلى زيادة معارفهم بفنون القتال وأساليب سرقة السيارات والمنازل وغيرها.

الجدول رقم (17)

تشجيع الفضائيات على زيادة الجانب الاستهلاكي

النسبة	المجموع	التشجيع على الاستهلاك
75%	150	أوافق
25%	50	لا أوافق
100	200	المجموع

نلاحظ إن القسم الكبير من المبحوثين (75%) قد أشاروا إلى موقفهم بأن دخول الفضائيات إلى منازلهم قد أثرت بشكل على الجانب الاستهلاكي لهم وللأسرة في مختلف المجالات، وهو الأمر الذي أدى إلى زيادة الاستهلاك وتعرض الدخل الشهري للأسرة إلى خلل في ميزانية المصروفات مما سبب حدوث مشكلات اجتماعية واقتصادية داخل الأسرة خاصة بالنسبة للأسرة الفقيرة ذات الدخل المحدود وقد اعترف البعض منهم من خلال المقابلة بأن عدم تلبية الأسر لاحتياجاتهم ورغباتهم أدى بهم إلى البحث عن وسائل غير مشروعة لتحقيق آمالهم في الحصول على كما يرغبون من متطلباتهم استهلاكية . وقد أشار معظمهم بأن الإعلانات التجارية التي تعرضها الفضائيات تجذب اهتمامهم وترغبهم في زيادة الاستهلاك.

الجدول رقم (18)

تأثير الفضائيات على المستوى الدراسي

النسبة	المجموع	المستوى الدراسي
96.5%	193	أوافق
3.5%	7	لا أوافق
100	200	المجموع

القنوت الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

وافقت النسبة الكبيرة من الذكور والإناث على إن المشاهدة الطويلة وغير المنظمة قد أثرت على المستوى الدراسي وسببت لهم مشاكل اجتماعية ونفسية داخل الأسرة والجماعة. حيث اعتبرت الأغلبية بنسبة 96.5% بأنهم واجهوا صعوبات في أداء الامتحانات بسبب انشغالهم ومتابعتهم المستمرة لبرامج الفضائيات، مما سبب لهم إشكالات مع أسرهم وأساتذتهم.

بل اعتبر بعضهم بأن السبب المباشر لرسوبهم عدة سنوات يعود لعدم تنظيم وقت المشاهدة والوقت الطويل الذي يقضونه أمام التلفاز خاصة في ساعات الليل المتأخرة التي تسبب تأخرهم وعدم انتظامهم في دخول المحاضرات الجامعية.

الجدول رقم (19)

الظواهر السلبية المتحملة لمشاهدة الفضائيات

النسبة	المجموع	الظواهر السلبية
9%	18	إضعاف الروابط الأسرية وقيمها
6.5%	13	تعميق الإحساس بالاعتراب
26%	52	التشجيع على الانحراف
9%	18	الشعور بالإحباط
49.5%	99	جميعها
100%	200	المجموع

الملاحظ أن الأغلبية من المبحوثين وبنسبة 49.5% يعتقدون بأن مشاهدة الفضائيات قد سببت في حدوث مشكلات اجتماعية عديدة للفرد والأسرة. وأبرز هذه المشكلات هي تشجيع الشباب على الانحراف بسبب طوفان الفضائيات بأفلام الجريمة والعنف وأفلام الجاسوسية. حيث أفرزت نتائج الاستبيان ارتفاعاً واضحاً في نسبة المبحوثين الذين يؤيدون ظاهرة الانحراف بسبب المشاهدة حيث بلغت النسبة 26% مقابل 9% ممن يعتقدون بتأثير الفضائيات على إضعاف الروابط الأسرية وقيمها وزيادة الشعور بالإحباط. بينما كانت النسبة 6.5% لتعميق الإحساس بالاعتراب، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذه النسب قد تشكل دلالات باتجاه الصورة الحقيقية لساعات البث للفضائيات، وخاصة الأجنبية، التي تمثل فيها



القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

البرامج والأفلام ذات الطبيعة الترفيهية، حيث موضوعات الرعب والجريمة والعنف والجنس تشكل القاسم المشترك لجميع الفضائيات.

وقد لاحظنا من خلال المقابلة بوجود اتفاق عام على إن بعض الفضائيات العربية، هي الأخرى تشارك في تعميق الاتجاه السلبي لحياة وإيجاد صورة غير حقيقية للمشكلات، وهذا ما يظهر في الدراما العربية والأفلام السينمائية. بل إن البعض يشير بإصرارها على تقديم الجريمة والجنس دون رقيب !

الجدول رقم (20)

مساهمة الأسرة في اختيار البرامج

النسبة	المجموع	الظواهر السلبية
56%	112	نعم
44%	88	لا
100%	200	المجموع

رغم ارتفاع نسبة المبحوثين 56% ممن تساهم أسرهم في اختيار البرامج لهم إلا أن الملاحظ وجود عدد كبير 44% الذين يختارون برامجهم بأنفسهم وهو الأمر الذي يؤكد على عدم وجود رقابة كافية من الأسرة واحتمالات أن تؤثر على تقاليد المشاهدة من جهة وعلى عدم قدرة الشباب على اختيار البرنامج المناسب والمفيد من جهة أخرى، وقد لاحظنا لأسباب اجتماعية معروفة، بان الفتاة عادة منا تختار برامجها من خلال الأسرة حيث الرقابة تزداد مقارنة بالشباب.

وبشكل عام فإن عدم مساهمة الأسرة بشكل فعال في اختيار البرامج يشير إلى أسباب كثيرة، بعضها يعود إلى وجود أكثر من جهاز داخل البيت، كما هو مؤشر في أحد جداول البحث نجد إن نسبة التملك لجهازين أو أكثر تبلغ 81.5% مقارنة بالتملك لجهاز واحد 18.5%. وهذا يساعد على ضعف دور الأسرة في الاختيار والضبط.

## الجدول رقم (21)

مدى الاستفادة من البرامج المقدمة في الفضائيات

النسبة	المجموع	مدى الاستفادة
9%	18	إضعاف الروابط الأسرية وقيمها
6.5%	13	تعميق الإحساس بالاغتراب
26%	52	التشجيع على الانحراف
9%	18	الشعور بالإحباط
49.5%	99	جميعها
100%	200	المجموع

الملاحظ أن الأغلبية من المبحوثين وبنسبة 49.5% يعتقدون بأن مشاهدة الفضائيات قد سببت في حدوث مشكلات اجتماعية عديدة للفرد والأسرة. وأبرز هذه المشكلات هي تشجيع الشباب على الانحراف بسبب طوفان الفضائيات بأفلام الجريمة والعنف وأفلام الجاسوسية. حيث أفرزت نتائج الاستبيان ارتفاعاً واضحاً في نسبة المبحوثين الذين يؤيدون ظاهرة الانحراف بسبب مشاهدة حيث بلغت النسبة 26% مقابل 9% ممن يعتقدون بتأثير الفضائيات على إضعاف الروابط الأسرية وقيمها وزيادة الشعور بالإحباط. بينما كانت النسبة 6.5% لتعميق الإحساس بالاغتراب، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذه النسب قد تشكل دلالات باتجاه الصورة الحقيقية لساعات البث للفضائيات، وخاصة الأجنبية، التي تمتلئ فيها البرامج والأفلام ذات الطبيعة الترفيهية، حيث موضوعات الرعب والجريمة والعنف والجنس تشكل القاسم المشترك لجميع الفضائيات.

وقد لاحظنا من خلال المقابلة بوجود اتفاق عام على إن بعض الفضائيات العربية، هي الأخرى تشارك في تعميق الاتجاه السلبي لحياة وإيجاد صورة غير حقيقية للمشكلات، وهذا ما يظهر في الدراما العربية والأفلام السينمائية. بل إن البعض يشير بإصرارها على تقديم الجريمة والجنس دون رقيب!

### 1- نتائج الدراسة:-

تتمثل نتائج الدراسة في التالي :

أ- أظهرت الدراسة إن أغلب أسر المبحوثين تمتلك جهازين مرئيين حيث وصلت النسبة إلى 49% وإن نوعية الرؤوس الفضائية التي تمتلكها أسر المبحوثين هي عربية وأجنبية حيث بلغت النسبة 52.5%.

ب- ظهرت الدراسة بما يتعلق بتقاليد المشاهدة ما يأتي :

1) إن معظم المبحوثين يقضون وقتاً طويلاً في مشاهدة القنوات الفضائية حيث بلغت النسبة 45% ممن يشاهدون التلفزيون ثلاث ساعات بينما نسبة 39.5% يشاهدون أربع ساعات فأكثر. أما ساعة واحدة فبلغت النسبة 15.5%.

2) أفضل أوقات المشاهدة هي فترة الليل حيث بلغت النسبة 74% خاصة من الساعة العاشرة إلى الرابعة صباحاً.

3) أغلب المبحوثين يشاهدون مع الأسرة حي وصلت النسبة إلى 60.5. كما أوضحت نتائج الدراسة وجود برامج لا يمكن مشاهدتها مع الأسرة حيث وصلت النسبة إلى 85%.

4) احتلت أفلام العنف والجريمة المرتبة الأولى في اهتمام الشباب بسنية 45.5% بينما جاءت الأفلام الاجتماعية بالمرتبة الثانية بنسبة 33% ثم الخيال العلمي 14% وأفلام الرعب والنفسي بنسبة 7.5%.

5) احتلت البرامج الموسيقية والغنائية المرتبة الأولى بنسبة 32% ثم الاجتماعية 30% والثقافة 19.5% والصحية 12% والسياسية 6.5%.

6) مساهمة الأسرة في اختيار البرامج بنسبة 56% وعدم المساهمة بنسبة 44% مع ملاحظة ضعف الرقابة في عمليات الاختيار والضبط الاجتماعي بالنسبة لأسر الشباب.

ج- أظهرت الدراسة بما يتعلق بالتأثيرات الاجتماعية ما يلي :

5) تأثير الفضائيات على المظهر الخارجي للشباب من ناحية التقليد والمحاكاة وذلك بنسبة 93%.

6) تأثير أفلام العنف والجريمة على الشباب بالنسبة 78%.

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

7 ازدياد واضح في الجانب الاستهلاكي حيث كانت للأفلام والإعلانات الدور البارز في زيادة الاستهلاك بمختلف المجالات. وما سببه هذا الاستهلاك من ظهور مشكلات اجتماعية واقتصادية ونفسية للشباب وأسرهم. حيث بلغت النسبة 75%.

8 تأثير مشاهدة الفضائيات لمدة طويلة على المستوى الدراسي حيث بلغت النسبة 96.5%.

9 تأثير الفضائيات على ظهور مشكلات اجتماعية عديدة أبرزها الانحراف الاجتماعي بنسبة 26% وضعف الروابط الأسرية وقيمها 9% والشعور بالإحباط 9% ثم تعميق الإحساس بالاغتراب 6.5%.

**2- توصيات الدراسة**

أ- تلعب الأسرة دوراً أساسياً في بلورة مفاهيم إيجابية لدى الشباب وتعميق وعيه إزاء التعامل مع برامج الفضائيات من خلال عناصر عديدة أبرزها:

1) خلق الثقة، بمعنى خلق علاقة إيجابية وصريحة بين الأسرة والشباب وتعويدهم على النقاش الحر الديمقراطي المتبادل دون جعل هذه العلاقة قائمة على أساس القهر والقسر والإرهاب.

2) خلق الوعي، بمعنى إيجاد وعي إيجابي لدى الشباب بموقفه من الحياة والثقافة، وتطوير هذا الوعي بالحوار الديمقراطي بينه وبين الأسرة، وتعميق وعيه بمضار ومحاسن الفضائيات.

3) ينبغي أن تكون سلطة الأسرة في التعامل مع الشباب بما يتعلق باختيار البرامج والأفلام قائمة على الحوار وليس على أسلوب السلطة القهرية.

4) ينبغي على الأسرة تنظيم وقت المشاهدة بما لا يؤثر على المستوى الدراسي للشباب.

5) توفير الأجواء الموضوعية للشباب داخل الأسرة، وإيجاد منافذ أخرى لوسائل الترفيه بحيث تكون متنوعة قاصرة على وسيلة واحدة كالتلفزيون.

ب- تطوير أجهزة الإعلام المحلية، خاصة التلفزيون، بما يلبي رغبات واتجاهات الشباب، وجعل البرامج والأفلام أكثر حيوية وقريبة لمشكلاته، وجعله مشاركاً فعالاً في صنع هذه البرامج ضماناً لإعادة الثقة بأجهزته الإعلامية مع محاولة تقليل ساعات المشاهدة الفضائية الوافدة.

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

ج- ضرورة أن تقوم مؤسسات المجتمع التعليمية والثقافية والاجتماعية والترفيهية بوضع خطة مناسبة لاحتواء الشباب وحصانته من التيارات الإعلامية والثقافية الوافدة من خلال الفضائيات، واستثمار أوقات الشباب بما يخدم شخصيته بحث يكون قادراً على خدمة مجتمعه ولهذا نوصي بما يأتي:

1) زيادة عدد الأندية الرياضية والاجتماعية، ونشر الملاعب الرياضية الشعبية مع توفير وسائل الترفيه والترفيه في الأندية الاجتماعية مثل المكتبات وتوفير الكمبيوتر والإنترنت، وإقامة الدورات المتخصصة في هذه المجالات وكذلك دورات الخياطة والتطريز وغيرها من الدورات الملائمة للشباب،

2) أهمية بناء رسالة إعلامية وطنية وقومية تتفق مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي وتلبي حاجات إعلامية وقومية تتفق مع الواقع ومعبرة عن أفكاره واتجاهاته، وهذا لا يتم إلا بمعرفة الشباب : خصائصه وأنماط تفكيره وتطلعاته ورغباته.

3) خلق التوعية الشبابية للمشكلات والظواهر من خلال وسيلتين هما الإعلام والتعليم وضرورة ترابطهما بما يخدم أهداف العمليتين.

4) إعطاء الشباب الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم وتطلعاتهم في وسائل الإعلام وإشراكهم في المنتديات الثقافية وتعويدهم على الحوار الديمقراطي.

5) التحكم بالمادة الأجنبية من خلال تشديد الرقابة عليها من خلال الأسرة والدولة، والأهم في رأينا خلق الوعي بمضارها.

6) التقليل من تعرض الشباب الفضائية الأجنبية وذلك من خلال استقبال بعض القنوات الأجنبية مركزياً وتوزيعها محلياً، وكذلك نشر الخدمات التلفازية المحلية والإقليمية، والاهم تطوير الأعلام الوطني وجعله أكثر تنوعاً وحيوية وقرباً من مشكلات الشباب المعاصرة.

**الهوامش والمراجع :**

1 - اعتدال مجبري، الفضائيات العربية ومتغيرات العصر، الفضائيات العربية والمحتوى (المراهقون العرب وتلفزيون الواقع: أية علاقة؟ وهل من بديل) بحث منشور، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2005، ص591.

2\_ جون بيتر، مقدمة في الاتصال الجماهيري، ط1، عمان، مركز الكتب الأردني، 1986، ص 436

د. أمحمد علي الكوت

القنوات الفضائية العربية وتأثيراتها الاجتماعية على الشباب الليبي

- 3\_ مي العبد الله سنو، التلفزيون في لبنان والعالم العربي، بيروت، دار النهضة العربية، 2001، ص64.
- 4\_ عبد الرزاق الدليمي، عولمة التلفزيون، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، 2005، ص61.
- 5\_ عبد الرزاق الدليمي، عولمة التلفزيون، ص63.
- 6\_ عبد المجيد شكري، تكنولوجيا الاتصال، القاهرة، دار الفكر، 1996، ص17.
- 7\_ عبد الملك الدناي، البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، 2006، ص17.
- 8- عبد الحميد طاهر الزاوي ،، الهوائيات الفضائية وأثرها في تشكيل اتجاهات الشباب في المجتمع الليبي، مجلس الثقافة العام ، ليبيا ، ص 74-81.
- 9\_أنور الشرقاوي، علاء الدين كنفاني، علم النفس، ط 1، القاهرة : مكتبة لأنجلو المصرية، 1988 مص 122.
- 10- مصطفى عمر التير، مقدمة في مبادئ وأسس البحث الاجتماعي ، ط3، منشورات الجامعة المفتوحة طرابلس، 1995م ،ص140.

د. أسمهان ميلود معاطي

قسم التاريخ . جامعة الزاوية

#### المقدمة:

تتميز الأراضي الطرابلسية ببيئة شبه قاحلة وتجارب سابقة من الجفاف قل فيها معدل هطول الأمطار لمدة طويلة، وصارت مشكلة رئيسية تجابهها البلاد، حيث انتشرت المجاعة التي تعد من الظواهر الدورية في تاريخ طرابلس الغرب، وكانت هذه المجاعة حاسمة وحتمية في نتائجها وأثارها الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية . فشهدت الولاية بعد الحرب العالمية الثانية موجة من النزوح السكاني تحت تأثير القحط والجفاف الذي مرت به المنطقة الغربية من ليبيا؛ مما دفع السكان للنزوح إلى الشرق الليبي ضمن نطاق الكيان الواحد بدلا من اللجوء للفضاء الجغرافي المجاور ونقصد بذلك تونس، مما عزز من روح الانتماء والاندماج بين الأقاليم الليبية.

إن موضوع القحط والجفاف يطرح إشكالات عديدة خلال فترة الدراسة كونه من المواضيع الحساسة التي لها تأثير مباشر على حياة ساكني الإقليم الطرابلسي. فما هي تجليات هذه الأزمة المناخية على الأنماط المعيشية للسكان؟ وكيف كانت طبيعة التفاعل والتعامل من قبل السلطة السياسية مع تداعيات الأزمة؟ وتأثير هذه الظرفية التاريخية في النزوح والهجرة نحو الشرق؟ وماهي الآثار المترتبة عن وجودهم في المنطقة المهاجر إليها اقتصاديا واجتماعيا، هل سببت في قتامة الوضع الاقتصادي بارتفاع الأسعار وسحب المواد التموينية من السوق؟ وكيف كانت طبيعة الانصهار والاندماج بينهم، وبروز معطيات ومسميات محلية مثل (بنغازي رباية الذابح) وغيرها مما تتردد في مخزون الثقافة الشعبية وماهي أبعاد هذه الظاهرة المستقبلية بعد هؤلاء أصبحوا جزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي للمنطقة الشرقية؟ كل هذه التساؤلات وغيرها تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عليها .

وما يلفت انتباهنا بصدد هذه الأزمة تغافل المصنفات التاريخية عن ذكرها باستثناء إشارات عابرة هنا وهناك. هذا الصمت التاريخي يعود للظرفية التاريخية التي مرت بها الأقاليم

الليبية فالفترة كانت زاخرة بالمطالبات السياسية بالاستقلال وبالتالي انشغلت هذه المدونات بالبحث في القضية الليبية وتطوراتها وما أفرزته من نتائج.

القحط والجفاف التي ظلت الذاكرة الشعبية للطرابلسيين تحتفظ بأدق تفاصيلها كان لها القول الفصل في النزوح والتحول الديموغرافي نحو الشرق الليبي، فضلا عن استحضار الذاكرة الجماعية لليبيين لمصطلحات ومفاهيم أفرزتها الأزمة، ومحاولة توظيفها للحصول على استحقاقات سياسية.

الورقة تتطرق من فرضية أن البؤس الريفي أدى إلى النزوح المناطقي، والنزوح أسهم في لملمة الشتات الوطني، وتحقيق التوحد والاندماج رغم بروز بعض المختنقات والأزمات الاجتماعية مما أسهم في تشكل هوية الكيان الليبي.

#### الظروف البيئية وأنماط العيش الريفية:

إن تحليل الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية للإقليم الطرابلسي يتضح أنه يتكون من ثلاث مناطق جغرافية: الشريط الساحلي، سهل الجفارة، الجبل الغربي. الشريط الساحلي يبلغ طوله 325 كلم أما عرضه فأقل من عشرة كيلومترات، ويمتد من الزاوية في الغرب إلى مصراته في الشرق. هنا نجد زراعة مستقرة وطبقة فلاحية اعتمد نمطها الإنتاجي على العمل الأسري، بعد الشريط الساحلي يأتي سهل الجفارة بمساحة إجمالية تقدر بحوالي 18 ألف كلم مربع، ويمتد حتى الجنوب التونسي السهل فيه كثبان رملية وأعشاب صالحة لرعي الماشية وتمر بالسهل مجموعة من الأودية تمثلي بالماء في فصل الشتاء، وهي مصدر أساسي لزراعة الحبوب.

أما الجبل الغربي فيقع ما وراء سهل الجفارة وهو يستقبل أمطارا لا بأس بها خاصة في جزئه الشرقي غريان، فضلا عن العيون والينابيع التي تساعد على الزراعة المستقرة، سفوح الجبل الجنوبية صخرية وجافة تمتد حتى تصير جزءا من الحمادة الحمراء شمال غرب فزان<sup>(1)</sup>.

ولقد أمدتنا المصادر الجغرافية بتفسيرات حول الاضطرابات المناخية المتمثلة في تذبذب معدل التساقط المطري في طرابلس الغرب ذلك أن المتوسط العام لهطول المطر يقدر بحوالي 300 ملم في السنة، لكن هذا السقوط قد يكون في بضعة أيام فقط من فصل الشتاء وبذلك لا تستفيد منه المزروعات التي تحتاج لأمطار في فترات متباعدة تتناسب مع مراحل



نمو النباتات من موسم الإنبات إلى مرحلة النضوج؛ مما جعل الإقليم يتعرض لمواسم القحط التي تحدث بصفة دورية، وتؤدي إليإتلاف المحاصيل الزراعية والتسبب في أزمة غذائية حقيقية<sup>(2)</sup>.

وتأسيسا على ماسبق فالظروف البيئية مهمة جدا للأنشطة الريفية فالبلاد اعتمدت في أنماطها الاقتصادية على الاقتصاد الزراعي استجابة لمتطلبات البيئة الجغرافية، وكان اقتصاد اكتفاء ذاتي، فإننتاج المحاصيل الزراعية عنصرا رئيسيا من عناصر سبل العيش للغالبية العظمى من الطرابلسيين.

فأكثر السكان من المزارعين أو الرعاة حوالي 70% الذين يحصلون على غذائهم ودخلهم من منتجاتهم الزراعية والحيوانية. هذه الأنماط المعيشية غير مستقرة لأنها عرضة أكثر للمخاطر البيئية.. فالزراعة تعد مصدر الغذاء الرئيس لغالبية السكان، وفي السنوات الوفيرة يجد المحصول طريقه للسوق الخارجية فتتحصل البلاد على عملة نقدية، وفي الوقت نفسه تتيح للسكان فرصة للانتعاش المعيشي. وقد بلغت مساحة الأرض الزراعية في طرابلس قرابة عشرة ملايين هكتار منها ثمانية ملايين هكتار للرعي ومن المليونين الباقيين هناك حوالي 400 ألف هكتار صالحة للزراعة المروية<sup>(3)</sup>.

وارتكز غذاء الطرابلسي على الحبوب بصفة أساسية فالتغذية كانت نباتية، حيث قدرت حاجة السكان من الشعير وحده بحوالي 300 جرام للشخص الواحد ، أما استهلاك اللحوم فكان محدود جدا، لكن التمر شكل قسطا مهما في الغذاء والذي يتوفر على عناصر ملائمة لغذاء متكامل. وبالتالي فالإنسان كان رهين العوامل الطبيعية فحياتهم وطعامهم متوقفة على كمية المطر فإذا جادت المطر تمكن من زراعة الأرض وجاءت (الصابة) طيبة في مقدارها وأثمانها أما إذا حدث الجفاف فهذا يعني ضعف المحصول وارتفاع أسعار الغلال<sup>(4)</sup>.

إن الإنتاج المادي القائم على الأرض والعمل الزراعي هو الذي حدد مسار الإقليم الطرابلسي، وشكل سماته الأساسية، والزراعة بعلية في مجملها نظرا لانعدام منظومة واسعة للرعي، ومعتمدة على قاعدة مادية ضعيفة، وبعبارة أدق على تقنيات بسيطة وأساليب بدائية، فالزراعة تتحكم فيها ظروف طبيعية سواء طبوغرافية أو مناخية أو بشرية ظلت هي المتحكمة في البيئة الزراعية؛ الأمر الذي جعل النمط الزراعي يتسم بالبدائية، وعدم القدرة

د. أسمهان ميلود معاطي

### القحط والجفاف وأثره في النزوح السكاني في ولاية طرابلس الغرب 1947 – 1948

على مقاومة الظروف المناخية مما أدى إلى محدودية الإنتاج الزراعي، وضعف مساهمته في قيمة الإنتاج المحلي.

#### تجليات الأزمة الغذائية. مظاهر القحط والجفاف .

بدأت معالم الأزمة الاقتصادية في الإقليم الطرابلسي مع الموسم الزراعي 1947 حيث تدنى معدل سقوط الأمطار تدني شديد وصل إلى أقل من 100 ملم، واستمر لجفاف سنتين متتاليتين، مما أدى إلى انخفاض معدلات الإنتاج الزراعي وشيوع خطر المجاعة بشكل كبير جدا بين ساكني المناطق الريفية.

وعلى الرغم من صعوبة تحديد كمية التساقط المطري لانعدام إشارات مصدرية حول ذلك فهناك دراسة مبدئية أجريت على ترهونة لتحديد كمية الأمطار 1947.46 حيث كانت كمية الأمطار مقدرة بالمليمترات كما يلي:

الشهر	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	المجموع
الكمية	13.5	7.4	4.5	89.2	39.5	-	4.5	16.8	154.1

المصدر: إبراهيم زرقانة، المرجع السابق، ص 98.

يتبين من تحليل إحصائية التساقط أن الولاية تشكو من نقص خطير في كمية المطر السنوية . وزادت خطورتها في السنة التي تليها حيث انعدم السقوط وعم الجفاف. هذه الصورة المأسوية للجفاف زاد من قناعتها أن السنوات التي سبقتها تعرضت البلاد إلى أرتال من الجراد أضرت بالمحاصيل الزراعية، فحلول الأسراب الكثيفة من هذه الحشرات معناه القضاء عن الحياة النباتية قضاء تاما، وحرمان الناس من أسباب العيش، مما اضطر الإدارة إلى إصدار إعلان رقم 94 لسنة 1945 ينص على إلزام المواطنين بضرورة الاشتراك في القضاء على الجراد<sup>(5)</sup>.

فضلا على السياسة الاحتكارية المنتهجة من قبل المؤسسة والتي حددت المخزون التوفيري للفلاحين من الحبوب في نطاق ضيق وبكميات ضئيلة، مما جعلهم عاجزين عن مواجهة أزمة القحط حال حدوثها ومخازنهم خالية الوفاض فالسلعة الزراعية تم إخضاعها ضمن الزراعات التصديرية التي تتحكم فيها الحكومة وفق مناشيرها التشريعية الصادرة في الجريدة الرسمية<sup>(6)</sup>.

وفي محاولة أولية لتفسير تدني الإنتاج الزراعي والرعي نقدم هذه الجداول الإحصائية

إنتاج القمح والشعير في طرابلس من عام 1950.45 بآلاف الأطنان المترية

السنة	الشعير	القمح
1945	70	8
1946	75	6
1947	18	1
1948	22	2.4
1949	141	8
1950	85	8

المصدر : شكري غانم الاقتصاد الليبي قبل النفط ص 23. 24.

هذه التقديرات الرقمية الواردة في دراسة شكري غانم عن تدني الإنتاج الزراعي لمحاصيل القمح والشعير تفسر النزوح السكاني للشرق الليبي الذي احتفظ في هذه الفترة بمعدلات إنتاجية ثابتة بسبب خضوعه لمنطقة مناخية تتباين مع طرابلس<sup>(7)</sup>.

ولاشك أن الانخفاض أدى إلى تغير دور البلاد الاقتصادي من مصدر للحبوب إلى مستورد لها لتعويض الفاقد في السوق المحلية ، حيث استوردت من الشعير سنة 47 ما قيمته 249.5 ألف جنيه إسترليني ،ومن القمح ما قيمته 222.2 ألف جنيه إسترليني، وارتفعت وتيرة الاستيراد في السنة التالية لتصل لحوالي 676.6 ألف جنيه إسترليني شعير، وقريبة 575.4 ألف جنيه إسترليني قمح<sup>(8)</sup>.

وأسفر الجفاف عن تدهور الحياة التجارية حيث حدث انكماش كبير في المعاملات لقلة السلع ، وقلة من يشتريها،وقد تأرجح العجز في الميزان التجاري بحسب ظروف الجفاف بين حد أدنى بلغ مليونين من الدولارات في عام 1946 وحد أعلى بلغ 11 مليون دولار في عام 1949.

هذا التأزم الإنتاجي تبعه ارتفاع ملحوظ في الأسعار للسلع الأساسية،فارتفعت أسعار الشعير من 290 إلى 320 ليرة<sup>(9)</sup> والذرة من 420 إلى 440 ليرة والتمر من 160 إلى 200 ليرة<sup>(10)</sup>.

من خلال القراءة التقريبية للأسعار التي تعد من المؤشرات الأساسية لمعرفة المستوى الحقيقي للمعيشة نستشف أن الارتفاع يفسر دون شك النقص الحاصل في كمية السلع

المعرضة في السوق وخاصة الحبوب في ظل عدم وجود سياسة توفير وتخزين للمحصول الزراعي من قبل الأهالي لتقليل من أضرار ظواهر البؤس والفاقة. وتجمع المصادر التاريخية على أن الثروة الحيوانية هلكت أعدادها بآلاف خلال الجفاف ، وموتها أعطى دافعا قويا للبيع الاضطراري لها، فضلا على أن الفلاحين كانوا ملزمين ببيعها لشراء ما يفتتتون به فازدادت وفقا لذلك أثمان البيع انهيارا. بل وصل بهم الأمر لذبح العشرات منهم من أجل جلودهم لبيعهم ومحاولة التقوت من ثمنها فالأغنام أشد إنهاكا من الإنسان بسبب الجفاف ويظهر ذلك واضحا في بعض التعبيرات الشعبية مثل: " سعي تعبان ... دوارته ومصارينه مليانه تراب"<sup>(11)</sup>. وليس هذا فحسب بل حتى المناطق التي تعتمد على الحيوانات شهدت هي الأخرى نفوقا فيها بسبب قلة المراعي الكافية؛ مما اضطرها إلى الرحيل لمناطق أخرى توفر الغذاء لحيواناتها الجائعة.

هذا النفوق الحيواني يمكن توضيحه من خلال الجدول التالي:

السنة	1945	1946	1947	1948	1949
الغنم	331	386		208	194
الماعز	431	502		202	221
الإبل	57	56		66	53
الأبقار	37	32		21	35

المصدر: تقرير عام عن الاقتصاد الليبي، 1951.

وبسبب الجفاف تغيرت الرقعة المكانية للمراعي الطرابلسية حيث فضل مربوها الانتقال بها إلى منطقة سرت والنوفلية لوجود بعض الآبار القريبة جدا من السطح، ومن الممكن حفرها دون تكلفة مادية كبير المردومة وأم الريش وبئر النوفلية<sup>(12)</sup>. بل أن الجفاف أحدث تغيرا في خارطة الملكية الزراعية للأرض حيث اضطر السكان إلى بيعها أو رهنها بأبخس الأثمان، وأحيانا بمقابل مرطبة بشنة أو شعير أو قمح أو تمر بعد استفاد كل مواردهم؛ الأمر الذي مكن فئة معينة تمتلك المال من السيطرة والاستيلاء على الأراضي الزراعية .

وأطلق الطرابلسيون على العام الذي أصابهم فيه القحط والجوع تسميات مختلفة ومتعددة، وتبرز هذه التسميات في سياق تعامل السكان مع هذه الظرفية الاقتصادية وكيفية تدبيرهم

لها، والوسائل والمواد التي اعتمدوا عليها في ذلك، فأطلقوا عليها عام الفكريس، والميزيريا<sup>(13)</sup>، وهي دلالات واضحة على حجم بطش الجوع الذي ألم بهم، وأضطرهم إلى تناول النباتات لإنقاذ أنفسهم من موت محقق. مجاعة غيرت العادات الاستهلاكية لهؤلاء الريفيين، وفرضت عليهم البحث عما يقتاتون به فاقبلوا على الفكريس بقص جذوع النخيل والتهاهما عليها بتقيهم على قيد الحياة، بل حتى الجراد المشوي تحول إلى وجبة رئيسية تقيهم من سطوة الجوع الفتاك.

وأشارت التقارير الأممية إلى أن الأزمة الاقتصادية قد انعكست على التغذية التي وصفت بأنها فقيرة وغير متوازنة مما سبب في شيوخ الأمراض وخاصة مرض الجديري، وازدياد نسبة الوفيات حيث وصف خبراء الأمم المتحدة بأن معدل الوفيات في طرابلس يزيد على 4% بينما لا يزيد معدل زيادة السكان عن طريق التوالد على 5.3% وقد كان معدل الوفيات المسجل في طرابلس 2.7% عام 1948، 2.1% عام 1949، أما الأطفال فقد بلغ معدل وفياتهم في طرابلس 33.3% سنة 49م<sup>(14)</sup>.

هذا وقد نظم سكان الأرياف الطرابلسية صلوات الاستسقاء فأزمة القحط في المعتقدات الشعبية تتراءى من خلال منظورها الديني الذي ينزع عنها صبغتها الطبيعية، ويجعل منها ظاهرة غيبية ويتم تصويرها بالعقاب الإلهي هذا القلق الداخلي استوجب القيام بصلوات متتالية لاستدرار المطر، إلا أن انحباس المطر تواصل رغم الصلوات المقامة.

وهنا لنا أن نتسأل على أن فقدان السكان لمصدر حياتهم المعيشية وهو الحبوب الذي اعتمدوا عليه في وجباتهم الغذائية لماذا لم يجعلهم يتجهون إلى المصادر البديلة سواء أكانت بحرية متمثلة في صيد السمك، أو برية كجمع الحلفاء؟

الشاطي الطرابلسي طويل لكن عملية استغلاله تكون في منطوق العدم وربما التفسير التاريخي لتجنب العمل البحري يعود لسيطرة الوافد الأجنبي عليه طيلة العهود التاريخية وهو الذي أباح لنفسه استغلاله والاستفادة منه. هذا التفسير يتسم بالمعقولية التاريخية خاصة وأن علمنا أن جل العاملين في الصيد البحري ايطاليين أو مالطيين خاصة في المدن الرئيسية الساحلية هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبدو أن العقليّة المحلية أنفتت البحر وابتعدت عنه وكان همها الأساسي الأرض وملكيّتها وزراعتها فهي مصدر القوة والمنعة والوجاهة

**القحط والجفاف وأثره في النزوح السكاني في ولاية طرابلس الغرب 1947 – 1948**

الاجتماعية. "والشعب الليبي ليس من الشعوب التي اعتادت خوض البحار، كما أن السمك لا يعتبر من العناصر الهامة في وجباته الغذائية"<sup>(15)</sup>.

وفي المقابل حاولت بعض الفئات الاجتماعية الاهتمام بجمع الحلفاء والاتجار بها لإيجاد مصادر معيشية بديلة عن الحبوب شجعهم على ذلك ارتفاع سعرها من 12 جنيه إسترليني للطن الواحد إلى 42 جنيه إسترليني ولكن حتى هذا المورد لا يمكن التعويل عليها لأنه اقتصر على أقلية سكانية وليس على الأغلبية فجمعه وشحنه اقتصر على مؤني الخمس والزاوية فقط وليس على كامل الساحل الغربي<sup>(16)</sup>.

وكان من الطبيعي أن تفرز هذه الأزمة البيئية ارتفاع نسبة العاطلين عن العمل في ولاية طرابلس فعشرات الآلاف من العمال الزراعيين هم عمال موسمين يحصلون على أعمال في الفترات الواقعة بين البذر والحصاد ولذلك فإن سنوات جذب المحصول مهلكة لهم فهم يفقدون أعمالهم وما يقتاتون به .

وعلى الرغم من العجز الإحصائي لقلة البيانات وعدم دقتها ، فإن هناك أرقام تقديرية لأعداد العاطلين عن العمل. فبعض الصحف المحلية ذكرت أن عدد العاطلين عن العمل بلغ حوالي 4458 شخصا في سنة 1946، وسجلت سنة 1947 بطالة تقدر بحوالي 5119 شخصا<sup>(17)</sup>، في حين تسجل التقارير الدولية أرقاما أعلى بكثير حيث قدرت عدد العاطلين بحوالي 10 الآف عاطل أي بنسبة 8.5% من مجموع السكان<sup>(18)</sup>.

والمؤشرات الكمية رغم تباينها فأنها محدودة في الإحاطة بظاهرة البطالة التي اقتصر على المدينة وساكنيها وأهملت المناطق الداخلية، وبالتالي كانت أرقامها تقديرية وليست نهائية.

ولا تقتصر الانعكاسات السلبية لتغيرات المناخ على التأثيرات الاقتصادية وإنما تسبب تقادم والفقر والمجاعة في شيوخ ظواهر التسول والسرقه لدى الفئات المعدمة في طرابلس حيث ازدادت السرقات وفق الإحصائيات المبدئية للجرائم الواقعة في طرابلس الغرب.

السنة	سرقات مختلفة	سرقة الحيوانات
1946	1327	98
1947	2919	366
1948	3053	386
1949	3411	87
المجموع		

المصدر: راسم رشدي، المرجع السابق، ص. 228.

تشير معطيات الجدول إلى ارتفاع معدل السرقات الاقتصادية خلال سنوات الجفاف، هذه الظواهر السلبية أفرزتها المجاعة التي أثرت في نفسية الأهالي، واضطرتهم لسلك سبل غير مشروعة لإيجاد ما يقتاتون بها .

أما بخصوص طرابلس المدينة والتي كانت مرتبطة بالمناطق الريفية ارتباطا عضويا وتتأثر بما يجري فيها من أحداث فقد كان يقل بالطبع تموينها في مثل هذه الظروف، فتتقد مصدر تزويدها بالمحاصيل الزراعية، ويؤدي إلى شيوخ حالة من الخوف والقلق على المستقبل، بل أن الريفيين الجياع يتجهون للمدينة عليهم يجدون أعمالا هامشية توفر لهم قوتهم اليومي، ولكن بسبب محدودية سوق الشغل كان من الصعب على طرابلس أن توفر لهم ما هم بحاجة إليه. من هنا تنتشر ظواهر التسول والسرقه وهي في نشوئها وتبلورها تعبر عن اليأس الاجتماعي لأكثرية السكان، وفي نفس الوقت احتجاجا ضد هذا اليأس وسلاحا لتجاوزه ، لكنها أشاعت آنذاك قدر كبير من الفوضى والارتباك للإدارة الحاكمة التي حاولت مواجهتها بالقبض على المتسولين وإحالتهم إلى الأماكن المخصصة لهم.

ومشاكل الجفاف لم تكن قاصرة على الطرابلسيين وحدهم بل أن مزارع الاستيطان الإيطالي عانت هي الأخرى من الضائقة الاقتصادية حيث أشارت مصادرهم إلى أن جفاف 1947 كان نهاية الازدهار الاقتصادي لوقت الحرب وثناء المعمرين المؤقت، فقد ضاعف الجفاف المشكلات الاقتصادية حيث فشلت المحاصيل التي تعتمد على الإمطار، وارتفعت تكاليف المياه لري المحاصيل ، وتضاعفت قيمة الفواتير الكهربائية بشكل يعجز فيها المعمر عن دفعها. فالأيام الصعبة والمعنويات المنخفضة كانت جلية في كافة أوجه حياة الجالية الإيطالية: طوابير الصابون الطويلة عند الظهر أمام المؤسسات الخيرية والخدمات الاجتماعية في طرابلس والشحاذون في الشوارع من الرجال والنساء والأطفال الإيطاليون حفاة وقدرتون يجوبون الشوارع مع زملاء اللعب من الأطفال العرب وزواج 45 امرأة إيطالية اعتنقت الإسلام من لبيين. هذا الوضع المتردي قاد المعمرين إلى التقدم بطلباتهم من أجل ترحيلهم إلى إيطاليا<sup>(19)</sup>.

وقد أكد هذه الحقيقة كاتب آخر "ولم يكن تأثير مشكلة الجفاف على اللبيين وحدهم بل كانت آثار ذلك قد مست المزارعين الإيطاليين في ليبيا الذين كانوا يملكون أخصب الأراضي

الزراعية وقد تدنى مردود محاصيل الحبوب إلى النصف سنة 1947 نتيجة الجفاف وهلاك الثروة الحيوانية<sup>(20)</sup>.

وهنا لنا أن نتساءل عن آلية المعالجة الحكومية لمظاهر المجاعة وتفاقم البؤس القروي؟ هل كانت كفيلة بالسيطرة على الجائحة الاقتصادية والتخفيف من آثارها؟ أو أنها ظلت عاجزة إزاء تحديات البيئة الطبيعية وقوانينها؟

وقد رصدت لنا صحيفة طرابلس الغرب عمليات الإغاثة المحلية والإعانات الخارجية مما يدل دلالة قاطعة شيوع المجاعة في الإقليم الطرابلسي بشكل منقطع النظير حيث أعربت الإدارة البريطانية عن رغبتها في التخفيف من معاناة الناس، وامتصاص اضطرابات الجوع عملت على توفير الشعير بأسعار رمزية للمحتاجين تقدر بحوالي 12 ليرة للكيلو الواحد، وقامت بأعداد حملات إسعاف في المناطق الريفية وفتح ملاجئ للفقراء، واستمرت في توزيع ما يفيض لديها من مواد غذائية على السكان بنظام بطاقات التموين<sup>(21)</sup>.

وبمقتضى نظام البطاقات تكون الحصص الموزعة على السكان من المواد الغذائية وغيرها في مدة شهر للشخص الواحد بالجرامات على النحو التالي:

السلعة	الكمية	السلعة	الكمية
خبز أو دقيق	300	زيت	200
أرز	400	شاي	50
حبوب بن	120	صابون	300
دقيق	500	بقول	500
سكر	400		

وكان التموين يمنح السكان الحق في الوقوف في طوابير أمام مخازن السلع من أجل اقتنائها، في محلات مخصصة للتوزيع الغذائي، في حين تم تكليف الشيوخ بتوزيع المواد الغذائية في المناطق الريفية<sup>(22)</sup>.

ولقد حاولت الإدارة البريطانية وضع حلول وقتية بالاستعانة بولاية برقة حيث استوردت منها 500 طن من القمح وحوالي 1000 طن من الشعير لتمويل السوق الطرابلسية المفتقدة لهذه السلع. وثمة مفارقة عجيبة أن الإدارة عندما استوردت 700 طن من الشعير و200 طن من القمح لتطحن محليا وتوزع في المدن ضمن التموين الشهري اكتشفت أن الشعير كان قديما وغير نظيف فلم يطحن ولم يوزع على الأهالي<sup>(23)</sup>.



بيد أن آلية المعالجة للطوارئ المناخي استلزم الاستعانة بالخارج لسد فجوة الغذاء في الداخل، حيث وجهت طلبا مستعجلا للجنة الطعام الدولية لتقديم أربعين ألف طن من الحبوب يقدر ثمنها بمليون جنيه إسترليني ، فضلا على أنها تمكنت من الحصول على إعانات خارجية بتبرع الملك فاروق بمبلغ نقدي قدره 14 ألف جنيه لسكان طرابلس ، فضلا على أن جمعية الهلال الأحمر المصرية أرسلت شحنة من القمح والشعير على ظهر السفينة الأميركية فوزية وكان وصولها إلى ميناء طرابلس يبعث الأمل في نفوس السكان لأن هذه الشحنات ستوزع عليهم كإعانات غذائية<sup>(24)</sup>.

ومما لاشك فيه أن هذه العمليات الاستيرادية والإغاثة الدولية قد خففت بدرجة ملموسة من حدة الجوع بشكل مؤقت لكنها أخفقت في معالجة أزمة المجاعة والسيطرة على الجائحة الاقتصادية خاصة في المناطق الداخلية المتضررة بصورة رئيسية أكثر من غيرها.

وتتفق الأدبيات التاريخية على القصور البريطاني في معالجة أزمة القحط في طرابلس" لما حدث القحط سنة 1947 عجزت الإدارة العسكرية عن مواجهة ذلك لأنها لم تحتفظ بالفائض من حاصلات السنوات السابقة بل عملت على تصديره للحصول على موارد نقدية، ولم تعمل أي شيء للمحافظة على الماشية، ونتيجة لهذا القحط تأثرت جميع مرافق الحياة الاقتصادية في الولاية بشكل أسوأ بكثير من تأثرها من جراء الحرب"<sup>(25)</sup>.

وقد كتب عبد الحميد البكوش<sup>(26)</sup> يصف طرفا من مشاهداته الشخصية عن مأساة الجفاف قائلا" وقد شاهدت الناس يموتون جوعا عامي 1948. 1949 إثر سنوات متتالية من الجفاف وكنا نعيش على معونة القمح الخارجية ولا أنسى خروج سكان مدينة طرابلس في احتفال لتحية الباخرة المصرية التي أحضرت شحنة من الرز هدية"<sup>(27)</sup>.

### القحط والنزوح الريفي

هذه البيئة الطرابلسية المعدمة آنذاك شكات منطقة طرد سكاني للأهالي لأن أزمة الجفاف أفرزت واقعا مريرا صعب على سكان المناطق الطرابلسية معاشته وتحمله فشرعوا في النزوح نحو مناطق تمكنهم من تأمين غذائهم، وتجعلهم قادرين على العيش وتبعد عنهم خطر الموت والمجاعة.

انطلق هذا النزوح الريفي من الداخل وكان وجهته طرابلس المدينة التي لم تلب هي الأخرى حاجات النازحين اليومية المعاشية فهي تتميز بضعف سوق العمل فتسببوا في زيادة

البطالة، وانخفاض الأجور التي كانت متدنية من قبل فمعدل الدخل الفردي آنذاك لم يتجاوز 35 دولار سنويا، وشكل هؤلاء ما يعرف بحزام الفقر حول المدن، وقد تعددت تلك المخيمات أو (الكامبوات) عند باب قرقارش وباب عكار في بداية طريق السواني والعريزية وباب بن غشير في بداية طريق الهضبة وباب تاجوراء عند بداية طريق سوق الجمعة.

ويعد مخيم باب عكار أشهرهم ويضم 500 كوخ شعبي، وكان يقطن أكواخ الصفيح ما يقرب من 8000 إلى 10 آلاف نسمة، وأحياء الفقر هذه كانت مكتظة وضيقة تفتقر إلى أبسط المقومات كالإنارة والتهوية؛ الأمر الذي أدى إلى تدني الحالة الصحية للقاطنين بها، مما أدى إلى حدوث أمراض وبائية كالرمد والسعال، فضلا عن انتشار مرض الجدري<sup>(28)</sup>.

لقد كانت الهجرة استجابة للمؤثرات البيئية وفي الوقت الذي اضطر فيه ريفي طرابلس إلى النزوح نحو المدن، ومحاولة الحصول على فرص في سوق العمل تمكن الآخرون من تحمل الجفاف باستخدام استراتيجيات التأقلم الطبيعية دون الحاجة للنزوح شريطة توفر فرص العمل وسهولة رحلات الانتقال والتوزيع العادل للمساعدات الإنسانية.

إن الغالبية العظمى من سكان المناطق الريفية الطرابلسية فضلت الاتجاه شرقا لتأمين غذائهم والبحث عن حياة معيشية أفضل من مناطقهم المجذبة. حيث شكل إقليم برقة بيئة ملائمة للنزوح والإقامة بسبب انتعاش أوضاعه الاقتصادية في تلك السنين مقارنة بطرابلس رغم سوء الوضع المعيشي العام بعد الحرب العالمية الثانية، لكن التدابير التي اتخذتها الإدارة البريطانية من خلال تأجير مزارع الاستيطان الإيطالي التابعة لمؤسسة إننتي (ENTE) في سهل المرج والمناطق المحيطة به للمزارعين الليبيين ساهمت في ارتفاع المعدلات الإنتاجية من الحبوب فاقت طرابلس حتى أنها صدرت إليه في عام 1948 ما قيمته 500 طن من القمح وحوالي 1000 طن من الشعير، أما ما تم تصديره للخارج فكان يزيد عن 12 ألف طن من الشعير.

أما الثروة الحيوانية كونها السلعة التصديرية الهامة للإقليم فقد تمكنت من الحفاظ على أسواقها التقليدية المتمثلة في مصر فصدرت إليه سنة 1947 قرابة 100 ألف رأس، فضلا على أنها وسعت أفاق تعاملاتها مع مالطا واليونان التي أصبحت المستورد الرئيس للأغنام البرقاوية فاستقبلت أسواقها سنة 1948 حوالي 120 ألف رأس بقيمة تقدر بحوالي 500 ألف جنيه.

على أن الحركة التجارية داخل المدن وخاصة بنغازي شهدت هي الأخرى نشاطا ملحوظا بسبب ازدياد عمليات الاستيراد التي نشطت الحركة داخل المواني من خلال عمليات التفريغ والشحن للبواخر التجارية، وبالتالي أتاحت فرص جديدة في سوق العمل خاصة سنة 1948. ولم يقتصر الأمر على الاستيراد والتصدير بل تعداه إلى تنشيط حركة التجارة الداخلية، ذلك أن الجيش البريطاني المتواجد ببرقة كان يحصل على مستلزماته التموينية من خضروات وفواكه ولحوم من السوق المحلية عن طريق المتعهدين المحليين مما ضاعف من نشاطهم التجاري وازدياد أعداد العاملين به<sup>(29)</sup>.

وتأسيسا على ما سبق فالشرق هو الخيار الوحيد أمام النازحين خاصة وأن تونس تعاني نفس الإشكالية المناخية الليبية وبالتالي فاللجوء إلى الفضاء الجغرافي المجاور أمر غير ممكن رغم أن البعض القليل شد الرحال إلى هناك للعمل بأجر ثابت في المزارع الفرنسية في الجنوب التونسي.

فما هي ظروف هجرتهم وهل يمكن تقدير أعدادهم، والأماكن التي قصدوها؟ وما هي ردود أفعال سكان برقة نحو هذه الهجرة التي أثرت على معيشتهم الاقتصادية ونسيجهم الاجتماعي؟

تورد المصنفات الأدبية صورا مؤلمة عن ظروف هجرة هؤلاء المأسوية حيث تدفق الآلاف إلى برقة بعضهم عبر الطرق البرية سيرا على الأقدام والبعض الآخر استقل الشاحنات الكبيرة التي كانت ممتلئة بالناس مكممين فوق بعضهم بعض يفترشون الأوراق والملابس البالية نحو المجهول، ففرص العمل التي كانوا يحملون بها الاشتغال في الحقول الزراعية أو تولي الحراسة في المباني الحكومية وشركات المقاولات أو كناسين في معسكرات الجيش البريطاني أو تفريغ البضائع في المواني أو الالتحاق بسلك البوليس في القوة المتحركة<sup>(30)</sup>.

كانت الأصول المنطقية لهؤلاء النازحين جد متنوعة، وكانوا يتكونون في معظمهم من فلاحين منكوبين ورعاة، من طرابلس وغريان وزليتن ومصراته ومسلاته وقماطة وورقلة والعجيلات والجبل الغربي فسيفساء منطقية اتجهت إلى برقة هربا من الجوع والموت بمختلف الفئات العمرية .

ولم تقتصر الهجرة على الرجال فقط بل كانت هجرات جماعية لعائلات من الغرب فحتى الأرمال التي لم تجد ما تقتات به اضطرت للنزوح مع أطفالها سيراً على الأقدام لأنه ليس بالإمكان تدبير تكلفة النقل في السيارات في ظروف انتقال غاية في الصعوبة بسبب طول المسافة، والأغلام المنتشرة في المنطقة الوسطى والتي تعد نتاج من نتائج الحرب العالمية الثانية.

وعلى الرغم من عدم القدرة على تقديم أرقام كمية لأعداد النازحين فأنا نحاول استنتاج بعض الإشارات من خلال الصحف المحلية الصادرة آنذاك، حيث أشارت جريدة برقة في عددها 868 الصادر في مارس 1947 بأن عدد الذين دخلوا في الأيام الأخيرة بواسطة السيارات حوالي 1145 شخص وهذا عدد الذين دخلوا بالسيارات فقط في إشارة واحدة أن وسائل الانتقال تعددت وتتنوع بل إن الأعداد ازدادت حجماً رغم عدم القدرة على تحديدها بوجه دقيق<sup>(31)</sup>.

وثمة ملاحظة يجب التنويه إليها وهي أن الاستقرار لم يكن نهائياً في منطقة واحدة وبعبارة أخرى كان المهاجر ينتقل من محطة إلى أخرى حسب ظروف العمل والفرص التي يجدها أمامه فمبني إجدابيا بنغازي درنه طريق سلوق وغيرها من المناطق.

وتعد بنغازي أكبر مركز استقطاب للقادمين من الغرب، حيث استقبلت عدد كبير منهم، فامتألت شوارعها بالمتسولين الجائعين النساء والأطفال الذين كانوا يجوبون الشوارع بحثاً عن سد الرمق، وأقام بعضهم في رأس عبيدة في أكواخ من الصفيح مترصاة جنب بعضها بعض شوارع عشوائية ضمت هؤلاء الطرابلسيين الجياع.

وإلى بنغازي جاء كثير من الشباب الذين استقروا في دكاكين وسط بنغازي وعملوا مع أصحابه ويصف لنا أحد النازحين رحلة هجرته بقوله "جيت من جادو في الجبل الغربي معاي ثمانية كانت مجاعة ما فيش مطر جينا في سيارات تيريو مئات الجميع جالسين القرفصاء... مشينا لعند سلطنة وحصدنا الزرع اشتغلنا ثلاثة شهور ومشينا لطبرق وفي طبرق مسكونا ونقلونا في سيارات شاحنة المفروض لطرابلس والبعض شالوه فعلا في بنغازي الحرس يقولك عطيني خمسين قرش ونطلقك .. كانت ظروف صعبة ميزيريا وفيه من قال الشعر

بقيت كونترا في السوق يا غرباوي دير باز وإلا فيرميت شرقاوي<sup>(32)</sup>

أما ردود الأفعال المحلية إزاء هجرة هؤلاء الطرابلسيين فقد تباينت المصادر التاريخية في تحديدها فبعضهم أشار إلى حملات التضامن والتعاطف من خلال جمع التبرعات، وتقديم كافة الاحتياجات من المواد الغذائية والملابس بل أن رجال الأمن ورغم نقص قوتهم العددية كثفوا جهودهم للإشراف على مراكز إقامتهم ورعاية أمنهم والحفاظ على سلامتهم<sup>(33)</sup>.

وبينت مصادر أخرى استهجان الدوائر الرسمية وردود فعلهم السلبية تجاه هؤلاء النازحين حيث نشرت صحيفة الوطن في 11-3-1947 إن أزمة النازحين كانت من بنود أعمال المجلس البلدي بنغازي الذي اجتمع المرة تلو الأخرى لمعالجة تداعيات هذه الهجرة على مدينة بنغازي ومنها:

. نقص الشعير وغلا ثمنه في البلاد.

. ازدياد العاطلين عن العمل مما رفع نسبة البطالة إلى أقصى معدلاتها.

. لفت نظر الإدارة إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة إزاء المهاجرين النازحين إلى برقة<sup>(34)</sup>.

وتطبيقا لمقررات المجلس البلدي بدأت حملات الترحيل والإعادة بواسطة قوة دفاع برقة فتم تجميع هؤلاء في مدينة إجدابيا التي شكلت مركز الاحتجاز والتسفير إلى طرابلس في ظروف تعسفية من قبل رجال الأمن، وكانت السلطات تختبر المقبوض عليهم بأن تطلب منهم قول كلمة شبكة وحلقة ومغرف، فإن قالها بطريقة "عرب بنغازي" أحلى سبيله، وإن قالها بلهجة أهل الغرب حمل في سيارات النقل إلى خارج حدود المدينة.

وقد كان هذا الإجراء الذي يبدو قاسيا اليوم يحظى بتأييد كثير من سكان المدينة لأن الوضع صار حرجا جدا، والحالة التي وصلت إليها المدينة كانت بحاجة إلى تصرف حازم للحد من مخاطره "فالجوع كافر".

على أن هذا الاختبار الذي أشرنا إليه كان جزء من التدريبات اللغوية التي يقوم بها سكان الغرب الطرابلسي للتدريب على اللهجة الشرقاوية والتي تقتضي إضافة ألفا مهموزة قبل الكلمة بهدف الاندماج والتعايش مع المجتمع المهاجر إليه<sup>(35)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على الاختبار اللغوي بل أن البعض من رجال الأمن كان يتقاضى مبلغ مالي لترك هؤلاء النازحين وشأنهم، فمكثهم ذلك من الإقامة والعمل هناك. وفي الوقت نفسه حملت الذاكرة المجتمعية أمثال تعكس مدى نظرة هؤلاء للوافدين "اللي يجي من الغرب ما يفرح القلب".

ورود الأفعال لم تكن على وتيرة واحدة فقد تم اجتماع لأعيان المدينة ذوي الأصول الطرابلسية<sup>(36)</sup> في مبنى البلدية للتداول في هذا الشأن الخطير وفي قرار حكومة الولاية، فانبرى عميد أسرة بن كاشطو (من قبيلة يدر المصراتية) واقترح أنه على سكان مدينة بنغازي الذين تعود أصولهم إلى الغرب ويشكلون أغلبية سكان المدينة أن يتركوا أبواب منازلهم الخارجية مفتوحة أثناء الليل وإضاءة فنار أو فتيلة في السقيفة المؤدية إلى المربوعة البرانية ليستعملها أولئك المعوزين للنوم فيها حتى الصباح بدلا من النوم في الشوارع والتعرض لذلك الاختبار المهيّن.

وقد استهوى ذلك الاقتراح أعيان المدينة المجتمعين ففتحت مدينة بنغازي أبوابها لحياء الغرب اللاجئين إليها هربا من الجوع والقحط، حيث وجدوا في سقيفة كل بيت من بيوت الخيبرين فتيلة ضاوية وزير ماء و"طبق تمر" وأرغفة خبز يأكلونها ثم ينصرفوا بعدها إلى حال سبيلهم.

إن تفاعل فئات المجتمع في بنغازي مع مأساة النازحين لم تعد قاصرة على الأصول الطرابلسية بل امتدت لتشمل مجتمع المدينة برمته، فسرعان ما شارك في هذا العمل الخيري العظيم بقية أهالي المدينة مسوري الحال من عواقير وجراية وأترار وقريثلية وبقيّة سكان المدينة الخيبرين، ففتحت أبواب مرابيع بيوت مدينة بنغازي كلها في كل ليلة للاجئين المعوزين، مما يعكس طبيعة التكافل والتكافل فيما بينهم.

#### المجتمع والاقتصاد البرقاوي بعد النزوح:

النزوح الطرابلسي الذي انطلق مع المجاعة وأدى إلى حدوث اختلالات اقتصادية، وتغيير في البنية الديموغرافية القروية منها والحضرية وإن لم يكن لدينا معطيات إجمالية كافية لتقييم حجم هذه الظاهرة فأنا نستطيع القول إن محاولة تقديم أرقام دقيقة للكثافة السكانية أمر في غاية الصعوبة بسبب عدم وجود إحصائيات عديدة دقيقة، فالمنطقة لم تشهد إحصاء سكاني بعد سنة 1936 إلا بعد قيام الدولة الليبية التي أجرت أول إحصاء وطني سنة 1954. هذا الزمن التاريخي شكل فراغ في الإحصائيات السكانية وفي هذه الحالة ينبغي الاكتفاء بالتقارير الدولية رغم ما يشوبها من القصور فقد أشارت إلى زيادة عدد السكان المقدر في برقة خلال المدة 43. 1947 من 245 ألف إلى 304 آلاف وذلك راجع للهجرة من إقليم طرابلس لاسيما إبان موسم القحط 1947<sup>(37)</sup>.

على أن هذه الفترة من 1936. 1954 صنفت ضمن فترات النمو البطيء للسكان حيث بلغت الزيادة في ليبيا عامة بمعدل نمو قدره 1.9% مسجلة بذلك انخفاض عن سابقتها 31. 1936 التي كان فيها النمو بمعدل 2.3% وقد أرجعت الدراسات هذا التباطؤ إلى الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى تتابع سنوات الجفاف 1949.48.47<sup>(38)</sup>.

وفي برقة كانت الزيادة في الأسعار خلال سنوات القحط أكثر بكثير منها في طرابلس الغرب بنسبة 35% وهذا الأمر يمكن تفسيره بالزيادة المتواصلة في الإعانات المالية التي أدت إلى توفير عملة جديدة دون أن تصحبها زيادة مقابلة في استيراد السلع الاستهلاكية. ونستشف من الرسائل التي بعث بها نقولا زيادة لزوجته في لندن 1949 وصفا دقيق لأسعار الحاجيات في بنغازي ويورد أنها كانت مرتفعة مع ذكر عبارة تتصف بالغموض على أن الرجل الغربية رفعت الأسعار ولا ندري أن كانت إشارة لهجرة الطرابلسيين إلى هناك أو لا، المهم في الأمر ذكره لأسعار اللحوم والخضروات بالكيلو على الشكل التالي: اللحم 25 قرشا. البندورة 8 . 10 قروش، الخيار 5 . 7 قروش، الكوسى 4 . 6 قروش، البطاطا 3 . 5 قروش، والبيض كل 4 بثلاثة قروش لكن في الشتاء الواحدة بقرشين<sup>(39)</sup> وفي المقابل اغتنت فئة من المهريين من خلال عملية التهريب والمتاجرة بالسلع الزراعية بين برقة وطرابلس هذا ولم تكن هذه السرقات تتم عبر البحر فقط بل كانت تتم عبر الطرق البرية أيضا، مما أدى إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية كالقمح والشعير بسبب أعمال التهريب التي تتم بحرا وبراً، حيث تمكنت الشرطة من القبض على عدد من مهربي القمح عبر الطرق البرية بالمناطق الصحراوية بواسطة أدلاء يخبرون تلك المسالك الترابية والاعتراف عن مجموعات أخرى من اللصوص يقومون بسرقة كميات كبيرة من القمح والشعير من برقة، وتهريبه إلى طرابلس وبيعه بأسعار مرتفعة؛ نظراً لتردي الاوضاع المعيشية التي شهدتها المنطقة بسبب حالة الجفاف التي عم أرضي الإقليم وهو الأمر الذي جعل قوة الشرطة تتفطن لهذا الأمر وتباشر بإقامة حواجز مرورية ونقاط تفتيش عند منطقة اجدابيا والعقيلة للقبض على المهريين وتقديمهم إلى النيابة العانة للتحقيق معهم<sup>(40)</sup>.

الإشكال الرئيسي للنزوح فما أفرزته من ظواهر سلبية على المجتمع المتجهة إليه بارتفاع معدلات الجرائم فهل كان النزوح الطرابلسي هو المتسبب في تلك الانعكاسات السلبية؟  
تورد التقارير البريطانية إحصائيات للجريمة في برقة على النحو التالي:

## إحصائيات جنائية في ولاية برقة من سنة 1945. 1948

الجرائم	1945	1946	1947	1948م
قضايا القتل	20	9	20	19
محاول القتل	6	15	9	6
القتل غير عمد	11	17	16	21
قضايا التعدي	325	323	407	436
قضايا السرقة	10	15	14	13
السطو المنزلي	88	275	342	249
سرقة الحيوانات	26	35	48	46
سرقاات أخرى	596	514	531	512
تعدي أخلاقي	578	27	24	29
تعدي زراعي	10	575	856	710
تعدي بالسلاح	79	115	153	143
قضايا الانتهاكات	1050	977	480	728
جرانم أخرى A	39	14	25	32
جرانم أخرى B	952	956	,0781	1.069
مجموع القضايا	3790	3867	4.003	4.013

(1) المصدر: التقارير السنوية عن ولاية برقة للإدارة العسكرية البريطانية من سنة 1945-1948م

القراءة الأولية للجدول تفسر لنا إن الجرائم تباينت وتفاوتت حسب نوعيتها، حيث شهدت ارتفاعا ملحوظا خلال السنوات 47. 1948 بسبب الأزمة الديموغرافية، لكن هناك ملاحظات يجب التنويه إليها وهي: إن الارتفاع الكمي لم يكن كبيرا بحجم الضائقة الاقتصادية فالزيادة لم تتعد بضع مئات هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى أن الفترة نفسها شهدت حدوث اضطرابات بسبب الحرب العربية الإسرائيلية؛ مما انعكس في ردود أفعال شعبية انتقامية ضد الأقلية اليهودية وهذه صنفت ضمن هذه الإحصائيات الجنائية هذه الدلائل على أهميتها التاريخية لا تنفي وجود حوادث فردية من قبل النازحين الذين سلكوا طرقا غير مشروعة للحصول على المال لكن السواد الأعظم امتنهن العمل الزراعي والحرفي لتدبير موارد إنفاق لهم ولعائلاتهم.

ومن تداعيات الهجرة ازدياد أعداد المتسولين " المتسولون يصادفون المرء أينما ذهب كلما صادفوه ضيقوا عليه الخناق فمن رجال أشداء إلى نسوة صحبحات الأبدان سليمات



اللسان ومن أطفال يحاصرونه إلى شبان يستجدونه كل منهم يقسم بأنه جوعان. وبلغت المقال ضرورة التدخل من قبل الحكومة لمعالجة هذه الظاهرة خاصة وإن لجنة الاستفتاء والتحقيق على وشك القدوم وهذه الظواهر تجعلهم يحكمون علينا بأننا مجموعة من المتشردين يطلبون استحقاقات سياسية فوق طاقتهم<sup>(41)</sup>.

وفي الوقت نفسه أفرزت الأزمة تصورات ذهنية ومفاهيم لفظية ترسخت في الثقافة الشعبية والمخيلة الجمعية لمتساكني ذلك الإقليم كمفهوم "رباية الذايح" الذي اقترن اسم المدينة بها بما يحويه من دلالات تعبيرية سواء استقاص أو استعلاء أو استعطاف أو استجداء لمعاملة أفضل لأولئك النازحين الجدد وهي وجه من أوجه العلاقة بين الفئات المهمشة في المجتمع .

وتأسيسا على ما سبق يمكننا القول إن مسألة قبول هؤلاء النازحين في بداية الأمر كانت غاية في الصعوبة بسبب الظروف المعيشية الصعبة خاصة وأن هؤلاء نافسوه في فرص العمل اليومي بل أن ظواهر التسول والتشرد وأكواخ الصفيح أصبحت ظاهرة واضحة للعيان وخاصة في بنغازي فكان من الطبيعي أن يحدث تنافر بين الطرفين، لكن الزمن فعل فعله فاندمج العديد منهم في ذلك المجتمع فحصلوا على أعمال داخل محلات وأسواق بنغازي بل في أرياف الجبل ومزارعه، وحدث بينهم تزواج وتساهر وأصبحوا جزء من النسيج الاجتماعي للمنطقة. ويصف أحد الأدباء هذا الاندماج والتعايش " نزل المطر ونبت اليتامى والمتسكعون والشحاذون بنغازي مسحورة تعطي نفسه الكل من عجنته الصعاب"<sup>(42)</sup>.

ولهذا نجد المراكز الحضرية كبنغازي أو درنه، والقرى المحيطة بها على امتداد الإقليم من بنغازي إلى قمينس مأهولة بجماعات من الغرب الليبي، ولا زالت محتقظة بأسماء مواطنها الأصلية ورفلة مصراته التواجير وزليتن فواتير كراغلة وغيرهم كثير، ومنسجمة في مجتمعات الجديدة من خلال ترسيخ شبكة العلاقات الاجتماعية بالسيطرة الاقتصادية والمصاهرة الاجتماعية فصارت جزء من ذلك النسيج الاجتماعي البرقاوي.

وثمة افتراض شائع بأنه يسهل على المهجرين جراء الجفاف العودة إلى ديارهم بمجرد هطول الأمطار لكن الخوف والفقر كقيل بإثبات عكس ذلك، وبالرغم من التحسن الملحوظ في معدل هطول الأمطار في السنوات اللاحقة لكن رحلات العودة كانت محدودة رغم تزايد الضغوط عليهم.

بل أن كثير من الأسر النازحة في الخمسينيات والستينيات باعت بيوتها وعادت للغرب إلى مناطقهم الأصلية في الخمس وزليتين ومصراته وغيرها من المدن بعد غياب عقود أولادهم وبناتهم ولدوا هناك وتزوجوا واندمجوا مع المجتمع البرقاوي فكانت العودة صعبة عليهم خاصة أن هناك من ضاعت أرضه باستيلاء الأقارب عليها بدأت مناطقهم مختلفة فقد تعودوا وألفوا حياة المدن وتشكلت لهم طباع خاصة وبالتالي لم يتأقلموا في مناطقهم الأم مما اضطرهم للعودة من جديد إلى الشرق حيث الحياة التي اعتادوا عليها<sup>(43)</sup>.

#### خاتمة:

كان القحط والجفاف من الأزمات التي هددت حياة وغذاء سكان طرابلس ليفرض حالة من اللاستقرار وانعدام الأمن الغذائي وارتفاعاً للأسعار وتقهقر المستوى الصحي ، وجهود السلطة السياسية لاحتواء هذه الأزمة تعكس طبيعة الدور الذي تبنته، والفلسفة التي انتهجتها وتعتمد في ذلك على التموين البطاقي من جهة والإعانات الخارجية من الجهة الأخرى مما يدل على الضعف الاقتصادي للدولة.

إن الظرفية التاريخية بما أفرزته من يؤس اقتصادي للمجتمع فإن نسيجه الاجتماعي عرف تحولات وتغيرات عدة بين النفور والتمازج، حيث عمل النازحون على لملمة الشتات داخل أزقة المدن في أحياء خاصة وبدأ مجتمع جديد يتشكل ويتكون، ورغم مظاهر الاحتقان في الشارع البرقاوي من هجرة هؤلاء فإن عناصر الالتحام والترابط كانت أقوى من عوامل التنافر والتمزق بسبب وجود قاعدة بشرية يعود أصولها العرقية إلى المنطقة الطرابلسية فكان من الطبيعي أن يتجاوب ويتعاطف هؤلاء مع المهاجرين.

التنوع المجتمعي فرض سياقات النزاع والتعايش والانصهار في صيرورة تاريخية أفرزت في نهاية المرحلة الكيان الوطني وحددت ملامح هويته، وأسهمت في بناء دولته المستقبلية رغم التناقضات الداخلية والتحديات الخارجية.

#### الهوامش:

- (1) إبراهيم زرقانه، المملكة الليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1964، ص 22 ؛ على حميدة، الدولة والمجتمع والاستعمار في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1998، ص35.

(2) عبدالعزيز طرح شرف ، جغرافية ليبيا ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1971، ص 116؛ يسري عبدالرزاق الجوهري، شمال إفريقيا دراسة في الجغرافية الإقليمية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ص 158؛ إبراهيم زرقانه، المرجع السابق، ص 45.

(3) أوكسيلند ، تقرير عن الاقتصاد الليبي، 1951.

(4) تقرير عن التغذية في ليبيا، منظمة الأمم المتحدة.

(5) جريدة طرابلس الرسمية عدد 11 1945. ص 53

(6) جريدة طرابلس الرسمية ، عدد 5، أول مايو 1943؛ عدد 6، 15 مايو 1943، ص 107؛ عدد 8 ، 15 يونيو 1943، ص 33.

(7) ينال هضبة برقة قدرا من المطر والرطوبة أكبر مما ينال ولاية طرابلس، فمناخ برقة يتأثر بنظام الضغط في بحر ايجيه وفي شرق البحر المتوسط بصفة خاصة فتهد عليه الرياح الممطرة فالقسم الأوسط منه يناله قدر سنوي يتراوح بين 500، 600 ملم. للمزيد أنظر إبراهيم زرقانه، المرجع السابق، ص 32.

(8) راسم رشدي، تاريخ طرابلس الغرب، المطبعة الحكومية، طرابلس، 1953، 243.

(9) الليرة العسكرية عملة بريطانية خاصة بطرابلس الغرب وتعرف بالمال وظلت عملت التداول النقدي حتى 30 مارس 1952 عندما حل مكانها الجنيه الليبي بسعر 480 مال للجنيه الواحد.

(10) جريدة طرابلس الغرب 26 فبراير 1949.

(11) محمد المفتي، جمعية عمر المختار 1941. 1951 ، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، ص 75

(12) طرابلس الغرب العدد 1169 3 أبريل 1947.

(13) الفكريس عبارة عن اللب المتبقي بعد إزالة الجمار من رأس النخلة ، وجذوع النخل تجفف وتطحن ويعمل من دقيقتها ما يعرف بالبازين، والمزيريا هي أشد حالات الفقر.

(14) تقرير إلى الحكومة الليبية عن الزراعة، روما ، نوفمبر 1958، منظمة الأغذية والزراعة ؛ راسم رشدي، المرجع السابق، ص 201.

- (15) بنجامين هيجنز، تقرير التنمية الاقتصادية والاجتماعية، منظمة الأمم المتحدة 1952، ص 137.
- (16) راسم رشدي، المرجع السابق، ص243.
- (17) أسْمهان معاطي، البطالة والاقتصاد النامي في ليبيا 1943. 1969، مجلة الجامعة، العدد الثاني عشر، 2010، ص 29.
- (18) بنجامين هيجنز، المصدر السابق، ص132.
- (19) كلوديو سيجري، الشاطئ الرابع، ترجمة عبدالقادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1987، ص241.
- (20) جيري لين فادلر، الاستيطان الزراعي الإيطالي في ليبيا منطقة طرابلس، ترجمة عبدالقادر المحيشي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988، ص 293
- (21) ع 1223، 8 يونيو 1947؛ ع 1198، 9 مايو 1947.
- (22) منصور على الشريف، الخوف والجوع والمقابر في مدينة طرابلس، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، طرابلس، 2008، ص 98.
- (23) أحمد محمد القلال، سنوات الحرب والإدارة البريطانية في برقة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003، ص 255 ص 287.
- (24) جريدة طرابلس الغرب ع 1180 18 ابريل 1947؛ ع 1223 8 يونيو 48.
- (25) حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، منشورات الإدارة العامة للثقافة، القاهرة 1961، ص250. ابروشين، ص240. نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي حتى الاستقلال، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1958، ص133.
- (26) ولد عبدالحميد البكوش في طرابلس سنة 1932 ودرس مراحل التعليم الأولى في طرابلس، ثم درس المرحلة الجامعية بمصر حيث تحصل على ليسانس القانون من القاهرة، تولى رئاسة الوزراء في الفترة من 25 أكتوبر 1967 الى 4 سبتمبر 1968.
- (27) محمد يوسف المقرئف . ليبيا بين الماضي والحاضر، الجزء الأول، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص309

- (28) طرابلس الغرب ع 525، 4 يوليو 1948؛ منصور على الشريف، المرجع السابق،
- (29) مذكرة مقدمة من أعضاء النادي التجاري في بنغازي إلى لجنة البحث الدولية، 1948، ضمن كتاب سالم الكبتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، الجزء الأول، دار الساقية للنشر، بنغازي، الطبعة الثانية، 2013؛ القلال، المرجع السابق، ص 255. 276.
- (30) محمد الأصفر، نواح الريق ص 11. 14
- (31) جريدة برقة الجديدة، ع 868، مارس 1947.
- (32) محمد المفتي، زمن المملكة، ص 182.
- (33) القلال، المرجع السابق، ص 205.
- (34) محمد المفتي، جمعية عمر المختار، ص 71.
- (35) محمد الأصفر، المرجع السابق، ص 11.
- (36) تيارات الهجرة الوافدة من الغرب إلى الشرق لم تتوقف على مر التاريخ فقد أسهم المهاجرون من مصراته وزليتن في إعادة تأسيس بنغازي ودرنه وجعلها مراكز تجارية هامة في حوض البحر المتوسط، وفي زمن الطليان انتقلت جماعات من الغرب الليبي إلى برقة في شكل جنود أو موظفين أو مجاهدين.
- (37) تقرير عام للاقتصاد الليبي، المصدر السابق.
- (38) محمد المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 1998، ص 117.
- (39) نقولا زيادة، رسائل من برقة، بيروت، الفرات للنشر والتوزيع، 2008، ص 40.
- (40) التقرير السنوي للإدارة العسكرية برقة، 1948، ص 30
- (41) جريدة الوطن في 10-2-1948
- (42) محمد المفتي، زمن المملكة، ص 183.
- (43) محمد الأصفر، المرجع السابق، ص 87

## تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

أ. مباركة اقويدر عمّار خليفة

جامعة صبراتة كلية التربية/ زلطن

### مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين المبعوث رحمة للعالمين ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(1)</sup>، وبعد..

كان من نتائج نجاح تقنيات العلم الحديث في مجال الإنجاب علاج حالات كثيرة من العقم بواسطة ما يُعرّف بالتلقيح الاصطناعي (أطفال الأنابيب) وقد نتجت عن تلك العمليات وتطوّرها آثار واسعة تراوحت بين ما هو سلبي وما هو إيجابي على الصعيد الإنساني والأخلاقي ومن ضمن الفتوحات العلمية التي تمّ تحقيقها في إطار تطبيقات هذه التقنية ما توصل إليه العلماء من إمكانية التحكم بنوع الجنين واختياره (ذكرًا كان أو أنثى).

ولقد كان من الطبيعي أن يتصدى علماء المسلمين لبحث هذه النازلة الفقهية وتكييفها بما يتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية إباحة وحظرًا وإيماناً من الباحثة بضرورة أن يواكب الباحث ما يستجدّ من القضايا والنوازل والتعريف بها، وبيان آراء الفقهاء فيها؛ فقد تمّ اختيار هذا الموضوع لتناوله ضمن هذه العمل البحثي تحت عنوان: تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه.

إشكاليات البحث:

1- مدى إمكانية التدخّل الإنساني في تحديد جنس الجنين.

2- مدى إحاطة الشريعة الإسلامية بالمسألة ومعالجتها.

ويهدف البحث إلى:

1- التعريف بالمسألة وتوصيفها علميًا.

2- الكشف عن أوجه الإعجاز للشريعة الإسلامية، وموافقة الآراء العلمية لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهّرة في قضية تخلّق الجنين ومسؤوليّة كلّ من الرجل والمرأة فيها.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

3- بيان التكيف الشرعي للمسألة عقائدياً وفقهياً وقد تمّ تناول الموضوع ضمن مقدّمة وتوطئة ومبحثين رئيسيين هما:

المبحث الأول: ويتضمّن:

- 1- كفيّة تخلّق الجنين وتكوّن جنسه علمياً، والنصوص الشرعيّة المتعلّقة بذلك.
- 2- مبررات وعوامل تحديد جنس الجنين.
- 3- وسائل وطرق تعيين جنس الجنين.

المبحث الثاني: موقف الشريعة الإسلامية من المسألة، ويتضمّن:

1- الإطار العقائديّ

2- الإطار الفقهيّ

وتمّ إنهاء البحث بخاتمة تتضمّن جملة ما توصّلت إليه الباحثة من نتائج، وتوصياتها بالخصوص، إضافة إلى بيان المصادر والمراجع، وقد تمّ اتباع المنهج الوصفيّ الاستقرائيّ في بيان المسألة والتعريف بها.

والمنهج التحليليّ في بيان الآراء التفصيليّة في جزئيات المسألة، وأخيراً.. المنهج المقارن في الترجيح بين الآراء الفقهيّة.

وأخيراً.. تجدر الإشارة إلى أنّه قد سبق هذا البحث الكثير من الأعمال البحثيّة التي حاول فيها الفقهاء والمتخصّصون الوقوف على حقيقة الموضوع، وبيان الرأي العلميّ والشرعيّ فيه، وقد تسنّى الوقوف على جملة قيّمة من تلك الكتابات تمّ إثباتها في قائمة المصادر ولا داعي لذكرها هنا منعاً للإطالة ولكون الكثير منها يأتي على مستوى واحد من الأهميّة في خدمة موضوع البحث.

توطئة:

تُعرّف عمليّة تحديد جنس الجنين بأنّها: "تدخّل الإنسان بالعمل على إحداث حمل من صنف يريده"<sup>(2)</sup>، وقد أثارت هذه المسألة (عبر وسيلة التلقيح المُختبِرِيّ) جدلاً واسعاً على مستوى العالم، ففرض البعض "قيود صارمة على المراكز الطبيّة والمستشفيات المتخصّصة في إجراء هذا النوع من العمليّات، فعلى سبيل المثال في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكيّة

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

لا تقبل طلبات تحديد الجنس إلاّ من أسر لديها أطفال من الجنس الآخر، أو في حالة الأمراض الوراثية<sup>(3)</sup>، كما تشدّد البعض فيها؛ حيث "قررت دائرة التخصيب والجنين البشريّ أنّه ليس من حقّ الآباء والأمّهات في بريطانيا تحديد جنس مولودهم"<sup>(4)</sup> وقد ثار الخلاف بين علماء المسلمين حول إمكانية التحكّم في نوع الجنين بالتدخل الإنسانيّ نظراً للمساوئ والسلبيّات التي قد تظهر كأثر لتحكّم الإنسان في نسله، وضبطه لجنس أبنائه قبل مجيئهم إلى الدنيا، فالنظر في موقف الشريعة في مثل هذه المسألة ربّما لا يكون سهلاً ميسوراً، بل ينبغي أن يكون شمولياً عميقاً، لا سطحياً ظاهراً بخاصّة أننا لم نجد للفقهاء والمجتهدين من أهل المذاهب فيها قولاً، لعدم وقوعها في عصورهم؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ تقرير الحكم في اختيار الوالدين جنس مولودهما القادم قبل أن يكون جنيناً يتنازعه أكثر من أصل، ولا بدّ فيه من الموازنة بين المصالح والمفاسد التي تترتّب عليه، كما إنّ تحديد حكم شرعيّ في مثل هذه المسألة لا بدّ له من أدلّة تؤيّده، ولا بدّ فيه من الترخيص على القواعد الفقهيّة الأصيلية، والأحكام ذات المساس بمقاصد الشريعة لما يترتّب عليها من حفظ للنوع الإنسانيّ وصيانتها من الهدر أو التعطيل<sup>(5)</sup>، ولهذا انقسم الفقهاء إلى مؤيدٍ للمسألة ومُعترضٍ عليها؛ بل إنّ منهم من أنكر المسألة جملةً وتفصيلاً، كما إنّ من العلماء من توقّف<sup>(6)</sup> فيها، ولكلٍ من هؤلاء المجتهدين أدلّة وأسانيد شرعيّة تعضد آراءهموسيتّم في الصفحات التالية تناول العناصر المتعلّقة بالمسألة بدءاً بالتوصيف العلميّ لها، وانتهاءً بتكليفها فقهيّاً وبيان آراء الفقهاء فيها والترجيح بينها.

المبحث الأوّل - كيفية تخلّق الجنين وعوامل ووسائل تحديده:

المطلب الأوّل - كيفية تخلّق الجنين، والنصوص الشرعيّة المتعلّقة به:

يُعرّف الجنين بأنّه: الولد مادام في البطن، وجمعه أجنّة<sup>(7)</sup>.

ويُعرّف طبيّاً بأنّه: "الولد في بطن أمّه عندما يظهر عليه الطابع الإنسانيّ بتكوّن الأجهزة المعروفة للإنسان، ويكون ذلك فيما بين الشهر الثالث من الحمل إلى الولادة، بينما يطلقه البعض الآخر على الولد في بطن أمّه عند اكتمال بنيته، وكان بإمكانه أن يعيش إذا نزل من بطن أمّه بين بداية الشهر السابع إلى وقت الولادة"<sup>(8)</sup>، وكان السائد قبل تقدّم العلم أنّ



تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

مسؤولية ولادة طفل ذكر أو أنثى تتحملها المرأة وحدها، ولا يوجد أي دور للرجل في تحديد جنس الطفل، ومع تطوّر العلوم وتقدّم وسائل البحث العلمي واكتشاف نوعين من الحيوانات المنوية: هما النوع الحامل للصبغي (Y)، والنوع الحامل للصبغي (X)، ومنذ ذلك الاكتشاف وعلماء الأحياء يعتبرون أنّ الذكر هو المسؤول عن تحديد جنس الطفل<sup>(9)</sup>. وقد تمكّن الباحثون في العصر الحديث من التوصل إلى حقيقة تخلّق الجنين في بطن أمه والكيفية التي يتكوّن بها جنسه باعتباره ذكراً أو أنثى؛ ومفادها " أنّ الحيوانات المنوية إمّا أنّ تكون حيوانات منوية مُذكّرة أو حيوانات منوية مؤنّثة، فالحيوان المنويّ الذي يحمل إشارة الذكورة (Y) يختلف عن الحيوان المنويّ الذي يحمل إشارة الأنوثة (X)... أمّا البويضة فتحمل دائماً إشارة الأنوثة (X)<sup>(10)</sup>، وبما أنّ الأمّ (البويضة) تعطي دائماً شارة الأنوثة فإنّ الحيوان المنويّ هو الذي يحدّد بإرادة الله (ﷻ) نوع الجنين ذكرٍ أو أنثى، إذ أنّه يحمل شارة الذكورة، أو يحمل شارة الأنوثة، فإذا لقح الحيوان المنويّ البويضة كان الجنين ذكراً بإذن الله، أمّا إذا لقح البويضة حيوان منويّ يحمل شارة الأنوثة فإنّ نتيجة الحمل هي أنثى بإذن الله (ﷻ)<sup>(11)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة مسؤولية الرجل عن تخلّق الجنين وجنسه من خلال نوع النطفة؛ حيث ورد ذكر حقيقة خلق الإنسان من النطفة في اثني عشر موضعاً<sup>(12)</sup> منها على سبيل المثال:

1- قوله (ﷻ): ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عِلقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾<sup>(13)</sup>.

2- وقوله: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾<sup>(14)</sup>.

وقد دلّت الآيتان السابقتان على أنّ قدرة الله (ﷻ) ومشيئته هي التي تختار نوع الجنين، وهو تعالى الذي هيأ مكونات ماء الرجل ليكون سبباً في ذلك؛ فإنّ شاء الله تعالى أنّ يكون الجنين ذكراً هيأ الأسباب والظروف التي تجعل الحيوان المنويّ الذي يحمل شارة الذكورة هو الذي يلقح البويضة، والعكس<sup>(15)</sup>.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

كما ورد في الأثر النبويّ بيانٌ بذلك فيما رُوِيَ عن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) أنّ حبراً<sup>(16)</sup> من أبحار اليهود سأل النبيّ (ﷺ) عن الولد فقال: "ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا؛ فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أننا بإذن الله" فقال اليهودي: صدقت، وإتكَ لنبيّ<sup>(17)</sup>، وعلى ذلك" فإنّ الأحاديث النبويّة الشريفة التي قالها النبيّ (ﷺ) منذ القرن السابع الميلاديّ تتصّ بشكل واضح وصريح على أنّ تحديد نوع الجنين مسؤوليّة مشتركة بين الرجل والمرأة<sup>(18)</sup>، ويرى البعض أنّ النبيّ (ﷺ) قد أوضح في الحديث العلوّ وعلاقته بالذكورة والأنوثة، فقد "أعطى أمارات ظاهرة للسائل عن الطريقة التي يمكن من خلالها إنجاب المولود الرغوب به من حيث كونه ذكراً أو أنثى، وما ذلك إلّا ضبط لجنس الجنين قبل حصول التلقيح بين الحيوان المنويّ والبويضة، وذلك لا يختلف عمّا يسعى إليه علم الوراثة اليوم اللهمّ إلّا في وسيلة الوصول إلى المطلوب، فإنّ الرجل إذا استطاع أنّ يجعل منيّه يغلب مني زوجته ليكون بينهما مولود ذكر، أو استطاعت الزوجة أنّ تجعل منيها يغلب مني زوجها ليكون بينهما مولود أنثى"<sup>(19)</sup>، وقد فسّر بعض العلماء المعاصرين العلوّ بالقول أنّه "عندما تكون البويضة سالبة الشحنة فإنّها تجذب إليها الحويّن المنويّ الحامل للصبغيّ (Y) الذي يحمل شحنة موجبة، ويُنْتِج طفلاً ذكراً، وبما أنّ الشحنة الموجبة هي الأعلى بحسب قواعد الطبيعة يكون مني الرجل هو الأعلى، وبذلك يكون علوّ مني الرجل سبباً في إنجاب طفل ذكر، والعكس<sup>(20)</sup>، ويرى آخرون: أنّ الدراسات العلميّة أكّدت ما أجمله النبيّ (ﷺ) في الحديث الشريف... وهي أنّ للوسط الذي توجد فيه الحيوانات المنويّة علاقة بتحديد جنس الجنين؛ وذلك أنّ ماء الرجل قلويّ، وماء المرأة حمضيّ؛ فإذا التقى الماءان فغلب ماء المرأة ماء الرجل وكان الوسط حامضياً عندئذٍ تضعف الحيوانات المنويّة التي تحمل الذكورة في تلقيح البويضة فيكون المولود أنثى، والعكس صحيح"<sup>(21)</sup>.

### المطلب الثاني- عوامل اختيار الجنين:

أولاً- عوامل اجتماعية، وذلك في حالات منها:

1- أنّ الزوجة التي لديها مشكلة في الإنجاب قد ترغب في تحديد جنس الجنين لأنّ فرص الإنجاب أمامها محدودة؛ فتفضّل جنساً على جنس، أو تسعى للتوازن والحصول على كلا الجنسين<sup>(22)</sup>.

2- من يطلب الولد الذكر في مجتمع يُقدّر الذكور" فقد يرغب الزوجان اللذان لم يرزقا إلاّ بالإناث مثلاً في الحصول على ذكر ويسعيان لذلك، وقد يكون تشهياً نتيجة لرغبات نفسية أو خضوعاً لضغوط اجتماعية<sup>(23)</sup>.

فقدماً وحديثاً كان الناس وما يزالون" يفضلون ويميلون إلى كون الولد من أحد الجنسين... إما بسبب الحاجة إلى أحد الجنسين، أو لأجل اعتقاد سائد في فضل أحدهما على الآخر وعيب الآخر ونقصه، أو لما قد يُخشى من الضرر بأحدهما، أو ما قد يُؤمل من النفع من أحدهما، كلّ ذلك وغيره من المسوّغات يُبرّر به ذلك التفضيل وتلك الرغبة؛ فمن الشائع في الكثير من المجتمعات أنّ الذكر مُفضّل على الأنثى<sup>(24)</sup>.

وقد صور القرآن الكريم تلك الحقيقة في قوله (ﷺ): ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(25)</sup>، كما تضمّن القرآن الكريم ظاهرة وأد البنات التي كانت شائعة في المجتمع الجاهلي بقوله (ﷺ): ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾<sup>(26)</sup> ثانياً- عوامل سياسية، فقد تكون هناك رغبة في الإكثار منجنس الذكور لدواعٍ أمنية أو اقتصادية مثلاً<sup>(27)</sup>، وكذلك رغبة الدول في إضافة قوة عسكرية لجيوشها التي تحتاج إلى عدد كبير من الذكور<sup>(28)</sup>.

### ثالثاً- عوامل مرضية (الأمراض الوراثية):

من المعلوم أنّ استمرار الجنس البشري يتمّ بانتقال الصفات عبر قوانين وراثية يتناقلها البشر عبر الأجيال، وهي سلاح ذو حدين.. فيها تنتقل الصفات الجيدة من جمال وذكاء وشجاعة وكرم وصحة وعافية، كما تنتقل به الصفات السيئة والضعف الجسمي والأمراض

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

الوراثية<sup>(29)</sup>، والأمراض الوراثية<sup>(30)</sup> كثيرة ومتنوعة" أوصلها بعض الأطباء إلى أربعة آلاف مرض، وهي ليست على سواء من جهة أثرها في الإنسان الذي انتقلت إليه: فمنها ما يؤدي إلى وفاة الجنين أو وفاة أمه، ومنها ما يؤدي إلى وجود طفل مُعاق لا يُنقَع به في شيء، وقد يموت بعد فترة قصيرة من ولادته، وقد تطول حياته<sup>(31)</sup>، ومعلوم أنه "كلما كان اكتشاف المرض مبكراً جداً، كانت المسألة أسهل من الناحية الشرعية والقانونية"<sup>(32)</sup>، ومن الأمراض الوراثية ما يصيب جنساً دون جنس وغالباً ما تحدث الإصابة في معظم الأمراض المرتبطة بالجنس عند الذكور، فيسعى الوالدان إلى اختيار الجنس الذي هو مظنة للسلامة من هذا المرض (وهو الأنثى في معظم الحالات)<sup>(33)</sup>، ويمكن ذكر جملة من الأمراض الوراثية ذات الأثر السيء على الجنين ومستقبله:

- 1- مرض الناعورة (haemophilia) وهو مرض يجعل صاحبه ينزف حتى الموت، ويرجع سبب النزف لمدة طويلة في مرضى الناعورة إلى افتقار الدم لعوامل التجلط<sup>(34)</sup>.
- 2- مرض الثلاسيميا؛ وهو مرض وراثي يؤثر في صنع الدم، فتكون مادة الهيموجلوبين في كريات الدم الحمراء غير قادرة على القيام بوظيفتها؛ مما يسبب فقر دم وراثياً ومزماً يصيب الأطفال في مراحل عمرهم المبكر<sup>(35)</sup>.
- 3- حالة الطفل المنغولي، التي تحدث نتيجة زيادة صبغية واحدة في الخلية فتكون 47 بدلاً من 46<sup>(36)</sup>.
- 4- مرض (جنتل دوشين)، وهو عبارة عن اضطراب جيني يقوم بإضعاف عضلات الجسم تدريجياً، وتظهر أعراضه على الذكور دون الإناث<sup>(37)</sup>.
- 5- مرض عمى الألوان؛ وهو عدم القدرة على التمييز بين اللونين الأحمر والأخضر، وقد بينت الدراسات الوراثية أنّ هذا المرض عبارة عن صفة متحّية مرتبطة بالجنس تظهر في الذكور أكثر من الإناث<sup>(38)</sup>.
- 6- مرض ليش نيهان (فرط حمض البول الوراثي) وسببه زيادة كبيرة في حمض البوليك، تؤدي إلى ترسيب هذا الحمض في البول والدم مسبباً فشلاً كلوياً، ويؤثر على الجهاز

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

العصبي؛ فينتج عنه حركات لا إرادية تنتهي بالإصابة بالشلل، وإصابة الطفل بنوبات هستيرية، ومعاناته من التخلف العقلي<sup>(39)</sup>.

المطلب الثالث - وسائل وطرق تعيين الجنين:

ظلّ تحديد جنس الجنين الشغل الشاغل للإنسان عبر العصور، وفي مختلف الحضارات الإنسانية؛ حيث قامت عدّة محاولات لتفسير كيفية تكوّن جنس الجنين على يد بعض اليونانيين لقرون قبل الميلاد كأبوقراط وأرسطو وجالينوس وانكساغوراس، وكذلك محاولات الصينيين قبل نحو 700 عام<sup>(40)</sup>، ثمّ توالى المحاولات بعد ذلك حتّى تمكّن العلماء حديثاً من التّدخل مباشرة في تحديد جنس الجنين، وينسب نجاح عالية ضمن جملة من الطرق يمكن تصنيفها إلى طرق طبيعية وأخرى مخبرية؛ وبيانها كالتالي:

أولاً - الطرق الطبيعية:

وهي الوسائل المساعدة على الحمل بجنس معيّن مع سلوك الطريق الفطريّ للتلقيح، وهو الجماع الطبيعيّ ودون تدخّل طبيّ في عملية التلقيح<sup>(41)</sup>، ولها أنواع متعدّدة من حيث مُستنداتها الشرعية والعلمية، وهي:

أولاً - ما استند إلى أصول شرعية؛ كالدعاء بطلب جنس معيّن، وهو أجدى الطرق الطبيعية متى حقّق العبد أسباب إجابة الدعاء وانطرح وتضرّع بين يدي الله (ﷻ) موقناً بالإجابة<sup>(42)</sup>.

ومثال ذلك دعاء سيدنا إبراهيم (ﷺ) في قوله (ﷻ): «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ»<sup>(43)</sup>، وقوله (ﷻ) بشأن سيدنا زكرياء (ﷺ): «... قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا. يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا.»<sup>(44)</sup>.

ثانياً - ما استند إلى أصول علمية، ويشمل:

أ - اتباع نظام غذائيّ؛ ويؤثّر ذلك من ناحيتين: يغيّر الوسط الحمضيّ والقاعديّ في عنق الرحم والمهبل؛ فالبوتاسيوم والصوديوم يحوّل الوسط إلى قاعديّ؛ وبالتالي يتيح الفرصة لإنجاب الذكور، أمّا المغنيسيوم والكالسيوم فيجعلان الوسط حامضيّ؛ وبالتالي تُتاح

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

الفرصة لإنجاب الإناث، والثانية: التغيّر في جدار البويضة للزيادة من مدى استقبالية البويضة للحيوان الذكريّ أو الأنثويّ، فقد أثبتت الأبحاث بأنّ تغذية المرأة لها تأثير على المستقبلات التي ترتبط بها الحيوانات المنويّة في جدار البويضة، والتي عن طريقها تخترق الجدار ويحدث التلقيح<sup>(45)</sup>.

ب- توقيت الجماع، بالنظر لوقت الإباضة؛ حيث وجدت الأبحاث أنّ الحيوان المنويّ الذكريّ يعيش لفترة قصيرة، في حين أنّ الحيوان المنويّ الأنثويّ يعيش لفترة زمنيّة أطول فإذا حدث الجماع مباشرة بعد حدوث الإباضة فإنّ الكفّة ترجح للذكورة، والعكس صحيح<sup>(46)</sup>.

ت- الغسول المهبلّي" وهذه الطريقة تتلخّص في أنّه بات معروفاً أنّ الوسط الحامضيّ أكثر ملاءمة للحيوان المنويّ الأنثويّ، والوسط القاعديّ يناسب الحيوان المنويّ الذكريّ، لذلك يستعمل بعض النساء دشّ مهبلّيّ حامضيّ أو قاعديّ لتهيئة الرحم بالوسط الكيميائيّ المناسب للجنس المرغوب فيه<sup>(47)</sup>.

ثالثاً- ما ليس له مُسْتَنَدٌ شرعيّ ولا علميّ، ويشمل:

أ- الجدول الصيني، حاول علماء الفلك الصينيون القدامى إيجاد علاقات فلكيّة بين عمر الجنين وعمر الأمّ وربطها بعوامل خمس هي الماء، الأرض، الخشب، النار، المعدن، وفق جدول يمثّل فيه عمر الأمّ عاملاً معيّناً، كما يمثّل عمر جنينها عاملاً آخر، وكلّ عامل من هذه العوامل يمثّل إمّا بنتاً وإمّا ولداً... وهي عبارة عن فرضيات فلكيّة ولا ترتكز على أساس علميّ يُعتمد عليه<sup>(48)</sup>.

ب- الطريقة الحسابيّة، وتعتمد هذه الطريقة على جمع أحرف اسم المرأة، مع عدد أحرف اسم والدتها مع عدد أيّام الشهر الذي يتمّ به الحمل مع عدد أيّام الشهر الذي سوف تلد به المرأة، فإذا كان الناتج رقماً مفرداً فيُنْتَظَرُ أنّ يكون المولود ذكراً، وإذا كان رقماً مزدوجاً فيُنْتَظَرُ أنّ يكون المولود أنثى<sup>(49)</sup>.

ومن الواضح أنّ هذه الطريقة محض تنجيم وضرب من الخيال.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

ت- توقيت الجماع بحسب دورة القمر " حيث تقسم أوقات الجماع إلى فترتين خلال الدورة القمرية... الأيام الخمسة الأولى من ظهور القمر تُعتبر صالحة ليكون الجنين ذكراً إذا تمّ الجماع أثناءها، يقابلها الخمسة الثانية.. أي من 6-10 من الشهر تُعتبر صالحة لتكون أنثى، ويتبع ذلك تسلسلياً أربعة أيام للذكر ومثلها للأنثى، ثمّ ثلاثة أيام يقابلها ثلاثة أيام، ثمّ يومان ثمّ يوم، وهذه الطريقة يؤخذ عليها عدم استنادها إلى أسس علمية<sup>(50)</sup>.

ثانياً- الطرق غير الطبيعية، وهي التي يتمّ فيها التدخل الطبي والمخبري بالطرق الطبية والمخبرية، هي التي يتمّ فيها التدخل الطبي بواسطة الحقن والعقاقير أو الإجهاض، أما الطرق المخبرية فهي " الطرق التي تتمّ بها الاستفادة من تقنية التلقيح غير الطبيعي، ويكون تحديد جنس الجنين فيها في المختبر بعد التلقيح أو قبله"<sup>(51)</sup> وبيانها:

1- طريقة المناعة، وتقوم هذه الطريقة على مزج السائل المنوي مع محلول من أجسام ضدية ضدّ الحيوانات X أو Y، فيقتل هذا المحلول الحيوانات X أو Y، ويُستعمل ما ينبقى حياً في عملية التلقيح الصناعي<sup>(52)</sup>.

2- طريقة الإجهاض المُنتخب، وهذه الطريقة مبنية على معرفة جنس الجنين في الرحم، ثمّ قيام المرأة بإجهاض الجنين غير المرغوب فيه<sup>(53)</sup>.

3- استعمال الحقن المناعية والعقاقير الهرمونية، وذلك بإعطاء المرأة حقناً مناعية ضدّ نوع معين من الحيوانات المنوية، وهذه الحقن إذا كانت ضدّ الحيوان المنوي الأنثوي فإنّها تقوم بإضعافه؛ وبالتالي يتمكّن الحيوان المنوي الذكري من الدخول والتلقيح ليكون الجنين ذكراً، والعكس<sup>(54)</sup>، و"يذكر الأطباء أنّ استخدام هرمون التسترون مثلاً يؤدي إلى احتمال إنجاب ذكر، واستخدام هرمون منشط للإباضة يؤدي إلى احتمال إنجاب أنثى"<sup>(55)</sup>.

4- طريقة التلقيح المُنتخب للنطف

استطاع العلماء بعد تمكّنهم من معرفة جملة من الخصائص التي تميّز الحيوانات المنوية المُذكّرة عن الأنثوية<sup>(56)</sup> من تحديد جنس الجنين؛ ويتمّ ذلك بطريقتين هما:

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

\*\* تحديد جنس الجنين بعد التلقيح؛ حيث يتم إجراء تلقيح غير طبيعي خارجي (أطفال الأنابيب) وتترك لأيام ثم تؤخذ من كل لقيحة خلية واحدة ويتم فحصها للتعرف على جنسها، وعندئذ تُعاد اللقيحة ذات الجنس المطلوب وتُغرس في الرحم<sup>(57)</sup>.

\*\* تحديد جنس الجنين قبل التلقيح؛ وتقوم هذه الطريقة على فصل الصبغي الجنسي (الكروموسوم X) الأنتوي عن الصبغي (الكروموسوم Y) الذكري في النطفة في أنبوب اختبار، أي خارج الجسم بطرق مختلفة<sup>(58)</sup>، وتتم عملية التلقيح في كلتا الحالتين:

إما خارجياً؛ حيث تتم عملية الإخصاب خارج الجسم بسحب البويضات من الزوجة ووضعها مع الحيوانات المنوية المرغوبة في حاضنة تتوفّر فيها كافة الشروط المتوقّرة في قناة فالوب، وتؤخذ وتُحقن داخل رحم الزوجة كي تنمو النمو الطبيعي في رحمها<sup>(59)</sup>.

وإما داخلياً؛ وذلك بتحديد وقت الإباضة عند الزوجة؛ حيث يؤخذ السائل المنوي من الزوج، وتؤخذ الحيوانات المطلوبة ثم تحقن داخل الرحم مباشرة بواسطة أنبوب شعري دقيق خاص لهذا الأمر<sup>(60)</sup>.

المبحث الثاني- موقف الشريعة الإسلامية من المسألة:

انقسم الفقهاء إزاء المسألة بشكل عام إلى جملة آراء يمكن تصنيفها ضمن إطارين رئيسيين هما:

- 1- إطار عقائدي، ويُفصّد به النظر إلى المسألة من منظور عقائدي متعلّق بمشيئة الله وقدرته ومنازعة البشر له في ذلك، ومعارضة المسألة للنصوص القرآنية الكريمة.
- 2- إطار فقهي (يتمثل فيما يترتب على المسألة من مفاصد ومصالح) تتعلّق بالفرد والمجتمع.

المطلب الأول- الإطار العقائدي:

تناول بعض الفقهاء المسألة من منظورها العقائدي؛ حيث رأوا أنّ التحكّم بجنس الجنين يمثلّ مساساً بالعقيدة الإسلامية، وأنكروا إمكانية التدخّل البشري في ذلك. ومنشأ ذلك أمران:



تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

**المنشأ الأول** - ما ترسخ في الأذهان من أن أحوال الجنين (ومنها الذكورة والأنوثة) من الأمور الغيبية التي استأثر الله (ﷻ) بعلمها؛ كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾<sup>(61)</sup>، وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(62)</sup>، وهذه الأمور الخمسة سماها رسول الله (ﷺ) **مفاتيح الغيب**، كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر عن النبي (ﷺ) قال: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله...<sup>(63)</sup>... فمثل هذه الآيات والأحاديث تدلّ دلالة واضحة على أن علم ما في الأرحام مختصّ بالله تعالى، فكيف يدّعي بشر أنه يمكنه معرفة جنس الجنين والتحكّم فيه<sup>(64)</sup>."

واستدلّ بعض المنكرين بقوله (ﷻ): ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾<sup>(65)</sup>؛ "حيث بدأ الله (ﷻ) في الآية بأن بيّن أنّ له ملك السموات والأرض، ويتصرّف في ملكه كما يشاء، وأنّ من جملة تصرّفه في ملكه أن يهب ما يشاء لمن يشاء حسبما تقتضيه حكمته العليا وحسن تدبيره لخلق سبحانه وتعالى"<sup>(66)</sup>، وقالوا: "أنّ الله (ﷻ) هو وحده الذي بصور الحمل في الأرحام كيف يشاء، فيجعله ذكراً أو أنثى، كاملاً أو ناقصاً، إلى غير ذلك من أحوال الجنين، وليس ذلك إلى أحد سوى الله (ﷻ): ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾"<sup>(67)</sup>، وقال (ﷻ): ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾<sup>(68)</sup>، وقد أخبر (ﷻ) أنه وحده الذي له ملك السموات والأرض، وأنه الذي يخلق ما يشاء، فيصوّر الحمل في الأرحام كيف يشاء من ذكورة وأنوثة، وعلى أيّ حال شاء... ودعوى أنّ زوجاً أو دكتوراً أو فيلسوفاً يقوى على أن يحدّد نوع الجنين دعوى كاذبة"<sup>(69)</sup>، فالتلقيح "أمر كوني، ليس على المكلف أكثر من فعله بإذن الله، وأمّا تصرّفه وتكليفه وتسخيره وتدبيره بترتيب المسببات عليه فهو إلى الله (ﷻ) وحده لا شريك له، ومن تدبّر

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

أحوال الناس وأقوالهم وأعمالهم، تبيّن له منهم المبالغة في الدعاوى والكذب والافتراء، في الأقوال والأفعال، جهلاً منهم وغلواً في اعتبار العلوم الحديثة، وتجاوزاً للحدّ في الاعتداد بالأسباب، ومن قدرّ الأمور قدرها، ميّز بين ما هو من اختصاص الله منها، وما جعله الله إلى المخلوق بتقدير منه لذلك سبحانه<sup>(70)</sup>، كما برّر البعض هذا الإنكار بالقول: "إنّ ارتباط جنس المولود بحيوان منويّ معيّن ضمن ملايين الحيوانات المنويّة يقطع باستحالة التنبؤ (فضلاً عن التحكّم) في جنس نطفة تحملها الأنثى، كما ثبت أنّ جنس المولود الجديد لا يتحدّد ولا يظهر قبل سنّة إلى سبعة أسابيع، ممّا يؤكّد عجز العلم من جهة، وإعجاز قدرة الله (ﷻ) من جهة أخرى الذي خصّ نفسه بمعرفة ما تغيض الأرحام كما جاء في أكثر من آية"<sup>(71)</sup>.

وقد ردّ البعض على هذه الأقوال بجملة من الاعتراضات، منها:

أولاً- القول "بحمل علم ما في الأرحام على العلم التفصيلي، فالله (ﷻ) يعلم كلّ ما يتعلّق بالجنين الموجود في الرحم، ومن ذلك عمره وحياته، قدرته سيرته أعماله، شقاؤه وسعادته في الجنّة أمّ في النار؟"<sup>(72)</sup>، ويؤيد ذلك ما روّيه عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) من قوله: حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق: "أنّ خلق أحدكم يُجمّع في بطن أمّه أربعين يوماً أو أربعين ليلة، ثمّ يكون علقه مثله، ثمّ يكون مضغة مثله، ثمّ يُبعث إليه المَلَك فيؤذن بأربع كلمات فيكُتّب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ أم سعيد، ثمّ ينفخ فيه الروح..."<sup>(73)</sup>، وهذه أمور غيبية فعلاً، ولا يمكن لأحد مهما أوتي من قوّة وعلم أن يصل إلى واحدة منها، ونلاحظ أنّ مسألة كون الجنين ذكراً أو أنثى غير مذكورة في النصّ، وذلك لكون الذكورة والأنوثة مسألة تنمو مع الجنين منذ التلقيح وليس عند نفخ الروح كما يوحي بذلك الحديث<sup>(74)</sup>.

ثانياً- أنّ "أحداً من المفسّرين لم يجزم أنّ علم ما في الأرحام خاصّ بالذكر والأنثى، لا يتعدّاه إلى غيره، والذي يظهر أنّ القول بأنّ علم ما في الأرحام الوارد في الآيات القرآنيّة يراد به علم جنس المولود ليس دقيقاً... كما إنّ عدم إجماع المفسّرين على أنّ المراد بعلم ما في الأرحام هو جنس المولود فحسب، وأنّ هناك أموراً غيبية أخرى تدخل في علم غيب الأرحام

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

لا يمكن لبشر أن يعلمها أو أن يطلع عليها، كالشقاء أو السعادة والحياة والموت يدلّ دلالة واضحة على أنّ أقوال المفسرين ظنيّة وليست قطعيّة في دلالتها على المراد من الآية<sup>(75)</sup>.

ويمكن إيراد جملة من أقوال المفسرين للآيات موضع الاستدلال؛ كالاتي:

\*\* قال الطبري أنّ تفسير قوله (ﷺ): «...وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ»<sup>(76)</sup>: "فلا يعلم أحد ما في الأرحام، أذكر أو أنثى، أحمر أو أسود، أو ما هو"<sup>(77)</sup>، فهو (وإن ذكر بيان الجنس) إلاّ أنّه لم يُفرده في التفسير.

\*\* نقل القرطبي في تفسيره لقوله (ﷺ): «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»<sup>(78)</sup> جملة من أقوال المفسرين في بيان معنى مفاتيح الغيب بأنّها: خزائن الرزق، خزائن الأرض، الآجال ووقت انقضائها، عواقب الأعمار، خواتم الأعمال، مرجحاً القول الأوّل<sup>(79)</sup>.

\*\* قال ابن العربي في أحكام القرآن قوله (ﷺ): «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»<sup>(80)</sup>: "عند الله تعالى علم الغيب، ويبيده الطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلاّ هو، فمن شاء إطلاعها عليها أطلعها، ومن شاء حجبها عنها حجبها..."<sup>(81)</sup>.

\*\* قال الرازي في بيان معنى «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ» ما نصّه: "... فلفظ المفاتيح يمكن أن يكون المراد منها المفاتيح، ويمكن أن يراد منها الخزائن، أمّا على التقدير الأوّل؛ فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لأنّ المفاتيح يُتوصّل بها إلى ما في الخزائن المُستوثق منها بالأغلاق والأقفال، فالعالم بتلك المفاتيح وكيفية استعمالها في فتح تلك الأغلاق والأقفال يمكنه أن يتوصّل إلى ما في تلك الخزائن فكذلك ههنا الحقّ (ﷺ) لما كان عالماً بجميع المعلومات عبّر عن هذا المعنى بالعبارة المذكورة، وقُرئ «... مَفَاتِحُ...»، وأمّا على التقدير الثاني فالمعنى (وعنده خزائن الغيب) فعلى التقدير الأوّل يكون المراد العلم بالغيب، وعلى التقدير الثاني المراد منه القدرة على كلّ الممكنات كما في قوله (ﷺ): «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ»<sup>(82)(83)</sup>.

\*\* فسّر الشوكانيّ قوله (ﷺ): «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...» بقوله: المفاتيح جمع مفتاح بالفتح، وهو المخزن، أيّ عنده مخازن الغيب، جعل للأمور الغيبية مخازن تُخزّن فيها على طريق

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

الاستعارة، أو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح، جعل للأمور الغيبية مفتاح يُتوصّل بها إلى ما في المخازن منها على طريق الاستعارة أيضاً... وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المُدّعين ما ليس من شأنهم<sup>(84)</sup>.

وبناءً على ذلك يمكن القول: "إنّ إرادة الله تعالى ومشيئته ألهمت العلماء (علماء التفسير) ألا يُجمِعوا على أنّ الغرض القرآني من قوله (ﷺ): ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ هو تحديد جنس المولود ذكراً أم أنثى، فإنّ أحداً من المفسرين لم يدّع الإجماع على هذا القول، بل جاء الكلام فيها ظنيّاً يحتمل هذا المعنى ويحتمل غيره، فتبيّن بالكشف العلمي أنّ ليس هذا هو المراد؛ بل المراد أمر غيبي لا يعلمه الإنسان... لهذا كان الخوض في هذا الموضوع ومناقشته سائغاً ولا يتعارض مع الآيات القرآنية<sup>(85)</sup>، فالله (ﷻ) هو الذي أطلع الإنسان على ما شاء من علمه وسخّر له إمكانيّة اختيار جنس الجنين، ولو شاء أن يمنعهم لمنعهم ولسلبهم القدرة على ذلك<sup>(86)</sup>.

أما المنشأ الثاني للإنكار فيرجع إلى "ما قد يتبادر إلى الذهن من أنّ التحكّم في جنس الجنين يُعتبر تطاولاً على مشيئة الله تعالى الذي ورّع النسل بحكمة ومقدار، بما حفظ توازن المجتمع البشري<sup>(87)</sup>، إضافة إلى" ما طرحه البعض من الادّعاء بأنّ العلم والعلماء قد حلّوا مكان الله (ﷻ) في عمليّة الخلق، وأنهم يستطيعون أن يُنشئوا خلقاً جديداً خارج ظروفه الطبيعيّة، وأنّ يتحكّموا في جنسه وبعض صفاته... ويرجع سبب الإشكال إلى أنّ الإنسان قد غير الطرف الطبيعيّ الذي خلقه الله (ﷻ) لنشأة وتكوين الإنسان، فقام الإنسان بإبدال المكان الذي يجري فيه تلاقح الحيوان المنويّ والبويضة... وهذه الإشكالات قادت بعض الناس للتفكير بأنّه بمقدور الناس تغيير وجهة الفطرة التي فطر الله (ﷻ) الناس عليها<sup>(88)</sup>.

ويُجاب عن ذلك بأنّ اختيار جنس الجنين ليس فيه تطاول على مشيئة الله، لأنّ إرادة الله فوق كلّ شيء ولن يتمّ أمر في هذا الكون دون إرادة الله<sup>(89)</sup>، فهذا الكون بما فيه إمّا يسير بمشيئة وإرادة الله، ولا يكون فيه إلّا ما أَراده سبحانه، فالذي يختار جنساً معيّنًا (في طور الخليّة) يكون تحت المشيئة وتحت الإرادة الإلهيّة ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(90)</sup><sup>(91)</sup>، وهو ما عبّر عنه عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) "عندما اعترض عليه بعضهم

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

في عدم دخول أرض الطاعون بالشام، وقال له: أفراراً من قدر الله؟ فأجابه بقولته المشهورة: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله<sup>(92)</sup>، وعندما أشكل على بعض الصحابة أمر التداوي والرقى في كونها تعارض قدر الله<sup>(93)</sup> أو لا، بين لهم رسول الله<sup>(ﷺ)</sup> أن التداوي نفسه من قدر الله<sup>(94)</sup>، فقد روى أبو خزيمة عن أبيه<sup>(95)</sup> قال: سئل رسول الله<sup>(ﷺ)</sup>، أرأيت أدوية نتداوي بها، ورقى نسترقى بها، وثقى ننقيها، هل ترد من قدر الله؟ قال: هي من قدر الله<sup>(93)(94)</sup>، فالعلماء وأدواتهم لم يكونوا أكثر من أدوات بين يدي الله<sup>(ﷻ)</sup>، وأسباباً لجريان سنته واكتمالها، وتنفي النصوص القطعية إمكانية وجود خالق غير الله<sup>(ﷻ)</sup>، وهذا ما نقره في القرآن الكريم والسنة المطهرة، من ذلك قوله<sup>(ﷻ)</sup>: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(95)(96)</sup>.

والدليل على ذلك فشل الكثير من عمليات التحكم في تحديد جنس الجنين؛ ففصل الحيوانات المنوية الحاملة لصفة الذكورة والحاملة لصفة الأنوثة نسبة نجاحه لا تزيد عن 70-75%<sup>(97)</sup>، وقد قال أحد المختصين بما يُعرف بأطفال الأنابيب: "إننا أحياناً نحضر خلية أنثوية (بويضة) سليمة تماماً وجاهزة للإخصاب، ونحضر أيضاً (حويئاً) منويّاً من الرجل (خلية ذكورية) ونقوم بدمجهما ليتمّ التلقيح فلا يتمّ، وتكرّر المحاولة وتأتي الخليتان، ثمّ يقول: نقوم حينئذٍ بإدخال الحويئ إلى البويضة بواسطة إبرة دقيقة مجهرية، ولكنّ البويضة لا تتقبّل ذلك الحويئ... وهنا نعلم أنّ هذه البويضة لم يُكتب لها التلقيح، وأنّ الله<sup>(ﷻ)</sup> قد قدر أمراً لا بدّ وأنّ يتمّ، ولو قدر لها التلقيح لتمّ ذلك لمجرّد الالتقاء"<sup>(98)</sup>.

ويؤكد ذلك ما ورد في حديث العزل من أنّ رجلاً أتى رسول الله<sup>(ﷺ)</sup> وقال: إنّ لي جارية هي خادمنا وسانيتنا، وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل، فقال<sup>(ﷻ)</sup>: اعزل عنها إنّ شئت؛ فإنّه سيأتيها ما قدر لها، فلبث الرجل، ثمّ أتاه فقال: إنّ الجارية قد حبّلت، فقال: قد أخبرتك أنّه سيأتيها ما قدر لها"<sup>(99)</sup>.

وهكذا نخلص إلى أنّ اجتهادات الإنسان في هذا المجال وغيره تظلّ محكومة بالإرادة الإلهية، وأنه لا يمكن أن يتمّ إلاّ ما شاء الله له أن يتمّ؛ فمن أصول العقيدة الإسلامية أنّ الله<sup>(ﷻ)</sup> يفعل ما يشاء، ولا يقع في ملكه إلاّ ما يريد، فعلى ذلك لا يجوز إطلاقاً التصوّر أنّه

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

بإمكان المخلوق التدخّل بإرادة الخالق سبحانه، ومن اعتقد ذلك فقد وقع في أمر عظيم، بل كلّ ما يقع في الكون إنّما يقع بعلم الله وإرادته الكونيّة؛ ففعل الإنسان في اختيار جنس الجنين لا يشدّ عن هذه القاعدة<sup>(100)</sup>.

وإضافة إلى كلّ ما تقدّم، فإنّ إنكار المسألة بعد ثبوت وقوعها، ونجاحها بنسب ملفّته أمر يسيء إلى الإسلام أكثر من أن يضيف إلى أدوات الدفاع عنه" فالإسلام لا يقف حجر عثرة أمام أيّ تقدّم طبّيّ أو كشف جديد مادام هذا الكشف وفق أحكام الشريعة الإسلاميّة؛ بل إنّ أحكام الشريعة تبارك هذا الكشف وتركيه مادام في إطار الشرع، ويحقّق النفع للمسلم دون أن يكتف محظوراً شرعيّاً<sup>(101)</sup>.

المطلب الثاني: الإطار الفقهي<sup>(102)</sup>

تجدر الإشارة أولاً (وقبل بيان آراء الفقهاء حول هذه النازلة) إلى جملة الطرق التي قال بها الفقهاء في معرفة الحكم الشرعيّ في المسائل المُستَحْدَثَة فيما لا نصّ فيه، وهي:

أولاً- طريقة استخدام المصالح:

وهي طريقة علماء أصول الدين، وهي استخدام المصالح البشريّة لمعرفة أحكام الأشياء من التصرفات والوقائع والمُستَحْدَثَات ممّا لا نصّ فيه، على أساس أنّ أحكام الله (ﷻ) مُعَلَّلَة بالأغراض، وهي مصالح بالنسبة للإنسان؛ ومقاصد بالنسبة إلى الشريعة الإسلاميّة<sup>(103)</sup>.

فالمصلحة كما قال الإمام الشاطبيّ: "إذا كانت هي الغالبة عند مناظرتها مع المفسدة في حكم الاعتياد فهي المقصودة شرعاً، ولتحصيلها وقع الطلب على العباد، ليجري قانونها على أقوم طريق، وأهدى سبيل، وليكون حصولها أتمّ وأقرب وأولى بنيل المقصود على مُقتضى العادات الجارية في الدنيا"<sup>(104)</sup>.

ثانياً- دوران الحكم مع علته<sup>(105)</sup>

وهي طريقة علماء أصول الفقه، فكلّ جزئيّ من المُستَحْدَثَات لم يرد بشأنه نصّ خاصّ ولكن تحققت فيه علة حكم كليته فإنّه يندرج تحت حكم هذه الكليّة على أساس قاعدة (الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا)<sup>(106)</sup>.

### ثالثاً- التحسين والتقبيح العقليان

وهذه الطريقة هي طريقة الفلاسفة المسلمين، فهم يقولون: لغرض اكتشاف حكم الله (ﷻ) فيما لا نص فيه، يُنظر إلى حسن التصرف وقبحه، وأن حسن كل شيء يُبنى على نفعه، كما إن قبح كل شيء يُبنى على ضرره.

ويلاحظ من العرض المتقدم أن الطرق الثلاثة متقاربة؛ لأن كل واحدة منها مبنية على أساس نفع الإنسان وضرره، فإذا ثبت علمياً وعملياً نفع أي مستحدث ومكتشف علمي في الوقت الحاضر والمستقبل ولم يكن هذا النفع مقترناً بضرر أكبر أو مساوٍ له فهو مباح وإلا فهو مُحَرَّم (107).

و"سبب الخلاف بين المجيزين بإطلاق والمانعين هو تعارض الإباحة الأصلية مع المفسد المترتبة على عملية تحديد جنس الجنين، فمن رأى أن الأصل الإباحة أجاز هذه العملية، ورأى أن المفسد مظنونة ويمكن ضبطها، ومن نظر إلى المفسد رأى أنها أعظم من المصالح المترتبة عليها، ولا تحتل الإباحة الأصلية رفع المفسد العارضة" (108)؛ ذلك أن المصالح والمفسد الرجعة إلى الدنيا إنما تُفهم على مُقتضى ما غلب، فإذا كان الغالب جهة المصلحة؛ فهي المصلحة المفهومة عرفاً، وإذا غلبت الجهة الأخرى فهي المفسدة المفهومة عرفاً، ولذلك كان الفعل ذو الوجهين منسوباً إلى الجهة الراجحة، فإن رجحت المصلحة فمطلوب، ويُقال فيه أنه مصلحة، وإذا غلبت جهة المفسدة فمهرب عنه، ويُقال: إنه مفسدة" (109)، وقد اختلف الفقهاء المعاصرون حول المسألة (في إطارها الفقهي) بشكل عام على ثلاثة أقوال هي:

**القول الأول:** ذهب أصحابه إلى القول بجواز اختيار جنس الجنين بشكل عام، وقد قال بذلك الرأي كل من: يوسف القرضاوي (110)، ومحمد عثمان شبير، وعارف علي العارف، وعبد الستار أبو غدة، ومحمد الأشقر، ونصر فريد واصل، ووهبة الزحيلي، وغيرهم (111).

وقد استدلوا على قولهم بما يلي:

**أولاً- من الكتاب الكريم**

\*\* قوله (ﷺ) على لسان زكرياء: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرْتِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾<sup>(112)</sup>.

\*\* قوله (ﷺ) على لسان إبراهيم: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(113)</sup>.

ووجه الدلالة أنّ الدعاء بطلب جنس مُعَيَّن جائز، وقد دلّت الآيتان على دعاء زكرياء وإبراهيم (عليهما السلام) بطلب الذرية من الذكور، ولو لم يكن مشروعاً لما جاز لأنبياء الله (ﷺ) الدعاء به، ومن المُقَرَّر أنّ ما جاز طلبه جاز فعله<sup>(114)</sup>.

**ثانياً- من السنة النبوية الشريفة:**

\*\* ما رُوِيَ عن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) أنّ جبراً<sup>(115)</sup> من أحبار اليهود سأل النبي (ﷺ) عن الولد فقال: "ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا؛ فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آتانا بإذن الله" فقال اليهودي: صدقت، وإنك لنبي<sup>(116)</sup>، فقد دلّت إجابة النبي (ﷺ) على السائل دون أن يشير إلى حرمة السؤال عن ذلك الأمر، أو حرمة فعله على جوازه<sup>(117)</sup>.

فالرسول (ﷺ) "أعطى أمارات ظاهرة للسائل عن الطريقة التي يمكن من خلالها إنجاب المولود المرغوب به، من حيث كونه ذكراً أو أنثى، وما هذا إلاّ ضبط لجنس المولود قبل حصول التلقيح بين الحيوان المنوي والبويضة، ولا يختلف عما يسعى إليه علم الوراثة اليوم اللهم إلاّ في وسيلة الوصول إلى المطلوب... فإنّ أحداً لا يستطيع أن يقول بحرمة هذا الفعل لأنّ النصوص النبوية التي أخبرت عن هذا الأمر الغيبي لم يقترن بها ما يدلّ على منعها أو حظرها، فيبقى الأصل على حاله حتى يأتي دليل يحظره وينهى عنه"<sup>(118)</sup>

\*\* ما رواه جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) من أنّ رجلاً أتى رسول الله (ﷺ) فقال: إنّ لي جارية هي خادمنا وسانيتنا، وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل، فقال (ﷺ): اعزل عنها إنّ شئت؛ فإنّه سيأتيها ما فُدر لها، فلبث الرجل، ثمّ أتاه فقال: إنّ الجارية قد حبلت، فقال: قد أخبرتك أنّه سيأتيها ما فُدر لها<sup>(119)</sup>، ونوقش هذا الاستدلال من قبل المعترضين بقولهم: أنّ القياس هو



تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

قياس مع الفارق؛ حيث إنّ العزل طريق مشروع بالنصّ، ووفق ضوابط وشروط محدّدة، ومعلوم أنّه ليس في العزل خطورة ما... ولا ضرر من هذا إلا إذا مورس بشكل يؤدّي إلى إنقاص النسل، وإحداث الضرر بالأمة، وفي مثل هذه الحالة يكون للمسألة حكم آخر، بمقتضى السياسة الشرعية<sup>(120)</sup>، وقد ردّ البعض على هذا الاعتراض بأنّ تحديد الجنس رغبة في مولود دون آخر، وليست رفضاً لكليهما؛ فمن باب أولى جوازه، والقول إنّه قياس مع الفارق لا دليل عليه؛ لأنّه قياس من باب القياس الأدنى، فالعلة بينهما مشتركة وهي عدم الرغبة بالمولود في المقيس عليه نهائياً، وفي المقيس أحد الجنسين، والمقيس عليه فيه حكم منصوص عليه، والمقيس لا حكم فيه، والعلة كما قلنا مشتركة وإنّ اختلفت درجتها، وبالتالي اكتملت أركان عمليّة القياس فكان صحيحاً<sup>(121)</sup>.

ثالثاً- من المعقول<sup>(122)</sup>:

\* \* \* أنّ ذلك الفعل من باب الأخذ بالأسباب، والأخذ بالأسباب أمر مشروع، بل نحن مطالبون به، وبذلك يكون فعل اختيار جنس الجنين من باب الأخذ بالأسباب، فيكون مشروعاً وفيه قياس السعي في تحديد جنس الجنين على معالجة العقم الذي يمكن معالجته؛ فإنّه لا خلاف بين أهل العلم في جواز السعي في معالجة العقم مع كونها سعيّاً في إيجاد الحمل وأخذاً لأسباب حصوله... فجواز أخذ أسباب تحديد جنس الجنين من باب أولى؛ لأنّه عمل بالأسباب الممكنة لإدراك صفة في الجنين، وهو أسهل من أخذ أسباب الإيجاد والتكوين<sup>(123)</sup>.

\* \* \* أنّ القول بإباحة اختيار جنس الجنين يحقّق مصالح راجحة كاتقاء بعض الأمراض الوراثية التي تصيب الذكور دون الإناث أو العكس، خاصّة وأنّ هناك أمراض وراثية خطيرة جداً، ومنها ما ليس له علاج طبيّ حتى الآن.

**القول الثاني:** وذهب أصحابه إلى القول بحرمة اختيار جنس الجنين، وممّن قال بذلك الدكتور محمّد النتشة (القاضي الشرعيّ بالأردن)؛ حيث قال: "من خلال عرض مسألة التحكّم في جنس الجنين والوسائل الحديثة المُستخدمة فإنّ الباحث يميل إلى حرمة كلّ هذه

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

الوسائل؛ لما يترتب عليها من العبث بماء الرجل بما يُدخَل الشك إلى الأنساب" وقد تحدّث عن الطرق المعملية بالوسائل الحديثة، ولم يتعرّض للطرق الطبيعية<sup>(124)</sup>.

ومن أدلتهم ما يلي:

أولاً- من الكتاب الكريم<sup>(125)</sup>:

\* قوله (ﷺ): «... وَأَضَلَّيْتُهُمْ وَلَأْمَنْيْتُهُمْ وَلَأْمَرْتُهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آدَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَخْذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا»<sup>(126)</sup>، ووجه الدلالة فيه " أَنَّ التَّدْخُلَ فِي اخْتِيَارِ جِنْسِ الْجَنِينِ تَغْيِيرٌ لِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ مَعْنَى تَغْيِيرِ خَلْقِ اللَّهِ (ﷺ) أَنْ يَنْشَأَ خَلْقًا جَدِيدًا، وَإِنَّمَا التَّغْيِيرُ هُوَ أَنْ نَتَدَخَّلَ فِي الْخَلْقِ الْإِلَهِيِّ فَنُصَرِّفَهُ عَنْ وَجْهِهِ الصَّحِيحَةِ"<sup>(127)</sup>.

وقد نوقش هذا الدليل ورُدَّ عليه بأنَّ " التَّغْيِيرَ لِلشَّيْءِ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ وُجُودِهِ لَا قَبْلَهُ، وَفِي عَمَلِيَّةِ تَحْدِيدِ جِنْسِ الْجَنِينِ الْبَيْضُضَةُ هِيَ الْبَيْضُضَةُ، وَالْحَيَوَانَ الْمُنَوِّيَّ هُوَ نَفْسُهُ، وَالتَّدْخُلُ إِنَّمَا هُوَ فِي اخْتِيَارِ الْحَيَوَانَ الْمُفْلَحِ وَذَلِكَ قَبْلَ خَلْقِ الْجَنِينِ وَتَصْوِيرِهِ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ دَاخِلًا فِي تَغْيِيرِ خَلْقِ اللَّهِ (ﷺ)"<sup>(128)</sup>.

ثانياً- من المعقول:

\* فتح المجال أمام العبث العلمي بالإنسان" فالعبث العلمي بنطف الإنسان باسم العلم مرفوض شرعاً وقانوناً وأخلاقاً لأنَّ البحث العلمي يصبح بذلك من أدوات الدمار الماديِّ والروحيِّ للإنسان الذي كَرَّمَهُ اللهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ"<sup>(129)</sup>. ويردُّ على ذلك بأنَّ ضبط عمليَّات التَّحْدِيدِ وفرض الرِّقَابَةِ عَلَيْهَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ.

\* اختلاط الأنساب، وذلك نظراً لآليات التَّدْخُلِ، والتي تتَمَّ عن طريق فصل الحيوانات المنوية والتلقيح بالحيوان المفضل للرجبة المطلوبة، فربما حدث خلط في مني الرجال، فأدى إلى اختلاط الأنساب<sup>(130)</sup> وقد أُجِيبَ عَلَى ذَلِكَ "بأنَّ التَّقْنِيَّاتِ الْحَدِيثَةَ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الدَّقَّةِ، وَاحْتِمَالِ الْخَطَأِ قَدْ أَصْبَحَ ضَمِيلاً جَدًّا، أَوْ يَكَادُ يَكُونُ مَعْدَمًا، خَاصَّةً مَعَ الْأَخْذِ بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ"<sup>(131)</sup>.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

\*\*قال البعض أنّ التدخّل في عمليّة تحديد جنس الجنين قد ينتج عنه" تحجيم عدد أفراد الأسرة وتقليلها بطريق غير مباشر؛ فعلى سبيل المثال يمكن أن يؤدي إنجاب طفل أو اثنين من الذكور إلى إحصام الأبوين عن زيادة عدد أفراد الأسرة اكتفاءً بالطفل الواحد أو الطفليّن... ويكفي في هذا مفسدة ومخالفة للنصوص النبويّة التي يطلب فيها الرسول(ﷺ) من أمته أن تُكثّر النسل والذرية"<sup>(132)</sup>.

ويمكن الردّ على هذا القول بأنّ ضبط عمليّة تحديد جنس الجنين وقصرها على حالات الضرورة من شأنه أن يحول دون ذلك.

\*\* مخالفة العمليّة للطريق الفطريّ الطبيعيّ الذي خلق الله(ﷻ) عليه... ولهذا كان طفل الأنابيب مثلاً خروجاً على الأصل، والأصل عدمه، ولكنّ ضرورة عدم الإنجاب أجازت إجراء عمليّة التلقيح الاصطناعيّ ولولاها لما جاز بحسب الأصل، ومن هنا نرى أنّ الأصل عدم اللجوء إلى هذه التقنيّة كأصل عام<sup>(133)</sup>.

والردّ على ذلك يكون بالمثل، فإذا كانت تقنيّة أطفال الأنابيب قد أُجيزت لضرورة علاج العقم، فكذاك عمليّات تحديد جنس الجنين تُباح خروجاً عن الأصل لضرورة أخرى هي توقيّ الأمراض الوراثيّة الخطيرة.

\*\* أنّ تحديد جنس الجنين سيؤدّي إلى كشف العورات

وقد ردّ على هذا القول بأنّ" الحاجة تنزل منزلة الضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، كما إنّ الضرورات تُقدّر بقدرها، وبالتالي فإنّ انكشاف العورة يكون لضرورة بقدر مل يحتاج الطبيب الثقة، وبدون خلوة، وبأخذ كافّة الاحترازمات الشرعيّة، علماً أنّ تطوّر العلم قد يمنع من الاتصال المباشر بين الطبيب والمريضة، ويكون الاتصال من خلال الأجهزة الطبيّة المتقدّمة"<sup>(134)</sup>.

فكشف العورات مفسدة أبحاثها مصلحة أكبر وهي العلاج عملاً بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات" وهي قاعدة دلّت عليها آيات من كتاب الله(ﷻ) منها قوله: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(135)</sup> ونظائرها الأخرى مثل قوله(ﷻ): ﴿إِلَّا

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ<sup>(136)</sup> بعد تعداده جملة من المحرّمات، فالقاعدة مُستفادَة من استثناء القرآن الكريم حالات الاضطرار في ظروف استثنائية خاصة<sup>(137)</sup>.

كما يمكن أن تقوم بذلك امرأة مُتخصّصة في هذا المجال خروجاً ممّا سبق.

\*\* تُعدّ عمليات تحديد جنس الجنين (خاصّة باستخدام الطرق المخبريّة) صورة من الوأد الجاهلي المحرّم فيأخذ حكمه<sup>(138)</sup>.

وقد نوقش هذا القول من جهتين:

- 1- عدم التسليم بأنّه وأد، إذ الوأد يكون لبنت موجودة، والتدخّل هنا قبل العلق بالرحم<sup>(139)</sup>.
- 2- أنّ تحديد الجنس إذا كان للوقاية من الأمراض الوراثية فستبقى الأنثى غالباً وتُستبعد اللقائح الذكريّة؛ إذ جُلّ الأمراض المرتبطة بالجنس تصيب الذكور فالأمر عكس ما عليه الوأد في الجاهليّة<sup>(140)</sup>.

\*\* اختلال التوازن بين الذكور والإناث؛ الأمر الذي يؤديّ إلى مشكلات ومخاطر تمسّ أمن المجتمع... وذلك مدعاة لكثرة المشاكل كانتشار الأمراض الجنسيّة، وانقراض الجنس البشري<sup>(141)</sup>، فلو "تُرِكَ للأزواج الفرصة في اختيار جنس أطفالهم لزدت نسبة الذكور في العالم بدرجة كبيرة خاصّة في البلدان النامية؛ حيث يقوم الذكر في هذه البلدان بكسب رغيّف العيش وأداء الوظائف الحياتيّة الأخرى<sup>(142)</sup>.

ومثال ذلك ما حدث في الصين؛ حيث حظرت حكومة الصين على الأسر أن يزيد عدد أفراد الأسرة عن طفل واحد إضافة إلى الأبوين، ولما كانت رغبة الأبوين تميل إلى أن يكون هذا الطفل ذكراً فإنّهما يلجآن إلى الكشف عن جنس المولود... فإذا أظهر الكشف أنّ الحمل أنثى كان مصير هذا الحمل الإجهاض والإسقاط... وظهر ما يُسمّى المجتمع الذكوريّ الذي نشأ عنه اختلالات كثيرة في نواحي المجتمع المتعدّدة: الاقتصاديّة والاجتماعيّة<sup>(143)</sup>.

وقد ردّ البعض هذا الاستدلال بأنّ اختيار جنس الجنين يجري على نطاق فرديّ وفي حدود ضيقة؛ فلا يترتّب عليه الخلل الذي يثير التخوّف<sup>(144)</sup>.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

\*\* أن " تحديد جنس الجنين وسيلة من وسائل شرك الربوبية؛ ذلك أن حصل له الجنس الذي يريده سيتعلق بالطبيب الذي أجرى له عملية الاختيار، ويعتقد قدرته على تحديد جنس الجنين، فتكون عملية الاختيار محرمة سداً لذريعة الشرك" (145).

وقد نوقش هذا الدليل بالقول أنه: " مع التسليم بالمنع سداً لذريعة الشرك؛ فإنه يلزم من ذلك أيضاً منع التداوي، لأن قلوب العباد كثيراً ما تتعلق بالطبيب المعالج إذا حصل الشفاء، والتداوي مشروع في الجملة ولا يُقال بمنعه، وتحديد جنس الجنين لأجل الوقاية من الأمراض الوراثية هو من التداوي؛ فيأخذ حكمه" (146)، وإجمالاً فإنه يمكن الردّ على ما قيل عن المفسد التي تترتب على عملية تحديد جنس الجنين بالقول أن تلك المفسد ليست ملازمة للقول بالجواز ولا للعملية نفسها؛ لكنّها مفسد قد تنتج عن سوء استعمال، أو أمور ليست ذات صلة بالعملية ذاتها" (147).

إنّ التضييق الشديد (شأنه شأن التوسّع في التيسير) يسيئان إلى الإسلام الذي هو دين التوسّط في كلّ الأمور؛ فهذا الدين " بُني على اليسر ورفع الحرج، وأدلة ذلك غير منحصرة؛ فاستقراء أدلة الشريعة قاضٍ بأنّ الله (ﷻ) جعل هذا الدين رحمة للناس، ويسراً، والرسول (ﷺ) بعثته الرأفة والرحمة بالناس، ورفع الأصار والأغلال التي كانت واقعة على من قبلنا من الأمم، يقول الله (ﷻ): ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (148) ويقول (ﷻ): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (149)، ويقول الرسول (ﷺ): " إنّ الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني مبشراً" (150) (151).

**القول الثالث:** وذهب أصحابه إلى القول بجواز المسألة بتفصيل، وذلك بالنظر إلى الوسائل والعوامل المتعلقة بعمليات تحديد جنس الجنين، وبيان ذلك كالتالي:

**بالنظر إلى الوسائل:**

**أولاً- الطرق الطبيعية:**

سبق القول بأنّ الطرق الطبيعية تنقسم إلى ثلاثة أنواع، هي:

\*\* ما له أصل شرعي، وهو الدعاء؛ ولا شك في جواز هذه الطريقة؛ أي الدعاء بطلب جنس معين للأبناء ذكراً كان أم أنثى؛ "لأنّ الدعاء بطلب جنس مُعَيَّن جائز؛ ومن المُقرَّر أنّ

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

ما جاز طلبه جاز فعله، وأن من شروط الدعاء ألا يسأل مُحَرَّمًا، قال (رحمه الله): ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِيثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾<sup>(152)</sup>(153).

فالدعاء في أصله مطلوب ومرغَّب فيه شرعاً؛ لقوله (رحمه الله): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(154)</sup>، وذلك كما سبق بيانه فيما دعا به خليل الله إبراهيم وزكرياء (عليهما السلام).

\*\* ما له أصل علمي، كاتباع نظام غذائي مُعَيَّن، وتوقيت وقت الجماع بالنظر إلى وقت الإباضة، والغسول المهبلّي.

وقد أجازها قرار المجمع الفقهي الإسلامي المنبثق عن رابطة العالم الإسلامي بالنص على أنه "يجوز اختيار جنس الجنين بالطرق الطبيعيّة، كالنظام الغذائي، والغسول الكيميائي، وتوقيت الجماع بتحرّي وقت الإباضة؛ لكونها أسباباً مباحة لا محذور فيها"<sup>(155)</sup>، ولم يرد من أقوال الفقهاء ما يمنعها إلا ما نُقِلَ من "الحكم بكرهية استعمال الغسل المهبلّي عن الشيخ عبد الله بن بيّة (عضو المجمع الفقهي الإسلامي)<sup>(156)</sup>، وربما كان رأيه ذاك بناءً على ما ذكرته بعض الدراسات من أن لهذه الطريقة بعض الآثار الجانبية الضارة بالمرأة... وإذا قلنا بحدوث ضرر، وأمكن تجاوز الضرر وتفاديه تصبح الطريقة مقبولة شرعاً لانتفاء الضرر، وعدم وجود ما يمنع السعي للحصول على جنين ذكر أو أنثى يمثل هذه الطرق"<sup>(157)</sup>.

\*\* ما ليس له مُسْتَنَد شرعي ولا علمي، كالجدول الصيني، والطريقة الحسابية، وتوقيت الجماع بحسب دورة القمر، وهذه الطرق لا يرتاب عالم بشرع أنها لا تجوز لما اشتملت عليه من اعتقاد جاهلي، وعمل المُنَجِّمين والعرافين الذين يدعون علم الغيب، كما إن في هذه الطرق جعل ما ليس سبباً في الشرع ولا في القدر سبباً"<sup>(158)</sup>.

ثانياً- الطرق غير الطبيعيّة:

سبق القول بأن الطرق غير الطبيعيّة تتم بالتدخل الطّبيّ بواسطة الحقن والعقاقير أو الإجهاض، أو المخبري بالاستفادة من تقنية التلقيح غير الطبيعيّ. ويمكن بيان رأي الفقهاء في هذه الوسائل كما يلي:

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

1- استعمال العقاقير والهرمونات، وهذه الطرق جائزة إلا إذا أدت إلى إلحاق الضرر بالمرأة<sup>(159)</sup>.

2- الإجهاض المُنتخب، وهذه الطريقة" لم تُلقَ رواجاً لِمَا لها من موانع عديدة علمية ودينية وقانونية، ولِمَا لها من مساوئ تعود بالضرر على جسم المرأة وتُفقدُها قدرتها على الإخصاب في حال تكرار الإجهاضات<sup>(160)</sup>.

وقد ناقش الفقهاء مسألة الإجهاض المُنتخب قبل نفخ الروح في الجنين وبعده، وقالوا: "بما أنّ نفخ الروح يكون بعد الأربعين الأولى؛ فلا يجوز الإجهاض بعد الأربعين الأولى إلا في حالة الضرورة القصوى، ومثّل الفقهاء لذلك بأنّ تتعرّض حياة الأمّ للخطر بسبب استمرار الحمل، كما في حالة تسمّم الجنين؛ فيجوز في هذه الحالة الإجهاض للمحافظة على حياة الأمّ عملاً بقاعدة ارتكاب أخفّ الضررين"<sup>(161)</sup>.

وقد اختلفوا في جواز الإجهاض قبل نفخ الروح" فذهب فريق من العلماء إلى جواز إجهاض الجنين قبل النفخ مُطلقاً: أي لعذر أو دون عذر، وعلّلوا ذلك بأنّ الجنين قبل نفخ الروح دم متجمّد وليس كائناً إنسانياً، وذهب فريق آخر من العلماء إلى عدم جواز إجهاض الجنين قبل نفخ الروح مُطلقاً؛ وعلّلوا ذلك بأنّ الجنين لو تُرك في بطن أمّه لنما وتطوّر وصار كائناً إنسانياً، فلا يجوز الاعتداء عليه كالاعتداء على الكائن الإنسانيّ، وذهب فريق ثالث من العلماء إلى التفريق بين ما إذا كان الإجهاض لعذر أو لغير عذر، فإذا كان لعذر جاز، وإن كان لغير عذر لا يجوز"<sup>(162)</sup>.

وقد ورد في توصيات ندوة (الإنجاب في ضوء الإسلام)" أنّ الفقهاء أجمعوا على تحريم الإجهاض، بعد نفخ الروح، وأنها استأنست الندوة بمعطيات الحقائق العلمية الطيّبة المعاصرة والتي بيّنتها الأبحاث والتقنية الطيّبة الحديثة، فخلّصت إلى أنّ الجنين حيّ من بداية الحمل، وأنّ حياته مُحترمة في كافة أدوارها، خاصة بعد نفخ الروح، وأنّه لا يجوز العدوان عليها بالإسقاط إلا للضرورة الطيّبة القصوى"<sup>(163)</sup>.

ويؤكّد البعض على تحريم إجهاض الجنين قبل نفخ الروح فيه بدعوى الإصابة بأمراض وراثية" فقد ذكر الأطباء أنّ تعرّف الأمراض الوراثية والتشوّهات لا يكون قبل الأسبوع الثامن

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

من العلوق، وفي هذا الوقت تكون الروح قد نُفِخَتْ فيه<sup>(164)</sup>، أمّا إذا تَکَشَّفَ المرض بعد ذلك، ووثق الأطباء من خطورة استمرار الحمل، أو اليأس من الجنين؛ فإنَّ الإجهاض يجوز حينئذٍ بسبب للضرورة الطبيّة أمّا بشأن الخلايا المُلقَّحة فقد رأى البعض ترجيح عدم جواز إجهاض أو إتلاف الخلية المُلقَّحة (التي لا يريد لها في مهدها) دون سبب موجب، وكونها ذكراً أو أنثى وحاجة الأبوين لأحدهما سبب غير موجب للإتلاف<sup>(165)</sup>؛ خاصّة إذا كان الدافع هو فقط الاختيار بين الذكور والإناث دون ضرورة طبيّة.

3- التلقيح المُنتخب:

أثارت هذه الطريقة جدلاً واسعاً وكبيراً بين الفقهاء ممّن قالوا بجواز تحديد جنس الجنين عموماً لما يمكن أن يترتب عليها من المفساد، وقد تمّ التعرّض لجملة تلك المفساد ضمن آراء المانعين لعمليات تحديد جنس الجنين والردّ عليها؛ فلا داعي للتكرار. وقد انقسمت أقوال الفقهاء إزاءها إلى قولين<sup>(166)</sup>:

**القول الأول** - يباح تحديد جنس الجنين بالطرق المخبريّة لمُطلَق الحاجة (نفسية أو اجتماعية أو صحية)، وبه قال بعض الباحثين، على اختلاف بينهم في تقدير الحاجة ما بين موسّع ومُضَيَّق<sup>(167)</sup> وقد نُقِلَ عن الدكتور يوسف القرضاوي قوله في هذا الشأن: "إنهلا حرج على الطبيب المسلم أن يقوم بهذه العملية استجابة لطلب الزوجين، واختيارهما أن يكون جنس الجنين ذكراً إذا كان ذلك ملتبساً لحاجة مُعْتَبَرة عند الزوجين كأن يكون لديهما إناث ويشتاقان إلى ذكر، أو لم يكن الإنجاب متاحاً بسهولة للزوجين وهما أو أحدهما يشتاقان إلى ذكر أو نحو ذلك من الاعتبارات، المهمّ ألا يكون اختيار الذكر بسبب كراهية جنس الإناث، فإنّ هذا من تفكير أهل الجاهليّة"<sup>(168)</sup>.

**القول الثاني** - يباح تحديد جنس الجنين بالطرق المخبريّة في حال الضرورة العلاجية للأمراض الوراثية التي تصيب الذكور دون الإناث أو بالعكس، بأنّ كان المرض شديداً، أو يسبب نوعاً من العجز، وبهذا صدر قرار المجمع الفقهي الإسلامي، ولجنة الإفتاء بوزارة الأوقاف الإسلامية بدولة الكويت، وبه قال كثير من الباحثين<sup>(169)</sup>.



تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

وقد ورد في فتوى المجمع الفقهي الإسلامي أنه: "لا يجوز أي تدخل طبي لاختيار جنس الجنين، إلا في حال الضرورة العلاجية في الأمراض الوراثية التي تصيب الذكور دون الإناث، أو بالعكس، فيجوز حينئذٍ التدخل، بالضوابط الشرعية المقررة"<sup>(170)</sup>.

بالنظر إلى العوامل:

أولاً- العوامل الاجتماعية والسياسية:

وهذه العوامل إما أن تكون على مستوى الأمة، وإما أن تكون على مستوى الأفراد. فعلى مستوى الأمة.. يكاد الفقهاء يجمعون على عدم جواز المسألة؛ وهو المفهوم من الاستثناء الوارد في قرار المجمع الفقهي الإسلامي في الفقرة السابقة، وبه صدر قرار المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ضمن توصيات ندوة الإنجاب<sup>(171)</sup>، وكذلك ما صدر عن جمعية العلوم الطبية الإسلامية<sup>(172)</sup>، وبه فتوى لجنة الإفتاء بوزارة الأوقاف بدولة الكويت<sup>(173)</sup>، ودار الإفتاء المصرية<sup>(174)</sup>، وقال به عامة الفقهاء والباحثين المعاصرين<sup>(175)</sup> وعُلم المنع بأن: "التحديد العام على مستوى الأمة فيه معنى تفضيل جنس على جنس، فهو مضاهاة لفعل أهل الجاهلية، وصورة مُطوّرة للوآد الجاهليّ المُحرّم شرعاً فيأخذ حكمه"<sup>(176)</sup>؛ وذلك فيما لو نزعت الأمم إلى توجيه المسألة نحو اختيار الذكور دون الإناثوخالف الدكتور عبد الناصر أبوالبصل بالقول بجواز ذلك بقوله: "والذي أراه في هذه المسألة - والله أعلم - أن تطبيق قاعدة الضرورة وقاعدة المصلحة أيضاً، وبناءً عليهما نجد أنّ مصلحة الأمة مُقدّمة على مصلحة الأفراد والضرورات تبيح المحظورات، والحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة، فاختلال التوازن لدرجة توصل إلى شيوخ الجريمة والفساد أو ضعف واضمحلال المجتمع تشكّل ضرورة أو حاجة عامة لا يصح إنكارها"<sup>(177)</sup> أما على مستوى الأفراد.. فقد ذهب إلى إجازته كثير من دور الإفتاء في الدول العربية، والفقهاء<sup>(178)</sup>.

وعلم البعض هذا الرأي بأن اختيار الأبوين للولد الذكر يأتي "تلبية لرغبتهما الفطرية وصوناً لهما في شيخوختهما، وحفظاً لأخواته من الإناث وعوناً لهنّ، وتشتد هذه الرغبة عند الأسر المحافظة التي تصون المرأة عن التبدّل والخروج من البيت للبحث عن عمل تنفق منه على نفسها، فيكون وجود الأخ أو الابن الذكر حافظاً لهؤلاء البنات، وصائن لهنّ من أيّ

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

مهانة<sup>(179)</sup>، واستدلّ البعض على جواز ذلك بموقف النبي (ﷺ) حين توفي ابنه إبراهيم، ونزول سورة الكوثر فيمن كانوا يعيونه بأنّ ذريته من الإناث<sup>(180)</sup>.

وخالف الدكتور عبد الناصر أبو البصل بقوله بعدم جواز المسألة على المستوى الفرديّ مُعللاً ذلك بالآتي:

1- أنّ تحديد الحاجة سيكون متوقفاً على رأي وقناعة كلّ أسرة بنفسها... ومعلوم أنّ مسألة الرغبات لا يمكن ضبطها، ولهذا سينتكرس الاختلال، فمعيار الفرد يختلف عن معيار الجماعة.

2- أنّ فتح باب المسألة على المستوى الفرديّ لا يمكن السيطرة عليه ولا ضبطه...

3- أنّ الأمة أو الدولة لديها من الوسائل التي تمكّنها من الوصول إلى التوازن أو تنظيم المسألة<sup>(181)</sup> ورغم الاتفاق مع الدكتور أبي البصل في قوله بعدم جواز تحديد جنس الجنين على مستوى الأفراد، ألا أنّ الخلاف معه يبقى (أسوة بالفقهاء) حول عدم جواز المسألة على مستوى الأمة؛ خاصّة وأنّه لا يوجد الخلل الذي يستلزم البحث في الأمر حتى الآن.

ثانياً- عوامل طبيّة (الأمراض الوراثية):

قال المجيزون لعملية تحديد جنس الجنين بإباحتها بطرق التدخّل الإنسانيّ في حالات توقيّ الأمراض الوراثية لأنّ ذلك يندرج في إطار الضرورة عملاً بقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات).

وقد صدرت فتوى المجمع الفقهيّ الإسلاميّ في ذلك بالنصّ على أنّه "لا يجوز أيّ تدخّل طبيّ لاختيار جنس الجنين إلّا في حال الضرورة العلاجية في الأمراض الوراثية، التي تصيب الذكور دون الإناث، أو بالعكس، فيجوز حينئذٍ التدخّل... على أن يكون ذلك بقرار من لجنة طبيّة مُختصة لا يقلّ عدد أعضائها عن ثلاثة من الأطباء العدول، تقدّم تقريراً طبيّاً بالإجماع يؤكّد أنّ حالة المريضة تستدعي أنّ يكون هناك تدخّل طبيّ حتى لا يصاب الجنين بالمرض الوراثي ومن ثمّ يُعرض هذا التقرير على جهة الإفتاء المُختصة لإصدار ما تراه في ذلك، وضرورة إيجاد جهات للرقابة المباشرة والدقيقة على المستشفيات والمراكز الطبيّة التي تمارس مثل هذه العمليّات في الدول الإسلاميّة، لتمنع أيّ مخالفة لمضمون هذا

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

القرار. وعلى الجهات المختصة في الدول الإسلامية إصدار الأنظمة والتعليمات في ذلك<sup>(182)</sup> ونصّ قرار مجلس الإفتاء بالمملكة الأردنية على أن " يتم حفظ الأمشاج أو الأجنة بطلب خطي من الزوج المعني بالنسبة إلى الأمشاج، ومن الزوجين بالنسبة إلى الأجنة إلى حين نجاح عملية التخصيب ووضع الحمل الناتج عن عملية التخصيب سليماً معافى، وتترك الأمشجة والأجنة الزائدة عن الحاجة بلا عناية حتى تنتهي حياتها"<sup>(183)</sup>.

وقد أورد البعض جملة من المصالح المترتبة على عملية التلقيح المُنتخب للضرورة الطبية، وهي:

- 1- الحصول على النسل (مصلحة مُعتبرة)
- 2- المحافظة عليه بوجوده سليماً معافى (مصلحة معتبرة)
- 3- توفير الأموال التي ستنفق على المُعوقين والمرضى.
- 4- تجنب المجتمع مشكلات اجتماعية ونفسية للمريض ولأسرته وأقاربه وجيرانه والمجتمع بأسره (درء مفسدة).

ولا شك أنّ هذا كلّهُ مندرج تحت قاعدة نفي الضرر والرسول (ﷺ) يقول: " لا ضرر ولا ضرار (184)"<sup>(185)</sup>.

فجملة" هذه المنافع التي يحقّقها هذا العلم إمّا يندرج في التصرفات المشروعة الداعية إلى العلاج والتداوي؛ إذ إنّ معالجة أسباب المرض والتشوّه وتخليص الإنسان من الألم والضرر أمر مطلوب شرعاً؛ حيث أمر الرسول (ﷺ) بالتداوي بقوله: تداواوا عباد الله<sup>(186)</sup>، ويندرج كذلك تحت إزالة الضرر، ودرء المفسدة، وتحصيل النفع والحرص عليه وعلى رفع مستوى الفرد والمجتمع"<sup>(187)</sup> وقد ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: " ما أنزل الله داءً إلاّ أنزل له شفاء"<sup>(188)</sup>، وهذا من وسائل العلاج الممكنة لمواجهة الأمراض الوراثية المستعصية، والتي لا علاج لها إلاّ سلوك هذا السبيل.

وفي ختام هذا السياق؛ يمكن إيراد جملة من المسوّغات التي تخرج بالتدخّل المُختبري لتحديد جنس الجنين بسبب الأمراض الوراثية من حكمه الأصلي (الحرمة) إلى الجواز، وهي:

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

- 1- الموازنة بين المصالح والمفاسد: ففي " حال وجود المرض الوراثي الذي يصيب جنساً مُعيّناً دون آخر؛ فإنّ إنجاب طفل مريض بالمرض الوراثي تترتب عليه مفسدة عامّة تلحق بالمجتمع، وكذلك مفسدة خاصّة تلحق بالمولود بل تمتدّ إلى ذريّته، وبالموازنة بين إنجاب جنس معيّن مريض بالمرض الوراثي يشقى في حياته، بالإضافة إلى ما يسببه لذويه من حرج، وللمجتمع من أعباء ومسئوليات، وبين جنس آخر سليم ومعافى، يعيش حياة طبيعيّة؛ يتعيّن تغيير الحكم عن الحالة الطبيعيّة، وهنا نحن أمام مفسدة قويّة تقابلها مصلحة مُحقّقة فجاز دفع المفسدة وتحقيق المصلحة، فجاز اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي" (189) ومعلوم أنّ الشريعة الإسلامية تقرّ بأنّه "إذا تقابل مكروهان أو محظوران أو ضرران، ولم يمكن الخروج عنهما، وجب ارتكاب أحفهما" (190)، وأنّ "تقديم أرجح المصالح فأرجحها، ودرء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن، وإنّ تقديم المصالح الراجحة عن المفاسد المرجوحة محمود حسن، وأنّ تقديم المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن" (191).
- 2- الدفع أسهل من الرفع (192): والمقصود بذلك أنّه "إذا أمكن دفع الضرر قبل وقوعه فهو أولى وأسهل من رفعه بعد الوقوع؛ لأنّه من الميسور أن ندفع الشيء في بداية الأمر، ولكن قد لا يمكن رفعه بعدما شرع فيه لصعوبة الرفع" (224)، واختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي أيسر من إنجاب إنسان يتألّم من المرض ويشقى به بعد ولادته، ثمّ موته المُحقّق بعد العذاب" (193).
- 3- للوسائل أحكام المقاصد: فمن المُقرّر شرعاً أنّه "إذا كانت الوسيلة سلامة الإنسان العقليّة والجسديّة، فإنّ الوسيلة لذلك مشروعة، وطالما أنّ اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي يحقّق مصالح راجحة للفرد وللمجتمع، ويدراً مفساد مُحقّقة (اجتماعيّة واقتصاديّة) فيلزم الأخذ به شرعاً" (194).
- 4- اعتبار مآلات الأحكام؛ فالناظر في الحكم الشرعيّ يجب عليه أن يلتفت إلى مُنتهى ذلك الحكم، وما يترتب عليه من آثار، فإذا كان المُنتهى يحقّق مصلحة راجحة يجب ملاحظة ذلك الحكم" (195).

### رأي الباحثة في المسألة:

بعد استعراض ما أمكن الوقوف عليه من آراء الفقهاء، والحجج المؤيدة لها؛ فإنه وبالموازنة بين الإيجابيات والمساوي لا يمكن القول بإباحة اختيار جنس المولود بإطلاق، وكذلك لا يجوز القول بمنعها بإطلاق، فقد تكون جائزة في حالات وقد تكون محرمة فهي محكومة بالضوابط والقيود كغيرها من المسائل والأحكام<sup>(196)</sup>.

وعلى ذلك ترى الباحثة ترجيح الرأي القائل بجواز تحديد جنس الجنين وبتفصيل للحالات المختلفة؛ لوجاهة ما سبق من استدلالات بشأنها؛ وإمكان الردّ على ما خالفها، وذلك على النحو التالي:

#### أولاً- الطرق الطبيعّية:

\*\* جواز تحديد جنس الجنين بالطرق الطبيعّية التي تستند إلى أصول شرعية وعلمية؛ كالدعاء، وتوقيت وقت الجماع بحسب دورة الإباضة، واتباع نظام غذائيّ مُعيّن، والغسول المهبلّي (ما لم يُشكّل استعماله إضراراً بالمرأة).

\*\* لا يجوز اتباع الطرق الطبيعّية التي لا تستند إلى أصل شرعيّ أو علميّ؛ كالجدول الصينيّ، والطريقة الحسابية وتوقيت الجماع بحسب دورة القمر؛ لما ثبت من أنّها محض تنجيم وادّعاء.

#### ثانياً- الطرق غير الطبيعّية:

\*\* جواز استعمال العقاقير والهرمونات التي تساعد على تحديد جنس الجنين؛ ما لم تتسبّب في أضرار للمرأة.

\*\* عدم جواز الإجهاض المُنتخب (قبل التلقيح وبعده) لتحديد جنس الجنين إلاّ فيما تقتضيه الضرورة الطبيّة.

3- عدم جواز ما يُعرّف بالتلقيح المُنتخب (التدخّل المختبريّ في التلقيح) بسبب الدوافع والعوامل الاجتماعيّة؛ سواء كان على مستوى الأفراد والأسر أو كان على مستوى الأمّة، وقصر إجازته على حالات الضرورة الطبيّة كالأمراض الوراثيّة وبضوابط تضمن تطبيق

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

عمليات التدخل بالصورة المقبولة شرعاً، وفي هذا السياق.. اختارت الباحثة جملة من الضوابط التي رأت أنها توافق ما استأنست إليه من أقوال الباحثين والفقهاء، وهي:

\*\* أن يوقن المسلم في سعيه اليقين بأن الله (ﷻ) هو من يهب الولد، وأنه (تعالى) فعّال لما يريد.

\*\* أن تُضبط عملية تحديد جنس الجنين (بالتدخل المُختبري) بقوانين صارمة تمنع من التلاعب بالأنساب، وتحول دون إخضاعه للتجريب، والإساءة للجنين وأسرته.

\*\* ألا يُسمح بإجرائها إلا في مراكز طبيّة إسلامية، وعلى أيدي أطباء مسلمين تفادياً لما يمكن أن يحصل من تجاوزات تطلّ الزوجين وجنينهما.

\*\* أن تخضع عملية تحديد جنس الجنين لضوابط إجرائية دقيقة، كذلك التي وردت في قرار المجمع الفقهي الإسلامي بالخصوص في تشريعات الدول الإسلامية التي تعتمد طريقة التلقيح المُختبري.

\*\* إيجاد ضمانات رقابية تحول دون العبث بماء الرجل، أو البيوضات المُلقحة واستعمالها في أعراض أخرى، وهنا يمكن استحضار ما ورد في قرار مجلس الإفتاء بالمملكة الأردنية (الذي تمّت الإشارة إليه سابقاً).

الخاتمة:

بعد هذا الطرح الموجز لموضوع البحث؛ يمكن استخلاص جملة من النتائج والتوصيات هي:

أولاً- النتائج:

\*\* أن توافق أقوال العلماء مع ما ورد في النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة دليل على إعجاز شريعة الإسلام (قرآناً وسنة) وسبقها للفتوحات العلمية.

\*\* مرونة الشريعة الإسلامية ومواكبتها لقضايا العصر وما يستجدّ فيه من قضايا في حياة الأفراد والأمة، وهو أمر ينفي عن الإسلام تهمة التخلف والعجز عن مواكبة ركب الحضارة الإنسانية.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

\*\* أن ضبط الشريعة الإسلامية للسلوك العلمي ليس دليلاً على محاربتها إياه (كما يدّعي البعض) وإنما هو حفظ لمصالح العباد أفراداً وجماعات حتى لا تتحوّل الإنجازات العلمية إلى سلاح مدمر يعيق حياة الإنسانية ويدفع بها نحو الفوضى والدمار.

ثانياً-التوصيات:

- 1- إنشاء المراكز البحثية المتطورة على مستوى العالم الإسلامي لدراسة النصوص الشرعية في ضوء الحقائق العلمية للكشف عن مدى عظمة الشريعة الإسلامية.
- 2- عقد الندوات والمؤتمرات، وتبادل المعلومات بين العلماء والمتخصصين في كافة المجالات العلمية من أبناء الأمة الإسلامية للتعريف بما تتضمنه النصوص الشرعية الإسلامية من حقائق علمية.
- 3- ضرورة التعريف بالسبق الإسلامي في نصوصه التشريعية في المحافل الدولية وما حققه من فتوحات علمية في جملة من القضايا المعاصرة؛ الأمر الذي يدفع عنه تهمة التخلف عن الركب الحضاري، وعجزه عن مسايرة التطور.
- 4- توظيف وسائل الإعلام في عقد الحوارات والتعريف بجهود المتخصصين من المسلمين في الكشف عن مزيد القضايا العلمية تيسيراً على فقهاء الأمة في فهمها وتكييفها بما يتوافق مع أحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية.

وأخيراً..

فإن ما قدّمته لا يعدو أن يكون عملاً بشرياً محكوماً بالقصور؛ إذ لا كمال إلا لصنع الله (ﷻ)، وحسبي من ذلك أن أكون قد قدّمت ما يُستفاد، وأدركت بعضاً مما يُراد، وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه مآب.

الهوامش:

1-سورة التوبة، الآية: 33.

- 2- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمّد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 30، نقلاً عن: شكري صالح إبراهيم الصعيدي، التحكم في جنس الجنين (مجلة الشريعة والقانون)، العدد 23، الجزء الثاني، ص 340.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

- 3- الدكتور خالد بن عبد الله المصلح، رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين، ص 21، نقلاً عن دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، 2/ 880، موقع د. نجيب ليوس..  
<http://www.layyous.com>
- 4- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين، نُشر بتاريخ 24-9-2012م، نقلاً عن (sheaf- On line).
- 5- الدكتور عباس أحمد محمد الباز، اختيار جنس المولود وتحديده قبل تخلفه وولادته بين الطب والفقه، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الثاني/871.
- 6- وقد توقّف عدد قليل من العلماء في المسألة، منهم الدكتور عمر سليمان الأشقر، الذي قال: "إنّ القضية تحتاج إلى اجتهاد وإلى مزيد من الدراسة والتأني"، والدكتور توفيق الواعي، الذي رأى أنّ الأمر في علم الغيب، فلا بدّ من الانتظار حتى تظهر بوادره) الدكتور ناصر عبد الله الميمان، اختيار جنس الجنين من المنظور الشرعي، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، ص 72، نقلاً عن: المناقشات الفقهية حول التحكّم في جنس الجنين، ضمن ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام، ص 102-103-115، والمسائل المُستجدة في ضوء الشريعة الإسلامية، 1/ 232-233، واختيار جنس الجنين دراسة فقهية طبية، ص 62.
- 7- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص 62.
- 8- الدكتور زياد طارق حمّودي نجم الجبوري، اختيار جنس الجنين بين الشريعة والطب، ص 240-2410 نقلاً عن الدكتور: أحمد محمد كنعان، الموسوعة الطبية الفقهية، ص 268.
- 9- الدكتور جمال حامد السيد حسنين، المسؤولية المُشتركة للرجل والمرأة في تحديد نوع الجنين، المؤتمر العلمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 332.
- 10- الدكتور محمد عليّ البار، خلق الإنسان بين الطبّ والقرآن، ص 135-136.
- 11- المصدر السابق، ص 137-138.



- 12- النحل: 4، الكهف: 36، الحج: 5، المؤمنون: 13-14، فاطر: 11، يس: 77، غافر: 67، النجم: 46 القيامة: 37، الإنسان: 2، عبس: 19.
- 13- سورة القيامة، الآيات: 36-40.
- 14- سورة النجم، الآيات: 45-46.
- 15- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 36-37، نقلاً عن ياسر أحمد الشمالي، تحديد جنس الجنين في ضوء القرآن والسنة والمعارف الطبية الحديثة، ص 4.
- 16- بالكسر والفتح واحد (أخبار) اليهود، والكسر أفصح (أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 65).
- 17- أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة، وأنّ الولد مخلوق من مائهما، حديث رقم 315، المجلد الثاني، 3/568.
- 18- الدكتور جمال حامد السيد حسانين، المسؤولية المشتركة للرجل والمرأة في تحديد نوع الجنين، المؤتمر العلمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 332.
- 19- الدكتور عباس أحمد محمد الباز، اختيار جنس المولود وتحديد قبل تخلفه وولادته بين الطب والفقه، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، 2/875.
- 20- الدكتور جمال حامد السيد حسانين، المسؤولية المشتركة للرجل والمرأة في تحديد نوع الجنين، المؤتمر العلمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 327-329.
- 21- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 37، نقلاً عن الزندانى، ولد أم بنت، موقع مكنون (www.maknoon.com)
- 22- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ص 1727، نقلاً عن الدكتور خالد بكر كمال، هل تستطيع اختيار جنس مولودك؟، ص 7.
- 23- المصدر السابق، نفس الصفحة، نقلاً عن الدكتور خالد بكر كمال، هل تستطيع اختيار جنس مولودك؟، ص 7.

- 24- الدكتور خالد بن عبد الله المصلح، رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين، ص 4.
- 25- سورة النحل، الآية: 58- 61.
- 26- سورة التكوير، الآيتان: 8- 9.
- 27- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ص 1727.
- 28- الدكتورة منيرة علي آل مناحي الغامدي، تحديد جنس الجنين في الشريعة الإسلامية، ص 14، نقلاً عن سامرة محمد حامد العمري، الأحكام الشرعية المتعلقة بأحكام جنس الجنين والمولود، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1999م، ص 106.
- 29- محمد عثمان شبير، موقف الإسلام من الأمراض الوراثية، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الأول/ 334.
- 30- حالة ترجع إلى تفاعل تركيب عاملي نادر يُنتج عنه مظاهر سيئة التلاوم في البيئات التي تعطي فيها التراكيب العاملة الطبيعية أو العادية مظاهر غير مُرضية، الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 32، نقلاً عن سيتوت ومن معه، أساسيات علم الوراثة، ص 32.
- 31- محمد عثمان شبير، موقف الإسلام من الأمراض الوراثية، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الأول/ 334.
- 32- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الثاني/ 700، نقلاً عن قاسم سارة، المعجم المصوّر في الهندسة الوراثية، ص 110- 111.
- 33- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، شبكة الألوكة، قسم الكتب، ص 1727.
- 34- الدكتور: محمد الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص 60.
- 35- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 32، نقلاً عن سيتوت ومن معه، أساسيات علم الوراثة، ص 33.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

- 36- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الثاني/ 700، نقلاً عن قاسم سارة، المعجم المصوّر في الهندسة الوراثية، ص 110-111.
- 37- فادية محمّد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص 86 بتصرّف.
- 38- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمّد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 34-35، نقلاً عن جمال الدين نصرت وعبد الرؤوف سليم، مقدّمة في علم الوراثة، ص 130.
- 39- فادية محمّد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص 86، نقلاً عن سامر العمري، الأحكام الشرعية المتعلقة باختيار جنس الجنين والمولود، ص 106 بتصرّف.
- 40- الدكتور عبد الرحمن اليحيى، المُختَصَر المفيد في تحديد جنس الوليد، ص 1-2 بتصرّف.
- 41- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ص 1730.
- 42- المصدر السابق، ص 1743، نقلاً عن ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص 3-9.
- 43- سورة الصافات، الآيتان: 100-101.
- 44- سورة مريم، الآيات: 1-7.
- 45- الدكتور عبد الرحمن اليحيى، المُختَصَر المفيد في تحديد جنس الوليد، ص 24 بتصرّف.
- 46- المصدر السابق، ص 20، بتصرّف.
- 47- الدكتور خالد بن عبد الله المصلح، رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين، ص 23، نقلاً عن الدكتور لاندروم والدكتور ديفيد، كيف تختار جنس مولودك، ص 222-224.

- 48- الدكتور عبد الرحمن اليحيى، المُختَصَر المفيد في تحديد جنس الوليد، ص 2 بتصريف.
- 49- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، ص1738-1739، نقلاً عن الدكتور محمّد الحناوي، كيف تختار جنس مولودك القادم؟ (www.heocities.com).
- 50- المصدر السابق، ص1738، نقلاً عن الدكتور محمّد الحناوي، كيف تختار جنس مولودك القادم؟ (www.heocities.com).
- 51- المصدر السابق، ص 1739.
- 52- الدكتور عبد الرحمن اليحيى، المُختَصَر المفيد في تحديد جنس الوليد، ص 26.
- 53- الدكتور ناصر عبد الله الميمان، اختيار جنس الجنين من المنظور الشرعيّ، مجلة المجمع الفقهيّ الإسلاميّ، ص 52.
- 54- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، شبكة الألوكة، قسم الكتب، ص 1736، نقلاً عن الدكتور عبد الرشيد قاسم، اختيار جنس الجنين، ص 42.
- 55- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، تحديد جنس الجنين.
- 56- تمكّن العلماء من معرفة جملة من الخصائص التي يمكن بها التفريق بين الحيوانات المنويّة المُذَكَّرَة والمؤنّثة؛ منها أنّ الحيوانات المُذَكَّرَة أصغر حجماً، وأخف وزناً، وأكثر سرعة وقوّة وحيويّة، وأقصر عمراً، وأقلّ تحملاً من الحيوانات المنويّة الأنثويّة، وأنها حمل شحنة موجبة، وتميل إلى الوسط القاعديّ على عكس الحيوانات الأنثويّة (الدكتور زياد طارق حمّودي نجم الجبوري، اختيار جنس الجنين بين الشريعة والطبّ، ص 243 وما بعدها نقلاً عن جملة من المصادر منها: الدكتورة سامية التمتامي، الوراثة البشريّة.. الحاضر والمستقبل، ص 53 وما بعدها، و الدكتور أنطوان سعد، التحديد المسبق للجنين، ص 14 وما بعدها، الدكتور مصلح بن عبد الحيّ النجار والدكتور إياد احمد، مستجدّات طبيّة معاصرة من منظور فقهيّ، ص 95).

57- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، شبكة الألوكة، قسم الكتب، ص 1740، نقلاً عن الدكتور نجم عبد الواحد، تحديد جنس الجنين، 3/ 5-6-507 بتصرف.

58- الدكتور عبد الرحمن اليحيى، المُختَصَر المفيد في تحديد جنس الوليد، ص 2.

59- الدكتور زياد طارق حمّودي نجم الجبوري، اختيار جنس الجنين بين الشريعة والطب، ص 243، نقلاً عن أحمد عمرو الجابري، تعيين جنس الجنين والممارسات الطبيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة، ص 27-41.

60- المصدر السابق، ص 243، نقلاً عن كارم السيد غنيم، الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء، ص 288.

61- سورة الرعد، الآية: 8

62- سورة لقمان، الآية: 34.

63- البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ حديث رقم 4697، 4/ 1040، وتتمّة الحديث: "... ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفس بأيّ أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"

64- الدكتور ناصر عبد الله الميمان، اختيار جنس الجنين من المنظور الشرعيّ، مجلّة المجمع الفقهيّ الإسلاميّ، ص 55-56.

65- سورة الشورى، الآيتان: 49-50.

66- الدكتور ناصر عبد الله الميمان، اختيار جنس الجنين من المنظور الشرعيّ، مجلّة المجمع الفقهيّ الإسلاميّ، ص 71-72، وقد نقل هذا الإنكار عن الشيخ عبد الرحمن

عبد الخالق، ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام، ص 110.

67- سورة آل عمران، الآية: 6.

68- سورة الشورى، الآيتان: 49-50.

- 69- الدكتور ناصر عبد الله الميمان، اختيار جنس الجنين من المنظور الشرعي، ص 62-63، نقلاً عن فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلميّة والإفتاء بالسعوديّة، الفتوى رقم: 1552، 2/ 171-173.
- 70- المصدر السابق، ص 63، نقلاً عن فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلميّة والإفتاء بالمملكة العربيّة السعوديّة، 2/ 171-173.
- 71- المصدر السابق، ص 63-64، نقلاً عن مقال بعنوان: البرهان العلمي للإسلام، منشور على موقع (www.islam-for-everyone.com) بتاريخ 2- 2- 1426 هجريّة.
- 72- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، الهندسة الوراثيّة من المنظور الشرعيّ، دراسات فقهية في قضايا طبيّة معاصرة، المجلد الثاني/ 718، نقلاً عن الدكتور يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة، ص 576.
- 73- أخرجه البخاريّ في الصحيح، كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ الصافات 171، حديث رقم: 7454، 6/ 1610.
- 74- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، الهندسة الوراثيّة من المنظور الشرعيّ، دراسات فقهية في قضايا طبيّة معاصرة، المجلد الثاني/ 719.
- 75- الدكتور عباس أحمد محمّد الباز، اختيار جنس المولود وتحديده قبل تخلّقه وولادته بين الطبّ والفقّه، دراسات فقهية في قضايا طبيّة معاصرة، المجلد الثاني/ 867.
- 76- سورة لقمان، الآية: 34.
- 77- الطبري، جامع البيان عن تأويل أيّ القرآن، المجلد الحادي عشر، 22/ 106.
- 78- سورة الأنعام، الآية: 59.
- 79- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/ 281.
- 80- سورة الأنعام، الآية: 59.
- 81- ابن العربي، أحكام القرآن، 2/ 180-181.
- 82- سورة الحجر، الآية: 21.

- 83- الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، المجلد السابع، 8/13.
- 84- الشوكاني، فتح القدير، 1/652.
- 85- الدكتور عباس أحمد محمد الباز، اختيار جنس المولود وتحديده قبل تخلّقه وولادته بين الطبّ والفقه، دراسات فقهية في قضايا طبيّة معاصرة، المجلد الثاني/870.
- 86- الدكتور ناصر عبد الله الميمان، اختيار جنس الجنين من المنظور الشرعيّ، مجلة المجمع الفقهيّ الإسلاميّ، ص 65.
- 87- المصدر السابق، ص 55-56.
- 88- زياد أحمد سلامة، أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، ص 13 وما بعدها بتصرّف.
- 89- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، الهندسة الوراثية من المنظور الشرعيّ، دراسات فقهية في قضايا طبيّة معاصرة، المجلد الثاني/724.
- 90- سورة التكويد، الآية: 29.
- 91- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، الهندسة الوراثية من المنظور الشرعيّ، دراسات فقهية في قضايا طبيّة معاصرة، المجلد الثاني/720، نقلاً عن الدكتور يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة، ص 576.
- 92- أخرجه البخاريّ في الصحيح، كتاب الطبّ، باب: ما يُذكر في الطاعون، حديث رقم: 5397، 5/1283، ومسلم في كتاب السلام، باب: الطاعون والطيرة، حديث رقم 2219، المجلد السابع، 14/2700.
- 93- أخرجه الترمذي في السنن (مُختصر) كتاب الطبّ، باب: ما جاء في الرقى والأدوية، حديث رقم 2066، ص 284.
- 94- الدكتور ناصر عبد الله الميمان، اختيار جنس الجنين من المنظور الشرعيّ، مجلة المجمع الفقهيّ الإسلاميّ، ص 65.
- 95- سورة الأعراف، الآية: 54.
- 96- زياد أحمد سلامة، أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، ص 13 وما بعدها بتصرّف.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

- 97- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن الحابس، تحديد جنس الجنين، ص 1750، نقلاً عن الدكتور خالد بكر كمال، هل تستطيع اختيار جنس مولودك؟، ص 49.
- 98- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الثاني، 720.
- 99- أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب النكاح، باب: حكم العزل، حديث رقم 1439، المجلد الخامس، 10/ 1748.
- 100- الدكتور ناصر عبد الله الميمان، اختيار جنس الجنين من المنظور الشرعي، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، ص 63- 64، نقلاً عن جملة من المصادر.
- 101- الدكتور زياد طارق حمودي نجم الجبوري، اختيار جنس الجنين بين الشريعة والطب، ص 260.
- 102- أورد الدكتور عمر مولود عبد الحميد في كتابه الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، ص 13، تعريفاً اصطلاحياً للفقه بأنه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية من الأدلة التفصيلية" وقال أن قيد الأحكام الشرعية بالعملية مخرج للأحكام الشرعية العقائدية والأخلاقية.
- 103- المحامي رامي الغالبي، مشروعية أطفال الأنابيب في الفقه الإسلامي والقانون.
- 104- الشاطبي، الموافقات، المجلد الأول، 2/ 26.
- 105- أورد الدكتور عمر مولود عبد الحميد في كتابه الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، ص 153، تعريفاً للعلّة بأنها: "الوصف المَعْرَف للحكم بحيث يُضاف إليه، بمعنى أن يدلّ على الحكم في جميع محالّه".
- 106- المحامي رامي الغالبي، مشروعية أطفال الأنابيب في الفقه الإسلامي والقانون، نقلاً عن: الدكتور كارم السيد غنيم، الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء (القاهرة، دار الفكر العربي، ط1/ 1998م، ص 317).
- 107- المصدر السابق، نقلاً عن: الدكتور كارم السيد غنيم، الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء (القاهرة، دار الفكر العربي،



ط1/ 1998م، ص 317).

108- الدكتورة منيرة علي آل مناحي الغامدي، تحديد جنس الجنين في الشريعة الإسلامية، ص 21.

109- الشاطبي، الموافقات، المجلد الأول، 2/ 26.

110- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين.

111- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 35.

112- سورة مريم، الآيات: 1- 7.

113- سورة الصافات، الآية: 100.

114- محمد عثمان شبيب، موقف الإسلام من الأمراض الوراثية، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الأول، ص 339.

115- بالكسر والفتح واحد (أخبار) اليهود، والكسر أفصح (أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 65.

116- أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة، وأن الولد مخلوق من مائهما، حديث رقم 315، المجلد الثاني، 3/ 568.

117- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 37، نقلاً عن علي غازي تفاحة، التدخل البشري في اختيار جنس الجنين، ص 1425 (وقد سبق التعرض للحديث الشريف في الصفحات السابقة).

118- الدكتور عباس أحمد محمد الباز، اختيار جنس المولود وتحديده قبل تخلقه وولادته بين الطب والفقه، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الثاني/ 875.

119- أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب النكاح، باب: حكم العزل، حديث رقم 1439، المجلد الخامس، 10/ 1748.

120- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

- 121- عبد الحميد راجح الكردي، تحديد جنس الجنين بين المجيزين والمانعين.
- 122- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمّد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 38.
- 123- الدكتور خالد بن عبد الله المصلح، رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين.
- 124- الدكتور ناصر عبد الله الميمان، اختيار جنس الجنين من المنظور الشرعي، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، ص 72، نقلاً عن كتابه المسائل الطبية المستجدة في ضوء الشريعة الإسلامية، 1/ 234.
- 125- سبق تناول استدلال المانعين بنصوص القرآن الكريم المتعلقة بعلم الله الغيبي ومشيبته ضمن الإطار العقائدي.
- 126- سورة النساء، الآية: 119.
- 127- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمّد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 40، نقلاً عن علي غازي تفاحة، التدخّل البشري في اختيار جنس الجنين، ص 1408.
- 128- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن الياس، تحديد جنس الجنين، ص 1760، نقلاً عن عمر الأشقر، مناقشة الحكم في جنس الجنين في ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام، ص 103.
- 129- الدكتور عارف علي عارف، قضايا فقهية في الجينات البشرية من منظور إسلامي، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الثاني/ 766.
- 130- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمّد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 40، نقلاً عن علي غازي تفاحة، التدخّل البشري في اختيار جنس الجنين، ص 1409.
- 131- المصدر السابق، ص 40، نقلاً عن ياسر أحمد الشمالي، تحديد جنس الجنين في ضوء القرآن والسنة والمعارف الطبية الحديثة، ص 7.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

- 132- الدكتور عباس أحمد محمد الباز، اختيار جنس المولود وتحديده قبل تخلفه وولادته بين الطبّ والفقّه، دراسات فقهيّة في قضايا طبيّة معاصرة، المجلّد الثاني/872-873.
- 133- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين.
- 134- عبد الحميد راجح الكردي، تحديد جنس الجنين بين المجيزين والمانعين.
- 135- سورة المائدة، الآية: 3.
- 136- سورة الأنعام، الآية: 119.
- 137- علي أحمد الندوي، القواعد الفقهيّة، ص 308.
- 138- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن الياس، تحديد جنس الجنين، ص 1764، نقلاً عن الدكتور همّ سعيد، قضايا طبيّة معاصرة 2م 300، والدكتور عبد الله النجار، الخطأ العقدي في مجال استخدام الهندسة الوراثيّة، 2/ 1061 (بحوث مؤتمر الهندسة الوراثيّة).
- 139- المصدر السابق، ص 1764، نقلاً عن الدكتور محمد الأشقر، قضايا طبيّة معاصرة، 2/ 300.
- 140- المصدر السابق، ص 1765.
- 141- الدكتور مازن إسماعيل هنيّة والأستاذة منال محمد رمضان العشيّ، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثيّ، ص 40، نقلاً عن شكري صالح إبراهيم الصعيدي، التحكّم في نوع الجنين (مجلة الشريعة والقانون، العدد الثالث والعشرون، الجزء الثاني).
- 142- الدكتور عباس أحمد محمد الباز، اختيار جنس المولود وتحديده قبل تخلفه وولادته بين الطبّ والفقّه، دراسات فقهيّة في قضايا طبيّة معاصرة، المجلّد الثاني/871، نقلاً عن الدكتور محمد الربيعي، الوراثة والإنسان، ص 165 (بتصرّف).
- 143- المصدر السابق، المجلّد الثاني/872.
- 144- الدكتور مازن إسماعيل هنيّة والأستاذة منال محمد رمضان العشيّ، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثيّ، ص 40، نقلاً عن علي غازي تفاحة، التدخّل البشريّ في اختيار جنس الجنين، ص 1434.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

- 145- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ص 1760، نقلاً عن الدكتور عبد الله الغطيميل، موقع الإسلام اليوم، بحوث ودراسات، دراسات علمية (www.islamtoday.com).
- 146- المصدر السابق، ص 1761.
- 147- المصدر السابق، ص 16-17. (www.almosleh.com).
- 148- سورة التوبة، الآية: 128.
- 149- سورة الأنبياء، الآية: 107.
- 150- أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الطلاق، باب: بيان أنّ تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، حديث رقم 1478، المجلد الخامس، 10 / 1803-1804.
- 151- محمّد هارون طلحة، المناهج الأصولية في استنباط أحكام القضايا الفقهية المعاصرة، ص 135.
- 152- سورة مريم، الآيات: 1-7.
- 153- محمد عثمان شبير، موقف الإسلام من الأمراض الوراثية، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الأول/ 339.
- 154- سورة البقرة، الآية: 186
- 155- فتوى المجمع الفقهي الاسلامي، الدورة التاسعة عشر المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من 27/22 شوال/1428هـ التي يوافقها 8.3 / نوفمبر/2007م، القرار السادس، بشأن موضوع: اختيار جنس الجنين.  
<http://www.themwl.org/Fatwa/default...&cidi=168&l=AR>
- 156-الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، شبكة الألوكة، قسم الكتب، ص 1744، نقلاً عن الدكتور عبد الرشيد قاسم، اختيار جنس الجنين، ص 71.
- 157- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين، نُشر بتاريخ 24-9-2012م.  
[www.aliftaa.jo/Research.aspx?ResearchId=38](http://www.aliftaa.jo/Research.aspx?ResearchId=38).

158- الدكتور خالد بن عبد الله المصلح، رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين، كتاب الكتروني، ص 25- 26. (www.almosleh.com).

وقد نقل في نفس الموضوع فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية (فتوى رقم (21820)، بتاريخ 22- 1- 1422 جرية (www.almosleh.com) حول الجدول الصيني ما نصّه: "... وأما تحديد نوعه بموجب الجدول المشار إليه فهو كذب وباطل؛ لأنه من ادّعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله (ﷻ)"، وكذلك فتوى مركز الفتوى بالسعودية (فتاوى الشبكة الإسلامية، 5- 3302) القول بأنه لا يجوز اعتماد هذه الطريقة أو غيرها مما يشبهها كالجدول الصيني المذكور في السؤال لمعرفة أمر غيبي كتحديد الجنين أو غيره، والاعتماد على هذه الطريقة من جنس أعمال العرافين والمنجمين الذين يجعلون للأيام والشهور وأسماء الأشخاص تأثيراً في الخلق، ووسيلة لمعرفة إلى معرفة أمور الغيب، وهذا من أعظم المحرمات؛ لأن ذلك من الشرك القبيح الذي نهى الله عنه"

159- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين.

160- الدكتور عبد الرحمن اليحيى، المُختَصَر المفيد في تحديد جنس الوليد، ص 26.

161- محمد عثمان شبير، موقف الإسلام من الأمراض الوراثية، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الأول/ 343- 344.

162- المصدر السابق، المجلد الأول/ 345.

163- عمر سليمان الأشقر، الاستفادة من الأجنة المجهضة أو الزائدة عن الحاجة في التجارب العلمية وزراعة الأعضاء، دراسات فقهية في قضايا

طبية معاصرة، ص 309- 310

164- محمد عثمان شبير، موقف الإسلام من الأمراض الوراثية، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الأول/ 345.

165- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد الأول/ 719.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

- 166- لم يتم إيراد القول بعدم الجواز لأنه تم تناوله ضمن الإطار العقائدي.
- 167- ومنهم الدكتور القرضاوي، والدكتور محمد الأشقر، والدكتور محمد عثمان شبير، والدكتور محمد رأفت عثمان، والدكتور عبد الستار أبو غدة، وناصر الميمان، والدكتور إياد أحمد إبراهيم، والدكتور عبد الرشيد قاسم، والدكتور خالد المصلح (يُنظر الدكتور هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ص 1753).
- 168- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين.
- 169- ومنهم الشيخ معوض عوض إبراهيم، ويدر المتولي عبد الباسط، والدكتور محمود السطاوي، والدكتورة ندى الدقر، والدكتور يوسف عبد الرحيم، والدكتور عبد الله النجار، والدكتور محمد حسن أبو يحيى، والدكتور عبد الناصر أبو البصل (الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، شبكة الألوكة، قسم الكتب، ص 1753 - 1754).
- 170- فتوى المجمع الفقهي الإسلامي، الدورة التاسعة عشر المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من 27/22/شوال/1428هـ التي يوافقها 83/ نوفمبر/2007م، القرار السادس، بشأن موضوع: اختيار جنس الجنين.
- <http://www.themwl.org/Fatwa/default...&cidi=168&l=AR>
- 172- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن الحابس، تحديد جنس الجنين، ص 1750، نقلاً عن ندوة الإنجاب، ص 349.
- 172- المصدر السابق، ص 1750، نقلاً عن قضايا طبيّة معاصرة، 2/ 316.
- 173- فتوى رقم 8506، بتاريخ 29-01-2008،
- <http://islam.gov.kw/Pages/ar/Fatwaltem.aspx?itemId=1106>.
- 174- الصفحة الرسمية لدار الإفتاء المصرية/ جمهورية مصر العربية، الخميس 30- أغسطس - 2018م، الموافق 19- ذي الحجة 1439هـ، المجلس العلمي.

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

175- منهم الدكتور عبد الستار أبو غدة، والدكتور محمّد النجمي، والدكتور محمد حسن أبو يحيى، وندى الدقر ويوسف عبد الرحيم وغيرهم (الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن الحابس، تحديد جنس الجنين، شبكة الألوكة، قسم الكتب، ص 1750).

176- الدكتورة هيلة بنت عبد الرحمن الحابس، تحديد جنس الجنين، شبكة الألوكة، قسم الكتب، ص 1750، نقلاً عن الدكتور همّام سعيد، قضايا طبيّة معاصرة، 2/ 300، والدكتور عبد الله النجّار، الخطأ العقديّ في مجال استخدام الهندسة الوراثيّة (بحوث مؤتمر الهندسة الوراثيّة بين الشريعة والقانون)، 2/ 1061، وندى الدقر ويوسف عبد الرحيم، معرفة جنس الجنين والتدخّل لتحديدّه (بحوث مؤتمر الهندسة الوراثيّة بين الشريعة والقانون) 1/ 214.

177- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين.

178- صدر جواز ذلك عن دار الإفتاء المصريّة، وإفتاء قطر، ومن العلماء المعاصرين: يوسف القرضاوي، وعبد الله البسام، ومصطفى الزرقا، وعبد الله بن بيّة، ونصر فريد، وعلي جمعة، وشوقي علام، ومحمّد رأفت (يُنظَر عبد الحميد راجح الكردي، تحديد جنس الجنين بين المجيزين والمانعين).

179- الدكتور عبّاس أحمد محمّد الباز، اختيار جنس المولود وتحديدّه قبل تخلّقه وولادته بين الطبّ والفقّه، دراسات فقهيّة في قضايا طبيّة معاصرة، المجلّد الثاني/ 877-878.

180- المصدر السابق.

181- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين.

182- فتوى المجمع الفقهي الإسلامي، الدورة التاسعة عشر المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من 27/22 شوال/1428هـ التي يوافقها 8.3/ نوفمبر/2007م، القرار السادس، بشأن موضوع: اختيار جنس الجنين.

<http://www.themwl.org/Fatwa/default....&cidi=168&l=AR>

تحديد جنس الجنين وموقف الشريعة الإسلامية منه

183- القرار رقم: 120، 5- 2008م، تعديلات مُقترحة على مسودة مشروع قانون التقنيات الطبيّة المساعدة على الإنجاب بتاريخ 7- 7- 1429 هجرية، الموافق: 10- 7- 2008م.

<https://www.aliftaa.jo/Decision.aspx?DecisionId=122>.

184- أخرجه ابن ماجه في السنن (مُختَصَر)، كتاب الأحكام، باب: من بنى في حقّه ما يضرّ بجاره، حديث رقم 2340، ص 296.

185- الدكتور عبد الناصر أبو البصل، بحث بعنوان: تحديد جنس الجنين.

186- أخرجه البخاري، كتاب الطبّ، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، حديث رقم 5678، وقال الإمام ابن حجر في شرحه للصحيح: في رواية طلحة بن عمرو من الزيادة في أول الحديث "يا أيّها الناس تداووا" (فتح الباري.. شرح صحيح البخاري، 10/ 156).

187- الدكتور عارف علي عارف، قضايا فقهية في الجينات البشرية من منظور إسلامي، دراسات فقهية في قضايا طبيّة معاصرة، المجلد الثاني/750

188- أخرجه البخاري، كتاب الطبّ، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، حديث رقم 5678، 5/ 1275.

189- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمّد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 42- 43.

190- علي أحمد الندوي، القواعد الفقهية، ص 204.

191- محمّد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 78، نقلاً عن العزّ بن عبد السلام.

192- وهي قاعدة فقهية مفادها: أنّ الدفع يكون قبل الثبوت، والرفع بعده (علي أحمد الندوي، القواعد الفقهية، ص 185).

193- الدكتور مازن إسماعيل هنية والأستاذة منال محمّد رمضان العشي، اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي، ص 43، نقلاً عن السبكي، الأشباه والنظائر، 1/ 127.



- 225- المصدر السابق، ص 43.  
226- المصدر السابق، ص 34.  
227- المصدر السابق، ص 43  
228- الدكتور عباس أحمد محمّد الباز، اختيار جنس المولود وتحديده قبل تخلّقه وولادته بين الطبّ والفقّه، دراسات فقهيّة في قضايا طبيّة معاصرة، المجلّد الثاني/879.

تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم  
المعلومات الجغرافية

د. منصور رمضان سالم غريبي

كلية الآداب، جامعة الزاوية

ملخص:

استهدف البحث تتبع التوسع العمراني واتجاهاته للسنوات 1976-1986-2010-2017، باستخدام طريقة التقييم غير الموجه (Unsupervised Classification)، بطريقة التحليل العنقودي الإحصائية (Iso data)، حيث أظهرت النتائج أن منطقة الدراسة، قد شهدت نمو عمراني متسارع خلال المدة (1976-2017)، بحيث ارتفعت مساحة الكتلة العمرانية من (607 - 3001) هكتار، فقد نمت المدينة وتوسعت عمانيا في مختلف الاتجاهات، بحيث اتسم النمو العمراني بالتشتت والانتشار الواسع للرقعة العمرانية، وظهور تجمعات عمرانية عشوائية غير منضبطة وتفتقر لخدمات البنية التحتية، وقد أمكن من خلال الدراسة تكوين قاعدة بيانات جغرافية (زمنية - مكانية) للتوسع العمراني للمدينة خلال المدة (1976-2017).

**Abstract:**

The research aimed to track the urban expansion and its trends for the years 1976-1986-2010-2017, by deriving the area of the urban cluster from the Landsat visuals, using the Unsupervised Classification method, using the statistical cluster analysis (Iso data), where The results showed that the study area witnessed a rapid urban growth during the period (1976-2017), as the area of the urban cluster increased from (607 - 3001) hectares, as the city grew and expanded in various directions, so that the urban growth was characterized by dispersion and the widespread spread of the urban

area And the emergence of random urban gatherings that are not controlled and lack the infrastructure services, and it was possible through the study to create a geographical database (time – spatial) for the urban expansion of the city during the period (1976–2017).

#### مقدمة:

يعد التوسع العمراني السريع قضية بيئية معقدة، أثارة اهتمام المختصين والباحث، لتعدد أنماطها واختلاف أسبابها وأثرها على النظم البيئية<sup>1</sup>، لارتباطها بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، وخلق العديد من المشكلات المرتبط بالتوسع العمراني العشوائي وما ينجم عنها من آثار بيئية واقتصادية واجتماعية يتفاقم اثرها بمرور الزمن، مما يستوجب على المخططين وصناع القرار إيجاد السبل الكفيلة التي من شأنها تحقيق تنمية عمرانية مستدامة، تلبي الاجتياحات السكنية وتحافظ على الموارد الطبيعة وتعد التقنيات الحديثة المتمثلة الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية، من أهم وسائل رصد ومراقبة التغيرات في حركة التنمية العمرانية، وذلك لما لها من إمكانيات يمكن توظيفها في مجال إدارة التجمعات العمرانية، وقد شهدت منطقة الدراسة توسعا عمرانيا متسارعا وبالذات خلال العقود القليلة الماضية، بحيث أصبحت المدينة تنمو نحو أطرافها وخارج حدود مخططاتها العمرانية، حيث ساعدت جملة من العوامل على اتساع الرقعة العمرانية على حساب الأراضي الزراعية المجاورة، وتهدف هذه الدراسة إلى تقييم حركة التوسع العمراني واتجاهاته بمدينة الزاوية، من خلال تتبع الظاهرة باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية خلال المدة (1976–2017).

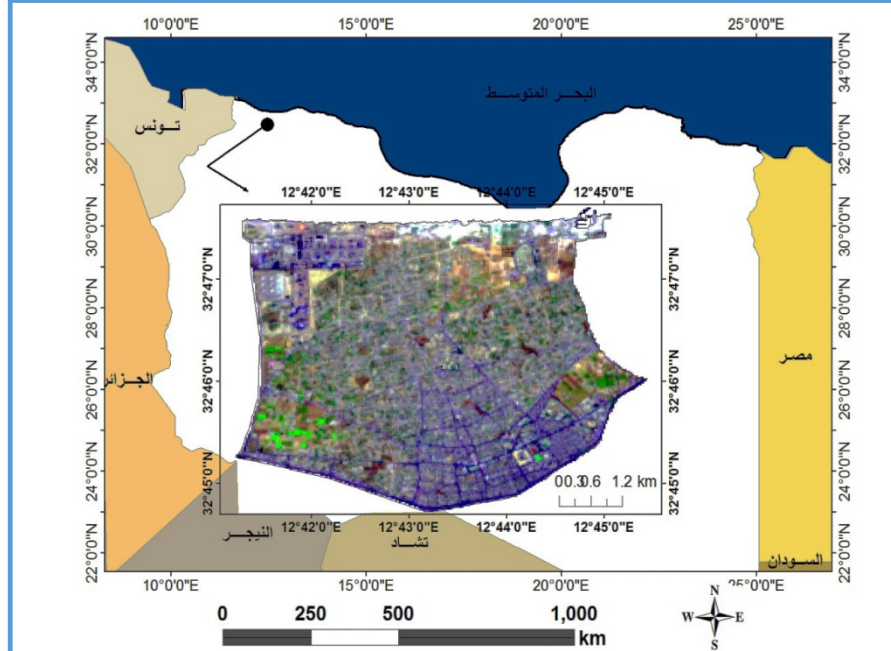
- **منطقة الدراسة: منطقة الدراسة:** تقع مدينة الزاوية عند منتصف الشريط الساحلي لسهل الجفارة بين منطقتي جودائم والحرشة، ويحدها من الجنوب الطريق الساحلي، في حين يمثل الطريق الواصل بين مدخل المدينة الشرقي ومرسى ديلة، حدها الشرقي، ويحدها من الغرب

الطريق الواصل بين مدخل المدينة الغربي ومصفاة النفط، أما من ناحية الشمال فتحدها مياه البحر المتوسط شكل (1)، وذلك طبقاً لحدود المخطط الشامل للمدينة لعام 2000<sup>2</sup>، ووفقاً لهذا التحديد فإن المدينة تقع فلكياً بين دائرتي عرض (30 °. 43. 32 : 30، 47 32.) شمالاً وخطي طول (30. 41. 12 : 30. 45. 12) شرقاً، وتبلغ المساحة الإجمالية للمدينة داخل حدود المخطط الشامل لعام (2000) نحو (2641) هكتار، بما يعادل 26.4 كيلومتر مربع.

**مشكلة البحث:** شهدت مدينة الزاوية نمواً عمرانياً متسارعاً خلال العقود القليلة الماضية بشكل فاق توقعات المخططين، بحيث اندفعت الكتلة العمرانية للمدينة خارج حدود المخطط الأساسي لها، مما أدى إلى وجود أحياء غير مخطط لها مسبقاً، تعاني من صعوبات جمة على مستوى تقديم خدمات البنية التحتية لقاطنيها، ناهيك عن الأضرار التي تلحق بالأراضي الزراعية نتيجة التوسع العمراني غير المنظم، ومن هنا تبرز أهمية تتبع التوسع العمراني ومعرفة اتجاهاته الحالية والمستقبلية، كما يعد تشخيص محددات التوسع العمراني إحدى المراحل الضرورية لتحديد آفاق النمو العمراني للمدينة بحيث يمكن تخطيط مشكلة البحث

في التساؤلات التالية:

- ما الاتجاهات التاريخية والمستقبلية للتوسع العمراني للمدينة.



المصدر: عمل الباحث بناءً على (1) أمانة المرافق، بولسيفرسفاديكو، الزاوية المخطط الشامل 2000، التقرير النهائي، رقم 14، 1980، ص 23. (2) 7/2017  
Land sat 8 Path/ 189,Row/ 037, 24

### شكل (1) منطقة الدراسة.

- ماهي محددات التوسع العمراني المنظم للمدينة.
- أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في تتبع مراحل التوسع العمراني وتحديد اتجاهاته الحالية والمستقبلية، وبيان أسباب التوسع العمراني السريع ونتاجه ومحاولة وضع حلول مناسبة لهذه الظاهرة، كما تكمن أهمية الدراسة في البحث في إمكانية الاستفادة من استخدام التقنيات الحديثة والمتمثلة في الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في دراسة التوسع العمراني ونتائج البيئية والاجتماعية.
- أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:
  - تتبع مراحل النمو العمراني للمدينة خلال المدة (1976-2017).

- تحديد اتجاهات التوسع العمراني للمدينة.
- التعرف على المحددات التي تواجه التوسع العمراني للمدينة.
- تكوين قاعدة بيانات جغرافية للتوسع العمراني للمدينة.
- **منهجية البحث:** اعتمد البحث علنا المنهج التحليلي الوصفي لإبراز خصائص الظاهرة المدروسة، وعلى التحليل الكمي باستخدام أسلوب الإحصاء المكاني، باستخدام برنامج نظم المعلومات الجغرافية 10.2 ARC GIS، لعرض الظاهرة في صورة خرائط وأجراء التحليلات المكانية للظاهرة المدروسة.
- **البيانات وطريقة العمل:** تمثلت بيانات الدراسة في أربع مرئيات فضائية للقمر الصناعي الأمريكي (Landsat 2,5,7,8)، التي تم الحصول عليها من الموقع الإلكتروني ( <https://earthexplorer.usgs.gov> )، المبينة بالجدول (1) وقد مرت عملية اشتقاق الكتلة العمرانية للمدينة من المرئيات بالمراحل التالية:

جدول (1) خصائص المرئيات المستخدمة في الدراسة.

القمر	تاريخ الالتقاط	المسار	الصف	درجة التمييز / متر
Landsat 2	1976/1/29	203	038	60
Landsat5	1986/8/4	189	0.37	30
Landsat7	2010/3/23	189	0.37	30
Landsat8 OLI	2017/7/24	189	0.37	30

-مرحلة التصحيح الهندسي للمرئيات، باستخدام الإحداثي الجغرافي (UTM) للمنطقة الجغرافية (WGS,33).

-مرحلة استقطاع منطقة الدراسة من المرئيات وإجراء التحسينات لإبراز المعالم المراد ظهورها بالمرئيات، من خلال اختيار الحزم الطيفية (Bands) المناسبة لإبراز الكتلة العمرانية للمدينة، كما هو مبين بالجدول (2).

جدول (2) الحزم الطيفية المستخدمة في الدراسة.

المرئية	الحزم الطيفية المستخدمة في البحث	(Bands)
Landsat 2	0.6-0.5	0.8-0.7
Landsat5	0.5-0.6	0.7-0.8

0.90-0.76	0.69-0.63	0.60-0.52	<b>Landsat7</b>
0.88-0.85	0.67-0.64	0.59-0.53	<b>Landsat8</b>

-مرحلة التصنيف وفيها تم تصنيف أنماط الغطاء الأرضي لمنطقة الدراسة، باستخدام طريقة التصنيف غير الموجه (Unsupervised Classification)، حيث يعتمد هذا النمط من التصنيف على تجميع الخلايا المتشابهة في القيم الانعكاسية في عدد من الفئات تمثل أصناف الغطاء الأرضي، وذلك بطريقة التحليل العنقودي الإحصائية (Iso data)، وأنجزت المراحل السابقة باستخدام برنامج (EnviRonment).

- مرحلة تقييم دقة التصنيف: تم تقدير دقة الخرائط المصنفة للغطاء الأرضي الناتجة عن عملية التصنيف، باستخدام مصفوفة الخطأ (Error Matrix) التي أمكن من خلالها استكشاف البيانات التي تم تصنيفها والتي تسمى بالبيانات المتوقعة (Predicted Data)، في مقابل فئات الغطاء الأرضي الحقيقي، وكانت نتائج دقة التصنيف كما يلي: (1976:0.91) (1986:0.93) (2010:0.95) (2017:0.95).

- مرحلة فصل المساحة العمرانية من الخرائط المصنفة، وحساب المساحات وإجراء التحليل المكاني والإحصائي عليها باستخدام برنامج (Arc Map).

- التوسع العمراني لمنطقة الدراسة: أشارت المصادر التاريخية إلى أن المدينة، لم تنمو حول نواة واحدة منذ البداية بل ظلت تتأرجح بين أكثر من نواة إلى أن استقرت حول المنطقة التي عرفت لاحقاً بمنطقة السوق، ويرجع ذلك إلى أن المنطقة التي نشأت عليها المدينة حالياً كانت مقسمة إلى مجموعة من القبائل وكانت كل قبيلة مستقرة حول مسجد أو زاوية دينية، واستمر ذلك الوضع، حتى بداية الحكم التركي حيث بدأت نواة المدينة تتبلور حول زاوية بن شعيب ومنطقة الحارة، وعندما أقام الأتراك القلعة أو ما يعرف بالحصن التركي، تقلصت أهمية المركز القديم وبدأت نواة المدينة تتبلور حول الحصن التركي والذي انتقل فيما بعد باتجاه الجنوب فيما يعرف حالياً بمنطقة السوق والتي أصبحت المركز التجاري والإداري الذي نمت حوله المدينة سكانياً وعمرانياً، إلا أن المدينة لم تشهد نمواً عمرانياً ملفتاً خلال

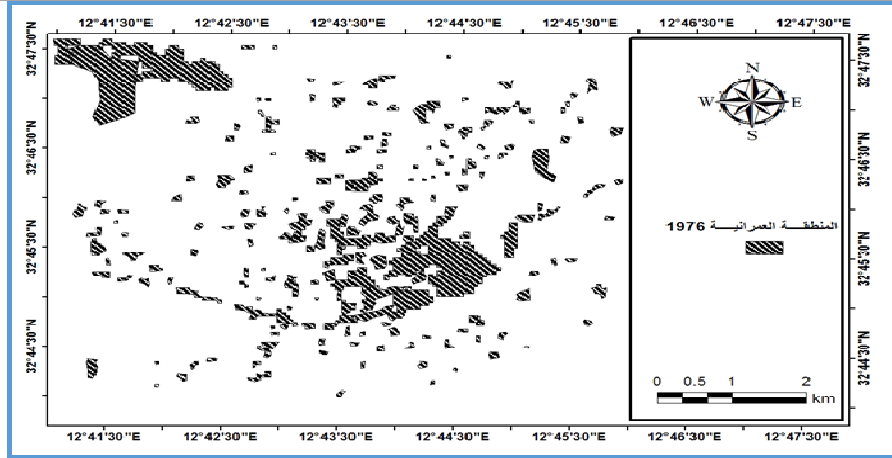
تلك الفترة<sup>3</sup>، أما خلال فترة الاحتلال الإيطالي فقد شهدت المدينة نمواً عمرانياً كبيراً قياساً بالمراحل السابقة، حيث قام الإيطاليون بوضع مخطط للمدينة ظهرت من خلاله الطرق الواسعة والمباني والكنائس والمعسكرات، ومد شبكة المياه، كما تم استكمال الطريق الساحلي وتنفيذ خط السكة الحديدية وأصبحت المدينة تلعب دوراً إقليمياً بارزاً، وبعد خروج الإيطاليين لم تشهد المنطقة العمرانية للمدينة، تطوراً يذكر حتى منتصف عقد الستينات من القرن المنصرم، حيث لم تتعدى مساحة المنطقة العمرانية للمدينة (63) هكتار منذ بداية تكون

- المدينة وحتى عام (1966)، حيث كانت أغلب المنطقة العمرانية التي تم حصرها في تلك
- السنة عبارة عن منشآت ومباني أقامها الإيطاليون في المدينة، وكانت معظم تلك المباني تقع على جانبي المنطقة المركزية<sup>4</sup> ومنذ منتصف الستينات من القرن الماضي بدأت منطقة الدراسة تشهد توسع كبير في مجالها العمراني، بسبب ارتفاع حجم الاستثمارات في مختلف القطاعات الاقتصادية، الذي انعكس بدوره على التوسع العمراني للمدينة.
- **المنطقة العمرانية عام 1976:** أظهرت نتائج تصنيف المرئية الفضائية الملتقطة لمنطقة الدراسة عام (1976) شكل (2)، ارتفاع مساحة المنطقة العمرانية بالمدينة من (63) هكتار عام (1966) إلى (607) هكتار عام (1976)، بحيث تزايدت مساحة المنطقة العمرانية بواقع (54.4) هكتار سنوياً، ويرجع هذا التطور العمراني السريع في المدينة خلال تلك الفترة، إلى تحسن الأحوال



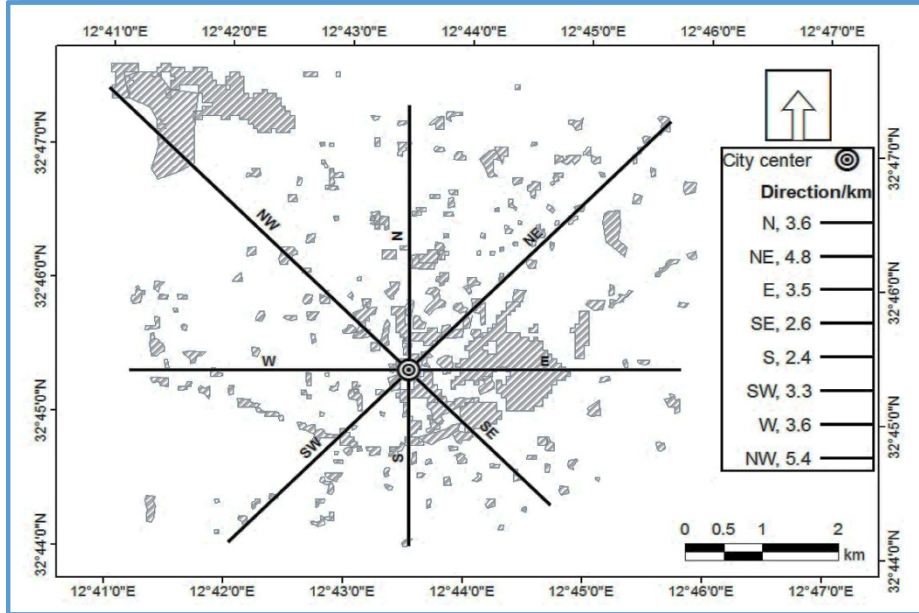
د. منصور رمضان سالم غريبي

تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد...



المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 2)، بتاريخ 1976/1/29. شكل (2) التوسع العمراني (1976).

الاقتصادية في البلاد وارتفاع حجم الاستثمارات في مختلف القطاعات، والذي انعكس بدوره على التوسع العمراني للمدينة حيث توسعت المنطقة العمرانية للمدينة في جهتي الجنوب والشمال بشكل فاق ما كان مخطط لها في عام (1988)، بحيث اندفاع النمو العمراني إلى خارج تلك الحدود خلال منتصف السبعينات من القرن المنصرم، كما هو مبين بالشكل (3)، الذي يبين اتجاهات النمو العمراني عام (1976)، ومنه يتضح أن النمو العمراني بالمدينة قد ازداد في جميع الاتجاهات وخاصة في



المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 2)، بتاريخ 1976/1/29.

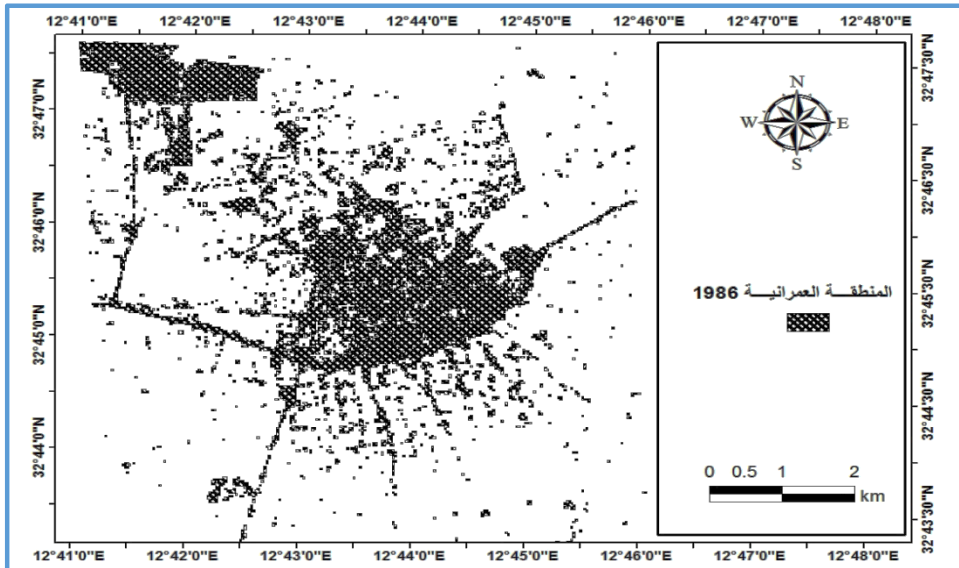
شكل (3) اتجاهات التوسع العمراني (1976).

الاتجاه الشمالي الغربي، بحيث امتد العمران لمسافة (5.4) كيلومتر عن وسط المدينة، بسبب إقامة مصفاة لتكرير النفط في عام (1974)، حيث أصبحت الصناعة الكيماوية عامل هام من عوامل النمو العمراني بالمدينة، كما شهدت بقية الاتجاهات امتدادا عمرانيا تراوح ما بين (2.4 - 4.8) كيلومتر عن وسط المدينة، وبالرغم من الانتشار الكبير للرقعة المبنية التي أمكن رصدها خلال تلك السنة، إلا أن الكثافة البنائية ظلت منخفضة، لعدم تركيز التوسع العمراني حول المنطقة المركزية للمدينة، بحيث ظل التوسع العمراني يمتد حول عدة مواضع إلى جانب المنطقة المركزية. الأمر الذي دفع بالمسؤولين إلى، ضرورة إعادة النظر في المخطط الشامل لعام (1988)، وإعداد مخطط جديد للمدينة، وبالفعل تم التعاقد مع المكتب الاستشاري البولندي بولسيرفس، لإعداد مخطط شامل للمدينة لعام (2000)، يستوعب الزيادة العمرانية والسكانية المطردة في المدينة.

د. منصور رمضان سالم غريبي

تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد...

– المنطقة العمرانية عام (1986): من خلال الشكل (4) الذي يبين المنطقة العمرانية التي تم استخلاصها من المرئية الفضائية عام (1986)، تبين ارتفاع مساحة المنطقة العمرانية بالمدينة إلى (1084) هكتار

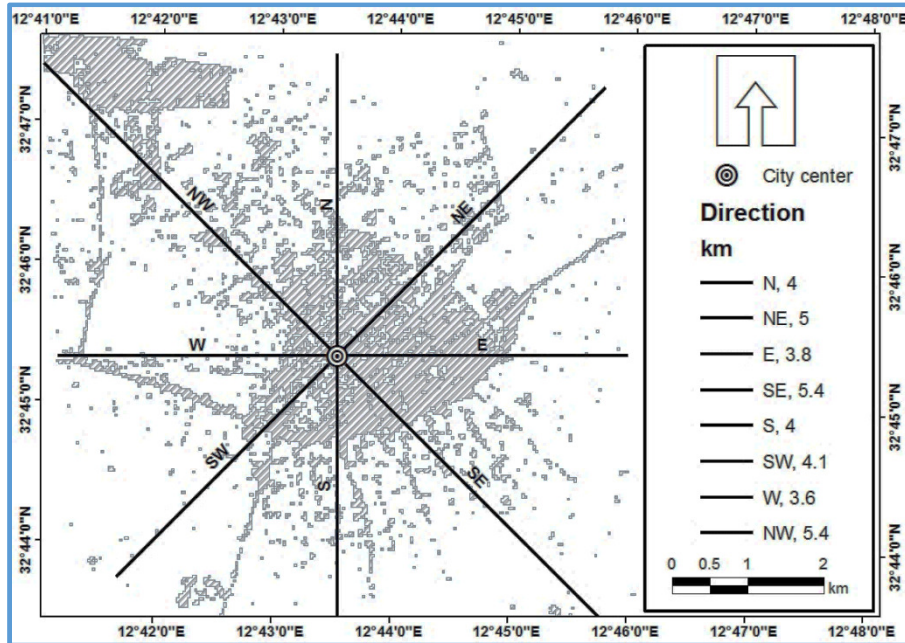


المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 5)، بتاريخ 1986 / 8 / 4. شكل (4) التوسع العمراني (1986).  
وبزيادة قدرها (477) هكتار، عما كانت عليه عام (1976)، وواقع (47.7) هكتار  
أضيفت سنويا للمساحة العمرانية بالمدينة، ويرجع ذلك التوسع في الكتلة العمرانية إلى الزيادة  
السكانية، وتزايد حركة الهجرة من الأرياف والقرى والمدن المجاورة في أواخر عقد السبعينات  
وأوائل الثمانيات من القرن الماضي، بسبب الدور الإقليمي للمدينة خلال تلك الفترة، وتطور  
الوظيفة التجارية والصناعية والصحية والتعليمية للمدينة، بحيث شهدت تلك الفترة إقامة  
العديد من المشروعات السكنية والتعليمية والصحية إلى جانب عمليات بناء المساكن من قبل  
المواطنين، بحيث امتدت المنطقة العمرانية في كافة الاتجاهات ، شكل (5) وخاصة في  
الاتجاه الجنوبي والجنوبي الشرقي، بحيث اندفعت الكتلة العمرانية إلى خارج حدود المخطط  
الشامل لعام (2000)، بحيث بدء التوسع العمراني بتتبع خطوط المواصلات التي تربط  
وسط المدينة بالقرى المجاورة لها من ناحية الجنوب، كما ارتفعت الكثافة البنائية للكتلة

د. منصور رمضان سالم غريبي

تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد...

العمرانية للمنطقة المجاورة لمركز المدينة من خلال استغلال الأراضي الفضاء التي كانت موجودة عام (1976)، في التوسع العمراني، أما فيما يختص ببقية المحاور فقد شهدت زيادة في التمدد العمراني، وان كانت بشكل أقل من الزيادة التي حدثت في الاتجاه الجنوبي والجنوبي الشرقي، باستثناء الاتجاه الشمالي الغربي الذي توقف فيه التمدد العمراني لوجود مصفاة النفط الذي يطل مباشرة على ساحل البحر.



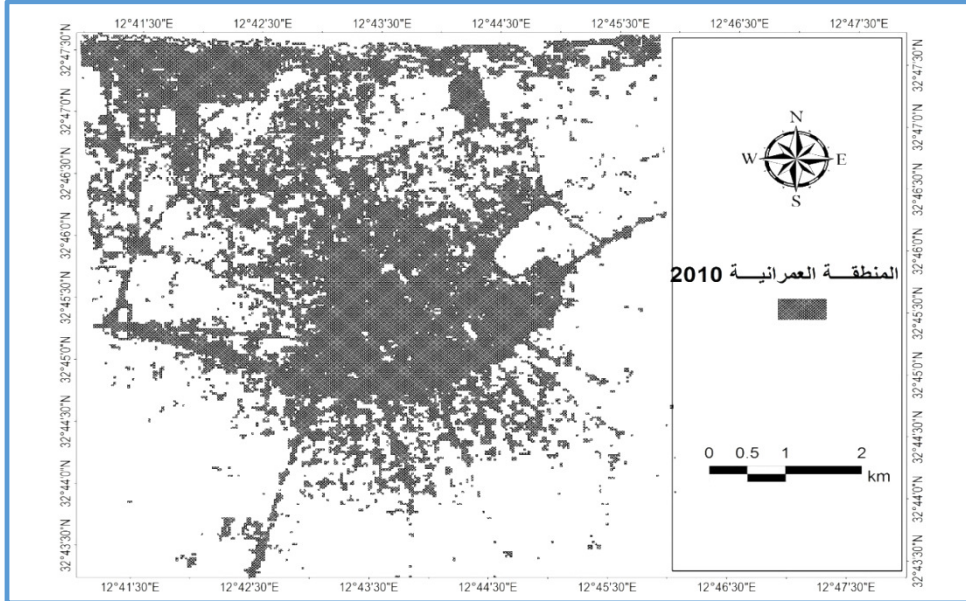
المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 5)، بتاريخ 1986 / 8 / 4. شكل (5) اتجاهات التوسع العمراني (1986).

- المنطقة العمرانية عام (2010): تبين من خلال تصنيف المرئية الفضائية الملتقطة لمنطقة الدراسة استمرار اتساع المنطقة العمرانية للمدينة شكل (6)، حتى بلغت (2298) هكتار وازيادة قدرها (1214) هكتار عما كانت عليه عام (1986)، بحيث تزايدت المساحة المبنية بمنطقة الدراسة بمعدل (50) هكتار سنويا، بحيث تعد فترة التسعينات من القرن الماضي امتداد للنمو العمراني المتسارع للفترة السابقة لها، وعلى الرغم من التراجع الملحوظ

د. منصور رمضان سالم غريبي

تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد...

في برامج التنمية العمرانية نتيجة توقف عجلة التنمية الاقتصادية خلال منتصف الثمانيات من القرن الماضي، إلا إن الحركة العمرانية لم تتوقف وذلك بسبب التوسع في بناء المساكن الحديثة ذات المساحات الكبيرة من قبل المواطنين، مما أدى اضطراد النمو الأفقي لمساحة المنطقة العمرانية وتضاعف مساحتها، فالتوسع العمراني الذي نتج عن حركة البناء الخاص لم يزد في المساحة العمرانية فقد، بل أضيف عليها طابعاً مميزاً، متمثلاً في التوسع الأفقي من خلال بناء المساكن المنفردة ذات المساحات الواسعة، بعكس نمط البناء الرأسي الذي اتسمت به التجمعات السكنية الحكومية، أما فيما يختص باتجاهات التوسع العمراني شكل(7)، فإن أهم ما يميز هذه الفترة هو أن التوسع العمراني كان في كل الاتجاهات، باستثناء الاتجاه الشمالي الغربي، لاسباب سبق ذكرها.

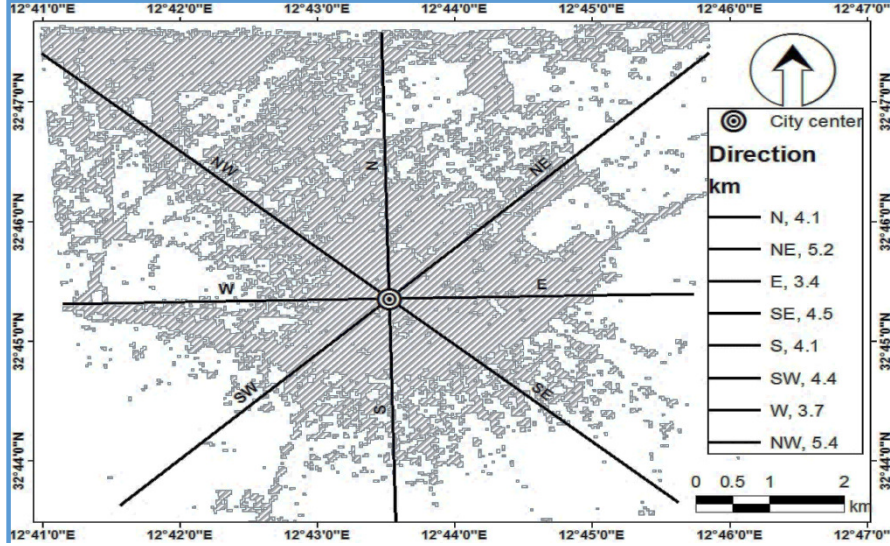


المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 7)، بتاريخ 2010/3/23.

شكل (6) التوسع العمراني (2010).

د. منصور رمضان سالم غريبي

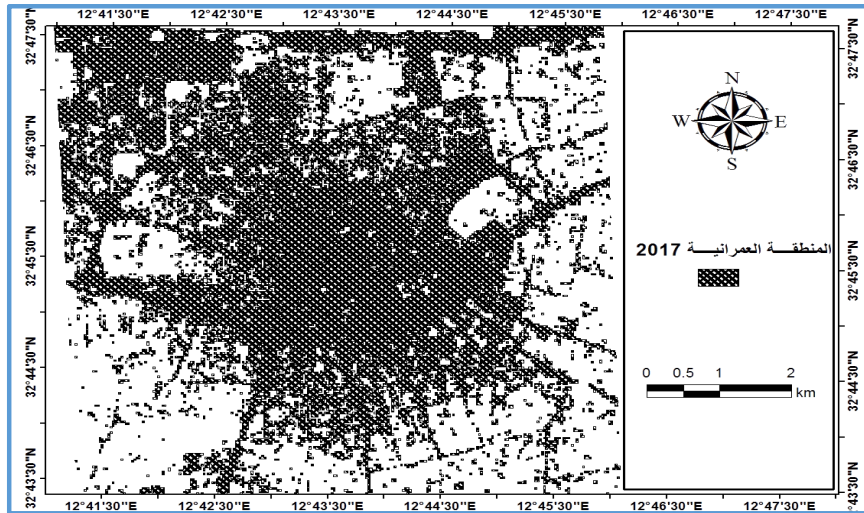
تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد...



المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 7)، بتاريخ 2010/3/23.

المنطقة العمرانية 2017: من خلال الشكل (8) الذي يبين مساحة الكتلة العمرانية لمنطقة

التي أمكن



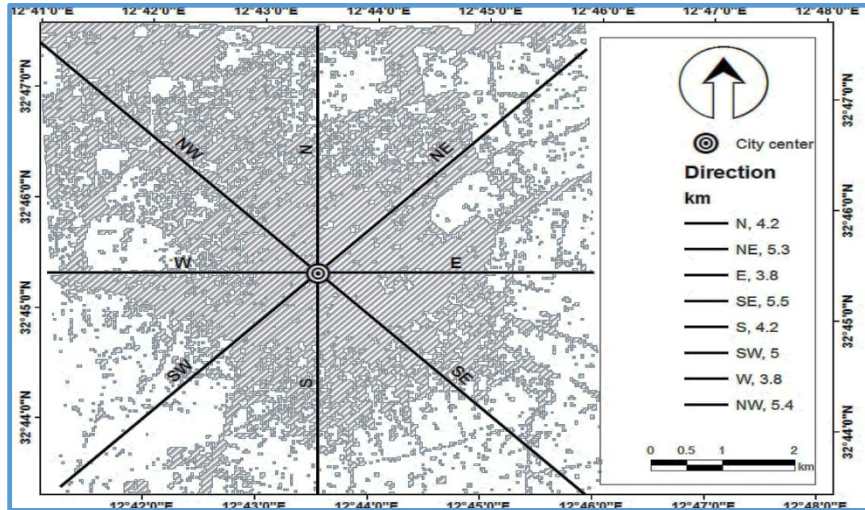
المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 8)، بتاريخ 2017/7/24.

شكل (8) التوسع العمراني (2017).

د. منصور رمضان سالم غريبي

تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد...

اشتمل على تصنيف المرئية الفضائية الملتقطة لمنطقة الدراسة عام (2017)، تبين ارتفاع المساحة العمرانية إلى (3001) هكتار وزيادة قدرها (703) هكتار عما كانت عليه الكتلة العمرانية عام (2010)، بحيث تزايدت المساحة المبنية بمنطقة الدراسة بمعدل (100) هكتار سنويا، وهو أعلى معدل سنوي للتوسع العمراني شهدت منطقة الدراسة منذ عام (1976)، بحيث استمر التوسع العمراني نحو أراضي الفضاء وملء الفراغات في كافة أنحاء منطقة الدراسة، وتعد هذه الفترة مكملة للمرحلة السابقة، حيث استمر نمط التوسع العمراني الأفقي من خلال بناء المنازل ذات المساحات الكبيرة، مما أدى إلى ارتفاع وتيرة التوسع العمراني بمنطقة الدراسة، في ظل غياب سياسات عمرانية رشيدة وفعالة للحد من الانتشار السريع لهذه الظاهرة التي تؤثر بشكل كبير على استدامة استخدامات الأرض بمنطقة الدراسة، أما فيما يخص بتمدد التوسع العمراني، فقد تبين من خلال تحليل اتجاهات التوسع العمراني شكل (9)، استمرار التوسع المتسارع للكتلة العمرانية باتجاه الجنوب الشرقي والشمال الشرقي، إضافة إلى الاتجاه الجنوبي الغربي الذي بدأ يشهد تسارع في تمدد الكتلة العمرانية.



المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 8)، بتاريخ 2017/7/24.

شكل (9) اتجاهات التوسع العمراني (2017).

التحليل الإحصائي المكاني للتوسع العمراني: يستهدف هذا المحور تحليل البعد المكاني الكتلة العمرانية والاتجاه التوزيعي لها خلال المدة (1976-2017)، من خلال استخدام أداة المسافة المعيارية Standard Distance، وأداة الاتجاه التوزيع Directional Distribution، الموجودة ضمن أدوات قياس التوزيع الجغرافي Measuring Geographic Distributions، إحدى أدوات الإحصاء المكاني Spatial Statistics Tools بصندوق أدوات برنامج (Arc Map)، ويبين الجدول (3) والشكل (10) (11) (12) (13)، نتائج تحليل المسافة المعيارية والاتجاه التوزيعي للتوسع العمراني للمدينة جدول (3) المسافة المعيارية والاتجاه المعيارية للتوسع العمراني بمنطقة الدراسة.

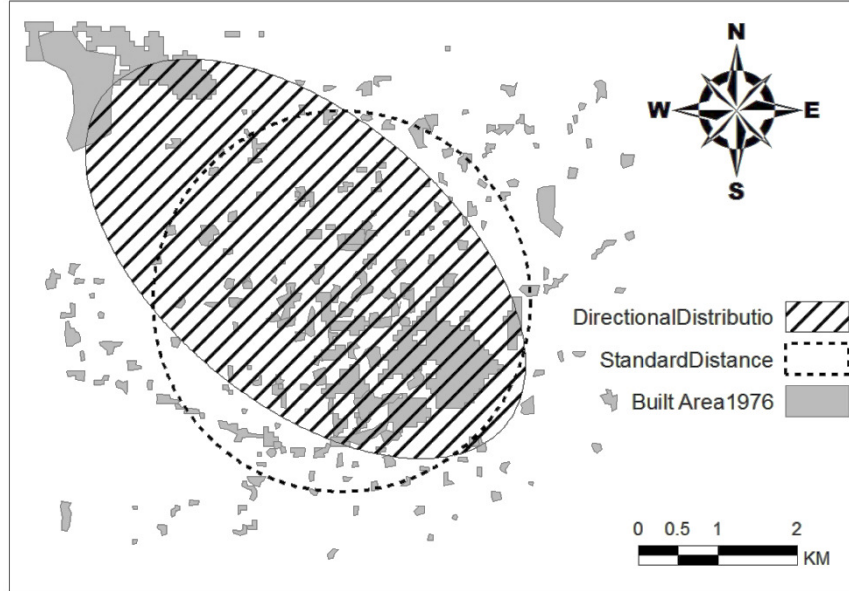
OBJECTID	CenterX	CenterY	StdDist	Rotation
1976	286991.9	3627273	2367.973	129.32401
1986	286841	3626761	2951.01	152.65401
2010	287186	3626048	3218.198	55.885799
2017	287783	3625024	3378.869	50.268902

المصدر: عمل الباحث باستخدام برنامج (Arc Map).

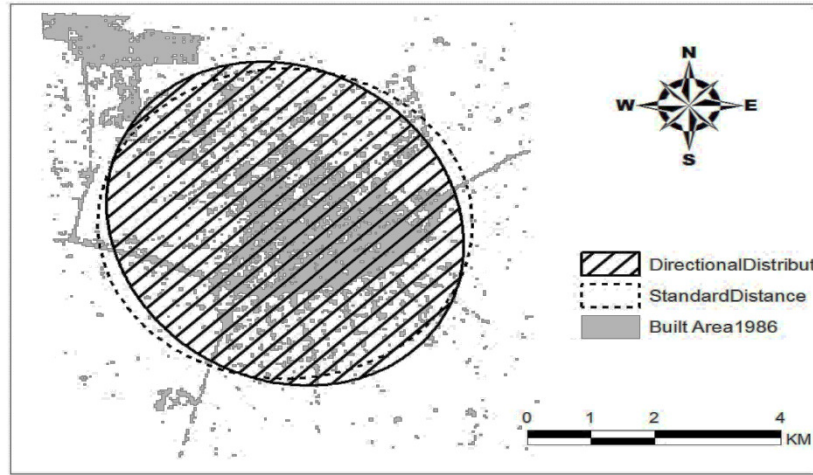
خلال المدة (1976-2017)، فمن خلال تحليل المسافة المعيارية التي تقابل الانحراف المعياري للبيانات غير المكانية، والتي تستخدم قيمتها في رسم دائرة تحوي على الأقل 68% من مفردات الظاهرة وتعبّر على مدى تركيز أو انتشار الظاهرة، تبين أن التوسع العمراني في المدينة تميز بالتبعثر والانتشار العشوائي، ويرجع ذلك إلى جملة من العوامل أهمها: أن المدينة لم تنمو حول نواة واحدة منذ بداية نشأتها، وعدم التقيد بالسياسات التخطيطية وضعف التشريعات المنظمة للنمو العمراني، وسيادة نمط التوسع العمراني الأفقي، مما أدى إلى تفاقم مشكلة النمو العمراني العشوائي غير المنضبط، وهو ما يفسره التزايد المستمر في حجم دائرة المسافة المعيارية التي ازداد حجمها من (2367.973) عام 1976 إلى (3378.869) متر عام 2017، في حين أظهرت نتائج تحليل الاتجاه التوزيعي الذي يوضح اتجاه توزيع مفردات الظاهرة من خلال رسم شكل بيضاوي يعبر عن خصائص التوزيع الاتجاهي



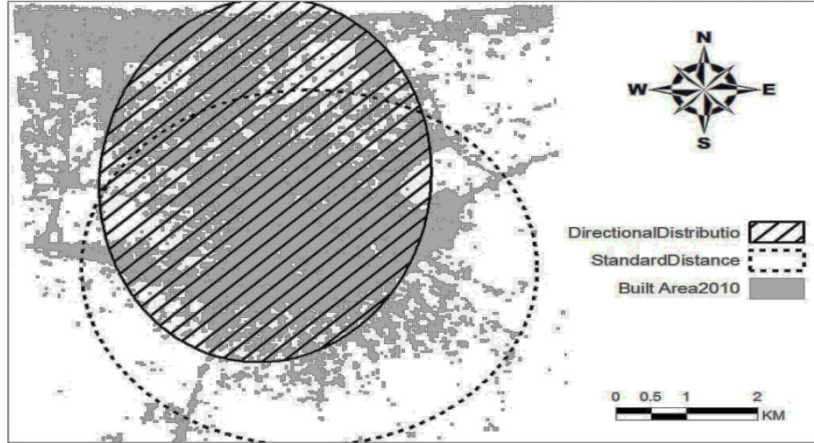
د. منصور رمضان سالم غريبي  
تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد...



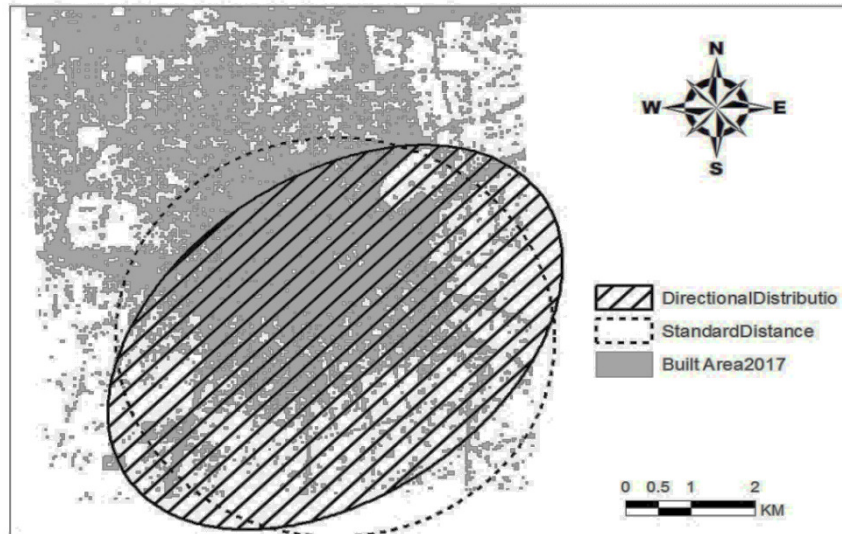
المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 2)، بتاريخ 1976/1/29.  
شكل (10) الاتجاه التوزيقي والمسافة المعيارية للتوسع العمراني (1976).



المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (Landsat 5)، بتاريخ 1986 /8/4.  
شكل (11) الاتجاه التوزيقي والمسافة المعيارية للتوسع العمراني (1986).



المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (7 Landsat)، بتاريخ 2010/3/23.  
شكل (12) الاتجاه التوزيحي والمسافة المعيارية للتوسع العمراني (2010).



المصدر: عمل الباحث بناء على مرئية (8 Landsat)، بتاريخ 2017/7/24.  
شكل (13) الاتجاه التوزيحي والمسافة المعيارية للتوسع العمراني (2017).

الذي، أمكن من خلاله تحديد الاتجاه التوزيحي للكتلة العمرانية بمنطقة الدراسة خلال المدة (1976-2017)، ومنه يتضح التغير الكبير في اتجاهات المساحة المبنية خلال فترة

الدراسة، فخلال فترة السبعينات من القرن الماضي كان الاتجاه التوزيعي لانتشار المساحة المبنية في اتجاه الشمال الغربي، في حين تميزت فترة الثمانيات من القرن الماضي بالتوسع في المساحة المبنية في مختلف الاتجاهات تقريبا، حيث تركزت الحركة العمرانية على استغلال الأراضي الفضاء وخاصة تلك التي تجاور المنطقة المركزية، ومنذ عام 2010 استمرت التوسع العمراني وخاصة في الاتجاه الشمال الشرقي والجنوبي الشرقي والغربي، بينما النمو والتوسع في الشمال والشمال الغربي يكاد يكون قد توقف بسبب الحدود الطبيعية المانعة للتوسع العمراني والمتمثلة في ساحل البحر وكذلك الحال بالنسبة لاتجاه الغرب وذلك لوجود المركز العمراني الحرشة الذي يجاور المدينة من ناحية الغرب، لذلك فان غالبية الحركة العمرانية الحالية والمستقبلية تتم في الاتجاه الجنوبي لمنطقة الدراسة. ومن خلال التحليل السابق يتضح عدم تجانس الكتلة العمرانية للمدينة، بحيث نمت المدينة وتوسعت عمريا في مختلف الاتجاهات، حيث اتسم النمو العمراني بالتشتت والانتشار الواسع للرقعة العمرانية، بسبب سيادة نمط التوسع العمراني الأفقي، مما أدى إلى ظهور تجمعات عمرانية عشوائية غير منضبطة وتفتقر لخدمات البنية التحتية، التي أسهمت في تفاقم العديد من المشكلات المرتبطة بالتوسع العمراني غير المنظم، كمشكلة الصرف الصحي وتجمع مياه الأمطار ونقص مياه الشرب وقلة كفاءة شبكة النقل، وفقدان مساحات واسعة من الأراضي الزراعية لصالح الكتل العمرانية.

- **محددات التنمية العمرانية لمدينة الزاوية:** يعتمد النمو العمراني على تضافر جملة من العوامل الطبيعية والبشرية، تدفع باستمرار النمو العمراني، كما أن هناك مجموعة من المحددات التي تعمل على تحديد وتوجيه شكل التوسع العمراني المنظم ضمن المدينة وإقليمها، ولعل أبرز هذه المحددات ما يلي:

- **محددات طبيعية:** تتمثل المحددات والضوابط الطبيعية في موقع المدينة على ساحل البحر والأراضي الزراعية المحاذية لها، فمن خلال التحليل السابق تبين امتداد المساحات المبنية بالقرب من ساحل البحر، إضافة إلأن الشريط لمحاذاة لساحل البحر قد تم استغلاله خلال العقود الماضية كمحاجر لاستخراج الطوب المستخدم في البناء، مما يعيق عملية البناء

وخاصة خلال الأمد القريب، ومنذ بداية نشأة المدينة نمت وتوسعت عمرانها فوق أرض زراعية، تعد من أفضل الأراضي الزراعية بإقليم سهل الجفارة خاصة وليبيا عامة، بالتالي فإن أي توسع عمراني غير مخطط سيؤدي إلى ضياع مساحات واسعة من الأراضي المنتجة زراعيًا، التي لا يتعدى وجودها نحو 2% من إجمالي مساحة البلاد.

- **المحددات البشرية:** وتتمثل في المحددات التي فرضها الإنسان على المستقرات البشرية، فالمدينة عبارة عن نسيج متباين من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية مرتبطة بمواضع محددة، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نحدد بعض المحددات البشرية التي تحد من التوسع العمراني المنظم للمدينة والتي من بينها:

**العامل الاجتماعي:** أكدت العديد من الدراسات على الارتباط الوثيق بين التطور العمراني، وثقافة المجتمع وعاداته وقيمه، وهو ما جعل مورفولوجية المدن تختلف عن بعضها البعض، فالطابع الاجتماعي الذي يسود بالمدينة وغالبية المراكز العمرانية في البلاد يتصف بقوة الروابط الأسرية والتركيبة القبلية التي جعلت التطور العمراني مرتبط بقبود اجتماعية تحد من نموه وتوجيهه في كثير من الأحيان، فالانتشار الواسع للأسر الممتدة والتشبث بصلبة الجوار الأسري والقبلي، أدى إلى وجود تجمعات عمرانية تتصف بالعشوائية وتفتقر إلى خدمات البنية التحتية، كالطرق المعبدة والماء الصالح للشرب وقنوات الصرف الصحي، إضافة إلى صعوبة تقديم الخدمات الأساسية لها حاضراً ومستقبلاً، والتي تتعكس بدورها على إعاقة التوسع العمراني المنظم في المدينة، وبالإضافة إلى دور العامل الاجتماعي في تحديد وتوجيه التوسع العمراني وظهور الأحياء العشوائية، هناك عوامل أخرى أسهمت في تقادم الظاهرة نذكر منها:

- **العامل الديموغرافي:** أدى ارتفاع معدلات النمو السكاني وخاصة خلال فترة السبعينات والثمانينات من القرن الماضي وحركة الهجرة من الريف والمراكز العمرانية المجاورة للمدينة، إلى زيادة الطلب على السكن، بسبب تعاظم الدور الإقليمي للمدينة والتركز الصناعي بها، مما أدى إلى تسارع وتيرة التوسع العمراني.

- عدم تقيد بعض السكان بالمخططات العمرانية للمدينة وضعف متابعة الأجهزة الرقابية للتجاوزات التي تحصل على المخطط الأساسي للمدينة.
- الأراضي الفضاء والأراضي الزراعية: توجد بالمدينة مساحات واسعة من الأراضي الفضاء داخل حدود المخطط الشامل للمدينة، التي تعيق التوسع العمراني وهي في أغلبها عبارة عن حيازات ذات مساحات صغيرة ترجع ملكيتها لعدة أفراد نتيجة الأرت، إضافة إلى وجود بعض الحيازات الزراعية التي لا يزال أصحابها يمتنون النشاط الزراعي، بحيث أسهمت هذه العوامل في الحد من التوسع العمراني المنظم داخل حدود المخطط الحضري للمدينة.
- ارتفاع أسعار الأرض داخل حدود المخطط الحضري للمدينة: حيث أدى الارتفاع المستمر لأسعار الأراضي الواقعة داخل حدود المخطط الحضري، إلى دفع السكان إلى البحث عن أراضي تكون أقل تكلفة لتلبية احتياجاتهم السكنية، مما جعل التوسع العمراني للمدينة يتجه نحو محاور غير مدروسة أو مخطط لها مسبقاً، وخاصة في جنوب المدينة، مما أدى إلى ظهور أحياء عمرانية غير مخططة تفتقر لخدمات البنية التحتية.
- الخاتمة: شهدت مدينة الزاوية نمواً عمرانياً متسارعاً خاصة خلال العقود القليلة الماضية، حيث كان لهذا النمو آثار واضحة في زيادة تضخم المساحة العمرانية التي ارتفعت من (607 - 3001) هكتار خلال المدة (1976-2017)، بحيث نمت المدينة وتوسعت عمرانياً في مختلف الاتجاهات، ومن خلال التحليل الإحصائي المكاني للتوسع العمراني للمدينة، تبين عدم تجانس الكتلة العمرانية للمدينة، فقد نمت المدينة وتوسعت عمرانياً في مختلف الاتجاهات، بحيث اتسم النمو العمراني بالتشتت والانتشار الواسع للرقعة العمرانية، بسبب سيادة نمط التوسع العمراني الأفقي، مما أدى إلى ظهور تجمعات عمرانية عشوائية غير منضبطة وتفتقر لخدمات البنية التحتية، أسهمت في تفاقم العديد من المشكلات المرتبطة بالتوسع العمراني غير المنظم، كما تبين من خلال الدراسة وجود محددات طبيعية وأخرى بشرية تؤدي في مجملها إعاقة النمو العمراني المنظم للمدينة، وبناء على ما سبق توصي الدراسة بما يلي:

د. منصور رمضان سالم غريبي

تقييم اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الزاوية باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد...

- الحد من التوسع العمراني الأفقي وتشجيع السكان على التوسع الرأسي من خلال بناء الوحدات السكنية متعددة الطوابق.
- مراجعة التشريعات الخاصة باستخدام الأرض داخل المدينة وجعلها تواكب التوسع العمراني للمدينة، بما يتناسب مع إمكانيات المدينة المساحية.
- مراجعة وتطوير المخطط الشامل للمدينة، لتلائم مع التوسع العمراني السريع الذي شهدته منطقة الدراسة.
- العمل على توجيه التوسع العمراني بأسلوب علمي يراعى فيه الحفاظ على الموارد الطبيعية.
- العمل على الاستفادة من تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في متابعة ورصد التغيرات التي تحدث في البنية العمرانية للمدينة.

#### المراجع:

- 1- مصطفى ميلاد ابوراس وماهر ميلاد ابوراس، تقييم المشهد الحضري العام لمدينة بنغازي، باستخدام مقاييس المشهد الحضري، المؤتمر الدولي للتقنيات الجيومكانية- ليبيا جيوامتك2، طرابلس، 2016 /12/8، ص1.
- 2-أمانة المرافق، بولسيفسفاديكو، الزاوية المخطط الشامل 2000، التقرير النهائي، رقم 14، 1980، ص23.
- 3-محمود ناجي، ترجمة عبد السلام أدهم، تاريخ طرابلس الغرب، منشورات الجامعة الليبية، 1970، ص22.
- 4-أمانة المرافق، اركينكشرال، الزاوية المخطط الشامل لعام 1988، مارس، 1966م، ص9.

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

د. خيرية محمد الجربي

كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإسلام ورسّخ فينا الإيمان، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم اجعلنا في السراء من الشاكرين، وفي الضراء من الصابرين، وعافنا واعفو عنا يا أرحم الراحمين. أما بعد ...

فالصبر فضيلة من أعظم الفضائل، وهو نصف الإيمان، والصبر خلق الأنبياء والصالحين، وعد الله سبحانه أهله بالثواب الجزيل من غير حدّ ولا حساب، فقد قال جل جلاله: ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة الزمر : 10]

والصبر درجات ومقامات، وهذه الدراسة في صبر الصدمة الأولى عند تلقي خبر وفاة أحد الأحبة، هي صدمة شديدة تصيب القلب، وتشلّ العقل، وتترك الإنسان وتجعله يفقد اتزانه النفسي، وأحياناً تلجمه فلا ينطق ببنت شفة، وقد يشعر بما يشبه الزلزال يهز أركانه فيهوى ساقطاً على الأرض لا يستطيع حراكاً.

مشكلة البحث ودوافع الاختيار:

مع كثرة حلول المصائب هذه السنين، وارتفاع نسبة القتل والموت؛ بسبب انتشار السلاح وتفشي الأمراض وكثرة حوادث الطرق وازدياد نسبة الموت الفجأة والموت الجماعي، هذا كله دفعني إلى اختيار هذه الدراسة، أدعو من خلالها أهل البلايا والمحن إلى التحلي بالصبر عند الصدمة الأولى وحمده تعالى في الضراء كما في السراء، وأدعو أهل العافية إلى أداء حق الشكر بأن عافاهم الله وأسعدهم وأطال في أعمارهم وأعمار من يحيون، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سورة سبأ : 13] فالإنسان لا يدرك قيمة النعم إلا بعد فقدها هو هكذا بالعادة .

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

وفاجعة الموت أكبر فاجعة تصيب الإنسان فالذي يرحل عنا بموته، لن نراه، لن نسمع صوته، لن يعود، يطول اشتياقنا إليه! قد يزورنا في الأحلام والرؤى... تسعدنا هذه الزيارة وتبعث النشوى في الروح والبدن .

فإن لم يتمالك الإنسان نفسه عند أول صدمته يملكه الشيطان، يقوده إلى القنوط والاعتراض على قضاء الله وقدره بأن الله ظلمه انتزع فقيده من بين يديه وحرمه من رفقته وهذا الضلال بعينه وفي كل هذا هلاكه .

كما أن الإنسان عند الحزن الشديد الناتج عن هذه الصدمة يكون عرضة للإصابة بكثير من الأمراض النفسية والعضوية والتي قد تقضي عليه.

فما أجمل الصبر على قضاء الله وقدره أياً كان، ومهما يبدو لنا قاسياً إلا أنه في الحقيقة رحمة بنا وخير لنا ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [ سورة البقرة : 216 ] فالخير كل الخير فيما يختاره الله لنا .

واعتمدت هذه الدراسة على بعض أمهات كتب التفسير والسنة وغيرها من كتب العقيدة والأخلاق .

وكان الرأي أن تكون في مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة هي التالية:

**المطلب الأول- معنى الصبر ودرجاته وحكمه:**

**أولاً - معنى الصبر لغة واصطلاحاً:**

"الصبر في اللغة: الحبس والكف، ومنه: قُتِلَ فلان صبراً إذا أمسك وحُبس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف : 28] أي: إحبس نفسك معهم. فالصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى. وحبس الجوارح عن التشويش"<sup>(1)</sup>.

أي أن الصبر هو ضبط النفس وتقييدها ومنعها أن تتجاوز الحد وتتهار، كذلك ضبط اللسان وبقية الجوارح فلا نياحة ولا عويل ولا ضرب على الخدود، ولا تمرغ بالتراب ولا شق للجيوب.



رأي بعض العلماء في الصبر:

الإمام الغزالي:

إن بعض الصبر عند الغزالي "ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوله وآخره، كالمصائب: مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض والعمى وفساد الأعضاء. وبالجملة سائر أنواع البلاء، فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه، صبر على أداء فرائض الله تعالى، فله ثلاثمائة درجة، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة. وإنما فضّلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض؛ لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم"<sup>(2)</sup>.  
وأقول: إن تقدير الدرجات بهذه الطريقة لا نعلم أساسه والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10]، فالله وحده يقدر الدرجات وهو أعلى وأعلم.

كما بيّن الغزالي إن الصبر على بلاء الله لا يقدر عليه إلا الأنبياء بقوله: "فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء؛ لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس ولذلك قال (أي رسول الله - صلى الله عليه وسلم-): "أسألك من اليقين ما تهون علي به مصائب الدنيا" فهذا صبر مستنده حسن اليقين"<sup>(3)</sup>.

وأرى أنه كان الأجدر بالغزالي أن يقول: "الصبر على بلاء الله [المتواصل] لا يقدر عليه إلا الأنبياء، كصبر نبي الله أيوب عليه السلام، أما البلى التي قد تتخلل حياة الناس فالشواهد كثيرة على صبر الصالحين منهم الذين لا يخلو منهم زمان.

ولا شك أن يقين الأنبياء هو أعلى درجات اليقين يليهم الأولياء وصالح المؤمنين، فكما ازداد يقين العبد بربه ويقضائه وقدره واليوم الآخر؛ زادت قوة تحمله وصبره؛ لأنه يعلم يقينا أن الحياة الدنيا ما هي إلا متاع ومهما طال عذابها فهي قصيرة جداً قياساً بالآخرة، وقد يختلط الأمر عند البعض بين مفهوم الشكوى المنافية للصبر وبين الإخبار بحقيقة الحال مع الرضا في النفس وشتان بين الحالين، يقول ابن القيم: "وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

للاستعانة بإرشاده أو معاونته، والتوصل إلى زوال ضرره لم يقدح ذلك في الصبر كإخبار المريض للطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به حاله، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرحه على يديه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على المريض يسأله عن حاله ويقول كيف نجدك؟ وهذا استخبار منه واستعلام بحاله<sup>(4)</sup>.

ولا شك أن إجابة المريض عن هذا الاستعلام هي إخبار عن الحال؛ كتطور المرض أو أعراضه أو ظهور بوادر الشفاء، وكله إخبار عن حقيقة الحال لا تعارض بينها وبين الصبر. جاء في تفسير القرطبي: "الصبر حدّه ألا تعترض على التقدير [أي القدر] فأما إظهار البلوى على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر؛ قال تعالى في قصة نبيه أيوب عليه السلام:

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص : 44] مع ما أخبر عنه أنه قال: ﴿مَسْنِيَّ الضُّرِّ﴾ [الأنبياء : 83].

وأقول: إن نبي الله أيوب عليه السلام أظهر البلوى والشكوى إلى الله ولم يشتكي إلى خلقه قط، وهو أكد على صبره.

**ثانياً- درجات الصبر وحكمه: والصبر درجات، يقول ابن القيم:**

هو على ثلاث درجات:

الأولى: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاءً على الإيمان، وحنزراً من الحرام، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياءً<sup>(5)</sup>.

فالله أولى من جميع مخلوقاته أن نستحي منه، وهذا مقام العارفين المحسنين، الذين تستحضر قلوبهم ذاته العلية المقدسة مسيطرة عليها بجلال الهيبة والعظمة.

الثانية: الصبر على الطاعة، بالمحافظة عليها دواماً وبرعايتها إخلاصاً، وتحسينها علماً، وهذا يدل على أن الصبر على الطاعة أكد من ترك المعصية فيكون الصبر عليها فوق الصبر على ترك المعصية في الدرجة<sup>(6)</sup>.

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

لأن استكمال الإيمان لا يتم إلا بالطاعات والصبر عليها ورعايتها والمداومة عليها فأفضل الأعمال عند الله تعالى أدومها وإن قلت فلا يكفي ترك المعصية إنما الثبات على الطاعة وحسن الخاتمة بها.

والدرجة الثالثة كما يقول ابن القيم هي: "الصبر في الله بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البلية بعد أيادي المنن، وبذكر سوائف النعم"<sup>(7)</sup>.

حكمه:

الصبر واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر<sup>(8)</sup>.

وقد أمر الله به في كتابه العزيز ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، وأوجب لهم حبه، ومعيته لهم، كما أوجب لهم الجزاء بغير حساب، وأطلق البشرى لهم، ووصفهم بأنهم أهل العزائم، والصبر يورث صاحبه درجة الإمامة، يقول ابن تيمية: "بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين"<sup>(9)</sup> لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة : 24].

وعن الصبر عند مصيبة الموت جاء قوله تعالى: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ [البقرة : 155-157].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ قال ابن عباس: بالقتل والموت في الجهاد. وقال الشافعي: يعني بالأمراض. ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ قال الشافعي المراد: موت الأولاد، وولد الرجل ثمرة قلبه<sup>(10)</sup>.

والمعاني متقاربة، فالآية السابقة تحدثت عن المحن والبلايا التي تصيب الإنسان في الحياة الدنيا، فهي اختبار وتمحيص لإيمانه، وشاهد عليه من كسبه وأعماله، ومن صبر فله البشارة ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : 155].

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

"لكن ذلك لا يكون إلا بالصبر عند [الصدمة الأولى] كما روي البخاري عن أنس رضي الله عنه - "مرّ النبي بامرأة تبكي عند قبر؛ فقال: "اتق الله واصبري" قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه ، فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأنتت باب النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم تجد عنده بوابين ، فقالت: لم أعرفك ، فقال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"، أي إنما الصبر الشاق على النفس الذي يعظم الثواب عليه إنما هو عند هجوم المصيبة وحرارتها، فإنه يدل على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر، وأما إذا بردت حرارة المصيبة فكل أحد يصبر إذك<sup>(11)</sup>، وقول أهل البلايا والمصائب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة : 156] جعله الله تعالى "ملجاً... وعصمة للمتحنين؛ لما جمعت من المعاني المباركة؛ فإن قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ توحيد وإقرار بالعبودية والملك.

وقوله: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بالهالك على أنفسنا والبعث من قبورنا؛ واليقين أن رجوع الأمر كله إليه كما هو له. قال سعد بن جببر رحمه الله تعالى: لم تُعْطَ هذه الكلمات نبياً قبل نبينا، ولو عرفها يعقوب لما قال: يا أسفى على يوسف<sup>(12)</sup>.

وقد بشر الله الصابرين بالعمو والرحمة والشرف الرفيع في الدنيا والآخرة وهو لا يخلف الوعد.

ويجوز للمسلم أن يكرر الاسترجاع وهو قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ كلما تذكر مصيبته، وهاج الحزن في نفسه وله مثل ثواب يوم أصيب بها، فقد خرج ابن ماجة في سننه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب<sup>(13)</sup>).

فيجب على المسلم أن يصبر عند حلول المصائب، ويردد قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ بهذا تنزل السكينة في قلبه فيسلم لأمر الله ويرضى بقضائه. كما علمنا رسولنا الكريم أدعية نستعين بها على الصبر مثل قوله: (اللهم أجرني بمصيبتي وأعقبني خيراً منها)<sup>(14)</sup>.

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

فإنه تعالى لا يريد من الإنسان أن يستسلم للجزع والحزن؛ لأنه من مداخل الشيطان الذي يريد أن ينتهي بالإنسان إلى الكفر وسوء الخاتمة، فهو يهاجم ابن آدم من كل الجهات ومن كل الأبواب، كلما أغلق في وجهه باباً جاءه من الباب الآخر، ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۗ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مَّنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 16-17].

لذا نجد في كتاب الله آيات عديدة تحذر من الشيطان ومن الوقوع في حباله كقوله جل من قائل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6].

وقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: 60].  
لكن المؤمنين حقاً المتوكلين على الله حق التوكل ليس للشيطان عليهم سلطان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 99].

المطلب الثاني - أضرار الجزع عند المصيبة:

أولاً- الصدمة الأولى مدخل من مداخل الشيطان:

الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، أي أنه منتشر متشعب في عروقه وخلاياه. فعن صفية بنت حُيي (15) زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معتكفاً فأنتيته أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسرعاً، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: علي رسلكما إنها صفية بنت حُيي فقالا: سبحان الله يا رسول الله قال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً، أو قال شيئاً (16).

جاء في إحياء علوم الدين في المعنى المذكور: "ولا تظنن أنه يخلو عنه قلب فارغ، بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم، وسيلانه مثل الهواء في القدر، فإنك إن أردت أن يخلو القدر عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطعم، بل

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

بقدر ما يخلوا من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة، فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين لا يخلو من جولان الشيطان، وإلا فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان ولذلك<sup>(17)</sup> قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36].

وقد أعجبتني عبارات لابن الجوزي في وصف القلب وصراعه مع الشيطان يقول فيها: "اعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب وفيه ثلم، وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه رَضٍ فيه الهوى، والشياطين تختلف إلى ذلك الرض من غير مانع، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الرض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وُكِّل بحفظه وجميع الثلم وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة فإن العدو لا يفتر"<sup>(18)</sup>.

وتلقى خبر موت أحد الأحبة ورفضه، يحدث في النفس صدمة رهيبية إن لم يصبر الإنسان أو يتصبر ويذكر ربه تعالى، قد تتسبب صدمته هذه في كفه إذا تسلط عليه الشيطان: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: 16].

كما أن الصدمة التي تحدثها المفاجعة تؤثر تأثيراً بالغاً في الإنسان، تأثيراً نفسياً وعضوياً، وكلما ضعفت إرادة الشخص وإيمانه وقلَّ صبره، وبالغ في الصراخ والعيول ولم يرض بقضاء الله كلما كان التأثير أشد، وقد يؤدي به أحياناً إلى الإصابة بالأمراض العضوية وربما الموت.

وعادة تظهر آثار الصدمة والحزن الناتج عنها على شكل إجهاد شديد، وكوابيس في النوم واضطراب في التفكير وضعف الذاكرة وخفقان في القلب وأحياناً صعوبة في التنفس وآلام في الصدر.

وأحياناً أخرى فقدان الشهية للطعام وغثيان وصداع وألم في الرقبة والظهر واضطراب في الدورة الشهرية للمرأة<sup>(19)</sup>.

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

جاء في موقع "أكاديمية علم النفس" تقريراً حول حالة الإنسان النفسية والعصبية والهرمونية عند الصدمة الأولى، وفي هذا التقرير ما يلي:

"إن موت شخص قريب إلينا يسبب فاجعة وصدمة نفسية كبيرة، وخاصة عندما تكون الوفاة غير متوقعة فإن الصدمة تكون شديدة جداً، وفي حالة كون الوفاة نتجت بسبب الانتحار أو العنف فإن الصدمة تكون حادة جداً. تكون الصدمة النفسية خلال الأيام أو الأسابيع القليلة ما بعد الوفاة . ربما بعض الناس يعانون من صدمة شديدة جداً أو لفترة طويلة أكثر من الآخرين"<sup>(20)</sup>.

كما تحدث الموقع السابق عما يُسمى بالخمول الذهني الذي يصاحب صدمة الموت الأولى قائلاً: "بعض الناس غير مكترث بالحزن ولا يستطيعون البكاء... في الحقيقة أن هذا الخمول الذهني يؤجل الصدمة النفسية، وربما يساعد في التعامل مع الموقف وشعائر الوفاة"<sup>(21)</sup>.

"وفي الصدمة الأولى لا يتقبل الإنسان خبر الموت يرفضه بشدة ، حيث يكون من الصعب الاستيعاب بأن فقدان الشخص هو دائم وحقيقي"<sup>(22)</sup>.

والخمول الذهني ينتج من شدة الذهول وعدم التصديق والرفض، وفي هذه الحالة قد يتمالك الإنسان نفسه ويثبت ويذكر ربه ويسترجع ويسأل الله الصبر والعوض، وهي لحظة حرجة جداً صعبة جداً حاسمة جداً يكون فيها الشخص في حالة شديدة جداً من الضعف والانهايار والحاجة إلى العون من ربه؛ فإذا سأله أجابه، إذا سأله الصبر والثبات والعوض أعطاه وزاده فوق ما سأل؛ لأنه الكريم.

**ثانياً - الحزن الشديد قد يسبب الموت:**

"اكتشف اختصاصيو علم المناعة بجامعة برمنغهام البريطانية أن مستويات التوتر والاكنتاب المتزايدة التي يسببها الحزن يمكن أن تتدخل في وظيفة نوع من خلايا الدم البيضاء المعروفة باسم "الخلايا العدلة" أكثر أنواع كريات الدم البيضاء غزارة بالإنسان، وتشكل قسماً رئيسياً من الجهاز المناعي المسؤولة عن مكافحة الأمراض البكتيرية المعدية

**صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة**

مثل: الالتهاب الرئوي. ويصبح التأثير في المسنين أعمق حيث إنهم مع تقدم السن يفقدون القدرة على إنتاج الهرمون الذي يستطيع مكافحة هذا التأثير الموهن<sup>(23)</sup>.

"وقالت الأستاذة جانيتلورد التي قادت البحث أن هناك حكايات مؤثرة عن أزواج دامت عشرتهم أكثر من أربعين عاماً عندما توفي أحد الزوجين لحق به الآخر بعد أيام قليلة، ويبدو أن هناك أساساً بيولوجياً لذلك، وهو إنهم بدلاً من الموت من انفطار القلب يموتون من انكسار جهاز المناعة، وعادة ما يصابون بأمراض معدية"<sup>(24)</sup>.

وقد قام فريق البحث بإجراء تجارب على طائفتين من المسنين الحزينين وغيرهم من المعافين "فتبين أن التأثير المضاد للبكتيريا للخلايا العدلة للمشاركين الحزينين قل بدرجة كبيرة مقارنة بأولئك الذين لم يعانون أي حزن. كما زادت مستويات هرمون التوتر المعروف بالكورتيزول الذي يكبت نشاط الخلايا العدلة ويجعلها أقل نشاطاً"<sup>(25)</sup>.

وتوصل البحث السابق إلى أن "معظم الشباب الأصحاء ينتجون هرموناً ثانياً يرمز له ب(دي إتش إي إيه) الذي وجد الباحثون أنه يمكن أن يركز هذا التأثير الذي يسمح لأجهزتهم بنأدية وظيفتها بطريقة نظامية... أما أولئك الذين يعانون من اكتئاب أو مستويات مرتفعة من التوتر نتيجة لإصابتهم فقد قلت لديهم الاستجابات المناعية وكانوا على خطر عظيم من الوفاة"<sup>(26)</sup>.

فالحزن والذي قد يتحول إلى اكتئاب شديد يمنع الإنسان من التكيف مع بيئته الاجتماعية ومن مزاوله أعماله اليومية ونشاطه، وقد يفقد الشهية للطعام والشراب، هذا الحزن الشديد لا سبيل إلى تخفيفه ومن اللحظة الأولى؛ إلا بالصبر واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، نستمد منه القوة والثبات بالاسترجاع والدعاء وكثرة الاستغفار.

وقد يحدث الحزن الشديد أمراضاً أخرى غير ضعف جهاز المناعة تصل إلى سبعة أمراض بما فيها المرض المذكور وهي التالية<sup>(27)</sup>:

1- **أمراض القلب:** تعرف هذه الحالة بمتلازمة القلب المنكسر وتشبه إلى حد ما الأزمة القلبية، إلا أنها ليست أقل خطورة، ويسبب وفاة أحد الأقارب أو الأصدقاء الأعزاء، أو حالات الانفصال عن الشريك الإصابة بهذه المتلازمة.



**صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة**

- 2- ارتفاع ضغط الدم: التوتر النفسي والحزن الشديدين يمكن أن يرفعا ضغط الدم بشكل مؤقت، حيث إنه أثناء التعرض للتوتر يفرز الجسم هرمونات كرد فعل من أجل مواجهة هذه الحالة أو الهروب منها وهو ما قد يتسبب في ارتفاع ضغط الدم.
  - 3- الروماتيزم: أفادت أحدث الدراسات التي أجريت عن التأثيرات النفسية السلبية أن الحزن الشديد يمكن أن يؤدي إلى الإصابة بمرض الروماتيزم، وقد وجد الباحثون أن أكثر من 70% من المصابين بالتهاب المفاصل قد تعرضوا قبل ذلك للصددمات العصبية والنفسية ومن بين تلك الصدمات وفاة أحد الأقارب أو حالات طلاق.
  - 4- قرحة المعدة: نتيجة مباشرة للحزن الشديد والعصبية والضغط النفسي، فكل أمراض الجهاز الهضمي تتعلق بالتوتر والضغط النفسي الذي نتعرض لهما يومياً في العمل والمنزل.
  - 5- الإنفلونزا: بسبب ضعف المناعة الناتج عن الحزن تزيد نسبة الإصابة بالإنفلونزا أو نزلات البرد في هذه الحالة نتيجة ضعف جهاز المناعة ضد مقاومة الفيروسات والبكتيريا.
  - 6- السكري: الحزن الشديد والعصبية يجعل الجسم يفرز أنواعاً من الهرمونات مثل هرمون الأدرينالين الذي بدوره يعطل عمل الأنسولين في الدم؛ وعليه يزداد الضغط على البنكرياس، وقد يؤدي في حالة تكراره إلى الإصابة بمرض السكري.
- ثالثاً - فوات الأجر والثواب في الآخرة:**

وهذا هو الضرر الأكبر ، فالمسلم إذا لم يصبر عند حرارة المصيبة في الصدمة الأولى لن يحصل على ثواب الصابرين الذي وعد به الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، فهذا الإنسان الجزع المتذمر المعترض على قضاء الله وقدره لن يعيد الميت إلى الدنيا وليس له في الآخرة من ثواب فيا لها من خسارة ! قضاؤه تعالى نافذ صديراً أم جزعنا فما على الإنسان إلا التسليم والرضا وإن لم يستطع الصبر فعليه أن يتصبر قدر الإمكان.

### المطلب الثالث - الحداد على الميت:

#### أولاً - الفرق بين الحزن والحداد:

يخط الكثير من الناس بين الحزن والحداد، والحقيقة أنهما أمران متباينان ومرتبطان في نفس الوقت. فالحزن حالة تتعلق بالقلب وهي التوجع على فوات أمر محبوب، وقد عرفه ابن مسكويه قائلاً: "الحزن ألم نفساني يعرض لفقد محبوب أو فوت مطلوب وإنما يحزن على فقد محبوباته، وفوت مطلوباته من يظن أن ما يحصل له من محبوبات الدنيا يجوز أن يبقى ويثبت عنده أو أن جميع ما يطلبه من مفقوداتها لا بد أن يحصل ويصير في ملكه"<sup>(28)</sup>. أما الحداد فهو مظهر للحزن كترك التطيب أو تصفيف الشعر وتهذيب اللحية وما إلى ذلك.

"والحداد أصله من الحد وهو المنع والفصل بين الشئيين، والحداد: ثياب المأتم السود وإحداد المرأة على زوجها ترك الزينة؛ وقيل: هو إذا حزنت عليه وليست ثياب الحزن وتركت الزينة والخضاب"<sup>(29)</sup>.

فالحزن أمر لا اختيار للإنسان فيه؛ لأنه من الطبيعي أن يحزن لفراق الأحبة، وقد بكى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حزناً لموت إبراهيم، وكثيراً ما جلس يرى الحزن في وجهه عند موت القراء، وذرفت عيناه لموت بعض أصحابه؛ لأن رقة القلب وصدق الإحساس لا تتنافى مع قوة الإيمان، والقلب المتحجر الذي لا ينفعل عند الموت والفراق قلب قاسٍ مخيف، والمؤمن حقاً رحيم... رقيق القلب، وهناك فرق بين رقة القلب والإحساس وبين الجزع، يقول ابن القيم: "إن الجزع ضعف في النفس وخوف في القلب، يمدّه شدة الطمع والحرص ويتولد من ضعف الإيمان بالقدر، وإلا فمتى علم أن المقدر كائن ولا بد كان الجزع عناءً محضاً ومصيبة ثانية قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22-23] فمتى آمن العبد بالقدر وعلم أن المصيبة مقدره في الحاضر والغائب لم يجزع ولم يفرح"<sup>(30)</sup>.

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

كما بين ابن القيم أن رقة القلب هي لمن اتصف بالرحمة والرحماء يرحمهم الله تعالى، يقول: "ولا ينافي هذا رقة القلب فإنها ناشئة من صفة الرحمة التي هي كمال، والله سبحانه إنما يرحم من عباده الرحماء وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أرق الناس قلباً وأبعدهم من الجزع، فرقة القلب رافة ورحمة وجزعه مرض وضعف<sup>(31)</sup>."

وفي القرآن الكريم أن من الحجارة لما يخرج منها الماء ومنها لما يسقط من خشية الله أي أنها تحس وتتفعل وتدرك فكيف بالإنسان عند فراق الأحبة، قال جلّ من قائل: ﴿وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة : 74].

وعن حزنه وبكائه -صلى الله عليه وسلم- ما رواه أسامة بن زيد، قال: أرسلت ابنة النبي -صلى الله عليه وسلم- إليه إن ابناً لي قبض فأتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: "إنا لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلُّ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب" فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتيئها، فقام معه سعد بن عبادة<sup>(32)</sup> ومعاذ بن جبل<sup>(33)</sup> وأبي بن كعب<sup>(34)</sup> وزيد بن ثابت<sup>(35)</sup> ورجال، فرفع إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصبي ونفسه تتفقع قال حسبته قال: كأنها شَنّ - ففاضت عيناه (أي رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء<sup>(36)</sup>.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: شهدنا بنتاً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- (أي شهدنا جنازتها) ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس على القبر قال: فرأيت عيناه تدمعان<sup>(37)</sup>.

أما عن حزنه لموت بعض أصحابه فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- قتل ابن حارثة<sup>(38)</sup> وجعفر<sup>(39)</sup> وابن رواحة<sup>(40)</sup> جلس يُعرف فيه الحزن<sup>(41)</sup>.

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

وحزنه عند مقتل القراء، قال عنه أنس رضي الله عنه: قنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شهراً حين قتل القراء، فما رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حزن حزناً قط أشد منه<sup>(42)</sup>.

وقال عند موت ابنه إبراهيم، وعيناه الكريمتان تذرفان: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"<sup>(43)</sup>.

هذا هو الأمر الطبيعي، فإظهار الحزن والبكاء باعتدال دون صراخ وعويل، أو لطم على الخدود أو شق للجيوب لقوله -صلى الله عليه وسلم- (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)<sup>(44)</sup>.

ولكن قد يشذ بعض الناس ويستطيعون ضبط مشاعرهم، أو أنهم من هول الصدمة تتحجر الدموع في مآقيهم فيبدون وكأنهم غير مباليين، لكنهم في الحقيقة قلوبهم تتمزق وأجوافهم تحترق، بل إن بعضهم قد يستطيع ممارسة حياته بشكل معتاد من أكل وشرب ومباشرة، وهذا استثناء؛ لأنه أمر يحتاج إلى قوة جبارة وثبات للقلب ويقين بالقضاء والقدر واليوم الآخر وبأن الدنيا ما هي إلا دار الفناء والطريق إلى دار البقاء.

ونضرب لهؤلاء الناس مثلاً لصحابية جليلة هي زوج أبي طلحة التي توفى ابن لها فغطته ووضعتة جانباً وهيأت نفسها وتطيبت لزوجها عند عودته مساءً ولم تعلمه بالأمر وفي صباح اليوم التالي وبعد أن اغتسل وأراد أن يخرج أعلمته بأمر الصبي وبأنه انتقل إلى رحمة الله تعالى وبعد أن صلى أبو طلحة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة الفجر أخبره بما كان من أمر زوجته فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما" قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: "قرأت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن"<sup>(45)</sup>.

إنها عاقبة الصبر وبركة دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وللغزالي رأي في هذه المسألة فهو يؤيد عدم إظهار الحزن مطلقاً مستشهداً بالقصة المذكورة حيث يقول "فماذا تُنال درجة الصدق في المصائب، وليس الأمر إلى اختياره، فهو مضطر شاء أم أبى، فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذاك غير

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

داخل في اختياره، فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والفرش والمطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى، ويبقى مستمراً على عادته، ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت<sup>(46)</sup> ويذكر الغزالي قصة أبي طلحة.

ولكن أقول إن عامة الناس ليس أبا طلحة، ومحاولة إظهار أن الأمر سهل هذا يشق على النفس والرضا مسألة قلبية لا يتظاهر بها المؤمن والحقيقة أن الحزن هو للفراق لا للاعتراض على قضاء الله والحزن مسألة قلبية، وقد يكون الإنسان في أعلى درجات الصبر والرضا لكن شدة حزنه تجعله يذهل عن نفسه ويخرج عن المألوف من عاداته في المأكل والمشرب والملبس.

وهذا الأمر خارج عن إرادته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فطالما أن هذا المبتلى بالمصيبة لم يتجاوز الحدّ جزءاً أو شكوى أو نياحة وكل ما نهى عنه الشرع فهو في مقام الصابرين بإذن الله وإن اشتد حزنه وإن طال.

**ثانياً - بعض المخالفات الشرعية المتعلقة بالحداد:**

يمكن حصر ما نهى عنه الشرع في التالي:

1- لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية وكل ما ينطق به اللسان من عبارات رفض واستنكار وتذمر ومثله التمرغ في التراب أو الضرب على الأبواب أو التصفيق والتحلّق مع النياحة وهذا يكثر في النساء وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)<sup>(47)</sup>.

2- كانت النساء في الجاهلية تحلق شعورهن عند المصيبة فنهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن هذا الأمر الشنيع وبأنه بريء من الصالقة والحالقة والشاققة<sup>(48)</sup>.

3- زيادة مدة الحداد عن ثلاثة أيام لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً)<sup>(49)</sup>.

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

وإن كان رفع الحداد بعد ثلاثة أيام يشق على النفس إلا أنه يجب على المسلم الامتنال لهذا الأمر طاعة لله ورسوله وحتى لا يعتاد على الحداد إنما يحاول أن يتغلب على الأمر ويعود شيئاً فشيئاً إلى حياته المعتادة.

يجب أن نجاهد أنفسنا ونخرج من شرنقة الحداد عند المصيبة كما فعلت أم المؤمنين زينب بنت جحش<sup>(50)</sup>. رضي الله عنها- حين توفي أخوها وبعد ثلاثة أيام دعت بطيب ومسته ثم قالت: "مالي بالطيب من حاجة غير أنني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المنبر يقول: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحدّ على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً"<sup>(51)</sup>.

وموقف أم المؤمنين هذا مدرسة في فهم الشريعة وروح الدين فهي تعترف بعدم رغبتها الحقيقية في التطيب؛ لأنها حزينة لفراق أخيها وهذا لا يُنكر عليها، لكنها طاعة لله ورسوله أخذت من الطيب وخالفت مظاهر الحزن من ترك الطيب والتزين عموماً.

ومثلها أم حبيبة<sup>(52)</sup> رضي الله عنها "لما جاء نعي أبي سفيان من الشام، دعت أم حبيبة رضي الله عنها- في اليوم الثالث فمسحت عارضيتها وذراعيها، وقالت "إني كنت عن هذا غنية، لولا أنني سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشراً)<sup>(53)</sup>.

وفي مجتمع النساء الليبيات ( خاصة أمهاتنا وجداتنا ) كانت لديهن عادة طيبة في المآتم في اليوم الثالث والذي يسمى (بيوم الفرق) أي فراق الحداد، كن يجعلن بعض الحناء المعجونة في صحن يطاف به على النسوة الحاضرات تقوم كل واحدة منهن بلمسه أو وضع كتلة صغيرة جداً من الحناء قدر الأتملة في باطن كفها وهذا بالطبع إشعاراً برفع الحداد والامتنال لأمر الله ورسوله، لكن لا يخلو الأمر من مخالفات شرعية إذ ترفض بعض النساء لمس الحناء؛ لأنها لا تريد ترك الحداد إظهاراً لشدة الحب والتعلق بالمتوفى، وبعضهن تمكث السنة والسنتين دون اكتحال أو وضع حناء أو مشاركة أخواتها من الجارات والقريبات في أفراحهن وأعراسهن وهذا بالطبع من المنهى عنه.

**صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة**

وبالمقابل هناك من تفهم ترك الحداد فهماً خاطئاً مبالغاً فيه، حيث تأتي لتقديم واجب العزاء وهي بكامل زينتها وتطييبها، تظن نفسها أنها بذلك تطبق الشريعة وهي بعيدة كل البعد عن فهم مقاصدها وروحها، فالإسلام شريعة الاعتدال والرحمة ومراعاة المشاعر، دين الفطرة والإنسانية والمشاركة الوجدانية في الأفراح والأتراح، ومن أرادت التجمل ففي بيتها سعة وستر ومما يؤسف له أن بعضهن تكون بكامل زينتها والجنائز فوق أعناق الرجال.

وما نراه أيضاً من إقامة الأفراح وأصوات الغناء والزغاريد والمزامير والألعاب النارية كل هذا وبالقرب من بيت الفرح بيت يقام فيه عزاء، وكل هذا بحجة أن الحداد ثلاثة أيام! الله! الله! في الإسلام، لقد اشتط بعض المسلمين وتطرفوا في فهمه، نعم الحداد ثلاثة أيام ولكن في دائرة المودة والرحمة والمشاركة الوجدانية والاعتدال.

**ثالثاً - الحكمة من جعل الحداد ثلاثة أيام:** قد يسأل سائل لماذا كان الحداد ثلاثة أيام تحديداً، ليست اثنين أو أربعة أو سبعة مثلاً!

والحقيقة أن المسلم عليه الطاعة؛ لأنه في كثير من الأحيان قد لا يدرك العلة أو الحكمة من الحكم الشرعي، ولكن ماذا نفعل بالعقل الذي يحيى في عالم الأسباب فهو دائماً يبحث عنها؟!!

قد يكون السر في العدد ثلاثة الذي ميزه الله تعالى بميزات كثيرة، لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دعا إلى أمر كرره ثلاثاً وإذا دعا ربه دعاه ثلاثاً، وأشياء كثيرة في الكون جعلها الله ثلاثة، ثلاثة ومنها: عزز الله الحماية للمخ داخل الجمجمة النخاع الشوكي داخل العمود الفقري، ووفر لهما التغذية بالدم بأن غلفهما بثلاثة أغشية: غشاء الأم الحنون والغشاء العنكبوتي وغشاء الأم الجافية. كما عزز الله الجلد بجعله ثلاث طبقات: البشرة والأدمة وطبقة النسيج الدهني.

والألوان الأساسية ثلاثة: الأحمر والأزرق والأخضر وحالات المادة ثلاث: الصلبة والسائلة والغازية والديانات السماوية ثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام كما أن القسم بالله ثلاثة تأكيداً لليمين وإحدى كفاراته الصوم ثلاثة أيام، والطلاق ثلاث طلاقات، وأسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسماً وهي من مضاعفات العدد ثلاثة، وفي الوضوء غسل كل

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

عضو ثلاث مرات، ومن صور الاستغفار ما يكرر ثلاث مرات، وفي الركوع والسجود نذكر ربنا ثلاث مرات، وأيام التشريق ثلاثة، وآيات المنافق ثلاث وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، والله خلقنا في بطون أمهاتنا في ظلمات ثلاث، ومراحل العمر ثلاثة: طفولة وشباب وشيخوخة، ومراحل الحياة ثلاث: الدنيا والبرزخ والآخرة وصام نبي الله زكريا ثلاثة أيام<sup>(54)</sup>.

فعل السر والله أعلم في العدد ثلاثة قد وضع الله فيه معجزات لا نعلمها، لذا كان الحداد ثلاثة أيام لا تنقص ولا تزيد فربما هي الأنسب لطبيعة الإنسان من حيث امتصاص الصدمة، فإن قلت الأيام عن ثلاثة فهذا غير مستطاع، وإن زادت ربما اعتادت النفس على الحداد وصعب عليها الخروج منه والله سبحانه وتعالى لا يريد لعباده الحزن والذي قد يؤدي إلى الكآبة والتي تعيق الإنسان عن القيام بدوره في الحياة فلا يستطيع حمل الأمانة المكلف بها، فعليه أن يجاهد نفسه ويتغلب على حزنه ويحيا من جديد، فالحياة لا تتوقف بموت أحد.

**المطلب الرابع - كيف نواجه الحزن عند فقدان الأحبة ؟**

قال جلّ من قائل: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: 50] وقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]، فإله سبحانه وتعالى هو الملاذ والملجأ نفرّ إليه في الأزمات والنكبات والصدمات، هو من أنزل الابتلاء وأنزل معه الصبر، فمن طلب منه الصبر وجده، متى قلنا يا رب قال: لبيك عبدي، فعلى المسلم أن يذكر ربه فور وقوع المصيبة ويسترجع ويسأله تعالى الصبر والعوض ويوقن أن ما أصابه ما كان ليخطأه وما أخطأه ما كان ليصيبه ولكل أجل كتاب، عليه أن يستعين على مصيبته بذكر الله حمداً وتسبيحاً وتهليلاً وتكبيراً واستغفاراً حتى لا يكون للشيطان إلى قلبه سبيل.

ومما يخفف عنه الأحزان أن يتذكر ثواب الصابرين فإله يوفيهم أجرهم بغير حساب ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

كما يجدر به أن يتذكر بقية نعم الله عليه كنعمة الصحة والأبناء والعلم والمال والجمال وقبلها نعمة الإسلام، على المسلم أن يحمد ربه مراراً بأن مصيبته لم تكن في دينه؛ لأنها أعظم المصائب.



صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

والجدير بالعبد أن يحمده ربه حمداً كثيراً أن متعه برفقة من أحب في فترة من فترات عمره، ماذا لو لم يكن هذا المتوفى موجوداً بالأصل؟

ماذا لو أن الإنسان لم يتزوج ولم ينجب ولم تكن لديه عائلة ونسب كأطفال الملاجئ في هذه الحالة لم يتذوق طعم هذه النعم! نعم رجل عنه أحباءه ولكن تركوا الذكريات الجميلة تحيا داخل قلبه .

يا من فقدتم الأحبة احمداً الله أنه متعمكم بهم في جزء من حياتكم وادخر لكم ثواب فقدهم في آخرتكم، أنتم من أهل السعادة المحظوظين إذا صبرتم!!!

فلسفتنا في الحياة فيها أخطاء كثيرة، بنيناها على نظرية عدم الاحتمال؛ عدم احتمال المرض، عدم احتمال الموت، إن ذلك يحدث للأخريين، دائماً نستبعد هذه الأشياء، نستبعد الفراق، الموت، يقول إبراهيم الفقي: "هناك أشياء وأشخاص وحتى أجزاء منا تسيير معنا في رحلة حياتنا لغرض محدد ولفترة محددة وليس لمصاحبتنا طوال الرحلة"<sup>(55)</sup>.

والحياة الدنيا جميلة والأجمل منها دار البقاء، هناك في جنة الفردوس هنالك اللقاء الذي لا فراق بعده، فلنشمر للجنة!!!

ويجدر بمن ابتلى بفقدان عزيز أن يشدد حسابه لنفسه يعاتبها، يجدد التوبة مع الله ويسأله العفو والعافية.

ومما يخفف المصاب وينفع الميت كثرة الدعاء له والاستغفار والتصدق عليه وزيارته في قبره؛ لأنه يستأنس بها فعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: "إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السلام"<sup>(56)</sup>.

وعلاقة الأحياء بالأموات موجودة تنبئ عنها الرؤى الصادقة وهي مسألة يطول البحث فيها.

كما أنه مما يخفف المصاب ويسرّ الميت في قبره ويصله ثوابه استكمال أعمالاً نافلة كان المتوفى يود عملها، كذلك صلة أصدقائه وقرباته.

صبر الصدمة الأولى عند نعي الأحبة وأثره في الدنيا والآخرة

ومنها شغل الفكر بتلاوة القرآن وذكر الله، ومطالعة أخبار الصابرين والمبتلين، فالحياة لا يستقيم لها حال، يوم لك ويوم عليك، هي أفراح وأتراح إن أضحكك يوماً ستبكيك أياماً.

**الخاتمة:**

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا ، أستغفرك ربنا وأتوب إليك .

بعد استكمال هذه الدراسة أود أن أسجل أهم نتائجها وهي التالية :

1 - الرضا بقضائه تعالى وقدره من أقوى أسباب السعادة والصحة النفسية والجسمية للإنسان ، فالصبر والرضا يستطيع أن يتحدى نكبات الزمان ويثبت ، ويواصل مسيرة الحياة التي لا تتوقف بموت أحد .

2 - بالصبر عند الصدمة الأولى يُرضي المؤمن ربه فيكون له الثواب الجزيل في الآخرة، ويعوضه الله في الدنيا خيراً مما فقد فهو لا يخلف الوعد.

3 - يجدر بالمسلمين تصحيح بعض المفاهيم كالفصل بين الحزن والحداد والفرق بين الصبر وقساوة القلب، وفهم مقاصد الدين باتزان دون إفراط أو تفريط، فالمبالغة في الحداد لا تجوز وإظهار عدم المبالاة كذلك لا تليق لأن المسلمين كالجسد الواحد .

4 - على المسلم أن يؤدي حق شكر الله تعالى على وافر نعمه ومن بينها نعمة طول الحياة له ولمن يحب ، نعمة جليلة لا يقدرها إلا من تجرع مرارة الفقد!

جعلنا الله وإياكم من المعافين، وللموت ذاكرين لا من الغافلين، وتقبل موتانا وموتاكم وجميع موتى المسلمين وغفر لنا ولكم ولهم أجمعين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

**هوامش البحث:**

- (1) شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق/ عماد زكي البارودي، ج1، المكتبة التوفيقية، الحسين- القاهرة، ص516.
- (2) تقديم/ محمد عبد القادر عطا، إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ج3، دار التقوى - القاهرة، ط1، 2000، ص507.

- (3) المصدر نفسه، ص نفسها.
- (4) عدة الصابرين، ابن القيم، تحقيق/ عصمان الدين الصبابي، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2002 م، ص265.
- (5) مدارج السالكين، ج1، ص522.
- (6) المصدر نفسه، ص523.
- (7) المصدر نفسه، ص524.
- (8) المصدر نفسه، ص514-515 وإحياء علوم الدين، ج3، ص498.
- (9) المصدر نفسه، ص515 بإيجاز.
- (10) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبي، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت - ط2، 1952، ص174.
- (11) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المصدر السابق، ج2، ص174. والحديث في صحيح البخاري ج1، ضبط وترقيم/ محمد عبدالقادر أحمد عطا، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، دار التقوى - القاهرة، -307 .
- (12) تفسير القرطبي، ج2، ص176.
- وانظر تفسير ابن كثير، الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، مج1، ج1، دار الاعتصام، القاهرة، 2005، ص296-297.
- (13) المصدر نفسه، ج2، ص175.
- (14) الحديث أخرجه البخاري وفي صحيح مسلم طبعة مرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف [مجلد واحد] - الدار الذهبية - القاهرة، والحديث بلفظ مشابه، ص418.
- (15) صفية بنت حبيّ بن أخطب أم المؤمنين، كان أبوها زعيماً ليهود بني النضير الذين حاولوا الغدر برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأمر بإجلانهم عن المدينة، اختارها رسول الله لنفسه بعد غزوه لخيبر واشترط عليها الإسلام، عاشت إلى خلافة معاوية وماتت سنة اثنتين وخمسين للهجرة ودفنت بالبيقع -رضي الله عنها-.\*

- \* موسوعة رجال ونساء حول الرسول، محمد علي قطب، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، 2004م، ص49.
- (16) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده حديث (3281) ومسلم كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رثى خالياً بامرأة، حديث (2175).
- (17) ج1، ص511.
- (18) تلبيس إبليس، تعليق محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ص44.
- (19) أكاديمية علم النفس، محمد جرادات. Academy of psychology.
- (20) المصدر نفسه.
- (21) المصدر نفسه.
- (22) المصدر نفسه.
- (23) ديلي تلغراف، شبكة الجزيرة الإعلامية.. Aljazeera Medla Network, 2017.
- (24) المصدر نفسه.
- (25) المصدر نفسه.
- (26) المصدر نفسه.
- (27) موقع صحتي. Sohati- com By born InteramTive 13-8-2017.
- (28) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ص224.
- (29) لسان العرب، ابن منظور، ج7، باب الحاء، دار صادر - بيروت، ط4، 2005م.
- (30) الروح، ابن القيم، تحقيق/ محمد محمد تامر، المقطّم للنشر والتوزيع، ط1-2008م، ص264.
- (31) المصدر نفسه، ص نفسها.
- (32) سعد بن عباد/ سيد الخزرج، ورث أموالاً طائلة عن أبيه، أتقن الكتابة والرماية والسباحة حتى سُمّي بالكامل، حضر بيعة العقبة وكان من المقربين لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- توفى بالشام ودفن فيها بحوران\*.

\* رجال ونساء حول الرسول، ص451.

(33) معاذ بن جبل/ كان شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه، كان في السابعة عشر من عمره يوم قدم مكة وبايع رسول الله بيعة العقبة الثانية مع وفد الأنصار، شهد بدرًا، بعثة رسول الله إلى اليمن مع أبي موسى الأشعري، قضى على فتنة الأسود العنسي، قتل في طاعون عمواس\*.

\* موسوعة رجال ونساء حول الرسول، ص527.

(34) أبي بن كعب/ من أصحاب بيعة العقبة، شهد بدرًا وبيعة المشاهد هو سيد القراء وأول من كتب لرسول الله بعد الهجرة وكان كاتباً للوحي توفي في آخر خلافة عمر سنة تسعة عشر\*.

\* موسوعة رجال ونساء حول الرسول، ص582. انظر كذلك الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، تحقيق / خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص27.

(35) زيد بن ثابت/ تعلم السريانية في سبعة عشر يوماً بأمر رسول الله كان عمره أحد عشر عاماً عند هجرت النبي إلى المدينة، فلم يحظ بشرف الجهاد إلا في غزوة الخندق لصغر سنه، كان حاد الذكاء سريع الحفظ، حفظ القرآن، وكان أعلم الصحابة بعلم الفرائض كتب القرآن في عهد الصديق بعد موقعة اليمامة وشهد موقعة اليرموك وتولى قسمة الغنائم توفي سنة 42هـ\*.

\* انظر الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، ج2، ص500.

(36) صحيح البخاري، ج1، كتاب الجنائز، ص307.

(37) المصدر نفسه، ص308.

(38) ابن حارثة/ هو زيد بن حارثة بن شرحبيل اختطف من حجر أمه وبيع رقيقاً حتى انتهى أمره عند خديجة بنت خويلد التي وهبته لرسول الله، اختار زيد رسول الله عن أبيه وعمه وقد سطر القرآن قصة زيد وزواجه من زينب بنت جحش وطلاقها وإبطال نظام التبني كل ذلك في سورة الأحزاب\*.

- \* موسوعة رجال ونساء حول الرسول، ص249./الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص504.
- (39)جعفر/ هو جعفر بن أبي طالب أمره رسول الله بعد زيد بن حارثة وأمر بعده ابن رواحة في غزوهما باللقاء ضد الروم بأرض الشام واستشهد فيها\*.
- \* الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص427.
- (40)ابن رواحة/ من أصحاب بيعة العقبة الأولى والثانية واختير نقيباً من بين التسعة نقباء "الخزرج"، اختاره رسول الله كاتباً من كتاب الوحي لعلمه وأمانته شهد بديراً، كان شاعراً، تقياً، ورعاً، استشهد باللقاء بأرض الشام\*.
- \* موسوعة رجال ونساء حول الرسول، ص545.
- (41)صحيح البخاري، ج1، كتاب الجنائز، ص311.
- (42)المصدر نفسه، ص نفسها.
- (43)المصدر نفسه، ص312.
- (44)المصدر نفسه، ص310.
- (45)المصدر نفسه، ص311. كذلك فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني - بعناية محمود بن الجميل، ج3، مكتبة الصفا - القاهرة، ط1، 2003، ص207.
- (46)إحياء علوم الدين، ج3، ص509.
- (47)صحيح البخاري، كتاب الجنائز، ص306-310.
- (48)صحيح البخاري، كتاب الجنائز، ص306-310.
- (49)صحيح البخاري، كتاب الجنائز، ص306-310.
- (50)زينب بنت جحش: أم المؤمنين نزل بشأنها وزواجها بزيد بن حارثة ربيب رسول الله قرآناً في سورة الأحزاب، كانت فتاة قرشية جمالاً ونسباً أمها أميمة بنت عبدالمطلب توفيت سنة عشرين للهجرة عن ثلاث وخمسين سنة وصلى عليها عمر ودفنت بالقيع\*.

\* موسوعة رجال ونساء حول الرسول، ص55.

(51) البخاري، كتاب الجنائز، ص306.

(52) أم حبيبة/ رملة بنت أبي سفيان في طبعها هدوء، هاجرت مع زوجها عبدالله بن جحش إلى الحبشة لكنه تنصر هناك وأسرف في شرب الخمر حتى مات فخطبها رسول الله ودفع مهرها وشهد عقد زواجها النجاشي ملك الحبشة وعند فتح خيبر قدمت أم حبيبة إلى المدينة وبنى بها رسول الله توفيت سنة أربع وأربعين من الهجرة\*.

\* موسوعة رجال ونساء حول الرسول، ص65.

(53) البخاري، كتاب الجنائز، ص306.

(54) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الخواص الرياضية للعدد 3.

<https://ar.m.wikipedia.org>

(55) غير حياتك في 30 يوماً، الجزء الأول، إبراهيم الفقي، ط2، 2013، سما للنشر والتوزيع - القاهرة، ص42.

(56) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (1717) وللقارئ أن يراجع كتاب الروح لابن القيم فقد تناول هذا الكتاب أغلب التساؤلات حول الروح بإسهاب.

معايير جودة الأداء التدريسي ومدى توفرها لدى طلبة كليات التربية جامعة طرابلس

أ. نادية المبروك رعدان

جامعة طرابلس / كلية التربية - ليبيا

المقدمة:

تتطلب التجديدات التربوية وجود المعلم الواثق من نفسه، والمجدد في عمله، والواعي بكل مستحدث في مجال عمله وتخصصه، إذ أنه مهما استحدث طرق وأساليب وتقنيات حديثة، ومهما تحدثت فلسفات وترجمت إلى مناهج وطرق وأساليب، فإن هذا كله لن يؤدي في الغالب إلى تحقيق الأهداف المرجوة. ما لم يعتمد على المعلم ومستواه، ومدى ما يملكه من كفاءات تساعده على نموه المهني، وتعليم تلاميذه كيف يفكرون، وكيف يستفيدون مما تعلموا في حياتهم. (محمد صايل عبيدات: 1993، ص42) وقد برزت العديد من الاتجاهات الحديثة في مجال إعداد المعلم التي تؤكد ضرورة مجاراة العصر وملاحقة التطورات العلمية والتربوية والتقنية، ولعل أهم هذه الاتجاهات وأحدثها، تلك التي تؤكد إعداد المعلم وتأهيله وفق معايير جودة الأداء التدريسي، ويسعى هذا الاتجاه إلى تنمية الأداء التدريسي لدى الطلاب المعلمين من خلال تركيزه على بعد المحتوى التخصصي وتكامله مع التربوي اللازم لتدريس هذا المحتوى، والمساعدة في خلق بيئات تعلم فعالة، تستفيد من التكنولوجيا المتاحة، وتراعى الفروق الفردية بين المتعلمين، مما يساعد على أداء أدواره والقيام بمهامه على أكمل وجه، وذلك لمسايرة تطورات العصر والتعامل مع تحديات المستقبل. (راشد بن حمد الكثيري: 2004، ص 65) إن تحول العالم من اهتمام بقياس جودة المدخلات إلى التركيز على جودة المخرجات، سيحوي ضمناً تجويد المدخلات وعملياتها وسيحقق أعلى مؤشرات لجودة المخرجات، فالتركيز على معايير ومؤشرات جودة أداء التدريس سوف تحدث تطوراً في مجال إعداد المعلم، والتزام مؤسسات الإعداد بهذه المعايير يؤدي إلى تخريج معلمين أكثر جودة وفاعلية، ويمكنهم من تحسين وإثراء تحصيل طلابهم، ومن هنا تبرز أهمية التقويم باستخدام معايير الأداء التدريسي، حيث تعد المعايير التي تحدد الموصفات القياسية نموذجاً لضمان الجودة وإدارتها من حيث تحسين المدخلات والعمليات للوصول



لمخرجات أكثر كفاءة، لذلك تعد هذه المعايير أساسا للحكم على جودة البرامج التي تقدمها كليات التربية لطلابها من حيث انعكاسها على جودة أداءهم التدريسي، مما يمكن كليات التربية من اتخاذ الإجراءات التي تكفل تطوير مستوى الأداء المهني لخريجها لضمان جودة مخرجاتها. (حازم زكي عيسى، رفيق عبد الرحمن محسن: 2010، ص150)، وتكمن أهمية المعايير أداء التدريسي في أنها تؤسس لمهنة التعليم، بهدف تطوير وتحسين العملية التربوية بوجه عام، والارتقاء بوضع المعلم المهني وتقدمه الوظيفي بوجه خاص، كما أنها توفر له مضلة للأمن الوظيفي وتشجعه على العمل الجماعي والمشاركة، ويظهر ذلك في التطور المهني والذي يعتبر المرجعية التي توضح الخصائص المهنية التي ينبغي للمعلم الحفاظ عليهما، والسعي الدائم لتلبيتها مما يؤدي إلى تطوره المهني المستمر، وتكون الدافع وراء سعيه للارتقاء بنفسه، وتطوير قدراته وإبداعاته، وبالتالي حدوث التقدم المتوقع للمعلم في ممارسته المهنية وقدراته المعرفية، واتجاهاته ومعتقداته نحو التعليم، حيث ينعكس ذلك على نوعية التعليم ومستواه في الوطن ومن خلال استشعار الباحثة بأهمية معايير الأداء التدريسي للارتقاء بجودة مخرجات كليات التربية وانعكاسها على نوعية التعليم ومستواه في الوطن، قامت الباحثة بعرض مشكلة الدراسة.

#### مشكلة الدراسة وأبعادها:

رغم أهمية دور المعلم في المجتمع والاهتمام المتزايد بإعداده، إلا أن المهام الملقاة على عاتقه لم ترتبط في الواقع بخطة جادة ومتطورة لإعداده الإعداد السليم الذي يتناسب وتلك الأدوار ولقد كان أداء المعلم داخل الفصل الدراسي موضع نقد الكثيرين في السنوات الأخيرة، ويركز الناقدون خاصة على برامج إعداد المعلم باعتبارها مسؤولة إلى حد ما عن هذا الأداء، فقد تعدد شكاوى المسؤولين التربويين والمشرفين التربويين وإدارات المؤسسات التعليمية من ضعف الكفاية العلمية لدى بعض المعلمين وبخاصة حديثي التخرج. (البشير الجنش: 2003، ص6) وأكدت بعض الدراسات على أن " غالبية المفتشين التربويين يجمعون على وجود نقص في أداء المعلم والإهمال في الإعداد والتحصير للدروس، والقصور في الجوانب المهنية والأكاديمية (مؤتمر المعلمين لبلدية بنغازي: 1989، ص7)، وأن "مجموعة كبيرة من

خرجي كليات إعداد المعلمين في حاجة إلى مزيد من التأهيل والتدريب، واكتساب الكفايات التدريسية بطرق التدريس والتقنيات التربوية اللازمة للتعليم" (تطور التعليم في الجماهيرية: 2004، ص 45)، مما أثر سلباً على مستوى تحصيل الطلاب، الذي يمكن أن نرصده من نتائج امتحاناتهم النهائية، سواء أكانت الشهادات العامة أم النقل، وهذا ما توصلت بعض الدراسات إلى أنه من أسباب ضعف مستوى التحصيل الدراسي للطلاب، انخفاض مستوى أداء معلمهم. (كريمة رمضان بوبكر: 2005، ص 1، 2).

ومن خلال عمل الباحثة في مراحل التدريس المختلفة (الأساسي، الثانوي، معاهد الوسطى لإعداد المعلمين) لفترة طويلة، لاحظ بعض القصور في أداء بعض المعلمين، فأداءهم لا يتناسب مع فاعلية العملية التعليمية ومتطلباتها وتحدياتها، وافترضت في حينها أسباب لها علاقة بإعدادهم قبل الخدمة، كعدم إلمامهم بمهارات الأداء التدريسي وتمرسهم عليها، وبعد انتقالهم إلى التعليم العالي والمساهمة في مؤسسات تكوين وإعداد المعلمين، لاحظت ومن خلال مشاركتي في الإشراف الميداني على الطلاب المعلمين بالتربية العملية، أن بعض مؤشرات المعايير الأداء التدريسي غير متوافرة لديهم على الرغم من أهميتها، مما جعل الافتراضات السابقة التي جالت بخاطري واقع يمكن ملاحظته، ورسده بدراسة علمية تأكده .... وهذا ما دفعني إلى إجراء هذا الدراسة، ولإجابة على السؤال الرئيسي التالي:-

- ما مدى توفر معايير جودة الأداء التدريسي لدى طلبة كلية التربية جامعة طرابلس؟  
أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى الآتي:

1. الحاجة إلى نشر ثقافة الجودة في التعليم .
2. إعداد قائمة بمعايير الأداء التدريسي للطلاب المعلم بكليات التربية، وتزويد القائمين علي برنامج إعداد المعلم بهذه القائمة، من أجل مراعاتها أثناء إعدادهم .
3. قلة المراجع والمصادر التي تدرس تقييم مخرجات كلية التربية في ضوء معايير جودة الأداء التدريسي، وبذلك تصبح أهمية الدراسة لما ستصل إليها من نتائج تثري الجهود

المبدولة في تجويد كليات التربية وتضيف إلى الدراسات السابقة دراسة تهتم بهذا الجانب.

4. تطرح الدراسة مدخلا من المداخل الحديثة لتجويد كليات التربية.

#### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

1. التعرف على معايير جودة الأداء التدريسي الواجب توفرها لدى طلبة كليات التربية جامعة طرابلس.
2. التعرف على مستوى توفر معايير جودة الأداء التدريسي لدى طلبة كليات التربية جامعة طرابلس.
3. التعرف على المقترحات التي من شأنها أن تسهم في تجويد مخرجات كليات التربية في ضوء معايير لأداء التدريسي؟

#### تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية :

1. ما معايير جودة الأداء التدريسي الواجب توفرها لدى طلبة كليات التربية جامعة طرابلس؟
2. ما مستوى توفر معايير جودة الأداء التدريسي لدى طلبة كليات التربية جامعة طرابلس؟
3. ما التوصيات والمقترحات التي من شأنها أن تسهم في تجويد مخرجات كليات التربية في ضوء معايير لأداء التدريسي؟

#### مصطلحات الدراسة:

- يقصد بالتقويم:

هي العملية التي يمكن بموجبها إصدار حكم اتجاه جودة الأداء التدريسي لمخرجات كليات التربية بجامعة طرابلس وفق قائمة معايير جودة الأداء التدريسي أعدتها الباحثة. ومن ثم فإن التقويم في هذه الدراسة يعتمد الإجابة عن: درجة توفر معايير جودة الأداء التدريسي لدى طلبة كليات التربية جامعة طرابلس

• مخرجات كلية التربية

وتقصد بها الباحثة في هذه الدراسة "الطلبة المعلمين بكليات التربية طرابلس الذين انهوا تطبيق التربية العملية".

- معايير جودة الأداء التدريسي:

معايير الأداء التدريسي: هي عبارات تصف ما يجب أن يعرفه الطالب المعلم بكليات التربية من معارف ومهارات وقيم نتيجة داسته محتويات معينة ويكون قادر على أدائه وتشمل المجالات التالية:-

المجال الأول: التخطيط للتدريس

المجال الثاني: تنفيذ الدرس

المجال الثالث: تنظيم وإدارة بيئة التعليم والتعلم

المجال الرابع: تقويم التدريس

وسيتم عرض الدراسة وفق لتسلسل الآتي :

■ إطار المفاهيم والدراسات السابقة

■ منهج الدارسة وأساليب جمع البيانات.

■ النتائج ومناقشتها والتوصيات.

■ قائمة المصادر والمراجع

■ الملاحق

إطار المفاهيم والدراسات السابقة:

حركة المعايير التربوية وحركات الإصلاح التربوي السابقة عليها:

إن المنتبع لحركات الإصلاح التربوي يلمس ما يطرأ عليها من تغيرات من حقبة إلى أخرى، ويلاحظ أنها سريعة الاستجابة لما يثبت فعاليته في مجالات الحياة الأخرى، فقد شهدت التربية منذ الخمسينات من القرن الماضي وحتى التسعينات منه عدداً من حركات الإصلاح التي وجهت أنظمتها، وأسهمت في تطوير وسائلها، ومن أبرز هذه الحركات حركة

الأهداف التعليمية، وحركة القياس محكي المرجع، وحركة التعلم من أجل التمكن وحركة الكفايات التعليمية، وحركة نواتج التعلم.

فمنذ بداية الخمسينات من القرن الماضي، والتربية تعتمد على الأهداف التعليمية ركناً أساسياً لتصميم العمليات التعليمية، وموجهاً دائماً لتنفيذها، محدداً لوسائل تقويمها. وتأتي الأهداف التعليمية في مجالات ثلاثة: معرفية ووجدانية ومهارية، ولكن مجال مستويات، وهي على مستوى المراحل التعليمية والمواد الدراسية أهداف عامة أوغايات، وفي مستوى الوحدات الدراسية والدروس التعليمية أهداف تعليمية أو إجرائية، وينبغي أن تصاغ بصورة سلوكية بحيث يمكن ملاحظتها وقياسها ثم جاءت حركة القياس محكي المرجع لتشير إلى أن جوانب تعلم الطلاب: المعرفية والوجدانية والمهارية يمكن إظهارها ويمكن قياسها بتحديد مخرجات للأداء في صورة محكات لتقييم مدى إنجاز المتعلمين، مما يعد تمهيداً حقيقياً لفكرة تقويم الأداء. (محمد رجب فضل الله، محمد جابر قاسم : 2003، ص 149)

#### • حركة التعلم من أجل التمكن:

وتقوم هذه الحركة على مبدأ هام، وهو أن 90% من الطلاب يستطيعون أن يتعلموا ما يدرسون في المدرسة في أي مستوى إذا ما توفر الوقت الكافي والتعلم الملائم. الوقت الكافي يعني الوقت المناسب للوصول إلى مستوى التمكن من الأهداف التعليمية، والتعلم الملائم يعني تحديد الوحدات الدراسية للمقرر الدراسي، وتحديد أهداف تعليمية لكل وحدة وضرورة تمكّن الطالب من أهداف الوحدة قبل الانتقال لوحدة أخرى. (إدريس سلطان يوسف: 2007، ص 39، ص 40)

#### • التربية القائمة على الكفايات:

ظهرت حركة التربية القائمة على الكفايات كرد فعل لفشل التربية التقليدية في تحقيق أهدافها بشكل سلوكي إجرائي لسد النقص الذي يشعر فيه المتعلم في تدريبه على الأداء. (محمود كامل الناقية: 1985، ص 5) ويرى أتباع المدخل القائم على الكفايات أن المعرفة عبارة عن كفايات غير مترابطة يمكن تدريسها وتقويمها بصورة منفصلة، وكان الهدف الذي سعى إليه مؤيدو هذه الحركة هو تقنين المنهج وزيادة فاعليته، من خلال تحديد مخرجات

للتعلم في صورة كفايات وأنشطة أساسية ينبغي أن يتدرب المعلمون على إتقانها. (نعمان محمد الموسوي: 2004، ص32، ص33)

#### • حركة مخرجات التعلم:

مع بداية العقد الأخير من القرن الماضي ظهرت حركة مخرجات التعلم، ونادت بضرورة تحديد نواتج تعلم، يستطيع المتعلمون إظهارها بجلاء في نهاية أية خبرات تعليمية يمرّون بها، وأن تكون هذه المخرجات في صورة أداءات أو أفعال وأكدت هذه الحركة أن جميع المتعلمين يمكنهم تحقيق نفس القدر من الإنجاز ( ليس في نفس الوقت، ولا بنفس الطريقة)، وأن نجاحهم في تعلم شيء يقودهم إلى تعلم أشياء، وأن المدارس يمكنها التحكم في شروط النجاح ومتطلباته. (محمد رجب فضل الله، محمد جابر قاسم : 2003، ص150)

وقد حاولت هذه الحركة تلافي سلبيات حركة الأهداف التقليدية، التي يتم تحديدها بتفصيل وشمول، وتجزء المادة التعليمية إلى معارف ومهارات واتجاهات، في حين أن المخرجات التعليمية عامة، تندرج تحت عدد محدود من العناوين، وتحافظ على الترابط والتكامل بين معارف ومهارات المادة التعليمية وجوانبها الوجدانية كذلك، وتمثل هذه المخرجات ما يتم إنجازه وتقييمه في نهاية الدراسة وليس توقعات ومقاصد واضعي المنهج، وبالتالي تشجع كل من المعلم والمتعلم على تحقيقها. (إدريس سلطان يوسف: 2007، ص40)

ومن خلال تحليل هذه الحركات الإصلاحية في التربية يتضح ما يلي:

- تدرجها في التحول من الاهتمام بالمعارف إلى العناية باستخدام المعرفة.
- تحولها من التعامل مع جزئيات المعارف، ومكونات المهارات إلى التركيز على التكامل بين أجزاء المعرفة، وبين مكونات المهارة الواحدة، وبين مهارات المادة الواحدة.
- انتقالها من التسليم بوجود الفروق الفردية بين المتعلمين، وإلى حتمية وجود مستويات مختلفة لتحصيلهم الدراسي إلى العمل على تنويع هذه الفروق، والوصول بجميع التلاميذ إلى نفس الدرجة من التحصيل.

- تغيير محور تركيزها من مدخلات العمليات التربوية والتعليمية إلى مخرجات هذه العمليات ونواتجها.
  - ارتقائها من مستوى التوقعات لما ينتظر من نتائجها إلى مستوى الإلزام بضرورة حدوثه؛ لضمان تحققه دون إهدار للوقت والجهد.
  - تطور إجراءات إصدار الأحكام والتقدير، والاستجابة لها من الملاحظة والقياس - غالباً - من جانب طرف واحد إلى العلم بالمحكات، وتلمس المؤشرات من جميع الأطراف (الشفافية والمشاركة).
  - التمهيد للانتقال من الاهتمام بالرصيد المعرفي وتطبيقاته في التعليم والتقييم إلى الاهتمام بما يستطيع المتعلم أداءه من هذه التطبيقات، ونتيجة هذه المعرفة في المواقف الحياتية الحقيقية أو المحاكية. (محمد رجب فضل الله، محمد جابر قاسم: 2003، ص 150)
  - وكان طبيعياً في ظل هذه المرونة أن تستجيب التربية لفكرة المعايير التي أخذت بها المجالات الحياتية الأخرى، وثبتت فعاليتها في تطوير نواتجها، مما أدى إلى ظهور حركة المعايير التربوية رغبة في تحسين المنتج التربوي والتعليمي سواء أكان: متعلماً أو معلماً أو كاتباً أو نشاطاً أو تدريساً أو تقيماً.
- وعلى ذلك يمكن النظر إلى التربية القائمة على المعايير على أنها حركة إصلاح تربوي معاصر تبلورت - إلى حد كبير - أفكارها، وبدأ الأخذ بها يؤتي ثماره في الاهتمام بتطوير المناهج التعليمية، وبرامج إعداد المعلمين، وأدوات التقييم أما عن علاقة المعايير التربوية بحركات الإصلاح التربوي السابقة عليها، فإن المتأمل لما قيل، ولما كتب عن هذه الحركة قد يرى أنها حركة حديثة في مسماها، وفي الآليات التي تفرضها لتطوير المناهج الدراسية والبرامج التعليمية وفي جهود الأخذ بها واعتمادها أساساً للتطوير التربوي الحادث حالياً في كثير من الأنظمة التعليمية في بلدان مقدمة، ويمكن أن يفوقها التامل لما كتب عن حركة المعايير التربوية إلى القول بأنها امتداد طبيعي لما سبقها من حركات، وأن كثيراً من مبادئها

مألوفة، وسبق الإقرار وقت طرحها بجدوى الآخذ بها، وتأتي جوانب الآلفة بهذه الحركة، وأدلة علاقتها بما سبقها فيما يلي:

- تركيزها على مفهوم الأداء يعكس الإفادة من التطور الذي طرأ على حركة الأهداف التعليمية بتركيزها على السلوك الذي يمكن ملاحظته وقياسه.
  - حرصها على تحديد معايير لكل أداء ترجمة لإفادتها من حركة القياس محكي المرجع التي استخدمت المحكات.
  - مقصدها بأن المعايير إنجازات يلتزم المعلم بضمان تحقيقها، تدعيم لمفهوم المحاسبية الذي نادى بها حركة الكفايات التعليمية.
  - تأكيدها على الأداء التي يظهرها المتعلمون بجودة عالية في سياق واقعي، بعد مرورهم بخبرات تعليمية، فيه استفادة كبيرة من حركة نواتج التعلم.
- وعلى هذا الأساس فإن الدعوة إلى تركيز التعليم على الأداء، وجعل التقويم مبنياً عليه، وضرورة وضع معايير لهذا الأداء، وتوفير الضمانات لتحقيقها، مبادئ مستمدة من جميع حركات الإصلاح السابقة، تبلورت واجتمعت في هذه الحركة المعاصرة إن من يأخذ بأي حركة من حركات الإصلاح السابقة، ويرى أفضليتها على غيرها، يمكن أن يجد في حركة المعايير التربوية ما يتفق وتوجهه، ومن ثم فلا مبرر لرفض هذه الحركة أو عدم التجاوب مع متطلباتها، ولاسيما في ظل العولمة والنظام العالمي الحالي والتقدم التكنولوجي والمعلوماتي، والعالم الذي أصبح قرية واحدة، والحاجة إلى توفير مواصفات للمتعلم لا تقل عن مواصفات نظرائه في أي مكان في العالم، وحسب المعايير العالمية التي تقرها المنظمات المهنية والهيئات التعليمية المشهود لها بالتقدم والرقى. إن من المهم مسايرة التطورات، لا مواجهتها، بشرط التأكد من منابقتها، وأثرها الإيجابي (محمد رجب فضل الله، محمد جابر قاسم: 2003، ص 158)

#### المعايير وقياس الأداء التدريسي:

عندما ننظر إلى المعايير في برامج إعداد المعلم، نجد أنها تمثل منظومة متكاملة ومتداخلة، معايير الأداء إحدى مكونات هذه المنظومة، ذلك المكون الذي يركز على فكرة



الأداء، إذ أنها تحدد ما ينبغي أن يعرفه الطالب المعلم وما يجب أن يكون قادراً على أدائه يتم ذلك من خلال وضع معايير لهذا الأداء، وتحليل هذه المعايير إلى مجموعة من مؤشرات الأداء والتي تعبر عن أداءات قابلة للقياس والملاحظة يؤديها الطلاب، وتوضح هذه المؤشرات تقدم الطالب صوب تحقيق المعايير المنشودة، ويجب أن يتوفر في هذه المؤشرات كل من الصدق والثبات بحيث يدل تحقق هذه المؤشرات إلى تحقق المعايير. (حسن سيد شحاته: 2005، ص 61) ولا يتوقف الأمر عند مؤشرات الأداء، بل يمتد إلى صياغة مقاييس التقدير المتدرجة لكل مؤشر من مؤشرات الأداء، لكي تصف الأداء في كل مستوى من مستويات هذا التقدير وتتكون قواعد التقدير المتدرجة من عدة مستويات (مدرجات) ويستعمل غالباً أربعة مستويات المستوى الأول: يكون الفرد في حاجة إلى مجهود كبير كي يصل إلى المستوى الثاني المطلوب تحقيقه، حيث إنه يقوم بأداءات محدودة، ويعمل أخطاء كثيرة.

المستوى الثاني: يقوم الفرد فيه بأداءات أقل من المطلوب تحقيقه، ويعمل بعض الأخطاء وبذلك فإنه يحتاج إلى بذل مجهود للوصول إلى المستوى الثالث.

المستوى الثالث: هو المستوى الدال على وصول الفرد إلى المستوى المطلوب تحقيقه.

المستوى الرابع: دليل التفوق والتميز، أي أن الفرد يقوم بأداءات أعلى مما يتطلب أدائها

. (إدريس سلطان يوسف : 2007، ص 66)

يتضح من ذلك أن المعايير تقدم وصفاً دقيقاً لما ينبغي على الطالب أن يعرفه، ويكون قادر على أدائه، هذا الوصف لكل مستوى من مستويات الأداء مما يساعد على ملاحظة أداء الطالب المعلم، ومن ثم العمل على تطوير هذا الأداء.

وبري المجلس القومي الأمريكي لاعتماد برامج إعداد المعلم، أن المعايير التي تركز على أداء الطالب المعلم سوف تحدث ثورة في مجال إعداد المعلم من حيث مادة تخصصه، وكيفية تدريسها بفاعلية، وأن التزام مؤسسات الإعداد بهذه المعايير يؤدي إلى تخرج معلمين أكثر جودة وفاعلية، ويمكنهم من تحسين وإثراء تحصيل طلابهم .

### الدراسات السابقة:

وأثبتت نتائج عديد من الدراسات فاعلية المعايير في تنمية أداء المعلمين، وجودة تدريسهم، ومنها دراسة مور وآخرين، التي هدفت إلى تعرف آراء عينة من معلمي المعلم بالولايات المتحدة الأمريكية حول المعايير التي وضعها المجلس القومي الأمريكي لاعتماد برامج إعداد المعلم، وقد أجمعت غالبية آراء عينة الدراسة على أن تلك المعايير قد حظيت بمعدلات عالية من الإجماع على فاعليتها وجدواها كمؤشرات للجودة في برامج إعداد المعلم. (إدريس سلطان يوسف: 2007، ص 67)

ودراسة (محمد عبد الرؤوف محمد خميس) التي توصلت إلى إن تصميم التعليم في ضوء المعايير أدى إلى تنمية الأداء التدريسي لدى الطلاب المعلمين تخصص فلسفة واجتماع في كلية التربية بدمنهور. (محمد عبد الرؤوف: 2002، ص 330) ولا تقتصر فاعلية المعايير في تنمية الأداء التدريسي للمعلمين فحسب، بل يمتد إلى الطلاب الذين يدرسون على أيدي هؤلاء المعلمين، وأكد ذلك الدراسة التي قام بها مركز الاختبارات التربوية لعينة من الطلاب والتي توصلت إلى أن الطلاب الذين يدرسون في مدارس معتمدة على أيدي معلمين لديهم اعتماد بمزاولة المهنة- في ضوء المعايير القومية للتدريس والتي تركز على الأداء - يحققون مستويات عليا من التحصيل مقارنة بغيرهم من الطلاب ممن يدرسون في مدارس غير معتمدة. (عبد الفتاح حجاج : 1997، ص 190)

وكذلك أكدت دراسة ليندا دارلنج على وجود علاقة ارتباطية دالة بين جودة إعداد المعلم القائم على معايير الأداء وتحسن مستوى أداء تلاميذ هؤلاء المعلمين. (إدريس سلطان يوسف : 2007، ص 66)

منهج الدراسة وأساليب جمع البيانات:

منهج الدراسة:

انطلاقاً من أهداف الدراسة سيتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، لكونه ملائماً لإجراء هذه الدراسة، فهو يعتمد على دراسة الوضع الراهن لظاهرة من الظواهر التي تخص مجموعة

من البشر، ويعطي تفسيراً دقيقاً لها، ثم يعبر عنه تعبيراً كمياً أو كيفياً. (العجيلي سرگز، عياد أمطير: 2002، ص 114)

#### مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من مشرفين التربية العملية القاريين بكليات التربية طرابلس، (طرابلس، جنزور، قصر بن غشير)، وذلك لإبداء آرائهم في تقييم الأداء التدريسي للطلبة المعلمين بكليات التربية طرابلس بعد انتهاءهم من تطبيق التربية العملية، في ضوء معايير جودة الأداء التدريسي

#### عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من كل المشرفين التربية العملية القاريين بكليات التربية طرابلس، (طرابلس، جنزور، قصر بن غشير)، ويبلغ عددهم (110) مشرف على التربية العملية.

#### أداة الدراسة وخطوات إعدادها:

قامت الباحثة بإعداد قائمة بمعايير للأداء التدريسي موزعة على أربعة مجالات رئيسية، ويتكون كل منها من مجموعة من المعايير الفرعية بإجمالي (15) معيار، وتندرج تحت هذه المعايير مؤشرات عددها (103) مؤشراً، تشكل مجموعة من الأداءات التي يتكون منها كل معيار من هذه المعايير، ويمكن التحقق من خلاله على مدى تحقق المعيار من عدمه ضمن مقياس ثلاثي، وقد أتبعته الباحثة الخطوات الإجرائية التالية لإعدادها: -  
- الاطلاع على المشاريع الإقليمية والعالمية التي تناولت إعداد معايير أداء المعلم.  
- مسح الأدبيات التربوية المرتبطة بأداء المعلم .  
- تحديد قائمة معايير الأداء التدريسي الواجب توفرها لدى طلبة كليات التربية .  
- تحليل هذه المعايير في ضوء طبيعة إعداد المعلم بالمجتمع الليبي، وتحديد المناسب منها.

**صدق الأداة:** بعد أن اخذت القائمة صورتها الأولية تم عرضها على مجموعة من الأساتذة وذوي الاختصاص بكليات التربية، والمركز الوطني لضمان الجودة، وذلك لتحكيمها وإبداء رأيهم في شمول المجالات الرئيسية للمعايير جودة الأداء التدريسي، ومدى انتماء المؤشرات

للمعايير التي تندرج تحتها، والصحة العلمية واللغوية في صياغة القائمة، وتعديل ما يرويه سواء بال حذف أو بالإضافة، وقد تم في ضوء ذلك إعادة صياغة القائمة وأصبحت في صورتها النهائية .

ثبات الأداة: تم حساب معامل ألفا ونباخ لقائمة معايير جودة الأداء التدريسي من خلال برنامج SPSS، بعد تطبيقها على عينة قوامها (30) مشرف على التربية العملية بكليات التربية طرابلس، حيث بلغ معامل الثبات (0.982) وفق هذه الطريقة، وهذا يدل على نسبة ثبات مرتفع ويسمح باستخدامه .

جدول (1) معامل ثبات قائمة معايير جودة الأداة التدريسي

Cronbach's Alpha	N of Items	Case Processing Summary			
		%	N	Valid	Cases
.982	103	100.0	30	Valid	Cases
		100.0	30	Total	

#### النتائج ومناقشتها والتوصيات

- للإجابة على التساؤل الأول من تساؤلات الدراسة: "ما معايير جودة الأداء التدريسي الواجب توفرها لدى طلبة كلية التربية؟" قامت الباحثة بالاطلاع على المشاريع الإقليمية والعالمية التي تناولت إعداد معايير أداء المعلم. وبالرجوع إلى الأدبيات التربوية المرتبطة بأداء المعلم، تم تحديد قائمة معايير الأداء التدريسي الواجب توفرها في طلبة كليات التربية من قبل الباحثة وتحليلها في ضوء طبيعة إعداد المعلم بالمجتمع الليبي، وتحديد المناسب منها، وتم عرض القائمة في صورتها الأولية على مجموعة من الأساتذة وذوي الاختصاص بكليات التربية، والمركز الوطني لضمان الجودة، وذلك لتحكيمها، وتعديل ما يرويه سواء بال حذف أو بالإضافة، وقد تم في ضوء ذلك إعادة صياغة القائمة وأصبحت في صورتها النهائية<sup>1</sup>.

1 تم إدراج الصورة النهائية لقائمة معايير الأداء التدريسي الواجب توفرها في طلبة كليات التربية في الملاحق

- وللإجابة على التساؤل الثاني للدراسة: "ما مستوى توفر معايير جودة الأداء التدريسي لدى طلبة كليات التربية جامعة طرابلس"؟ قامت الباحثة بتحليل إجابات عينة الدراسة المتمثلة في المشرفين التربوية العملية القاريين بكليات التربية طرابلس، على مجالات معايير جودة الأداء التدريسي لمعرفة مستوى توفرها لدى الطلبة المعلمين بكليات التربية طرابلس بعد انتهاءهم من تطبيق التربية العملية، باستخدام اختبار "ت" للمجموعة الواحدة، ثم تحليل القيمة الاختبارية أو المتوسط الاختباري لدرجة توفر معايير جودة الأداء التدريسي، وذلك لكل معيار من المعايير ولمجموع المعايير داخل كل مجال ولمجموع المعايير ككل ولما كانت درجات التحليل :

- ★ توفر المؤشر: يأخذ ثلاث درجات .
- ★ توفر المؤشر لحد ما يأخذ درجتان.
- ★ عدم توفر المؤشر يأخذ درجة واحدة .

ومن ثم يصبح المتوسط الاختباري هو "2"، وإذا كانت قيمة "ت" موجبة ودالة فإن هذه يعني توفر المؤشر، وإذا كانت قيمة "ت" موجبة وغير دالة فإن هذا يعني التوفر بمستوى نصي، وإذا كانت قيمة "ت" سالبة فإن هذا يعني عدم توفر المؤشر .

ويبين جدول رقم (2) البيانات اللازمة للإجابة على هذا السؤال

جدول 2 مستوى توفر معايير جودة الأداء التدريسي لدى طلبة كليات التربية جامعة طرابلس

المجال	المعايير	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
التخطيط	المعيار الأول: تحديد احتياجات التلاميذ وخلفيتهم الثقافية والاجتماعية	110	1.5939	.37610	-	.000
	المعيار الثاني : تصميم خطة تعليم فعالة لتوزيع وتدریس المقرر الدراسي	110	1.8273	.46961	-3.858	.000
	المعيار الثالث: تصميم دروس يومية متنوعة وفعالة	110	1.8315	.26494	-6.672	.000
	مجال التخطيط للتدريس	110	1.7509	.20522	-	.000
التدريس	المعيار الأول : تمهيد الدرس بشكل مناسب	110	2.0015	.47710	.033	.973
	المعيار الثاني : عرض الدرس بطريقة فعالة	110	2.1045	.52065	2.106	.038

أ. نادية المبروك رعدان

معايير جودة الأداء التدريسي ومدى توفرها لدى طلبة كلية التربية جامعة طرابلس

.634	.478	.39884	2.0182	110	المعيار الثالث :استخدام الفعال للاستراتيجيات التعليمية	
.622	.494	.46851	2.0221	110	المعيار الرابع : الاستخدام الفعال للوسائل التعليمية والتكنولوجية في عملية التعليم	
.000	-6.129	.36752	1.7852	110	المعيار الخامس : طرح أسئلة تثير تفكير الطلاب	
.670	-.427	.35234	1.9857	110	مجال تنفيذ الدرس	
.063	-1.877	.60096	1.8924	110	المعيار الأول : بدء الدرس	تنظيم وإدارة بيئة التعلم والتعلم
.011	2.578	.39452	2.0970	110	المعيار الثاني : تنظيم وترتيب بيئة التعلم الفيزيائية	
.020	-2.352	.47547	1.8934	110	المعيار الثالث : توفير بيئة تعلم ذات مناخ اجتماعي إيجابي	
.622	.494	.46851	2.0221	110	المعيار الرابع : إدارة وقت التعلم بكفاءة	
.231	-1.203	.50708	1.9418	110	المعيار الخامس : الاستخدام الفعال لأساليب متنوعة لإثارة دافعية المتعلمين	
.337	-.964	.54373	1.9500	110	المعيار السادس : الإنتهاء من الدرس	
.356	-.928	.38312	1.9661	110	مجال تنظيم وإدارة بيئة التعلم والتعلم	
.000	-	.17758	1.3727	110	المعيار الأول : استخدام أساليب وأدوات متنوعة للتقويم الشامل للطلاب	التقويم
.000	-	.17758	1.3727	110	مجال التقويم	

-أولاً: مجال التخطيط: لا يتوفر مجموع معايير مجال التخطيط في الأداء التدريسي للطلاب المعلم بكلية التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت سالبة (-12.731)، وقيم متوسطات مجموع هذه المعايير أقل من قيمة المتوسط الاختباري، وهذا يدل على عدم توفر مجموع معايير هذا المجال في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس . ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:

- لا يتوفر المعيار الأول (تحديد احتياجات التلاميذ وخلفيتهم الثقافية والاجتماعية) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت (-11.324) قيمة سالبة

- لا يتوفر المعيار الثاني (تصميم خطة تعليم فعالة لتوزيع وتدریس المقرر الدراسي) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت (-3.858) قيمة سالبة .

- لا يتوفر المعيار الثالث (تصميم دروس يومية متنوعة وفعالة) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس ، حيث أن قيمة ت (-6.672) قيمة سالبة .

والجدول (3) التالي يوضح مستوى توفر كل معايير من معايير مجال التخطيط ومجموع معايير هذا المجال في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس.

جدول 3 مستوى توفر كل معايير من معايير مجال التخطيط في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية

جامعة طرابلس

المعيار	مستوى توفره
المعيار الأول : تحديد احتياجات التلاميذ وخلفيتهم الثقافية والاجتماعية	غير متوفر
المعيار الثاني : تصميم خطة تعليم فعالة لتوزيع وتدریس المقرر الدراسي	غير متوفر
المعيار الثالث : تصميم دروس يومية متنوعة وفعالة	غير متوفر
مجال التخطيط للتدریس	غير متوفر

ثانيا: مجال تنفيذ الدرس: لا يتوفر مجموع معايير مجال التنفيذ في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت سالبة (-.427)، و قيم متوسطات مجموع هذه المعايير أقل من قيمة المتوسط الاختباري، وهذا يدل على عدم توفر مجموع معايير هذا المجال في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس .

ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:

- يتوفر المعيار الأول (تمهيد الدرس بشكل مناسب) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس بمستوى نصي، حيث أن قيمة ت (0.033) موجبة، ولكن لم تصل إلى حد الدلالة بالنسبة للمعايير التفصيلية .

- يتوفر المعيار الثاني (عرض الدرس بطريقة فعالة) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس ، حيث أن قيمة ت (2.106) وهي قيمة موجبة ودالة عند مستوى (0.038).

### أ. نادية المبروك رعدان

#### معايير جودة الأداء التدريسي ومدى توفرها لدى طلبة كلية التربية جامعة طرابلس

- يتوفر المعيار الثالث (استخدام الفعال للاستراتيجيات التعليمية) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس بمستوى نصي، حيث أن قيمة ت (478). موجبة، ولكن لم تصل إلى حد الدلالة بالنسبة للمعايير التفصيلية.

- يتوفر المعيار الرابع (الاستخدام الفعال للوسائل التعليمية والتكنولوجية في عملية التعليم) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس بمستوى نصي، حيث أن قيمة ت (494). موجبة، ولكن لم تصل إلى حد الدلالة بالنسبة للمعايير التفصيلية .

- لا يتوفر المعيار الخامس ( طرح أسئلة تثير تفكير الطلاب) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت (-6.129) قيمة سالبة .

والجدول (4) التالي يوضح مستوى توفر كل معايير من معايير مجال التنفيذ ومجموع معايير هذا المجال في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس.

جدول 4 مستوى توفر كل معيار من معايير مجال التنفيذ في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة

#### طرابلس

المعيار	مستوى توفره
المعيار الأول : تمهيد الدرس بشكل مناسب	متوفر بمستوى نصي
المعيار الثاني : عرض الدرس بطريقة فعالة	متوفر
المعيار الثالث :استخدام الفعال للاستراتيجيات التعليمية	متوفر بمستوى نصي
المعيار الرابع : الاستخدام الفعال للوسائل التعليمية والتكنولوجية في عملية التعليم	متوفر بمستوى نصي
المعيار الخامس : طرح أسئلة تثير تفكير الطلاب	غير متوفر
مجال تنفيذ الدرس	غير متوفر

ثالثاً: مجال تنظيم وإدارة بيئة التعليم والتعلم: لا يتوفر مجموع معايير مجال تنظيم وإدارة بيئة التعليم والتعلم في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت سالبة (-928)، وقيم متوسطات مجموع هذه المعايير أقل من قيمة المتوسط الاختباري، وهذا يدل على عدم توفر مجموع معايير هذا المجال في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس .

ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:

- لا يتوفر المعيار الأول (بدء الدرس) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت (-1.877) قيمة سالبة .



- يتوفر المعيار الثاني (تنظيم وترتيب بيئة التعلم الفيزيائية) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت (2.578) وهي قيمة موجبة ودالة عند مستوى (0.011) .

- لا يتوفر المعيار الثالث (توفير بيئة تعلم ذات مناخ اجتماعي إيجابي) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس ، حيث أن قيمة ت (-2.352) قيمة سالبة .

- يتوفر المعيار الرابع (إدارة وقت التعلم بكفاءة) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس بمستوى نصي، حيث أن قيمة ت (4.494) موجبة، ولكن لم تصل إلى حد الدلالة بالنسبة للمعايير التفصيلية .

- لا يتوفر المعيار الخامس (الاستخدام الفعال لأساليب متنوعة لإثارة دافعية المتعلمين) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت (-1.203) قيمة سالبة .

- لا يتوفر المعيار الخامس (الانتهاء من الدرس) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت (-0.964) قيمة سالبة .

والجدول (4) التالي يوضح مستوى توفر كل معايير من معايير مجال تنظيم وإدارة بيئة التعليم والتعلم ومجموع معايير هذا المجال في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس.

جدول 5 مستوى توفر معايير مجال تنظيم وإدارة بيئة التعليم والتعلم ومجموع معايير هذا المجال في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس.

المعيار	مستوى توفره المعيار
المعيار الأول : بدء الدرس	غير متوفر
المعيار الثاني : تنظيم وترتيب بيئة التعلم الفيزيائية	متوفر
المعيار الثالث : توفير بيئة تعلم ذات مناخ اجتماعي إيجابي	غير متوفر
المعيار الرابع : إدارة وقت التعلم بكفاءة	متوفر بمستوى نصي
المعيار الخامس : الاستخدام الفعال لأساليب متنوعة لإثارة دافعية المتعلمين	غير متوفر
المعيار السادس : الانتهاء من الدرس	غير متوفر
مجال تنظيم وإدارة بيئة التعليم والتعلم	غير متوفر

رابعاً: مجال تقويم التدريس: لا يتوفر مجموع معايير مجال تقويم التدريس في الأداء للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت سالبة (-37.048)، و قيم متوسطات مجموع هذه المعايير أقل من قيمة المتوسط الاختباري، وهذا يدل على عدم توفر مجموع معايير هذا المجال في الأداء التدريسي للطلاب المعلم بكليات التربية جامعة طرابلس. ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي :

- لا يتوفر المعيار الأول (استخدام أساليب وأدوات متنوعة للتقويم الشامل للطلاب) في الأداء التدريسي للطلبة كليات التربية جامعة طرابلس، حيث أن قيمة ت (-37.048) قيمة سالبة.

جدول 6 مستوى توفر كل معيار من معايير مجال التقويم في الأداء التدريسي للطلاب المعلم بكليات التربية جامعة طرابلس

المعيار	مستوى توفره المعيار
المعيار الأول : استخدام أساليب وأدوات متنوعة للتقويم الشامل للطلاب	غير متوفر
مجال التقويم	غير متوفر

للإجابة على التساؤل الثالث للدراسة: "ما التوصيات والمقترحات التي من شأنها أن تسهم في تجويد مخرجات كليات التربية في ضوء معايير لأداء التدريسي ؟" فان الباحثة وفي ضوء نتائج الدراسة تخلص لتقديم مجموعة من التوصيات للتخطيط لبرنامج أعد المعلم في ضوء معايير الأداء التدريسي، وذلك من خلال:

- تطوير أهداف كليات التربية في ضوء معايير جودة الأداء التدريسي .
- تطوير محتوى المقررات الدراسية بكليات التربية وتنظيمها بصورة تسهم في تحقيق الأهداف التعليمية لهذه المقررات والوصول إلى معايير الأداء التدريسي المطلوبة .
- استخدام استراتيجيات تدريسية تركز على التعلم الذاتي وجهد المتعلمين لتحقيق الإيجابية والمشاركة الفاعلة في عمليتي التعليم والتعلم .
- توفير مصادر تعليمية متنوعة ومناسبة لطبيعة المقررات الدراسية لكليات التربية .
- توزيع الأنشطة التعليمية داخل المقررات الدراسية ما بين أنشطة قرائية وأنشطة تدريبية على مختلف مهارات التدريسية، بما يسمح بمشاركة الطلاب الفاعلة في عمليتي التعليم والتعلم .

- استخدام أساليب تقويم متنوعة تركز على أداء الطلاب المعلمين في ضوء معايير الأداء التدريسي .
- تشجيع أعضاء هيئة التدريس على تطوير مقرراتهم الدراسية بما يحقق معايير الأداء التدريسي لطلبة كليات التربية، وتذليل الصعوبات التي تقابلهم، وتوفير متطلبات هذا التطوير.
- المشاركة الفاعلة بين كل المسؤولين عن كليات التربية بما يضمن تحقيق كليات التربية لمعايير الأداء التدريسي .

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. إدريس سلطان يوسف: " تطوير برنامج الإعداد التربوي لمعلم الجغرافيا في ضوء المعايير القومية وتعرف أثره التدريسي والاتجاه نحو تدريس الجغرافيا "، رسالة غير منشورة كلية التربية، جامعة المنيا، 2007.
2. البشير الجنش، "بناء اختبار مقنن للكفاية في اللغة الإنجليزية لاستخدامه في انتقاء معلمي اللغة الإنجليزية حديثي التخرج قبل التحاقهم بمهنة التدريس" رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات التربوية، كلية الآداب، جامعة السابع من ابريل، 2003.
3. العجيلي سرگز، عياد أمطير: البحث العلمي أساليبه وتقنياته، طرابلس، الجامعة المفتوحة، 2002
4. تطور التعليم في الجماهيرية: التقرير الوطني المقدم الى مؤتمر التربية الدولي بجنيف، الدورة 47، 2004.11.18، طرابلس.
5. حازم زكي عبي الكثيري: عبد الرحمن محسن: " تصور مقترح لتطوير الأداء التدريسي لمعلمي العلوم وفق معايير الجودة في المرحلة الأساسية بمحافظة غزة " ،مجلة الجامعة الأساسية، تصدر عن جامعة المستنصرية - العراق، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، 2010 .

6. حسن سيد شحاته: " ثقافة المعايير والتعلم الجامعي، المؤتمر العلمي السابع عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، مناهج التعليم والمستويات المعيارية، 2005.
7. راشد بن حمد الكثيري: "رؤية نقدية لبرنامج إعداد المعلم في الوطن العربي"، المؤتمر العلمي السادس عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، تكوين المعلم، 2004
8. عبد الفتاح حجاج: " رؤى مستقبلية للإعداد المعلم العربي في ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين "مجلة كلية التربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، عدد خاص عن بحوث مؤتمر الغد في العالم العربي، الجزء (1) 1997.
9. كريمة رمضان أبوبكر، الكفايات قاسمة للمعلم، مؤتمر علمي من اجل نهضة تعليمية فعالة ومجدية، الزاوية، جامعة السابع من ابريل، 2005.
10. محمد رجب فضل الله، محمد جابر قاسم: " تطوير برنامج إعداد معلمي اللغة العربية بكليات التربية "، مجلة القراءة والمعرفة، العدد، 21، 2003.
11. محمد صايل عبيدات: " التعليم في الأردن واقع وتطلعات"، رسالة المعلم، العدد الأول، المجلد 34، 1993
12. محمد عبد الرؤوف: "أثر تصميم طلاب الدبلوم العام في التربية تخصص (فلسفة واجتماع ) للتعليم من منظور الاعتمادية في تنمية الأداء التدريسي لديهم"، المؤتمر العلمي الرابع عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، مناهج التعليم في ضوء مفهوم الأداء، 2002.
13. محمود كامل الناقة : البرامج التعليمية القائمة على الكفايات، جامعة عين شمس، القاهرة، 1985 .
14. مؤتمر المعلمين لبلدية بنغازي، أراء معلمي ومعلمات بلدية بنغازي حول تدنى مستوى التحصيل الدراسي وبعض قضايا المهنة ( نتائج أولية)، المؤتمر الثاني، بنغازي، 1989.

أ. نادية المبروك رعدان  
معايير جودة الأداء التدريسي ومدى توفرها لدى طلبة كلية التربية جامعة طرابلس

15.15- نعمان محمد الموسوي: "إعداد المعلم في كلية التربية بجامعة البحرين الواقع والأفاق، مجلة التربية، البحرين، العدد.

### الإبدال في اللغة العربية من منظور لساني

د. محمود فتح الله الصغير

كلية اللغات - جامعة طرابلس

#### المخلص:

البحث إعادة قراءة لموضوع الإبدال من منظور لساني، يهدف إلى نسبة الإبدال إلى المستوى اللغوي الذي ينتمي إليه، والتفريق بين أنواعه وفحص لظاهرة التناوب الوظيفي التي تجري في أحد نوعيه؛ حيث قام الباحث بتحديد مفهوم مصطلح الإبدال قديماً وحديثاً، والتفريق بين نوعيه الفونيمي الذي ينتمي إلى المعنى، والألفوني الذي ينتمي إلى المبنى، ثم شرح ظاهرة التناوب الوظيفي التي تجري في نوعه الفونيمي، وهي نيابة صوت عن صوت في الوظيفة لتقارب بينهما، ومثل لها من كتاب القلب والإبدال لابن السكيت.

#### البحث:

الإبدال لغة: الخلف<sup>1</sup> عرفه الجرجاني بـ "أن تجعل حرف موضع حرف آخر لدفع النقل"<sup>2</sup>، وعرفه مؤلف معجم المصطلحات اللغوية بقوله: "إبدال Mutation تحول الأصوات بتأثير من أصوات مجاورة. ويُستعمل المصطلح استعمالاً عاماً ويقع تحته أنواع من تحول الأصوات، كالمماثلة والإبدال الصائتي الخ"<sup>3</sup>. ويلحظ من تعريفي الجرجاني وبعليكي أن الإبدال حدث لضرورة اقتضاها المبنى وهذا في الحقيقة نوع من نوعي الإبدال وليس هو كل الإبدال كما سنرى بعد قليل. ومصطلح الإبدال - حسب مصادره - وكما يرى "عباس حسن" مصطلح عام يطلق على ثلاثة أنواع منه، هي:

- النوع الأول: سماعي قليل موكول معرفته إلى المراجع اللغوية، وليس له ضابط عام ولا قاعدة مطردة، وقليل منه قياسي، ومن أمثله "قول بعض العرب في: (وكنة، وربع، وتلعثم)... وُقنة، وريح، وتلعثم. بقلب الكاف قافاً، والعين حاء، والثاء ذالاً"<sup>4</sup>.
- النوع الثاني: قياسي مطرد ومثاله قولهم "كساء، وخطايا. والأصل كساو، وخطأءا. قلبت الواو همزة في المثال الأول، وقلبت الهمزة ياء في المثال الثاني؛ طبقاً لقواعد عامة مضبوطة - في الأغلب - تختص بهذا النوع"<sup>5</sup>.

الإبدال في اللغة العربية من منظور لساني

• النوع الثالث: نادرٌ مهجورٌ منسوبٌ لبعض العرب<sup>6</sup> كعننة تميم (إبدال الهمزة عينا)، وعججة قضاة (قلب الياء المتطرفة جيما)، وكشكشة ربيعة (جعل الشين مكان كاف خطاب المؤنثة في الوصل) وكسكسة هوازن (إبدال السين من كاف الخطاب).

ويرى الباحث أن هذا النوع الأخير ليس من مباحث الإبدال؛ وذلك لاقتضاره على جماعة لغوية محددة، وليس من ظواهر اللغة العربية القياسية كما هو الحال في النوعين الأول والثاني؛ وتأسيسا على هذا سيكون هذان النوعان -الأول والثاني- هما نوعي الإبدال الأساسيين عندنا، وهما موضوع البحث وميدانه.

ومن المباحث الأساسية التي يبتغي هذا العمل معالجتها، التفريق بين نوعي الإبدال تفريقا مؤسسا على مبررات علمية ودعائم منهجية، ثم نسبة الإبدال إلى المستوى اللغوي الذي ينتمي إليه؛ فنحسب أن موضوع الإبدال عند المتأخرين يعالج في موضع غير موضعه، وينسب إلى مستوى غير مستواه كما سنرى بعد قليل.

والناظر في المصادر التي تناولت الإبدال يلحظ تداخلا في مفهوم الإبدال من حيث: هل الإبدال إبدال حرف مكان حرف آخر على سبيل الاختيار، مع استمرار استعمال المبدل والمبدل منه استعمالا متساويا نحو: هَتَنَ وهَتَلْ؟، أم أن الإبدال هو إبدال حرف مكان حرف استوجبته متطلبات العملية النطقية دفعا للثقل وطلبا للخفة كالذي نراه في (سماء) التي أصلها (سماو) حيث قلبت الواو همزة لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة؟

ومصادر الإبدال في التراث اللغوي العربي تسمى كلا النوعين إبدالا، وتجد مباحثهما مبنوثة فيها، بل تجد مصنفات مستقلة لكل منهما<sup>7</sup>، لكن الذي لم يجده الباحث هو الأساس الذي يتم عليه التفريق بين النوعين حتى يتسنى الفصل بينهما وتجاوز التداخل بينهما بسبب الاشتراك في المصطلح الدال على كل منهما، ولعل هذه غاية توخاها الباحث في عمله هذا وطمح إليها، وبيان ذلك وتفصيله على النحو الآتي.

يقابل مصطلح Phonology في العربية مصطلحان هما:

- علم التشكيل الصوتي.
- علم وظائف الأصوات.

الإبدال في اللغة العربية من منظور لساني

وقد تعددت هذه المقابلة لأسباب أهمها وعلى رأسها تعدد الزوايا المنظور من خلالها إلى مفهوم المصطلح الأجنبي؛ فالناظر إلى مفهومه من زاوية أنها انتظام للأصوات في وحدات أكبر فيقول: بأنه علم التشكيل الصوتي، والناظر إليه من زاوية الوظيفة التي باتت تؤديها الأصوات عند تشكلها فيقول: بأنه علم وظائف الأصوات، وواضح أن مصطلح التشكيل الصوتي اختير على أساس المبنى، ومصطلح علم وظائف الأصوات اختير على أساس المعنى.

ومعالجة الإبدال متطلبا ضروريا في العملية النطقية دفعا للتقل وطلبا للخفة، وما تطلبه إنجاز المبنى من انتظام مكوناته، وما استلزمه هذا الانتظام من عمليات نطقية من أبرزها إبدال حرف مكان حرف، هي معالجة على مستوى المبنى.

أما معالجته إنجازا اختياريا في العملية النطقية وتساها في نيابة الحروف بعضها عن بعضها في الوظيفة لتقاربها نطقيا تعد معالجة على مستوى المعنى، وهو النوع الأول من الإبدال الذي سبق وصفه بأنه سماعي قليل موكول معرفته إلى المراجع اللغوية.

وبمفهوم علم الأصوات الحديث يمكن الاصطلاح على النوع الأول من أنواع الإبدال بأنه إبدال فونيمي، وبالمقابل يمكن الاصطلاح على النوع الثاني من أنواع الإبدال بأنه إبدال أوفوني، وإذا أمكننا اعتماد مصطلح لكل نوع من نوعي الإبدال صرنا في حرز من ذلك التداخل الذي طرحنا إشكاليته.

أما فيما يتعلق بنسبة الإبدال إلى المستوى اللغوي الذي ينتمي إليه فبيانه أن الناظر في المصادر التي تناولت موضوع الإبدال، وعلى وجه التحديد كتب النحو والصرف، يلحظ وقوع هذا الدرس في آخر تلك المؤلفات، ومن الأمثلة على ذلك وقوع الإبدال في كتاب سيبويه وفي كتاب المفصل للزمخشري وفي كتاب همع الهوامع للسيوطي في أواخر هذه الكتب، وأحسب أن هذا الموضع الذي احتله الإبدال في مؤلفات المتقدمين من علماء العربية له مبرراته المنهجية؛ حيث أن الدرس اللغوي عندهم ابتداء من الكل الأكبر وانتهى بالجزء الأصغر، فبدأوا بموضوعات النحو لكونها تعالج المركبات الكبرى أو الجمل، فدرسوا المبتدأ والخبر والنواسخ والفاعل ونائبه والمنصوبات من مفعولات وحال وتمييز واستثناء ومجرورات ومجزومات، ثم عالجا موضوعات الصرف لكونها تعالج وحدات أصغر وهي التي تكونت



الإبدال في اللغة العربية من منظور لساني

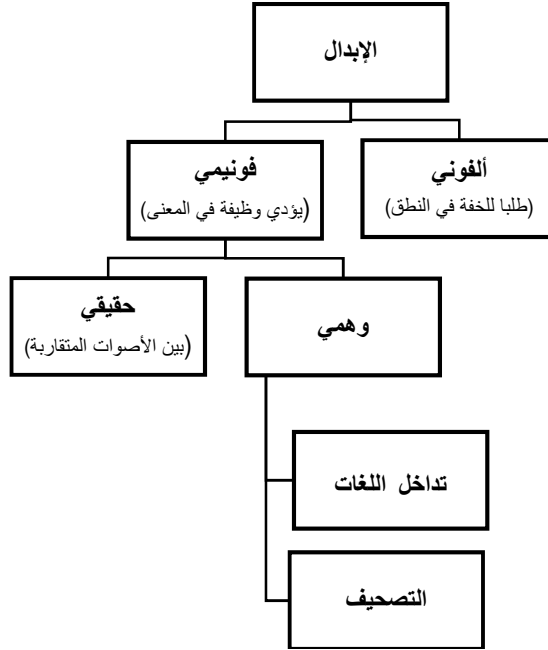
منها المركبات الكبرى، فدرسوا أقسام الفعل والمشتقات والتصغير والنسب وغيرها، وانتهوا بموضوعات الأصوات التي تعالج الوحدات الأصغر التي تكونت منها الوحدات الصرفية، فدرسوا مخارج الحروف والإدغام والإبدال. فكان موضع الإبدال عندهم في الحيز الصوتي، إدراكا منهم أن معالجة موضوع الإبدال هي معالجة صوتية، وعلى هذا فإن نسبة الإبدال ترجع إلى المستوى الصوتي.

والذي حفزنا لإثارة علاقة الإبدال بالمستويات اللغوية ما بات سائدا في المناهج والخطط التعليمية مؤخرا من دراسة وتدريس الإبدال ضمن موضوعات الصرف، بالرغم من انتمائه المبرر لعلم الأصوات التشكيلي، ولم نعتمد على هذه النتيجة بالنظر إلى موضع الإبدال في خطة التأليف عند المتقدمين فقط، بل أيضا بالنظر إلى الوظيفة التي تؤديها المبدلات؛ فمعلوم أن المباني اللغوية يُستدل على نسبتها إلى مستوياتها التي تنتمي إليها بالوظائف التي تقوم عليها؛ فوظائف الفاعلية والمفعولية والإضافة تؤديها مبان تنتمي إلى المستوى النحوي<sup>8</sup>، ووظائف التذكير والتأنيث والإفراد والتنثنية والجمع والتعريف والتنكير وغيرها تؤديها مبان تنتمي إلى المستوى الصرفي وهو ما يعرف في اللسانيات بالوحدة الصرفية (Morpheme)، وما سوى ذلك فهي مبان صوتية، أي تلك التي لا يكون لها معنى ولكنها تؤدي وظيفة في المعنى، ومن تلك حروف الإبدال بنوعيه الفونيمي والألفوني.

ونستطيع بعد أن قسمنا الإبدال إلى إبدال ألفوني وإبدال فونيمي أو وظيفي، أن نقول بانقسام الأخير أيضا إلى قسمين: وهمي وحقيقي، والإبدال الوهمي هو توهم وقوع الإبدال بين حرفين لأسباب من بينها:

- تداخل اللغات.
- التصحيف.
- تطور الألفاظ.
- الاتباع.
- الغلط.

ويمكن اختصار أنواع الإبدال التي تقدم بيانها في الشكل الآتي:



وما يهمننا في هذا البحث هو الإبدال الحقيقي، وقد وضع ابن جني ضوابط للإبدال حتى يميز الحقيقي من الوهمي تمثلت هذه الضوابط في الآتي<sup>9</sup>:

- اشترط في الإبدال بين الحروف ألا يكون الحرفان أصليين كل واحد قائم برأسه، ومعرفة هذا تأتي من التصريف، فإذا وجد للحرف تصريف حكم بأصليته، أما إذا لم يوجد دلّ على أنه بدلٌ من نظيره. ويمثل ابن جني للحرفين الأصليين مما لا يصح أن يكون أحدهما بدلاً من الآخر بقوله: "ومن ذلك سَكَّرَ طَبِيرُزْلَ وطَبِيرُزْنَ: هما متساويان في الاستعمال، فلست بأن تجعل أحدهما أصلاً لصاحبه أولى منك بحمله على ضده.

ومن ذلك قولهم: هتلت السماء، وهتنت: هما أصلان؛ ألا تراهما متساويين في التصريف؛ يقولون: هتنت السماء تهتن تهتاناً، وهتلت تهتل تهتالاً، وهي سحائب هُتْن، وهُتْل<sup>10</sup>.

الإبدال في اللغة العربية من منظور لساني

ويمثل ابن جني لما يصلح مثالا للإبدال بقوله: " ونحو من ذلك قولهم: فُسْطَاطٌ وفُسْتَاطٌ وفُسْطَاطٌ... فإذا صاروا إلى الجمع قالوا (فساطيط وفساطيط) (ولا يقولون) (فساتيط) بالتاء. فهذا يدل أن التاء في (فستاط) إنما هي بدل من طاء (فُسْطَاط) أو من سين (فُسْطَاط)"<sup>11</sup>

• اشترط ابن جني لتحقيق الإبدال كثرة الاستعمال وألا يقتصر على جماعة بعينها. ومما ساقه لذلك قوله " فأما قولهم: ما قام زيد بل عمرو، وثب عمرو فالنون بدل من اللام، ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل... وكذلك قولهم: رجل (خامل) و (خامن) النون فيه بدل من اللام؛ ألا ترى أنه أكثر، وأن الفعل عليه تصرف، وذلك قولهم: حَمَلٌ يَحْمَلُ حُمُولًا"<sup>12</sup>

وإذا تحقق الإبدال فلا يكون إلا بين متقاربين، وهذان المتقاربان كما هما في كتاب القلب

والإبدال لابن السكيت هما:

- النون واللام.
- الباء والميم.
- الميم والنون.
- العين والهمزة.
- العين والحاء.
- الهاء والهمزة.
- الهاء والحاء.
- الجيم والياء.
- الخاء والجيم.
- الخاء والحاء.
- الغين والحاء.

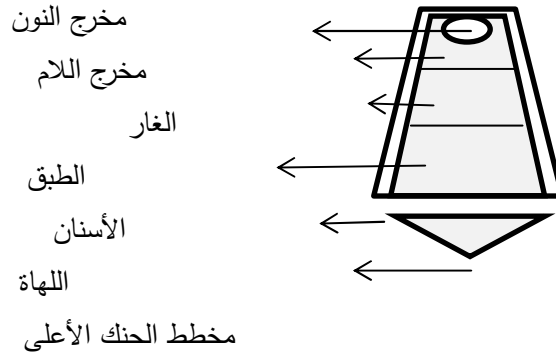
وسنكتفي بالثلاث الأولى من هذه المبدلات نماذجاً لتقرير حدوث الإبدال بين المتقاربين من الأصوات، وهي الإبدال بين النون واللام، والإبدال بين الباء والميم، والإبدال بين الميم والنون:

• الإبدال بين النون واللام:

معلوم أن مخرج الصوت اللغوي يكون باعتراض تيار الهواء الكلامي عند نقطة ما، وهذا الاعتراض يتشكل باتجاه عضو إيجابي من أعضاء النطق باتجاه عضو آخر، إما أن يكون إيجابيا مثله كاتجاه مؤخرة اللسان باتجاه اللهاة لإنتاج الصوت اللهوي، وإما سلبيا كاتجاه وسط اللسان باتجاه الغار لإنتاج الأصوات الغارية، أو قد يتجه إلى عضوين سلبيين كاتجاه مقدمة اللسان باتجاه اللثة والأسنان لإنتاج الأصوات اللثوية الأسنانية.

والذي يحدث عند إنتاج صوت اللام في العربية هو اعتراض لتيار الهواء الكلامي مرتين؛ الأولى في منطقة الحنجرة بين الحبلين الصوتيين لإنتاج صوت سيجري صقله وتشكيله فيما بعد، ثم اعتراض آخر لتشكيل التجويف الفموي لإنتاج جرس الصوت المطلوب وهو هنا اللام، وهذا الاعتراض يكون بارتفاع اللسان لتلامس حافته - المنطقة الواقعة بين طرفيه ووسطه- ما يقابلها من الحنك الأعلى، وهي المنطقة الواقعة بين ما فوق الضواحك وتمتد إلى الخارج لتشمل الجزء الأمامي من الحنك الأعلى، يقول سيبيويه في وصف مخرج اللام: "ومن حافة اللسان من أدهاها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والنايب والرابعة والثنية مخرج اللام"<sup>13</sup>.

والذي يحدث عند إنتاج صوت النون في العربية هو اعتراض لتيار الهواء الكلامي مرتين أيضا؛ الأولى في منطقة الحنجرة بين الحبلين الصوتيين لإنتاج صوت سيجري صقله وتشكيله فيما بعد، ثم اعتراض آخر لتشكيل التجويف الفموي لإنتاج جرس الصوت المطلوب وهو هنا النون، وهذا الاعتراض يكون بارتفاع اللسان ليلاص طرفه بعضا مما لامسه حافة اللسان مع اللام وهو ما فوق الثنايا، يقول سيبيويه واصفا مخرج النون: "ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون"<sup>14</sup>، والشكل التقريبي الآتي يوضح البصمة التي تركها جزء اللسان على جزء الحنك الأعلى الأمامي:



وتمثل الحواف اليمنى والعليا واليسرى الأسنان، وتمثل الدائرة موضع اتصال طرف اللسان بما فويق الثنايا عند إنتاج صوت النون، والمربع الذي وقعت فيه الدائرة هو موضع ملامسة حافة اللسان لما يقابلها من الحنك الأعلى الممتد مما فويق الضواحك ويمثلها الخط الأفقي الرفيع إلى ما فويق الثنايا، والمساحة بين الخطين الأفقيين الرفيعين هي الجزء الخلفي من الغار مخرج صوت الياء والجيم والشين، وما تحت الخط الأفقي الرفيع الطبق، والمثلث اللهاة.

ويتضح من الشكل التقريبي لمخرجي اللام والنون أن مخرج النون هو بعض من مخرج اللام، وهو ما يمكن به تفسير التقارب بينهما، بالإضافة إلى اشتراكهما في الجهر، والذي جعل جرسى الصوت يختلفان هو خروج النغمة الحنجرية في النون من الأنف، وخروجها في اللام من الفم، وهذا التقارب الكبير بينهما جعل اللام تبدل من النون والعكس، وإن شئت قلت جعل اللام والنون تتناوبان وظيفيا، وأمثلة هذا التناوب في كتاب القلب والإبدال لابن السكيت الآتي<sup>15</sup>:

هَتَنَّ وَهَتَّلَ فوق الهطل، حَنَكَ وَحَلَّكَ شدة السواد، السُدُول والسُدُون ما جلل به اليهودج من الثياب وأرخي عليه، رَمَمَ وَرَمَمَ قدا، الكَتَّل والكَتَّن التزلج ولزوق الوسخ بالشيء، أَبَّنْ وَأَبَّلَ المديح بعد الموت، أَعَاعَ وَنَعَاعَ بقل ناعم، آسان وآسال طرائق، رَفَّقْ وَرَفَّلْ البعير سابع الذنب، عُنَّوان وَعُلَّوان الظهور، لَوَبَة وَوَبَة يقال للحرة، عَتَّل وَعَتَّن الجر العنيف، طَبَّرَزْنَ وَطَبَّرَزْل يقال للسكر، أَرَمَعْلَ وَأَرَمَعَنَّ تتابع، رَهْدَنَّة وَرَهْدَلَّة طائر صغير، بَنَّ وَبَلَّ حرف

الإبدال في اللغة العربية من منظور لساني

إضراب، أصيلا وأصيلان تصغير أصيل، إسماعيل وإسماعين اسم أحد الأنبياء، لعلها ونعتها للترجي، مكائيل وميكائيل اسم ملك موكل بالقطر والمطر، الدخن والدخل الرجل العظيم البطن، إسرافيل إسرافين اسم ملك موكل بالنفخ، صل اللحم وصن أنتن، إسرائيل وإسرائيل علم مذكر عبري، الغزير والغزير ما يبقى من الماء في الحوض، شراحيل وشراحيلين اسم صحابي، الدمال والدمان الفراء، جبرئيل وجبرئيلين اسم ملك موكل بالوحي، شئن وشئل الغليظ الخشين، أوص وأوص أراد، كبن وكبل ما يثنى من الجلد عند شفة الدلو، دلال ودلان أسافل القميص، أتن وأتل تقارب الخطى في غضب، خامل وخامن خفي، لال ونال أصاب، الطبن والطبل الناس، ذليل وذالين ابن أوى، تمق ولمق كتب، مأل ومأل تهبأ، فنة وفنة أعلى الشيء، وقد يجمعون بينهما في قافيتين، قال الراجز وهو أبو ميمون النضر ابن سلمة العجلي:

بنات وطاء على خذ الليل لا يشتكين عملا ما أ نقين ما دام مخ في سلامي  
أوعين

• الإبدال بين الباء والميم:

يتأتى نطق الميم والباء بميكانيكية نطق تكاد تكون متطابقة؛ حيث يتفق الاثنان في النغمة الحنجرية التي تتم بفعل إقفال الحبلين الصوتيين لفتحة المزمار مما يتولد عنه النغمة التي نسميها الجهر، واتفقا أيضا في الإقفال الثاني الذي سيشكل الصوت ويكسبه خصوصية يمتاز بها عن غيره، وهذا الإقفال كان بفعل اتصال الشفة العليا بالشفة السفلى ليشكلا عائقا لتيار الهواء الكلامي ويشكلا الصوت.

ويلاحظ في هذا الإقفال قوته مع الباء مقارنة بحاله مع الميم؛ ومرجع ذلك لإحكام حبس الهواء مع الباء الذي سدت أمامه قناة الحلق الأنفي بتأخر اللهاة إلى الخلف لملامسة الجدار الخلفي للحلوقم، بالإضافة إلى إقفال فتحة الفم بالشفتين لزيادة ضغطه وتوليد الانفجار؛ وهذا الأمر - الجهد المضعف للشفتين في الإقفال - لم يحتج إليه مع الميم؛ لانفتاح قناة التجويف الأنفي لخروج الهواء من الأنف.

ووجه التقارب بين الصوتين هو في اهتزاز الحبلين الصوتيين لإنتاج النغمة الحنجرية وموضع الإعاقة التي ستشكل بها النغمة الحنجرية، وهو هنا بين الشفتين، والاختلاف كان

الإبدال في اللغة العربية من منظور لساني

في موضع الخروج حيث خرج النون من الأنف، ومن الفم خرج الباء. ويمكن إضافة شبه آخر بين الصوتين وهو اشتراكهما في عمل التجويف الأنفي عند إنتاجهما، ونظن أن دور التجويف الأنفي عند إنتاج النون واضح وبيّن، والذي في حاجة إلى مزيد توضيح وبيان هو عمل التجويف الأنفي عند إنتاج الباء ويكفي للبيان نطق الباء مرتين الأولى بإقفال فتحتي الأنف بإصبعينا، والأخرى من غير ذلك الإقفال، ولك بعد هذا إدراك الفرق بين الجرسين، غير أنه يجب التنبيه إلى دور التجويف الأنفي مع النون أساسي يترتب عنه صفة للنون لا تقوم النون إلا بها، أما دور التجويف الأنفي مع الباء ثانوي لا يولد إلا خاصية لا تترك إلا بملاحظة دقيقة كما مر بنا. وقد أوجد هذا التقارب بين الباء والميم إمكانية التناوب الوظيفي بينهما، ومن أمثلة هذا التناوب في كتاب القلب والإبدال لابن السكيت ما يلي<sup>16</sup>:

بَخْرٌ وَمَخْرٌ سَحَائِبٌ، (با) و(ما) أداة استفهام، أُرِيدَ وَأُرْمَدٌ لَوْنٌ إِلَى الْغَبْرَةِ، ظَأَبٌ وَظَأَمٌ صَوْتُ التَّيْسِ، عَشِيمٌ وَعَشِيبٌ بَيْسٌ، أَرَبِيٌّ وَأَرْمِيٌّ زَادٌ، الرَّجْبَةُ وَالرُّجْمَةُ بِنَاءٌ لِلنَّخْلَةِ، تَبْحِجُ وَتَمَحْمَحُ تَوْسُطَ الْمَكَانِ، سَبَدٌ وَسَمَدٌ نَبْتُ الشَّعْرِ وَتَسْوَدُ، صَبَأٌ صَمَأٌ تَهْجَمُ، السَّاسِمُ السَّاسِبُ شَجَرٌ، رَاتِمٌ وَرَاتِبٌ مَقِيمٌ، أَوْمَأٌ وَأَوْبَأٌ، قَحْمَةٌ وَقَحْبَةٌ، اقْتَبَعُ وَاقْتَمَعُ الشَّرْبُ بِطَرْفِ فَمِ السَّقَاءِ، طَحْرِبَةٌ وَطَحْرِمَةٌ خَرْقَةٌ، عَبَقَةٌ وَعَمَقَةٌ لَطَخَ - وَضَرَ، كَثَبٌ وَكَثَمٌ قَرَبٌ، قَتِمٌ وَقَتِيبٌ، صَتِمٌ وَصَتِيبٌ امْتَلَأَ وَرَوَى، الْقَرْهَمُ وَالْقَرْهَبُ السَّيْدُ، رَجَمٌ وَرَجَبٌ صَكَ، اطْمَأَنَّ وَاطْمَأَنَّ، النُّعْمَةُ وَالنُّعْبَةُ التَّنَاوُلُ الْقَلِيلُ مِنَ الشَّرَابِ، يَتَمَجَّجُ وَيَتَبَجَّجُ يَنْفَاحِرُ، مِدْرٌ وَبَدْرٌ تَفْرُقُوا، الرَّمِيمُ وَالرَّبِيمُ الْعَاقِلُ الثَّخِينُ، الْعَقْمَةُ وَالْعَقْبَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْوَشِيِّ، غَيْهَبٌ وَغَيْهَمُ الْأَسْوَدُ، النَّقِيْبَةُ وَالنَّقِيْمَةُ، عَجَبٌ وَعَجَمٌ الْأَصْلُ، الْعُمْرِيُّ وَالْعُبْرِيُّ السَّدْرُ الَّذِي يَنْبِتُ عَلَى النَّهْرِ، لَازِبٌ وَلازِمٌ، شَبَارِقٌ وَشَمَارِقٌ مَمزَقٌ، طَمَارٌ وَطَبَارٌ دَاهِيَةٌ، دِنْبَةٌ وَدِنْمَةٌ الْقَصِيرُ، صُمْرٌ وَصُبْرٌ رَأْسُ الْكَأْسِ، أَرْزَمَةٌ وَأَرْزَمَةٌ ضَيْقٌ وَشِدَّةٌ، اضمأك واضباك اخضرت من النبات، كمح وكبح جذب، الذأم والذأب العيب، رأب ورأم شعب، زكم وزكب رمى، أيد وأمد غضب، بعكوكاء ومعكوكاء غبار وجلبة، جزذب وجزدم الستر باليدين، مهلا وبهلا، كككب وكمكم تزل، العظاميل والعطابيل البكرات التوام الخلق.

• الإبدال بين الميم والنون:

وصف سيوييه مخرج الميم بقوله: "ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الثنايا مخرج النون"<sup>17</sup>. والميم تقدم شرح مخرجه وصفاته الصوتية، ويلتقي الصوتان في خصائص صوتية منها الغنة والجهر والتوسط والرنين بالإضافة إلى قرب المخرج الشفوي للميم واللثوي للنون؛ وقد مكن هذا التقارب من نيابة الصوتين عن بعضهما وظيفيا، ومن أمثلة هذا التناوب في كتاب الإبدال لابن السكيت<sup>18</sup>:

أَيْمَائِنُ للحية، الْعَيْمَالْعَيْنُ التغطية والإلباس، أَجِنٌ أَجَمٌ صفة للماء، نِسْعٌ مِسْعٌ ريح الشمال، الحَلَانُ الحَلَامُ الجدي الصغير، امْتَنَعُ انْتَمَعُ تغير، نَجِرٌ مَجِرٌ الشرب الذي لا يروي، مَخَجْتُ نَخَجْتُ الجذب بالدلو، الندى المدى الغاية، مُحَلِّقٌ مُحَلِّقٌ، الحَزْنُ الحَزْمُ، تَمَدَلْتُ تَمَدَلْتُ، أَمْعَرْتُ أَمْعَرْتُ مَخَالط حمرة اللبن، طَانَهُ طَامَهُ جبله، دُهَامٌ جُدُهَانِجٌ البعير إذا قارب الخطى وأسرع، قَاتِمٌ قَاتِنٌ للسواد، كَرَزَنٌ كَرَزَمٌ الفأس الثقيلة، عُرَاهِمَةٌ عُرَاهِنَةٌ عظيمة، حَنْظَلٌ حَمْظَلٌ، الدِمْدَمُ الدِنْدِنُ، نَطْلَةٌ مَطْلَةٌ، نَشْنَشُهُا مَشْمَشُهُا نكحها، أُنْفَعُ أَمْفَعُ المعاود لما يكره، أَطَمٌ أَطَنَّ.

نتائج البحث:

خلص البحث إلى جملة من النتائج لعل أهمها:

- الإبدال نوعان: إبدال ألفوني وإبدال فونيمي.
- أن الأصوات تتوب بعضها عن بعض وظيفيا عندما تتقارب في خصائصها الصوتية.
- أن الإبدال مبحث صوتي وليس صرفيا.
- وعى المتقدمون من علماء العربية بموضع الإبدال الصحيح وظهر ذلك في مؤلفاتهم؛ حيث جاء في آخر مؤلفاتهم؛ لأنهم بدأوا بالكل وهو النحو وانتهوا بالجزء وهو الأصوات مرورا بالصرف.
- وضع المتقدمون من علماء العربية الإبدال في المؤلفات الصرفية لعدم وجود المؤلفات الصوتية المستقلة.
- وهم أصحاب الكتب المنهجية الحديثة بموضع الإبدال فجعلوه موضوعا صرفيا.



مصادر البحث:

1. القلب والإبدال، ابن السكيت، تحقيقك أوغست هفنز، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1903م.
2. التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2003م.
3. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار.
4. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 2006م.
5. قاموس اللسانيات، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.
6. القاموس المحيط، الفيروز بادي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 2005م.
7. الكتاب، سيبويه، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، 1316 هـ.
8. الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988م.
9. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط15.

الهوامش:

- 1 القاموس المحيط، الفيروز بادي، مادة (ب د ل).
- 2 التعريفات، الجرجاني، ص11.
- 3 رمزي منير بعلبكي، ص321.
- 4 النحو الوافي، ج4، ص758.
- 5 المصدر نفسه وكذلك الصفحة.
- 6 المصدر نفسه وكذلك الصفحة.
- 7 من المصنفات المستقلة في الإبدال كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي، وكتاب القلب والإبدال لابن السكيت، ومن الكتب التي تناولت موضوع الإبدال مع موضوعات أخرى: شرح المراح في التصريف للعيني، والمفصل للزمخشري، الممتع في التصريف لابن عصفور الجزء الأول-القسم الثاني، النحو الوافي لعباس حسن الجزء الرابع.

- 8 المباني هنا ليست مقصودة في ذاتها وإنما العلاقات التي تنشأ بين المباني لتفرز من هذه العلاقات معان جديدة هي المعاني النحوية، للاستزادة انظر اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص189.
- 9 الخصائص، ابن جني، 82/2-86.
- 10 المرجع السابق، 2 / 82.
- 11 المرجع السابق 2 / 87.
- 12 الخصائص، ابن جني، 2 / 84.
- 13 الكتاب، سيوييه، بولاق، 2 / 405.
- 14 المصدر السابق وكذلك.
- 15 القلب والإبدال، ابن السكيت، ص3 وما بعدها.
- 16 القلب والأبدال، ابن السكيت، ص10 وما بعدها.
- 17 الكتاب، سيوييه، 2 / 433.
- 18 القلب والإبدال، ابن السكيت، ص17 وما بعدها.

د. طارق حامد المزوعي د. نورالدين نصر شلوف

دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم

دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم باستخدام

تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية

د. طارق حامد المزوعي د. نورالدين نصر شلوف

جامعة طرابلس - كلية الآداب/السواني

### الملخص

تناول هذا البحث دراسة التغير الحاصل في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي لبلدية السواني بن آدم في الفترة الممتدة بين السنوات 1988 و2000 و2018 وذلك باستخدام تقنية الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية.

وقد استخدمت المراثيات الفضائية للقمر الصناعي الأمريكي لاندسات للسنوات الثلاث وأجريت لها عملية التصنيف الموجه وقد تبين من التصنيف وجود ستة أنواع شائعة للغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي وهي: أراضي غابات، أراضي حضرية، أراضي محاصيل وخضروات، أراضي أشجار حمضيات، أراضي أشجار زيتون، أراضي فضاء. من نتائج حساب معدل التغير لكافة التصنيفات توصلت الدراسة أن هناك تغيرا ملحوظا في استعمالات الأراضي والغطاء الأرضي في المنطقة فلقد انخفضت أراضي الغابات سنة 2000 بمعدل - 22.9 % عن سنة 1988 ثم ازداد التناقص إلى سنة 2018 بمعدل - 69.6%. أما مساحة الأراضي الحضرية فقد ازدادت حتى سنة 2000 بمعدل 64 % عن سنة 1988 ثم ارتفع معدل الزيادة لتصل إلى 251% سنة 2018 وكان هذا التوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعية خاصة أراضي أشجار الزيتون التي تناقصت مساحتها عام 2000 بمعدل - 18.3 % عن عام 1988 واستمر هذا التناقص بمعدل -59.5 % إلى سنة 2018. فيما أظهرت أراضي المحاصيل والخضروات تزايدا سريعا في المساحة سنة 2000 بمعدل 716 % عن العام 1988 واستمر هذا التزايد طفيفا حتى عام 2018 بمعدل 23.7 %. بالمقابل فان أراضي الفضاء سجلت انخفاضا في مساحتها سنة 2000 بمعدل - 43 % عن سنة 1988 واستمر هذا الانخفاض بمعدل - 12.1 % حتى العام 2018. أما بالنسبة لأراضي الفضاء فلم يكن التغير فيها جليا حتى سنة 2000 حيث شهدت انخفاضا

طفيفا بمعدل 5% فقط عن سنة 1988 تم بدأت بعد ذلك مساحتها بالتزايد بمعدل 46.6 إلى سنة 2018

**الكلمات الدالة:** الاستشعار عن بعد، الغطاء الأرضي، التصنيف الموجه، السواني بن آدم  
**المقدمة:**

تعتبر معلومات غطاء الأرض واستعمالات الأراضي من البيانات الهامة التي يعتمد عليها المخططين ومتخذي القرار في وضع سياسات الاستغلال الأمثل للأراضي وإنشاء المخططات الاستثمارية التي تخدم الاقتصاد والتنمية. وقد أشار Minale (2013) بان تحليل وتفسير تغير الغطاء الأرضي وتحوله وديناميكيته، من أهم العوامل التي تؤخذ بعين الاعتبار عند وضع سياسات واستراتيجيات التخطيط على مستويات مختلفة. كما أن دراسة غطاء الأرض واستعمالات الأراضي تعتبر من الوسائل المهمة في إدارة وتطوير الموارد الطبيعية المختلفة في ظل تزايد عدد السكان بمعدلات متسارعة (Dhinwa et al., 1992)، لذلك تسعى كل دولة إلى تنظيم استخدام مواردها الطبيعية من خلال إعداد خرائط الغطاء الأرضي واستخدامات الأراضي و التي يتم إعدادها باستخدام الوسائل المساحية سواء أكانت أرضية أم باستخدام وسائل الاستشعار عن بعد.

تستغرق الأساليب الأرضية التقليدية لرسم خرائط استخدام الأراضي وقتاً طويلاً وتتطلب جهداً كبيراً، ويصعب تحديثها، لدى فان هذه الخرائط سرعان ما تصبح قديمة مع مرور الوقت، وخاصة إذا كان التغير سريع في المنطقة. وهذا ما أشار إليه Olorunfemi (1983) بان رصد تغييرات الغطاء الأرضي واستخدامات الأراضي أمر صعب للغاية باستعمال طرق المسح التقليدية. أما بعد تطوير تقنيات الاستشعار عن بعد في السنوات الأخيرة، فأنها أصبحت أداة فعالة في دراسة مساحات واسعة جداً من الأراضي ومراقبة ورصد التغييرات في الغطاء الأرضي على فترات زمنية منتظمة لأنها توفر تغطية شاملة ودائمة في أوقات مختلفة من السنة بطريقة أكثر دقة وقلل جهداً وتكلفة تعجز الطرق التقليدية عن توفيرها.

د. طارق حامد المزروعى د. نورالدين نصر شلوف

دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم

وقد ساعدت تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في تتبع ومراقبة حالة الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ودراسة العوامل المؤثرة عليهما، ومعرفة طبيعة التوزيع المكاني لهما، وتحديد العلاقة بينهما بطريقة أكثر دقة وأقل وتكلفة. وقد أجريت العديد من الدراسات باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية منها على سبيل المثال: Rawat and Kumar, 2015;; Riebsame, et al., 1994; Selçuk, et al., 2003; Sankhala, 2014 Muttitanon, 2005 ; Zoran, M.E., 2006 Ahmad, 2012;; Ahmadi, 2003 ; صعيدي، 2000 ; المصاروه 2019 ; العالم، وآخرون 2019 ; أبو صاع، 2014 ; الزريقات، 2014 وقد أثبتت هذه الدراسات فعالية تقنيات الاستشعار عن بعد في إنتاج خرائط الغطاء الأرضي وتحديد وحساب مدى التغير فيها لفترات زمنية مختلفة بواسطة تصنيف صور الأقمار الصناعية وتحديد أسباب تدهورها وتسلط الضوء على المخاطر التي يمكن أن تتجم عن الإدارة غير الملائمة للموارد الطبيعية.

تتميز منطقة الدراسة بموقع وخصائص طبيعية وبشرية أدت إلى تنوع في أنماط الغطاء الأرضي واستعمالات الأرض، وقد شهدت المنطقة تغيراً منذ عدة سنوات نتيجة للزيادة في النمو السكاني، والتي شملت توسع المناطق الحضرية وبناء التجمعات السكنية على حساب الأراضي الزراعية والقطع الجائر للغابات والاستعمال الزراعي غير المنتظم للأرض وهذا ما يؤثر سلباً على الاستفادة من الموارد الطبيعية و حدوث اختلال في التوازن البيئي للمنطقة. وقد جاء هذا البحث يهدف إلى تتبع وحساب التغير الحاصل في الغطاء الأرضي واستخدامات الأراضي في منطقة الدراسة ضمن الفترة الممتدة ما بين السنوات 1988، 2000، 2018 باستخدام مرئيات فضائية التقطت بواسطة القمر الاصطناعي لاندسات، مما قد يساعد في اتخاذ الإجراءات المناسبة للعناية بالبيئة والحد من مخاطر تدهور الأراضي وازدياد الزحف العمراني بشكل عشوائي وأيضاً رسم مخططات لاستخدامات الأراضي لسنوات قادمة.

#### أهداف الدراسة:

يمكن تلخيص الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة كالتالي:

1. تصنيف وحساب مساحة تغير الغطاء الأرضي واستخدام الأراضي خلال السنوات 1988-2000-2018 باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية.

2. إنتاج خرائط رقمية تظهر التغير في الغطاء الأرضي واستخدام الأراضي.

3. تفسير العوامل المؤثرة في تغير الغطاء الأرضي واستخدام الأراضي خلال فترة الدراسة  
أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث عن كشف التغيرات في أنماط ومساحات الغطاء الأرضي واستعمالاته، في منطقة الدراسة؛ لاتخاذ الإجراءات السليمة من قبل صانعي القرار للحد من المشكلات التي تواجه أنماط الغطاء الرضي واستعمالاته.

#### الخصائص الجغرافية لمنطقة الدراسة:

##### أولاً - الموقع:

تقع بلدية السواني بن آدم فلكياً بين خطي طول "13° 08' 53" و"12° 54' 55" شرقاً وبين دائرتي عرض "32° 38' 14" و "32° 47' 25" شمالاً. أما جغرافياً فهي تقع في القسم الشمال الغربي من ليبيا تحديداً جنوب العاصمة الليبية "مدينة طرابلس" على بعد 11 كيلومتر تقريباً، ويحدها من الشمال والشمال الغربي بلدية حي الأندلس ومن الشمال الشرقي بلدية أبوسليم، بينما يحدها من جهة الشرق بلدية قصر بن غشير ومن الجنوب بلدية العزيزية، في حين تحدها من جهة الغرب بلدية الزهراء شكل(1)، بالتالي تسيطر منطقة الدراسة على مساحة تصل 223.97 كيلو متر مربع أي ما يقارب 1.24% من إجمالي مساحة سهل الجفارة التي تبلغ 18000 كيلو متر مربع (الأرياح 1996)

د. طارق حامد المزوعي د. نورالدين نصر شلوف  
دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم



شكل (1) الموقع الفلكي والجغرافي بمنطقة الدراسة

المصدر: من عمل الباحثان اعتماداً على الأطلس الوطني، مصلحة المساحة، 1978،  
وتقنية نظم المعلومات الجغرافية (Software Arc GIS 10.3).

ثانياً: التركيب الجيولوجي:

باعتبار منطقة الدراسة تقع في الجزء الشمال الغربي من الأراضي الليبية فإن كل تكوينات السطح تتألف من تكوينات الزمن الرابع التي تتألف من رواسب بحرية وقارية تراكمت منذ بداية هذا الزمن، ويمكن تقسيم رواسب الزمن الرابع الظاهرة على سطح المنطقة إلى:  
1- رواسب عصر الهولوسين (رواسب رياحية): تتألف هذه الرواسب في مجملها من كثبان وغطاءات رملية ولويس رملي وتظهر هذه التكوينات في أجزاء مختلفة من منطقة الدراسة حيث تنتزع في الجزء الشمالي والشمال الشرقي، كما تظهر في الجزء الأوسط والجنوبي والجنوب الغربي.

2 - رواسب عصر البلايستوسين (تكوين الجفارة): تتألف تكوينات الجفارة من رواسب رملية غرينية كما تحتوي على رواسب جييرية وقشور جبسية، وتظهر هذه التكوينات على هيئة نطاقات في الأجزاء الوسطى والشمالية الشرقية وبعض الأجزاء الجنوبية

**ثالثاً: التضاريس:**

يتميز سطح منطقة السواني بن آدم بصفة عامة بالانخفاض النسبي والتدرج الهين من الشمال إلى الجنوب، ففي الجزء الشمالي من المنطقة يتراوح الارتفاع ما بين (40-60) متر باستثناء بعض الكثبان الرملية التي يصل ارتفاعها إلى 70 متر فوق مستوى سطح البحر وذلك في أقصى الشمال الشرقي من المنطقة، ويزداد الارتفاع تدريجياً كلما اتجهنا جنوباً، حتى يصل في أقصى جنوب المنطقة إلى 90 متر فوق مستوى سطح البحر، كما ساهمت الظروف البشرية في إعادة تشكيل السطح وخاصة في الجزء الشمالي والأوسط من المنطقة، وذلك بتسوية معظم التلال الرملية المتموجة وتثبيتها من قبل السكان نتيجة التوسع الزراعي والعمري (شلوف ، 2007).

#### **رابعاً: المناخ:**

تقع منطقة الدراسة في مناخ انتقالي بين المؤثرات البحرية من جهة والصحراوية من جهة أخرى الأمر الذي أعطاها سمة الاضطراب وعدم الاستقرار ونتيجة للتصارع بين هذه المؤثرات، ومن ثم يمكن أن نصف مناخ منطقة الدراسة بأنه مناخ شبه جاف يتميز بالحرارة والجفاف صيفاً والدفء والرطوبة شتاءً.

أ - **درجة الحرارة:** هناك تبايناً في توزيع درجات الحرارة من شهر لآخر بمنطقة الدراسة، بسبب الزحزحة الفصلية للكتل الهوائية ومناطق الضغط الجوي وبالتالي المؤثرات القارية والبحرية نحو الشمال في الصيف ونحو الجنوب في الشتاء (مقيلي، 1995)، حيث سجل أقل معدل شهري لدرجات الحرارة بمنطقة الدراسة في شهر يناير بواقع 12.0 درجة مئوية، وبعد ذلك تبدأ درجات الحرارة في الارتفاع تدريجياً تزامناً مع حركة الشمس الظاهرية صوب الشمال إلى أن تنتهي رحلتها عند التعامد على مدار السرطان، وتكون الشمس أقرب إلى الوضع العمودي يزداد طول النهار تدريجياً على حساب الليل الأمر الذي يؤدي إلى تراكم



كميات كبيرة من الإشعاع الشمس ومن ثم ارتفاع درجة الحرارة حتى تصل أقصاها في شهر أغسطس بواقع 28.9 درجة مئوية، ومع عودة حركة الشمس الظاهرية باتجاه خط الاستواء "الاعتدال الخريفي" تبدأ درجات الحرارة في الانخفاض التدريجي إلى أن تصل أنداها بعد تعامدها على مدارا الجدي في شهر يناير، كما يتباين توزيع درجات الحرارة بمنطقة الدراسة من مكان إلى آخر، حيث سمح الموقع الجغرافي للمنطقة الواقع على بعد 9 كيلو متر جنوب ساحل البحر المتوسط للمؤثرات البحرية أن تساهم في تلطيف درجات الحرارة للجزء الشمالي منها، بينما يقل دور هذه المؤثرات كلما اتجهنا جنوباً نتيجة لسيطرة المؤثرات الصحراوية الجافة علي الأجزاء الجنوبية من المنطقة.

**ب - الأمطار:** تهطل أغلب أمطار منطقة الدراسة خلال فصل الشتاء على شكل رخات غزيرة تأتي في فترات متقطعة مصحوبة عادة بعواصف رعدية، وذلك نتيجة لمرور الانخفاضات الجوية التي تغزو البحر المتوسط من الغرب إلى الشرق الناشئة عن التقاء نوعين مختلفين من الهواء أحدهما مداري قاري مصدره الصحراء، والآخر قطبي بحري أو قاري يأتي من الشمال (شرف، 1996). يبدأ موسم الفصل المطير مع بداية شهر سبتمبر بمعدلات بسيطة لا تتجاوز 12.9 ملم، ومع توفر الظروف الجوية المناسبة للتساقط وتكرار مرور الانخفاضات الجوية المطيرة فوق البحر المتوسط من الغرب إلى الشرق تأخذ معدلات الأمطار في التزايد بشكل ملحوظ حتى تصل إلى أعلى مستوياتها في شهر يناير بواقع 53.8 ملم، ومع ارتفاع درجة الحرارة خلال فصل الربيع وانحراف المنخفضات الجوية نحو الجزء الشمال الشرقي لسيطرة المرتفع الجوي الأوراسي على منطقة البحر المتوسط إضافة إلى ظهور الانخفاضات الربيعية التي تتميز بقلة وجود بخار الماء (شلوف، 2015) تبدأ معدلات الأمطار في التناقص التدريجي حتى تكاد أن تنعدم خلال أشهر فصل الصيف وخاصة في شهر أغسطس الذي لا تتجاوز فيه معدلات سقوط الأمطار 0.1 ملم، وذلك بسبب استقرار الهواء وانخفاض تكرار عدد المنخفضات الجوية.

**ج - الرياح:** يختلف توزيع اتجاه الرياح وسرعتها وشدتها بين شهور السنة في منطقة الدراسة، حيث نجد أغلب أنواع الرياح التي تهب في فصل الشتاء الرياح الجنوبية والجنوبية

الغربية والرياح الشمالية والرياح الشمالية الغربية، في حين تتعرض منطقة الدراسة خلال فصل الربيع والخريف إلى هبوب الرياح من جميع الاتجاهات، بسبب عدم استقرار الأحوال الجوية، لأنهما يمثلان مرحلة انتقالية بين الصيف والشتاء، بينما تهب أغلب الرياح في فصل الصيف من الاتجاه الشمالي الشرقي والشمالي وهي تعمل على تلطيف درجة الحرارة وزيادة الرطوبة النسبية بالمنطقة (شلوف، 2007).

#### خامساً - التربة:

تدخل تربة منطقة الدراسة بناءً على الدراسة التي أعدتها المؤسسة الروسية سيخلوزيروم أكسبورت في عام 1980 ضمن ترب حديثة التكوين والترب الجافة، فالنوع الأول يتميز بضعف عمليات تكوين التربة مما جعلها تفتقر من وجود آفاق تشخيصية في قطاع التربة، ويندرج تحتها صنفين آخرين أو ما يسمى بتحت الرتب وهي ترب حديثة التكوين الرملية التي يرجع أصلها إلى الرواسب الريحية أو الهوائية (شلوف، 2007)، وتتميز بقوامها الرملي الذي تصل فيه النسبة المئوية لحبيبات الرمل إلى أكثر من (85%)، وتظهر هذه الترب في مساحات صغيرة في الجزء الشرقي وأقصى الجنوب الغربي بمنطقة الدراسة، بينما يمثل الصنف الآخر في ترب حديثة التكوين الشائعة التي يعود أصل البعض منها إلى مواد محلية من الحجر الجيري والحجر الرملي والبعض الآخر إلى مواد منقولة بفعل الرياح أو الرياح والمياه معا تتميز الترب هذا الصنف بصفة عامة بقوامها رملي طمي أو طمي رملي أو طمي سلتي (شلوف، 2007)، وتظهر الترب حديثة التكوين الشائعة بصفة عامة في الجزء الشمالي الشمال الشرقي والأوسط بمنطقة الدراسة كما تظهر في الجزء الشمال الغربي بالمنطقة. أما النوع الثاني يتمثل في الترب الجافة الجيرية التي تسيطر على أكثر من ثلثي مساحة منطقة الدراسة، وتتميز هذه الترب بأنها جافة معظم أوقات السنة وقوامها عادة ما يكون مابين الرملي إلى الرملي الطفلي كما يظهر على سطح المنطقة بعض الرمال القارية في مساحات صغيرة في الجزء الجنوب الشرقي والأوسط، ويتميز هذا الصنف بارتفاع نسبة الملوحة وقوامها الرملي إلى جانب فقرها في العناصر الغذائية الضرورية وانخفاض قدرتها على الاحتفاظ بالرطوبة (شلوف، 2007).

د. طارق حامد المزوعي د. نورالدين نصر شلوف

دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم

سادساً - السكان: استناداً على النتائج النهائية للتعداد السكاني لعام 1973، 1984، 1995، 2006م شهدت المنطقة تطور مستمر في عدد السكان، حيث لم يتجاوز عدد سكان حسب تعداد عام 1973م سوى 15473 نسمة، ثم ارتفع حسب تعداد عام 1984م إلى 26854 نسمة، أي بزيادة بلغت خلال عشرة سنوات 11381 نسمة خلال الفترة ما بين التعدادين 1973 - 1984م، ولم يقف عدد السكان إلى عند هذا الحد فحسب، بل ارتفع حسب إحصائيات تعداد عام 1995 إلى حوالي 36563 نسمة بزيادة عن التعداد السابق بلغت 9979 نسمة، واستمر تطور عدد سكان المنطقة في الارتفاع حتى وصل في تعداد عام 2006 م إلى 46804 نسمة.

المواد وطرق البحث:

البيانات المستخدمة في الدراسة:

في هذه الدراسة تم استخدام مرئيات فضائية للقمر الصناعي لاندسات للسنوات 1988 و2000 و2018، وقد تم مراعاة أن تكون المرئيات ملتقطة في شهري يوليو وأغسطس للسنوات المختلفة و ذلك لاعتبار الظروف الجوية المساعدة مثل غياب السحب وكذلك سهولة تمييز المحاصيل الزراعية في هذه المدة مقارنة مع فصل الربيع. الجدول (1) يوضح بيانات المرئيات الفضائية المستخدمة في هذه الدراسة. كما تم استخدام أيضا الخريطة الطبوغرافية مقياس رسم (1:50,000) لمنطقة الدراسة وذلك لإجراء عملية التصحيح الهندسي للمرئيات الفضائية. وقد تم الحصول على المرئيات الفضائية والخريطة الطبوغرافية من مركز البيروني للاستشعار عن بعد.

جدول 1. خصائص المرئيات الفضائية

عدد القنوات الطيفية	قوة التمييز المكاني	رقم الصف	رقم المسار	تاريخ الالتقاط	اسم المتحسس	القمر الصناعي
7	30 meter	37	189	2/8/1988	TM	لاندسات 5
8	30 meter	37	189	5/8/2000	ETM+	لاندسات 7
11	30 meter	37	189	27/7/2018	OLI	لاندسات 8

### معالجة البيانات:

لمتابعة التغير الزمني للأغطية الأرضية في المنطقة تم استخدام الصور الفضائية الملتقطة لسنوات الدراسة 1988 و 2000 و 2018 بواسطة القمر الصناعي لاندسات. وقد تم دمج نطاقات المرئيات ثم أجريت عليها المعالجات التالية:

**التصحيح الهندسي:** أجريت عملية التصحيح الهندسي Geometric correction لجميع المرئيات وقد تم تحديد نقط الضبط الأرضي بالاعتماد على اللوحة الطبوغرافية لمنطقة الدراسة بمقياس رسم 1:50,000 وتم استخدام نظام الإسقاط الجغرافي نوع Mercator Transverse Universal للمنطقة الجغرافية 33 و WGS84، وتم تعيين عدد 10 نقاط ضبط أرضي على الخريطة وتحديد مواقعها مباشرة على المرئيات وإجراء عملية التصحيح باستخدام برنامج ERDAS IMAGINE حتى تكون المرئيات مصححة هندسيا و متطابقة جغرافيا مع الخرائط الطبوغرافية لمنطقة الدراسة .

**الاقتطاع وتحسين المرئيات الفضائية:** بدلا من التعامل مع المرئية بكامل مساحتها تم قص منطقة الدراسة من الصورة المصححة هندسيا وذلك حسب الإحداثيات الجغرافية الفلكية لمنطقة الدراسة وذلك لتقليل معالجة البيانات الرقمية واستبعاد الأجزاء خارج نطاق هذه الدراسة. بعد القص أجريت عمليات التحسين على المرئية بهدف إبراز حدة التباين في المرئية، وذلك لتسهيل التمييز بين معالم المرئية.

**التصنيف الموجه:** يعرف تصنيف الصورة Image Classification بأنه عملية تقسيم الصورة الرقمية إلى عدد من الأقاليم الجغرافية وفقا لتجانس أطراف الظواهر الجغرافية لاستخدامات وغطاء الأرض فيها، أي أنه عملية آلية لتحويل الصورة الرقمية إلى خريطة موضوعية تبين استخدامات وغطاء الأرض. يوجد طريقتان لتصنيف المرئية متعددة الأطياف هما: التصنيف الموجه Supervised Classification والتصنيف غير الموجه Unsupervised Classification. في هذه الدراسة تم استخدام التصنيف الموجه وذلك لمعرفة الباحث بالمنطقة. قبل إجراء عملية التصنيف الموجه كان لابد من القيام بزيارات ميدانية لمنطقة الدراسة للتعرف على أصناف الغطاء الأرضي واختيار نقاط أرضية تمثل

أنواع الأغشية الأرضية المختلفة، بالإضافة إلى جمع البيانات المرجعية من صور وإحصائيات وخرائط، الأمر الذي يساعد أكثر في فهم وتعرف طبيعة المنطقة. بناء على ما سبق، تم تقسيم أنماط أغشية الأرض واستعمالاتها إلى ستة أصناف، وهي: أراضي غابات، أراضي حضرية، أراضي محاصيل و خضروات، أراضي أشجار حمضيات، أراضي أشجار زيتون، أراضي فضاء.

يحتاج التصنيف الموجه إلى اختيار عينات تدريبية (Training samples) لفئات الغطاء الأرضي على المرئية الفضائية، وقد تم اختيارها في هذه الدراسة باستخدام برنامج ERDAS IMAGINE حيث يقوم البرنامج بإعداد البصمات الطيفية، من العينات التدريبية لفئات الغطاء الأرضي، ثم يقوم بتصنيف كل وحدة من وحدات المرئية Pixels على أساس مدى تقاربها وتطابقها مع العينات التدريبية من ناحية البصمة الطيفية. يوفر برنامج ERDAS IMAGINE عدة طرق من التصنيف الموجه، تم اختيار منها في هذه الدراسة طريقة التصنيف بالاحتمالية العظمى Maximum Likelihood Classifier ويعزى هذا الخيار إلى دقة تصنيف وحدات المرئية بهذه الطريقة عن غيرها من طرق التصنيف الموجه، حيث تعتمد هذه الطريقة من التصنيف على حسب مقدار الارتباط والاختلاف للبصمة الطيفية للعينات التدريبية مع بعضها، وعلى أساسها يتم توزيع وحدات المرئية غير المعروفة إلى تلك الفئات المعروفة.

#### النتائج والمناقشة:

#### نتائج التصنيف الموجه للسنة 1988:

بينت نتائج التصنيف الموجه لصورة منطقة الدراسة للسنة 1988 كما موضحة بالجدول (2) والشكل (2) أن هناك ستة أصناف من الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي وهي أراضي غابات، أراضي حضرية، أراضي محاصيل و خضروات، أراضي أشجار حمضيات، أراضي أشجار زيتون، أراضي فضاء وقد توزعت هذه الأصناف بمنطقة الدراسة بمساحات متفاوتة. نستنتج من الجدول (2) أن أراضي الزيتون قد شغلت أكبر مساحة بمنطقة الدراسة فقد جاءت بالمركز الأول بنسبة 44.2% من المساحة الكلية، بينما جاء بالمركز الثاني

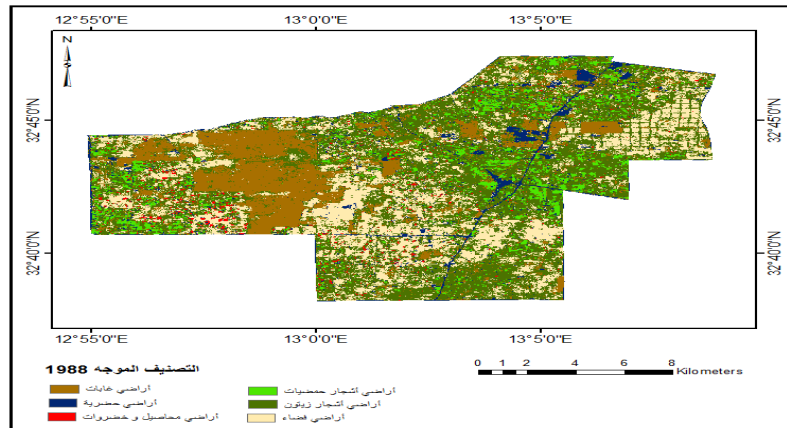
د. طارق حامد المزروعى د. نورالدين نصر شلوف

دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم

أراضي الفضاء بنسبة 23.9 % من المساحة الكلية، ثم تلاها أراضي الغابات بنسبة 17.7% من المساحة الكلية، وأراضي أشجار الحمضيات بنسبة 7.2 % من المساحة الكلية، وجاء بالمركزين الأخيرين الأراضي الحضرية وأراضي المحاصيل والخضروات بنسبة 5.2% و 1.8% على التوالي.

جدول 2 : المساحات والنسب المئوية لأصناف الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي لسنة 1988

الصف	المساحة بالهكتار	المساحة %
أراضي غابات	3991	17.7
أراضي حضرية	1161	5.2
أراضي محاصيل و خضروات	413	1.8
أراضي أشجار حمضيات	1615	7.2
أراضي أشجار زيتون	9941	44.2
أراضي فضاء	5363	23.9
المجموع الكلي	22484	100.0



شكل 2 تصنيف الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي في منطقة الدراسة لسنة 1988

نتائج التصنيف الموجه للسنة 2000 :

أوضحت نتائج التصنيف الموجه لمنطقة الدراسة للسنة 2000 كما موضحة بالشكل (3) والجدول (3) أن الغطاء الأرضي المتمثل بأراضي الزيتون قد شغل أكبر مساحة بمنطقة

د. طارق حامد المزروعى د. نورالدين نصر شلوف

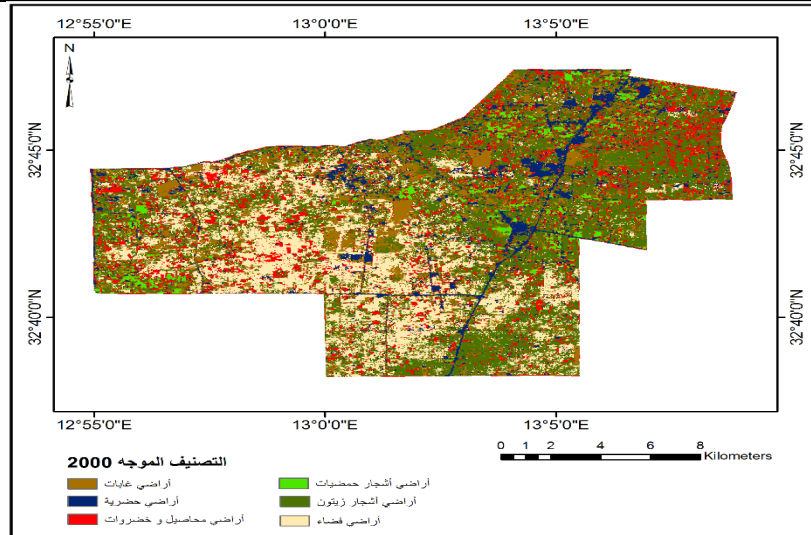
دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم

الدراسة حيث كانت نسبته تمثل 36.1% من المساحة الكلية للمنطقة ثم تلاها بالمركز الثاني أراضي الفضاء بنسبة 22.6% من المساحة الكلية، بينما جاء بعدها بالمركز الثالث أراضي المحاصيل بنسبة 15% من المساحة الكلية، تلتها أراضي الغابات والأراضي الحضرية بنسبة 13.7% و 8.5% على التوالي، وجاء بالمركز الأخير أراضي أشجار الحمضيات بنسبة 4.1% من المساحة الكلية.

جدول 3 : المساحات والنسب المئوية لأصناف الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي لسنة

2000

الصنف	المساحة بالهكتار	المساحة %
أراضي غابات	3078	13.7
أراضي حضرية	1908	8.5
أراضي محاصيل و خضروات	3369	15
أراضي أشجار حمضيات	920	4.1
أراضي أشجار زيتون	8120	36.1
أراضي فضاء	5089	22.6
المجموع الكلي	22484	100



شكل 3 تصنيف الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي في منطقة الدراسة لسنة 2000

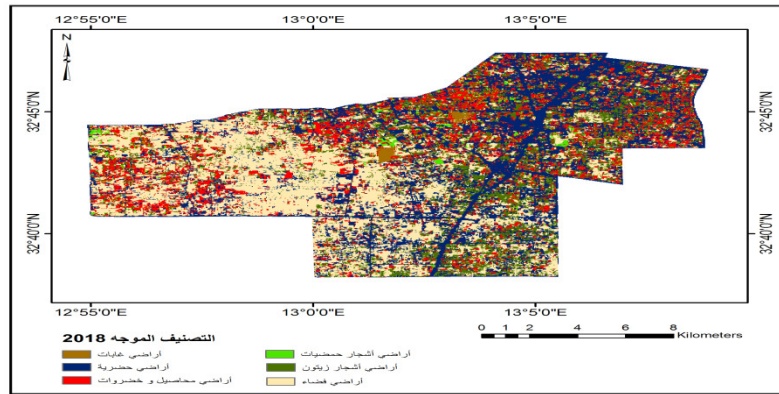
د. طارق حامد المزوعي د. نورالدين نصر شلوف  
دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي بلدية السواني بن آدم

#### نتائج التصنيف الموجه لسنة 2018:

أوضحت نتائج التصنيف الموجه لمنطقة الدراسة لسنة 2018 كما موضحة بالجدول (4) والشكل (4) أن المركز الأول في المساحة قد احتله الغطاء الأرضي المتمثل بأراضي الفضاء الذي شغل أكبر مساحة في منطقة الدراسة بنسبة 33.2% من المساحة الكلية، ثم جاء بالمركز الثاني الأراضي الحضرية بنسبة 29.8% بينما جاء بعدها بالمركز الثالث أراضي المحاصيل و الخضروات بنسبة 18.5% من المساحة الكلية تلتها أراضي أشجار الزيتون وأراضي أشجار الحمضيات بنسبة 14.5% و 3.6% على التوالي ، بينما جاء بالمركز الأخير أراضي الغابات بنسبة 0.4% من المساحة الكلية.

جدول 4 : المساحات والنسب المئوية لأصناف الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي 2018

الصنف	المساحة بالهكتار	المساحة %
غابات	94	0.4
أراضي حضرية	6700	29.8
أراضي محاصيل و خضروات	4168	18.5
أراضي أشجار حمضيات	808	3.6
أراضي زيتون	3254	14.5
أراضي فضاء	7459	33.2
المجموع الكلي	22484	100.0



شكل 4 تصنيف الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي منطقة الدراسة لسنة 2018



د. طارق حامد المزروعى د. نورالدين نصر شلوف  
دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي البلدية السوانية بن آدم

نتائج حساب معدل التغير الحاصل لأصناف الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي للسنوات المختلفة:

تم إيجاد معدل التغير لكافة تصنيفات الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي الستة في الثلاث الفترات الزمنية 1988-2000-2018، وذلك بحساب الفارق في نسبة مساحة كل غطاء أرضي في الفترات الثلاثة من خلال استخدام المعادلة التالية:

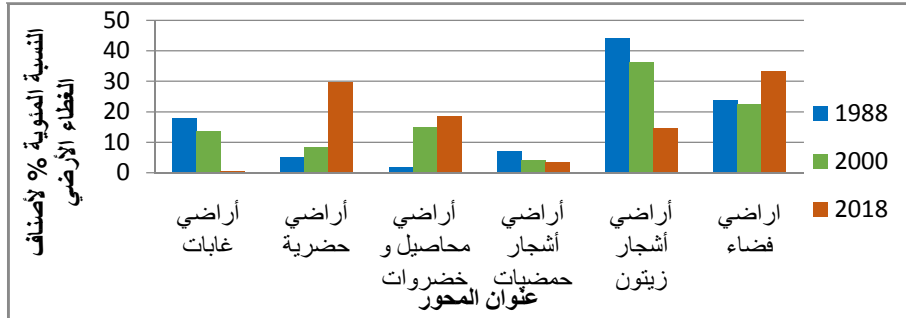
$$\text{معدل التغير} = \frac{\text{المساحة في السنة اللاحقة} - \text{المساحة في السنة السابقة}}{100}$$

وبناء عليه تم طرح نتائج سنة 2000 من نتائج سنة 1988، ونتائج سنة 2018 من نتائج سنة 2000، ونتائج سنة 2018 من نتائج سنة 1988. يوضح الشكل 5 الجدول 5 الفئات المصنفة ونسبة التغير في مساحة الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي في منطقة الدراسة، ونلاحظ حصول تغير لجميع أصناف الأغطية وبمساحات متفاوتة في الفترات الزمنية المختلفة ويختلف هذا التغير من صنف إلى آخر.

جدول 5 : المساحات والنسب المئوية لأصناف الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي

للسنوات 1988 و 2000 و 2010

التغير بين سنة		التغير بين سنة		التغير بين سنة		المساحة بالهكتار			الصف
1988-2018		2000-2018		1988-2000		2018	2000	1988	
نسبة التغير	المساحة	نسبة التغير	المساحة	نسبة التغير	المساحة				
%	بالهكتار	%	بالهكتار	%	بالهكتار				
-97.6	-3897	-96.9	-2983.9	-22.9	-913	94	3078	3991	غابات
477.0	5539	251.1	4791.8	64.3	747	6700	1908	1161	أراضي حضرية
909.9	3756	23.7	799.8	716.1	2956	4168	3369	413	محاصيل وخضروات
-49.9	-807	-12.1	-111.7	-43.0	-695	808	920	1615	أشجار حمضيات
-67.3	-6687	-59.9	-4866.3	-18.3	-1821	3254	8120	9941	زيتون
39.1	2096	46.6	2370.2	-5.1	-274	7459	5089	5363	أراضي فضاء



الشكل 5: التغير في مساحات الغطاء الأرضي لمنطقة الدراسة للسنوات 1988 و 2000 و 2010 يظهر من النتائج كما موضحة بالجدول (5) والشكل (5) السابقين التغير جليا خلال فترة الدراسة في مساحات أراضي الغابات، فقد كانت مساحتها 3991 هكتار سنة 1988 ثم تناقصت لتصبح 3078 هكتار سنة 2000 أي فقدت مساحة قدرها 913 هكتار بمعدل - 22.9% عن العام 1988، ثم ازداد التناقص بمعدل - 69.6% وفقدت مساحة قدرها 2983.9 لتصبح مساحتها 94 هكتار في السنة 2018. أما النسبة الإجمالية لتناقص مساحة الغابات للفترة من سنة 1988 إلى السنة 2018 فقد بلغت 3897 وبمعدل تناقص - 97.6% . وترجع الأسباب التي أدت إلى تناقص مساحات الغابات إلى التعديلات التي حصلت في المنطقة والاستعمالات الخاطئة مثل الرعي الجائر والتحطيب وتحويل جزء من هذه الغابات إلى مزارع.

بالاعتماد على الجدول (5) والشكل (5) يتضح أن الأراضي الحضرية ازدادت خلال الفترة 1988-2000 بمساحة قدرها 747 هكتار أي زيادة بمعدل 64.3% عن السنة 1988 ثم ازدادت مساحة هذه الأراضي لتصل إلى 6700 في سنة 2018 وبزيادة مقدارها 4794.8 هكتار عن سنة 2000 وبمعدل 251.1%. ويرجع سبب ذلك لحدوث زيادة في عمليات بناء المساكن العشوائية نظرا لزيادة عدد السكان بمنطقة الدراسة بالإضافة إلى قربها من مدينة طرابلس المكتظة بالسكان والمدن المجاورة الأخرى مما أدى إلى استقطاب عدد كبير من سكان هذه المدن لبناء مساكن بمنطقة الدراسة نظرا لرخص أسعار الأراضي في منطقة الدراسة مقارنة بأسعار الأراضي بمدينة طرابلس. بالإضافة إلى ذلك فإن بناء المنشآت الصناعية والمحلات التجارية على الطرقات قد زاد بسبب توجه السكان خلال هذه

الفترة وما قبلها نحو النشاط التجاري والصناعي. وقد وكان هذا التوسع العمراني في هذه الفترة على حساب الأراضي الزراعية خاصة أراضي أشجار زيتون، فمن خلال الجدول يتضح تناقص مساحة أراضي أشجار الزيتون في المنطقة خلال الفترة الزمنية من عام 1988 إلى عام 2000 فقد كانت مساحتها 9941 هكتار سنة 1988، تم أصبحت 8120 هكتار في سنة 2000، أي تناقصت مساحة قدرها 1821 بمعدل -18.3% عن سنة 1988، وقد استمر هذا التناقص بمعدل -59.9% لتصل مساحتها إلى 3254 هكتار في سنة 2018. أما بالنسبة لأراضي المحاصيل والخضروات فقد شهدت تزييدا سريعا خلال فترة الدراسة، حيث بلغت مساحتها حوالي 3369 هكتار عام 2000 وكان معدل الزيادة فيها 716.1% عن العام 1988 الذي كانت فيه مساحتها 413 فقط واستمر هذا التزايد طفيفا حتى عام 2018 حيث بلغت مساحتها 4168 أي بمعدل تزايد ما نسبته 23.7% عن عام 2000. وترجع لأسباب التي أدت للارتفاع الكبير في مساحة هذه الأراضي هي توجه المزارعين نحو الاستثمار الزراعي في هذه المحاصيل والخضروات والذي يحقق عوائد مادية مشجعة للمزارعين.

كما سجلت أشجار الحمضيات تناقصا في مساحتها من 1615 هكتار في سنة 1988 إلى 920 هكتار في سنة 2000 أي بمعدل -43.0% من سنة 1988، واستمر التناقص بمعدل -12.1% حتى العام 2018 حيث أصبحت مساحتها 807 هكتار. ويرجع السبب في ذلك إلى إهمال المزارعين للكثير من هذه الأشجار نظرا لاستهلاكها الكبير لمياه الري والتي أصبحت شحيحة في المنطقة بالإضافة إلى أن حفر الآبار أصبح باهظ التكلفة بسبب بعد المياه الجوفية عن السطح الأرض.

أما بالنسبة لأراضي الفضاء فلم يكن التغير فيها جليا، حيث شهدت تناقصا من العام 1988 إلى العام 2000 بمعدل -5.1% فقد كانت مساحتها 5363 هكتار في سنة 1988 ثم أصبحت 5089 هكتار في سنة 2000، تم بدأت بعد ذلك مساحتها بالتزايد قليلا حيث بلغت حوالي 7459 هكتار سنة 2018.

د. طارق حامد المزوعي د. نورالدين نصر شلوف

دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم

**الخلاصة:** أظهرت هذه الدراسة أهمية استخدام وسائل وتقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية التي وفرت الكثير من الجهد والوقت والكلفة في تحديد التغيرات التي حدثت على الغطاء الأرضي لمنطقة الدراسة في فترات زمنية مضت وكذلك حساب نسبة الغطاء الأرضي وتقدير مساحتها وحساب الزيادة والنقصان في مساحة الغطاء الأرضي. بعد تحليل النتائج التي تم التوصل إليها نستخلص أن هنالك تغيرات كبيرة حصلت مع الزمن في مساحات الغطاء الأرضي والسبب الرئيسي هو العامل البشري حيث نجد خلال فترة الدراسة أن مساحات الأراضي الحضرية كانت لها زيادة يليها في الزيادة مساحات أراضي المحاصيل والخضروات وقد تمت هذه التغيرات على حساب أراضي الغابات وأراضي الزيتون والتي تقلصت مساحتها مما يعرض المنطقة إلى خطر التصحر بينما ازداد النمو العمراني الأفقي الغير منتظم على حساب الأراضي الزراعية مما يؤدي إلتدهور زيادة الأراضي الزراعية.

#### التوصيات:

- 1- تنفيذ القوانين والتشريعات المتعلقة بحماية الموارد البيئية وخاصة تلك التي تنظم استغلال النباتات الطبيعية والغابات والأراضي الزراعية واستثمارها الاستثمار الأمثل .
- 2- الحد من انتشار ظاهرة نمو التجمعات الحضرية العشوائية على حساب الأراضي الزراعية والغطاء النباتي .
- 3- إنشاء قاعدة بيانات رقمية دقيقة لكافة استعمالات الأراضي بالمنطقة، لكي يتسنى للمسؤولين اتخاذ القرارات في الوقت المناسب.

#### المراجع الأجنبية:

Olorunfemi J.F (1983). Monitoring Urban Land – Use in Developed Countries– An aerial photographic approach, Environmental Int.9, 27 – 32.

د. طارق حامد المزوعي د. نورالدين نصر شلوف  
دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم

Minale AS (2013) Retrospective analysis of land cover and use dynamics in Gilgel Abbay Watershed by using GIS and remote sensing techniques, Northwestern Ethiopia. Int J Geosci 4(07):1003

Rawat, J. S., & Kumar, M., 2015, Monitoring Land use/Cover Change Using Remote Sensing and GIS Techniques: A Case Study of Hawalbagh Block, District Almora, and Uttarakhand, India. The Egyptian Journal of Remote Sensing and Space Science, Vol.18, No. 1, PP.77–84.

Riebsame, W. E., Meyer, W. B., & Turner, B. L. 1994, Modeling Land use and Cover as part of Global Environmental Change. Climatic Change, Vol. 28, No.1–2, PP. 45–64.

Selçuk, R. E. I. S., Nisanci, R., Uzun, B., Yalcin, A., Inan, H., & Yomralioglu, T, 2003, Monitoring land–use changes by GIS and remote sensing techniques: Case Study of Trabzon. In Proceedings of 2nd FIG Regional Conference, Morocco PP. 1–11.

Shalaby, A., Tateishi, R., 2007. Remote sensing and GIS for mapping and monitoring land–cover and land–use changes in the Northwestern coastal zone of Egypt. Appl. Geogr. 27, 28–41.

Sankhala, S., Singh, B., 2014. Evaluation of urban sprawl and land use land cover change using remote sensing and GIS techniques: a case study of Jaipur City, India. Int. J. Emerging Technol. Adv. Eng. 4 (1), 66–72.

د. طارق حامد المزوعي د. نورالدين نصر شلوف  
دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي البلدية السواني بن آدم

Muttitanon, W., Tripathi, N., 2005. Land use/cover changes in the coastal zone of Bay Don Bay, Tailand using Landsat 5 TM data. Int. J.Remote Sen. 26 (11), 2311–2323.

Zoran, M.E., 2006. The use of multi-temporal and multispectral I satellite data for change detection analysis of Romanian Black Sea Coastal zone. J. Optoelectron. Adv. Mater. 8, 252–256.

Ahmad, F., 2012. Detection of change in vegetation cover using multi-spectral and multi-temporal information for District Sargodha, Pakistan. Sociedade Natureza 24, 557–572.

Dhinwa P S, Pathan S K, Sastry S V C, Mukund Rao, Majumder K L, Chotani M L, Premnath Singh J and Sinha R L P (1992). Land use change analysis of Bharatpur District using GIS, Journal of the Indian Society of Remote Sensing, Vol. 20, No. 4, pp. 237–250.

#### المراجع العربية:

صالح، الأمين الأرياح "الأمن الغذائي أبعاده ومحدداته وسبل تحقيقه"، الهيئة القومية للبحث العلمي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1996، ص 370

نورالدين، نصر شلوف "تدني منسوب المياه الجوفية بمنطقة السواني الأسباب والنتائج"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، 2007، ص

الحلبي، رائد صالح، "استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية في دراسة استعمالات (GIS) : الأراضي في مدينة نابلس"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، 2003.

د. طارق حامد المزوعي د. نورالدين نصر شلوف  
دراسة التغير في الغطاء الأرضي واستعمالات الأراضي ببلدية السواني بن آدم

إمحمد، عياد مقلبي "المناخ الجماهيرية دراسة في الجغرافيا"، (تحرير)، الهادي أبو لقمة، سعد  
القزيري، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1995.

عبدالعزیز، طریح شرف، "جغرافية ليبيا"، ط 3، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996.

نورالدين، نصر شلوف "التدهور البيئي بشعبية الجفارة بليبيا" دراسة جغرافية"، رسالة دكتوراه  
غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، قسم الجغرافيا،  
2015، ص 112 .

أبو صاع، إسرائ "التغيرات في الغطاءات الأرضية والغطاء الأرضي في محافظة طول كرم  
بين عامي باستخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية" . رسالة ماجستير غير منشورة،  
جامعة النجاح الوطنية، فلسطين. 2014

صعيدي، محمد فتح الله "تطور أنماط استعمالات الأراضي في مدينة طول كرم في فلسطين  
خلال القرن العشرين"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس،  
2000

الزريقات، دلال الحسبان، يسرى "كشف التغير في الغطاء الأرضي باستخدام الصور الجوية  
ونظم المعلومات الجغرافية في قضاء برما/جرش". المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية.  
5، (1) ، 1-13 2012

المصاروه، طالب حمدالله "التغير في أنماط الغطاء الرضي في لواء القصر - الأردن خلل  
الفترة (2016 - 1986) من خلال تطبيق تقنيتي الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات  
الجغرافية" مجلة جامعة الشارقة المجلد 16، العدد 1، 2019 م

العالم، مختار محمود بن عمارة، محمد مؤيد: دريببكية، مصطفى شاكر "تتبع التغير في  
الغطاء الأرضي لمنطقة الخمس للسنوات 1987 و 2001 و 2017م باستخدام تقنية  
الاستشعار عن بعد". المجلة الليبية للعلوم الزراعية المجلد 22، العدد 2 32-94  
2017، م

## الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

د. محمد محمد الكامل العكروت

كلية الآداب والعلوم مزدة/ جامعة غريان

### المقدمة:

لقد ورد الصبر في القرآن الكريم بدلالات وأغراض متعددة في عدة مواضع من القرآن الكريم، ونظراً لأهميته الدينية والنفسية والاجتماعية، ارتأيت أن أشير ولو بومضات نرى أنها تجعل الإنسان المؤمن يُسلم تسليماً قاطعاً أن الصبر دواء وشفاء لكل سقم، ويُبعد عن القلق والتوتر والتضجر والبؤس والكآبة والسأمة والملل، وأنه سمة الأنبياء ونبراس الحكماء .

والصبر لغة: "حبس النفس على ما تكره أو احتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم"<sup>(1)</sup>، وأما الصبر اصطلاحاً: - فالصبر نقيض الجزع، وصبره بمعنى حبسه، والصبر شدة البرد والصبور هو الذي لا يعالج العصاة بالنقمة، بل يعفو عنهم ويصفح، والصبور صفة للرجل والمرأة، يقال: رجل صبور وامرأة صبورة، والصبر الدواء المر، واللفظ كما يقول اللغويون لا يسكن إلا في الضرورة الشعرية<sup>(2)</sup>، فالصبر توظيف النفس على تحمل المشاق وتجنب الجزع<sup>(3)</sup>، ومن أنواع الصبر وأغراضه البلاغية:

أولاً= الصبر في العبادة كما جاء في الآية الكريمة: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾<sup>(4)</sup> الفاء للترتيب، لما بعدها من موجب الأمرين على ما قبلها من كونه - تعالى - رب السموات والأرض وما بينهما، وعلى رأي الأخفش في (فَاعْبُدْهُ) الفاء زائدة<sup>(5)</sup>، وفي لفظ (وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) يأتي تعديته باللام مع أن تعديته بعلى على أسلوب التضمين<sup>(6)</sup>، ويقول ابن الأثير: (إذا كان اللفظ على وزن من الأوزان، ثم أنتقل إلى وزن آخر أثقل منه، فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر من الأول، لأن الألفاظ أدلة على المعاني)<sup>(7)</sup> ف جاء اللفظ (اصْطَبِرْ) متضمناً الثبات على عبادته- سبحانه - والمداومة عليها، بما فيها من مشاق ومجاهدة النفس وكذلك في قول الله - تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾<sup>(8)</sup>، يرى الباحث أن لفظ (اصْطَبِرْ) في الآيتين مزيد مما يدل على ثقل الفعل وقوته في آدا المعنى، فالاصطبار مجاز مرسل يدل على المداومة لأنها لازم معناها، كما أنه جناس اشتقاق<sup>(9)</sup> .



الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

وقال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾<sup>(10)</sup>، هذه الآية أبلغ من الآية الثانية والخمسين من سورة الأنعام؛ لأنه في تلك نهي الله رسوله (ﷺ) عن طردهم، وأما في هذه الآية، فقد أمر - سبحانه - بمجالستهم والاستماع إليهم والمصابرة عليهم، أي مع الذين يدعون ربهم بكرة وأصيلاً يعبدونه ويتضرعون له بالدعاء، وجاء التوكيد المعنوي في قوله - تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي أحبسها وثبتها على عبادة الله وطاعته<sup>(11)</sup>، وفي الآية طباق إيجاب بين (الغداة- والعشي) مما يدل على استمرارية الصبر، ومن الصبر في العبادة قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾<sup>(12)</sup> يلاحظ الباحث أن الأطناب جاء تأكيداً على صفات المؤمنين مقدماً - سبحانه - الأهمية والأولية للصابرين بالأسبقية؛ لأن الصبر مجال للطاعات، ويرى الباحث أن لفظ (الصابرين) جاء في موضع خفض؛ لأنها نعت للمؤمنين .

ثانياً: صبر أولي العزم من الرسل: كما جاء في الآية الكريمة ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(13)</sup>، (أُولُو الْعَزْمِ) أي أصحاب الشرائع والديانات من الرسل والأنبياء، ومنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم كثيرون... وجاء الفعل (فاصبر) مقروناً بالفاء للدلالة على تفسير كلامه قبله تشبيهاً لفؤاده (ﷺ)، ويرى الباحث أن التشبيه الضمني بين صبر النبي (ﷺ) وصبر الرسل قبله جاء أبلغ في الدلالة من التشبيه الصريح، وقال - سبحانه-: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾<sup>(14)</sup>، في جملة (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) معطوف على (وَاصْبِرْ) لغرض التأكيد المعنوي جناس اشتقاق، ليبين أن الهجر والبعد عنهم جزء من الصبر المأمور به في الآية، وفي السياق رعاية لرؤوس الفواصل للآيات، كما جاء الوصل بين الجملتين لاتفاقهما لفظاً ومعنى<sup>(15)</sup>، وفي قول الله - تعالى-: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾<sup>(16)</sup>، أي فاصبر يا محمد على ما يقولون من كلمات الكفر وإذا كان الأمر على ما ذكر من تأخير عذابهم ليس بإهمالهم بل إهمالهم وهو لازم البتة، وجاء التكرار في موضع آخر للتأكيد في قوله - تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾<sup>(17)</sup>. وإن الغرض البلاغي

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

للسياق القرآني تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله، وهو عدم الاكتراث بما يقولون وهم اليهود وغيرهم، وهو قولهم كفرة، بأن الله - تعالى - قد خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وأخرها الجمعة وأن يوم السبت لا عمل فيه، فجاء الرد عليهم بالصبر عزيمة وثباتاً وبقينا تارة وبالتسبيح عبادة وتهجداً تارة أخرى<sup>(18)</sup>، وكذلك في قوله - جلّ شأنه -: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(19)</sup> يرى الزركشي أن (الاعتراض) في الآية يقرب من نقل الكلام إلى غيره، وحذف الفاء في (اصْبِرْ) للتخفيف<sup>(20)</sup>، فالآيات السابقة كان الخطاب فيهم لتحمل النبي (ﷺ) عناد الكافرين وظلمهم وإنكارهم للبعث، وقذفهم له، بعبارات الكفر والإلحاد، فمن هنا كان الصبر بقدر المشاق، أما في هذه الآية جاء لفظ (اصْبِرْ) مجرداً من الفاء؛ لأن الله - تعالى - متكفل برعايته وحفظه من مكربهم مذكراً إياه بقصة نبي الله داوود للعبارة والاتعاض.

وأما في قول الله - تعالى -: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾<sup>(21)</sup> يلاحظ الباحث تكرار لفظ (اصْبِرْ) على صيغة الأمر الطلبي في الكثير من المواضع القرآنية توافق للفواصل، وقد أحاط الله نبيه (ﷺ) برعايته في قوله (فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا). ومن الآيات التي نزلت بأحد حينما قرأ أصحاب رسول الله (ﷺ) بإغراء من المنافقين جاء قول الله - تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾<sup>(22)</sup> فأراد الله أن يبعث الطمأنينة لرسوله بأن لا يكون كصاحب الحوت، وهو النبي يونس - عليه السلام - الذي ذهب مغاضباً قومه، بل عليه أن يصبر عليهم، وقوله (فَاصْبِرْ) جاء معطوفاً على سبيل الإرشاد والتوجيه، وجاء الالتفات من الخطاب إلى الغيبة للتتويه والإشارة إلى تخفيف المخاطب، وقدم (الصبر) على (لحكم ربك)؛ لأن الصبر أولى في معالجة الأمور فقدم للأهمية، بخلاف ما جاء في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ إذ تقدم لفظ (لربك)؛ لأنه ليس هو المعبود فقط، بل لإظهار معنى الربوبية منهجاً ومسلماً وتعلماً<sup>(23)</sup>، وفي قوله - تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾<sup>(24)</sup>، والمعنى: أصبر عليهم وأتبع ما ينزل إليك حتى يفصل الله بين الحق والباطل بإظهار آياته وهو خير الحاكمين<sup>(25)</sup>. ويرى الباحث أن الله - سبحانه - عطف

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

الصبر على إبتاع الوحي والتمسك به لاتفاق جملتي (وأَتبع ما يوحى إليك) (واصبر حتى يحكم الله) الوصل بالواو لاتفاقهما لفظاً ومعنى وأن الغرض من ذلك أصبر على الدعوة، حتى يحكم الله على المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾<sup>(26)</sup>، قيل أن هاتين الآيتين وردتا في تعليم حسن الأدب وكيفية استيفاء حقوق القصاص و ترك التعدي، وهو طلب الزيادة و أن على المقتص أن يماثل الجاني في القصاص، وليس له الحق أن يجاوزه، فالمعاقبة بالمثل أولى، بل ولئن صبرتم - وهو الأجدر - له خير للصابرين، وفي قوله تعالى: (وَاصْبِرْ) إشارة إلى الضمير العائد على المصدر الدال عليه الفعل مقيداً بالإضافة، وجاء الالتفاف من المخاطب (ولا تحزن عليهم) إلى الغيبة في (مما يمكرون) للتسلية وتثبيته (ﷺ) على نهج الحق واليقين<sup>(27)</sup>، ونجد في موضع آخر من القرآن الكريم مبيناً أجر الصابرين بعد خطابه للنبي (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(28)</sup>، فكان الالتفاف للضمير في موضع الإظهار لإبراز الجزاء والأجر من الله - تعالى - للصابرين وفي مقدمتهم رسولنا (ﷺ)<sup>(29)</sup>.

وفي قوله - جل شأنه: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾<sup>(30)</sup> (لِرَبِّكَ) للتعظيم واقتران الفاء بفعل الأمر في (فَاصْبِرْ) للترتيب والتعقيب لفعل الطاعات، وقيل نزلت هذه الآية على النبي وكان مدثراً بثوب يلبس فوق الشعار الذي يلي البدن أو الجسم تكريماً له وتعظيماً لشأنه (ﷺ)<sup>(31)</sup>، وفي الصبر الرسل عليهم السلام قال الله - تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾<sup>(32)</sup>، جاء السياق بأسلوب التسلية والاطمئنان للنبي، وذلك؛ لأن الرسل قد كُذِّبوا هم أيضاً، ولكنهم صبروا حتى أتاهم نصر الله، ومن خلال ذلك يلاحظ الباحث أن أسلوب الالتفاف في الآية قد جاء من الغيبة في (كذبت رُسُل) إلى المتكلم في (نصرنا) لما فيه من إسناد العظمة والقوة لله - سبحانه وتعالى - وفي جملة (كذبت رُسُل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا) جناس اشتقاق لبيان العظة والاعتبار.

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

وفي صبر يعقوب على ابنه يوسف - عليهما السلام - قال الله - تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾<sup>(33)</sup>، أي زينت لكم أنفسكم أمراً ففعلتموه (فَصَبِرْ) مصدر نائب عن فعله أصبر، للدلالة على قوة المعنى، وفي السياق البلاغي للنص القرآني جاء الأسلوب لضيق المقام عن إطالة الكلام، فقد يكون المتكلم متألماً ومتوجعاً فلا قدرة له على إطالة الكلام، فحُذِفَ المبتدأ من حديث يعقوب - عليه السلام - لبيته في الآية، ولعله أكتفى بـ (فَصَبِرْ جَمِيلًا) أي شأني صبر جميل، أو فأمرني صبر جميل، والله المستعان على ما تصفون، أي على ما تقولون، وكأنه قد عُلِمَ أن الله - تعالى - سيجعل له فرجاً بأن يرى ابنه يوسف وأخويه ( بنيامين والأخ الأكبر معه) وقيل أخوته جميعاً، ويقول الفراء: لفظ (فَصَبِرْ جَمِيلًا) مثل قوله - تعالى: (فصيام ثلاثة أيام) وجاء في قراءة أبيّ (فَصَبِرْ جَمِيلًا) على النصب<sup>(34)</sup> وفي موضع آخر جاء قول الله - تعالى -: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(35)</sup>، قيل أنه من الصبر الجميل ألا تتحدث بمصيبتك ولا تزكين نفسك ولا تشكو لأحدٍ غير الله، ويرى الباحث أن (فصبر جميل) مبني على الرفع؛ لأن يعقوب - عليه السلام - قد عزى نفسه بلا تضجر ولا قلق، وكأنه قد أعترف ممتثلاً لله على ما آل إليه حاله، وبهذا جاءت الفاء للتعقيب والتوالي في معالجة الأمر من الصبر، وقال ابن عطية: (فصبر جميل) إما على حذف الابتداء وإما على حذف الخبر، وبذا يكون التقدير: أمرني صَبِرْ جَمِيلًا<sup>(36)</sup>، وجاء صبر النبي يوسف - عليه السلام - في قول الله - تعالى -: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَنْقُ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(37)</sup>، كان جوابه - عليه السلام - (أَنَا يُوسُفُ) ولم يقل هو أنا عندما سُئِلَ، فعدل إلى الاسم الظاهر عن الضمير البارز، فكأنه قد قال: أنا يوسف المظلوم، والذي ظلمتموني، وقصدتم قتلي وألقيتموني في الجب، ثم بعتموني بأبخس الأثمان، ثم قال كذلك: هذا أخي مع أنهم يعرفونه؛ لأنه قصد أنه مظلوم كذلك مثله، فجاء الاسم الظاهر موضع الضمير المضمّر لإظهار وجوده وصبره في الحياة مستعيناً بالله وأنه حَيٌّ يرزق.

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

ومن صبر أولي العزم من الرسل قال الله - تعالى: ﴿وَكَايَ مَن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيِّوْنَ كَثِيرٍ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(38)</sup>، أي كم مضى من نبي قاتل معه ربيون كثير، فما ضعفوا ولا خضعوا لعدوهم والله يحب الصابرين، وفي النص فُدمَ الخاص على العام للاهتمام، كما جاء التتميم في قوله - تعالى - ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ لبيان الجزاء والثواب للصابرين في سبيل الله، وفي قوله - تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا، فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(39)</sup>، المقصود بـ (أنباء الغيب) قصة نوح - عليه السلام - وهو ما غاب عنك يا محمد (ﷺ) من الأخبار، والمراد من الإشارة إلى ذلك هو تسليته، ولهذا جاء السياق القرآني (فاصبر) معطوف على ما قبله ومقترن بالفاء، وهو ما نلاحظه كثيراً في سرد القصص القرآني .

وكذلك في صبر النبي صالح - عليه السلام - جاء قول الله - تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾<sup>(40)</sup>، (فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ) أي انتظر ملاحظاً لهم أفعالهم وتبصر ما يصنعون بصبرك عليهم، والفعل (اصطبر) مزيد للدلالة على ما يقابله النبي صالح - عليه السلام - من مشاق ومكابدة من قوم ثمود لمخالفتهم وأمر الله تعالى - فأرسل عليهم صيحة واحدة من العذاب والعقاب، فجعلهم كالهشيم المحتضر<sup>(41)</sup>، وأيضاً في صبر إسماعيل مع أبيه إبراهيم - عليهما السلام - قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(42)</sup> يلاحظ الباحث أن إسماعيل لم يقل لأبيه: إني صابر لك؛ لأن صيغة الجمع (من الصابرين) أكبر دلالة على قوة الصبر عنده، وجاء أسلوب الالتفات من المخاطب إلى المتكلم للتنبيه إلى ما هو أعظم عند الله، ألا وهو الصبر بلا جزع ولا تردد ممتلاً لأمر الله - تعالى- وجاء السجع في الآية توافق للفواصل، وفي قوله - تعالى - من وصايا لقمان لابنه: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(43)</sup> ومن وصايا لقمان لابنه قيل: أنه أمره بالصبر على الشدائد والمحن والابتلاء، وألا يجزع ولا يخرج عن طاعة الله و(أن ذلك) أي الصبر، وهو مما يناسب أفراد إثم الإشارة، وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلته في الفضل، ويجوز أن العزم بمعنى الفاعل،

**الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية**

أي : عازم الأمور، وجيء ذلك من باب الإسناد المجازي<sup>(44)</sup>، وفي أولي العزم من الرسل قال الله -تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(45)</sup> إن سرد القصص القرآني عبرة لمن يعتبر وعظة لمن يتعظ، وبالأخص في مجال الصبر، فها نحن نرى صبر (إسماعيل) مع أبيه إبراهيم وصبر (إدريس) على معاناة قومه وصبر (ذا الكفل) الذي قيل أنه النبي (إلياس) وقيل هو (يوشع) وقيل (زكريا)، وقيل أنه سمى بذلك ؛ لأنه تكفل بصيام نهاره وقيام ليله<sup>(46)</sup> وقدّم الخاص على العام في النص القرآني للتنبية والإشارة إلى شأنهم واحتساب صبرهم، وبهذا نرى أن لفظ (من الصابرين) على صيغة الجمع أقوى في الدلالة من لفظ الذين صبروا؛ لأن الصابرين مبشرين بالجزاء والأجر كما جاء في قوله - تعالى:-

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

وفي صبر أيوب - عليه السلام- آية من آيات الله ومعجزات قال - تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(47)</sup>، أي علمناه الصبر وأرشدناه إليه، فيما أصابه في النفس والصحة والأموال والأهل، فلم يجزع، حتى عوضه صاحب النعمة والفضل رب العالمين عن الابتلاء بالعافية، وعن الخسران بالإكرام<sup>(48)</sup> وبهذا نرى أن صابراً في موضع حال لاستمرارية الصبر والعبادة، فجاءت صفات المدح بـ (نَعْمَ الْعَبْدُ) و(إِنَّهُ أَوَّابٌ) بأسلوب بليغ في التعبير قوي في المضمون والدلالة .

ثالثاً-الصبر على الابتلاء: كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(49)</sup>، عطف جملة (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) على جملة (وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ) عطف المضمون على المضمون، أي الابتلاء حاصل لكم، وكذا البشارة لمن صبر<sup>(50)</sup>، ويرى الباحث أنه قد حُذف الخبر من جملة (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) للتنبية إلى أن الجزاء كان أوفى والثواب أعظم، وجاء الالتفاف من الخطاب إلى الغيبة للأهمية .

وفي قوله - تعالى: ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(51)</sup>، أي لتختبرن في أموالكم بتكليفكم الإنفاق، وتكليف أنفسكم بالجهاد<sup>(52)</sup>، ويلاحظ الباحث أنه قد

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

أشير إلى جعل المصدر بمعنى اسم المفعول؛ لأنه يراد من ذلك العزم على الصبر، والجملة تعليل لجواب الشرط، وكأنه قيل: وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم، فالجملة واقعة جواب الشرط.

وفي قوله - سبحانه وتعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾<sup>(53)</sup>، من الملاحظ أن (الصابرين) معطوف في المعنى على (مِنْ أَمْنٍ) في الآية، إلا أنه جاء منصوباً على المدح، بتقدير (أخص أو أمدح) تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيتها على غيره من الفضائل، وهذا الأسلوب عند البلاغيين يسمى بالقطع، وهو أبلغ من الإتيان (ولا ريب في أن صفة الصبر جديرة بأن ينبه لمزيد فضلها إذ هي الأصل لكثير من المكارم، وقد خصت الآية ثلاث حالات وهي (البأساء - والضراء - وحين البأس) بالصبر؛ لأنها أكثر الحالات التي يظهر فيها هلع الهالعين وجزع الجازعين<sup>(54)</sup>، ويلاحظ أن الالتفاف في القرينة الإعرابية من قوله - تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ﴾ في الآية السابقة من الرفع إلى النصب في قوله (وَالصَّابِرِينَ) للاهتمام والتنبيه، ويقول الفراء: وإنما نصبت (الصَّابِرِينَ)؛ لأنها من صفة أسم واحد، فكأنه ذهب به إلى المدح<sup>(55)</sup>، وفي قول الله - تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(56)</sup>، أي: الصابرون على ما أصابهم من الابتلاء إذا ذُكِرَ الله خشعت قلوبهم واطمأنت وهم في درجة التسوية مع المخبتين أي المطيعين وفي السياق أسلوب تشويق وامتنان للصابرين على ما أصابهم من الابتلاء في الدنيا .

رابعاً- الصبر على الجهاد كما جاء في الآية الكريمة: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(57)</sup>، قدم في الآية الفعل والفاعل (اصْبِرُوا) من قبيل الإلزام بالوجوب مع فرضيته، ثم جاء بصيغة المبالغة من اسم الفاعل (صَابِرُوا) وهو المبالغة في المصابرة والزيادة في الصبر، ويقول القرطبي: (تقوا الله) أي: لا معنى للصبر والجهاد من غير تقوى، وقيل (لعل) في السياق بمعنى (لكي) و(الفلاح) معناه البقاء<sup>(58)</sup>، وفي قوله - تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَغْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(59)</sup> جاء الاستفهام إنكاري في (أَمْ حَسِبْتُمْ) أي تتخيلون أنكم تدخلون الجنة قبل

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

أن يختبركم الله، ويعلم من المجاهدين منكم ومن الصابرين، ويرى الباحث أن إيثار السياق لصيغة إثم الفاعل (الصابرين) وعدوله عن وقوع صيغة الفعل بعد إثم الموصول، ولم يقل - سبحانه-: الذين صبروا للدلالة على أنه قد أفاد الاستمرار على الصبر، هذا فضلاً عما حققه من تجانس وتناسق في المحافظة على الفواصل في النص القرآني .

وفي قوله - جلّ شأنه: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(60)</sup> جملة (مع الصابرين) خبر إن في محل رفع مؤكّد لحال الصابرين في ملاقاته عدوهم ومؤيداً لهم بالنصر والغلبة، و(اصبروا) معطوف على (فأثبتوا) في الآية نفسها ليبين أن الصبر مرهون بالثبات، الأمور به في الجهاد<sup>(61)</sup> وقد أمر الله الصبر على الجهاد في موضع آخر في قوله - تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(62)</sup> كان الخطاب عن المهاجرين الذين فتنوا في دينهم من المشركين الذين يريدون أن يردوهم عن الدين، والفتنة هي الردة عن الإسلام، وجاء لفظ (جاهدوا واصبروا) بالوصل بين الجملتين ليوضح- سبحانه- أن الصبر هو جهاد بعينه، لما فيه من تحمل ومكابدة للأعداء<sup>(63)</sup> وقال جلّ من قائل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾<sup>(64)</sup> أي نختبركم بصبركم في الجهاد، وجاء السياق للنص القرآني بأسلوب التحذير وعداً ووعيد، وبالإطناب الغرض منه التخصيص وإيضاح المعنى<sup>(65)</sup> ، ويلاحظ الباحث أن لفظ (نَبْلُوَنَّكُمْ) الوصول إلى الغاية، وهي معرفة مدى صبركم في مقاومة الأعداء، ونعلم أخباركم من طاعتكم أو عصيانكم.

وفي قوله - تعالى- ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾<sup>(66)</sup>، (بلى) حرف جواب وهو إيجاب للنفي في الآية السابقة أي في قوله - تعالى- : (الآن يكفيناكم) والاستفهام إنكاري، والمعنى: أي بلى يكفيناكم ريكم بأن يمدكم - إن صبرتم- بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أي معلمين، وقيل : منزلين أو مرسلين، ويقول المفسرون: أنجز الله وعده بأن قاتلت معهم الملائكة جزاءً لصبرهم على خيل (بلى) أي وجوها وأرجلها الأمامية والخلفية بيضاء<sup>(67)</sup> وليبان أن النصر بالصبر لا بالعدد قال الله - تعالى ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ



الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

الصَّابِرِينَ ﴿٦٨﴾ (كَمْ) خبرية للعدد، فكأنما النصر متعلق بالصبر، ولا يهم في ذلك القلة أو الكثرة، وجاء السياق بأسلوب الامتنان (مع الصابرين) مؤيد بقوله - تعالى - : (يَا ذُنَّ اللّٰه) حتى تحقق لهم النصر رغم قلة العدد .

وقال جلّ شأنه- ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (69)، ومن الملاحظ للباحث أن إثبات لفظ (صَابِرُونَ) للعشرين، وحذفها في الجزء من الآية أي لم يقل- سبحان وتعالى: (مائة صابرة)؛ لأن العبرة في القوة والشجاعة والصبر لا في العدد، فليس الحكم للكثرة أو القلة، فهناك فرق في العدد بين (عشرون) و(مائتين) وبين (مائة) و(ألف)، ولذا جاء التقدير للمعنى : مائتين من الذين كفروا، وعشرون صابرون، وكذلك (ألفا) من الذين كفروا و(مائة) من الصابرين، وبهذا يكون الحذف في السياق فصاحة للأسلوب القرآني، وكان النبي (ﷺ) يطمئن أصحابه على أن العشرة للمائة، والواحد للعشرة، فكانوا كذلك، ثم شُق عليهم أن يقرن الواحد للعشرة، فنزل بالنسخ (70) قول الله - تعالى - ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ يَا ذُنَّ اللّٰه مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (71)، أي خفف عنكم لكثرة العبادة والتعب، بأسلوب الامتنان والترغيب، وقوله - تعالى - : (وَاللّٰهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) جاء الخبر في موضع حال للتأكيد، و(صابرة) على صيغة اسم الفاعل للاستمرار في الصبر، وقرأ ابن كثير (وإن تكن منكم مائة صابرة) استبدال الياء تاء لتأنيب لفظ (مائة) إلا إذا قصد بالمائة صابرة في القوة وهو الأرجح وليس في العدد (72) . وفي قوله - تعالى - : ﴿رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (73)، يقول الإمام الرازي : الأسلوب في النص يدل على المبالغة في الصبر، أي لا تبقى شيئاً إلا وأعطيتنا إياه من الصبر، ومعنى (أفرغْ عَلَيْنَا) أي: أصيب علينا، فقد استعير لفظ (الصبر) من الماء الذي يفرغ كل ما فيه من الإناء، فهي استعارة تمثيلية (74)، والاستعارة التمثيلية هي: "تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي" (75)، ويرى الباحث أنه قد عبّر بالمجاز المرسل أيضاً للأقدام بعلاقة الجزء من الكل،

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

والمراد من الأقدام في الصبر هو الإنسان بذاته، إلا أن الأقدام يكون من خلالها الثبات، والفرار، ومتى حصل الثبات يكون الصبر متحققاً والنصر متوقفاً .

وفي قول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(76)</sup>، عندما توعد فرعون طائفة من قومه، بأن يصلبهم ويقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف، فزعوا إلى ربه داعيين الله - تعالى- بالصبر، بأن لا نرجع كفاراً، وتوفنا مسلمين أي: ثابتين على الإسلام، وأرادوا من الصبر المزيد، وفي الآية تعبير مجازي للاستعارة التمثيلية الغرض منه إبراز قيمة الصبر في الشدائد والكرب.

خامساً-الصبر على عناد الكافرين كما جاء في الآية الكريمة- ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾<sup>(77)</sup>، أي: إن تصبكم نعمة كنصر أو غنيمة تحزنهم، وإن تصبكم سيئة كهزيمة أو جذب يفرحوا بها، وجملة الشرط متعلقة بجواب الشرط، أي جملة (إن تصبروا وتتقوا) شرطية متعلقة بما قبلها من جملة الشرط (إن تمسكم... ) وقيل: إنها تنمى أي إن صبرتم، وأتق باليقين(81). ضركم كيدهم شيئاً وهو على رأي الشافعي<sup>(78)</sup> وفي قوله - سبحانه-: ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾<sup>(79)</sup>، جاء النص (أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا) للتسوية في الجزاء، وهو حال المستكبرين رداً على الضعفاء الذين قالوا لهم: إن كنا تابعين لكم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئاً، وإن صبرنا أو جزعنا، فلا مهرب من عذاب الله للكافرين والمستكبرين، وقال الله - تعالى - في عناد الكافرين: ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(80)</sup>، والمعنى: أي حبسنا أنفسنا على عبادتها أي: - آلهتهم - وهذا قول الكافرين عن آلهتهم في قوله- تعالى-: " لولا أن صبرنا عليها " فجاء الرد على سبيل الاستفهام التقريري، والاحتقار لهم، وذلك بقوله- تعالى - (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا)؟، وفي السياق إظهاراً للضعف و اختلاط الشك باليقين<sup>(81)</sup>.

وفي عناد الكافرين وتمسكهم بآلهتهم جاء قول الله - تعالى-: ﴿وَإِن طَلَّقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾<sup>(82)</sup>، في جملة (أن آمنوا واصلبروا) أي

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

استمروا في الصبر على العناد، وجاء السياق البلاغي للمعنى الضمني للصبر ولم يصرح به، ولفظ (اصبروا) لا يعني به الصبر، بل يراد به العناد والتمسك بالباطل والكفر والإشراك، وبهذا أنطلق كبراهم قائلين أمشوا وأثبتوا على عبادة آلهتكم إن هذا الأمر هائل يراد بكم<sup>(83)</sup> وفي معاندة الكافرين وتصرفاتهم نزل قول الله - تعالى - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(84)</sup>، (( لقد وفد إلى الرسول ﷺ ) اثنتان من أعيان قبيلة بني تميم ومعهم سبعين رجلاً في وقت الظهيرة، فصاحا بقولهم: يا محمد ﷺ) أخرج إلينا، فتأذى الرسول من ذلك، ولكنه خرج إليهم ناصحاً لهم، ولم يكن معاتباً ولا معاقباً<sup>(85)</sup>، وبهذا جاء (لو) في الآية وهو حرف امتناع فعل الشرط لامتناع جواب الشرط، أي: لو أنهم صبروا عن عنادهم و غرورهم وكبرياتهم لكان خيراً لهم، فالأسلوب جاء معاتباً لفعالهم وبعدهم صبرهم، وكذلك الالتفات من الغيبة في قوله - تعالى - (صَبَرُوا) إلى الخطاب (حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ) للامتنان والتكريم، ودعماً لموقفه - عليه الصلاة والسلام .

وجاء رد المؤمنين على قارون و أتباعه وهو من قوم موسى -عليه السلام- في قول الله - تعالى - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلْتَمِسُونَ لَهُ ثَوَابٌ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾<sup>(86)</sup>، أي فهذه الحكمة لا يعقلها إلا الصابرون بأسلوب القصر، فقصر التعقل والإدراك والتدبر للأمر على الصابرين لا لغيرهم، وجملة (وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) فالمقصود عليه قد جاء لأمر قد ينكره المخاطب أو يشك فيه، كما جاء الحذف للاختصار والاحتراز بناءً على الظاهر مع ضيق المقام و إطالة الكلام<sup>(87)</sup> .

وكذلك في قوله - تعالى - ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾<sup>(88)</sup> فإن يصبروا فالنار مثنوى لهم ومكان لهم، و إن يطلبوا رضا الله عنهم فما هم عليه بحاصلين، إذن فصبرهم صبر المعاندين الذين لا يجنون من ورائه إلا العذاب، فجاء السياق بالوعد والوعيد تارةً وبالتسوية في الجزاء أو العقاب تارةً أخرى، أي: سواء صبروا أو لم يصبروا فالنار مثنوى ومكان لهم.

وبأسلوب التسوية في الجزاء للمعاندين جاء قول الله - تعالى - ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(89)</sup>، أي: أدخلوها على أي وجه شئتم

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

من الصبر أو عدمه، إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من كفر ونفاق ويقول الزمخشري: (فإن قلت: لِمَ علل استواء الصبر وعدمه - تعالى - : (إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قلت: لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة، بأن يجازى عليه الصابرون جزاء الخير، و أما الصبر على العذاب فهو عقاب، فلا مزية له ولا منفعة) (90)

ويرى الباحث أنه مما يؤكد التسوية للأمرين: وهما الصبر أو عدمه قوله - تعالى - ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ لأن (سواء) خبره محذوف، وتقديره: سواء عليكم الأمران الصبر أو عدمه، وبأسلوب التعجب جاء قول الله - تعالى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (91)، أي لا رجوع في ولا مغفرة لهم، وحيى بصيغة التعجب، فما أصبرهم ! للسخرية والاستهزاء بضلالتهم وعدم اهتدائهم على الحقيقة.

سادساً - الفوز مع الصبر وهو ما جاء في قول الله - تعالى - : ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (92)، في السياق البلاغي للنص القرآني قصر الصفة على الموصوف، وهو قصر الجزاء والثواب والأجر على الصابرين لا لغيرهم، فكانوا هم الفائزين، ويرى الباحث في جملة (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا) جملة استثنائية لبيان حسن حالهم، أي جزيتهم بالنعيم المقيم جزاءً لصبرهم و كذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (93) الغرف: منازل في الجنة، ولفظ (الغرفة) كناية عن الدرجة الرفيعة، وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، وذلك جزاءً على صبرهم، وعلى أمر ربهم وطاعة نبيهم (ﷺ) وقيل بما صبروا عليه من الفقر والفاقة في الدنيا، وقال الضحاك: (بما صبروا سيجزيهم الله - تعالى - عن الشهوات الزائلة في الدنيا) (94) وفي النص جاء السجع توافق للفواصل القرآنية.

ومن جزاء الله - سبحانه وتعالى - للمؤمنين قوله: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (95)، أي جزاهم على صبرهم جنةً وألبسهم فيها حريراً، وفي السياق القرآني إيجاز حذف غرضه المبالغة لإظهار الصورة البديعية، فكان أبلغ في التعبير القرآني من الإطالة؛ لأنه قصد به التتميم مع الاختصار.

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

وفي مضاعفة الأجر للصابرين قال سبحانه-: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(96)</sup>، ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى أن رسول الله (ﷺ) قال: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي فأمن به وأتبعه وصدقته، فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله -عز وجل- وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغداها وأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها، أو تزوجها فله أجران)<sup>(97)</sup>، فهؤلاء جميعاً يضاعف لهم الأجر على صبرهم، ثم أضاف على سبيل طباق الإيجاب للذين يحون السيئة بالحسنة، وفي السياق إيجاز حذف جملة أي: بما صبروا عن الشهوات ومتاع الدنيا، فالإيجاز للاختصار وتيسير الفهم .

وقال الله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(98)</sup>، (الصابرون) نائب فاعل؛ لأن الفعل (يؤفى) متعدي لمفعولين مبني للمجهول، للدلالة على كثرة الصابرين وفي الحديث قال (ﷺ): (إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناسٌ من الناس، فيقال لهم: (انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فتقول إلى أين فيقولون إلى الجنة قالوا: قبل الحساب، قالوا: نعم فيقولون: من أنتم، قالوا: نحن أهل الصبر قالوا: وما كان صبركم قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله وعن المعاصي والابتلاء)<sup>(99)</sup> .

وفي قوله - تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(100)</sup>، جاء اللام للقسمة في (لَنَجْزِيَنَّ) أي أقسم - سبحانه- بأن يجازي الذين صبروا على الفاقة والحرمان وأذى الكفار والمشركين لهم، بأكثر ما هم يعملون مهما ثقلت موازينهم بالحسنات، فجزاء الله أوفى وأحسن، وفي مضاعفة أجر الصابرين جاء الالتفاف والعدول من المتكلم في قوله - تعالى: - (وَلَنَجْزِيَنَّ ) إلى الغيبة في (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) للتبويه والاهتمام، وفي جملة (أحسن ما كانوا يعملون) أحسن: اسم تفضيل للصابرين، وهو نعت لمحذوف تقديره: بجزاء أحسن ما كانوا يعملون<sup>(101)</sup> وقد وعد الله الجنة للصابرين في قوله- تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾<sup>(102)</sup>، جملة (وَالَّذِينَ صَبَرُوا) معطوفة على ما قبلها، وقدم الصابرين على بقية الطاعات لأهمية الصبر، ولأن فيه مشقة و جهد لاحتمال بقية العبادات،

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

فكان جزاؤهم (عقبى الدار) وهي جنات عدن، وأكد ذلك - سبحانه - في موضع آخر: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾<sup>(103)</sup>، (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) هذا قول الملائكة على المؤمنين الصابرين المحتسبين، فيدخلون عليهم من كل باب ليحيوهم بهذه التحية، أي بفوزكم بما صبرتم أو على صبركم، وفي الخازن (دُعَاء لهم من الملائكة أي: سلمكم الله بما صبرتم) وفي السياق إيجاز حذف خبر وتقديره: سلام عليكم جزاءً وثواب بما صبرتم أو على صبركم<sup>(104)</sup>.

وفي تكريم بني إسرائيل بالتوراة المنزل عليهم قال الله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(105)</sup>، أي جعلنا من بني إسرائيل أئمة يهدون الناس بأمرنا لما الصبر عدتهم والإيمان يقينهم، وقد جعل لهم التوراة هدى، وفي السياق أسلوب امتنان وتكريم، أي كان فوزهم أن جعلنا منهم أئمة لما صبروا .

ومن الذين فازوا بصبرهم المهاجرون، حيث قال الله - تعالى - فيهم: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(106)</sup>، الذين صبروا عندما هاجروا من مكة إلى المدينة، مع الرسول (ﷺ) صابرين على أذى المشركين لهم، يقول الشافعي: (يتوكلون) المعنى للماضي بصيغة المضارع، لاستحضار صورة توكلهم البديع، وفيه ترغيب لغيرهم في طاعة الله، وجاء الالتفاف من الماضي في (صبروا) إلى المستقبل (يتوكلون) بصيغة المضارع لنفس المعنى السابق<sup>(107)</sup>، وفي قوله - سبحانه -: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحَسَنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(108)</sup>، كان فرعون من ألد الأعداء لبني إسرائيل حتى صنع بهم ما صنع من تقتيل وتشريد، ولكن الله - تعالى - عادل في ملكه منصف في خلقه، فأراد أن يجعل بني إسرائيل جزاءً لهم عما صبروا من فرعون وقومه، بأن يجعلهم الوارثين للأرض والمعمرين فيها، وبهذا تحققت كلمة الله الحسنى - كلمة الحق والصواب - في قوله - تعالى -: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ الفاء سببية، أي بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه.

وفي موضع آخر قال الله - تعالى -: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(109)</sup>، أي قال موسى لقومه من

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

بني إسرائيل استعينوا بالله على الشدائد واصبروا، فإن الأرض له يجعلها ميراثاً و ملكاً لمن يشاء من عباده المتقين، ويرى الباحث أنه قد عطف بالواو في جملي (استعينوا بالله واصبروا)؛ لأن الجملتين اتفقتا خبراً وإنشاءً، كما الاتصال لاتفاقهما لفظاً ومعنى بين الاستعانة والصبر.

سابعاً-الصبر في المعاملات الإنسانية كما في قوله - تعالى-: ﴿وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾<sup>(110)</sup> جاء الإطناب في السياق القرآني للمساواة بين الصابرين وأصحاب الثواب العظيم، وفي الآية كمال الاتصال بين الجملتين لاتفاقهما لفظاً ومعنى، فالصابرون هم أصحاب الثواب والأجر العظيم، وفي جملي (إلا الذين صبروا - وإلا ذو حظ عظيم" أسلوب قصر، فالمقصود عليه ما ذكر بعد إلا<sup>(111)</sup> .

ومن الصبر في المعاملات قوله-تبارك وتعالى-: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(112)</sup> (المعزومات) أي: المطلوبات معاملتهم بين الناس شرعاً، ومنها الصبر والمغفرة؛ لأنهما محمودة العاقبة بين الناس جميعاً<sup>(113)</sup>، بأسلوب التشويق والترغيب، وفي السياق التفاضل بسماع ما يسر المخاطب، وجاء التتميم في قوله - تعالى-: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ لكمال الفائدة .

وفي قوله-سبحانه-: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾<sup>(114)</sup> في السياق إطناب غرضه المساواة بين الصبر والرحمة والتبني لفضلهما، والفعل (تواصوا) ماضي اللفظ مضار المعنى للتأكيد على استمراريته مستقبلاً، وقد يكون للتدليل أيضاً وهو الإتيان بجملة عقب الجملة الأولى تشتمل على معناها للتأكيد عليها<sup>(115)</sup>.

وقال - سبحانه وتعالى- على لسان الخضر مع موسى - عليهما السلام-: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾<sup>(116)</sup>، نفى عنه استطاعة الصبر معه، بأدوات التوكيد، معللاً ذلك في الآية التي تليها... في قوله - تعالى-: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾<sup>(117)</sup>، جيء بأسلوب الاستفهام ملزماً موسى بالصبر ومعلناً له بعدم إحاطته بما سيجري، ويقول الله - تعالى-: ﴿لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾<sup>(118)</sup>، مؤكداً ذلك بأسلوب التقرير لما كان بينهما من حديث سابق، وأسلوب التقرير هو (حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

بأمر ما<sup>(119)</sup>، أي كيف تصبر يا موسى وأنت نبي على ما نرى من أمور ظواهرها مناكير ويواطنها لم يُحط في خبيرك؟ وفي قوله - جلّ شأنه-: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾<sup>(120)</sup>، (صابراً) في موضع حال بما يفيد الاستمرارية في الصبر، بصيغة اسم الفاعل، وعندها قال: الخضر لا تسألني عن شيء أعمله حتى أكون أنا البادئ بإخبارك عنه، ويتكرر الخضر والحاحه لموسى قال الله - تعالى-: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾<sup>(121)</sup>، بأسلوب الاستفهام التقريري، وجاء النفي، لاعتبار ما سيكون من عدم احتمال الصبر، ويلاحظ الباحث أنه جاء في الآية بلفظ (تستطيع) بدلا من (تستطيع) بالتخفيف؛ لأنه لا مجال لموسى من معرفة ما سينبئ به صاحبه، وقال - سبحانه-: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>(122)</sup>، أي لقد شرطت عليك عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني، إذن فهو فراق بيني وبينك يا موسى، وعليه جاء الجواب بأسلوب التوضيح و التفسير في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>(123)</sup>، أي هذا تفسير ما ضقت به ذراعاً، ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداءً، وعندما فسره له وبيّنه ووضحه وأزال مشكله قال: (ما لم تستطع)؛ لأن قبل ذلك كان الإشكال في التفسير وتوضيح السبب عما حدث، فكان الرد قوياً، فقابل الأثقل بالأثقل منه، والأخف بالأخف، فكيف لا؛ لأنه الصبر الذي يحتاج إلى عزيمة وإرادة قوية، وهو ما حصل من أنبياء الله الصالحين -عليهم السلام-<sup>(124)</sup>.

ثامناً: الصبر مع العمل وأما الصبر واقتترانه بالعمل، فقد جاءت الأغراض البلاغية له في المواضع القرآنية التي منها: قول الله - تعالى-: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(125)</sup>، جاء السياق بأسلوب القصر أو الاستثناء للذين صبروا وعملوا الصالحات، وقُدّم الصبر على العمل الصالح؛ لأن في الصبر جزاء من الله وفي العمل منفعة، والفعالان: (صبروا . وعملوا) ماضيين لفظاً مضارعين معنى، والمعنى من السياق للذين كفروا وبأسوا من رحمة الله، وفي الصحيحين قال رسول الله (ﷺ): (والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن)<sup>(126)</sup>.



الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

وفي قوله - سبحانه - ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾<sup>(127)</sup> لقد قرُن الصبر بالإيمان والعمل الصالح، وتواصوا المؤمنون بعضهم بعضاً بهذه الخصال الحميدة وهم المستثنون من الخسران والهلاك، ومثلما ذكر سابقاً الفعل (تواصوا) ماض لفظاً ومضارع معنى، وقيل: (أرض واصية) أي متصلة النباتات، وجاء الإطناب في النص للتفصيل والتوضيح .

تاسعاً: الصبر على الشهوات كما جاء في قول الله - تعالى - : ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾<sup>(128)</sup>، وفي السياق إيجاز حذف، وحذف المفعول به للصابرات، لتقدم ما يدل عليه، والتقدير: والصابرات ها، وحسن الحذف لرؤوس الفواصل في الآية، وكذلك في قوله - تعالى - : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾<sup>(129)</sup>، والمعنى أي: استعينوا على ما تحبون من شهوات الدنيا، وقد تضمنت هذه الآية الكريمة توبيخ أخبار اليهود على نصحهم لغيرهم وتركهم لأنفسهم، وفي جملة (استعينوا بالصبر) إيجاز حذف جملة للاختصار؛ لأنه أبلغ من الذكر لإظهار المعنى .

**الخاتمة:**

بعد هذا البحث الموجز لأنواع الصبر وأغراضه البلاغية في القرآن الكريم، والذي نهجت فيه المنهج الوصفي والتحليلي، قد ارتأيت أن استخلص أهم النتائج المهمة التي توصلتُ إليها والتي منها:

- 1 - الصبر وأنواعه: الصبر في العبادة، وصبر أولي العزم من الرسل، ثم الصبر على عناد الكافرين، والصبر لنيل الفوز في الدنيا والآخرة، والصبر في المعاملات الإنسانية ثم الصبر المقرون بالعمل الصالح، والصبر على الشهوات والملذات الدنيوية .
- 2 - للصبر دلالات وأغراض بلاغية تعمق مفهوم الصبر وأهميته في القرآن الكريم .
- 3 - غرس الصبر في النفوس مبدأ من مبادئ العقيدة والتسليم والرضا بالقضاء والقدر .
- 4 - توجيه النفس البشرية للقناعة، والامتثال لأمر الله - تعالى - .

الصبر في القرآن الكريم أنواعه وأغراضه البلاغية

5 - من لا صبر له لا إيمان له، وبهذا قد جاء الصبر مقروناً بالطاعات في الكثير من المواضع في القرآن الكريم، وأن أقوى أنواع الصبر: الصبر على الابتلاء، والصبر على ارتكاب المعصية.

**الهوامش:**

- 1- ينظر: لسان العرب، لابن منظور أبو الفضل جمال الدين، دار الحديث، ج:1، القاهرة، 1423هـ - 2003، ص: 224/ وينظر: مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي، ط:1، دار الكتب المصرية، ص: 335 .
- 2 - ينظر: منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، ط:1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص: 116 .
- 3 - ينظر: التفسير الوسيط، لسورتي الفاتحة والبقرة، محمد سيد طنطاوي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1974، ص: 390 .
- 4 - من الآية (65) سورة مريم .
- 5 - ينظر: معاني القرآن، للأخفش، تحق/ فائز فارس، ج/1، ط:3، دار البشر والأمل، بيروت، 1981، ص: 17 .
- 6 - ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، م:3، ص: 275 .
- 7 - ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ج:1، ص: 253.
- 8 - من الآية (132) .
- 9 - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، م:9، تحق/ عبد الرحمن سراج عبد الغفار، القاهرة، 193، ص: 36.
- 10 - من الآية (28) سورة الكهف .
- 11 - الفتوحات الإلهية، على تفسير الجلالين، للشافعي، ج:3، ط:1، ص: 20 .
- 12 - من الآية (17) سورة آل عمران .
- 13 - من الآية (35) سورة الأحقاف .
- 14 - من الآية (10) سورة المزمل .

- 15 - ينظر: حاشية الصاوي، على تفسير الجلالين، للصاوي، ج:2، ط:1، ص:186.
- 16 - من الآية (130) سورة طه .
- 17 - من الآية (39) سورة ق .
- 18 - ينظر: الفتوحات الإلهية، لشافعي ج :4، ص:67، وينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ط:1، ص:294 .
- 19 - من الآية (17) سورة ص .
- 20 - ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج:2، ص:80 .
- 21 - من الآية (48) سورة الطور .
- 22 - من الآية (48) سورة القلم .
- 23 ينظر: الفتوحات الإلهية، للشافعي، ج:3، ص:25 .
- 24 - من الآية (109) سورة يونس .
- 25 - ينظر: تفسير القرآن الكريم، لابن كثير، ج:2، ص:604 .
- 26 - من الآيتين (126-127) سورة النحل .
- 27 - ينظر: أحكام القرآن، الأندلسي، ج:3، ص:152 .
- 28 - من الآية (115) سورة هود .
- 29 - ينظر : من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية أسلوبية، للزبيعي، ص:190 .
- 30 - من الآية (7) سورة المدثر .
- 31 - المصحف المفسر، للقرآن الكريم، محمد فريد وجدي، ط:1، ص:776 .
- 32 - من الآية (34) سورة الأنعام .
- 33 - من الآية (18) سورة يوسف .
- 34 - ينظر: معاني القرآن الكريم، لأبي زكريا يحيى الفراء، ج:2، ص:39 .
- 35 - من الآية (83) سورة يوسف .
- 36 - ينظر: م:السابق، معاني القرآن الكريم، للفراء، ج:2، ص:53 .
- 37 - من الآية (90) سورة يوسف .

- 38 - من الآية (146) سورة آل عمران .
- 39 - من الآية (49) سورة هود .
- 40 - من الآية (27) سورة القمر .
- 41 - ينظر : حاشية الصاوي، على تفسير الجلالين، للصاوي، ج:4، ص:192.
- 42 - من الآية (102) سورة الصافات .
- 43 - من الآية (17) سورة لقمان .
- 44 - ينظر: روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للأوسى، م:11، ص:348 .
- 45 - من الآية (85) سورة الأنبياء .
- 46 - ينظر: م:السابق، روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للأوسى، م:8، ص:175 .
- 47 - من الآية (44) سورة ص .
- 48 - ينظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج:3، ص:188.
- 49 - من الآية (155) سورة البقرة .
- 50 - ينظر : التفسير الوسيط، لسورتي الفاتحة والبقرة، ص :396.
- 51 - من الآية (186) سورة البقرة .
- 52 - ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ط:1، ص:302 .
- 53 - من الآية (177) سورة البقرة .
- 54 - ينظر : م : السابق، التفسير الوسيط، لسورتي الفاتحة والبقرة، ص:457،
- 55 - معاني القرآن، للفراء، ج:1، ص:105 .
- 56 - من الآية (35) سورة الحج .
- 57 - من الآية (200) سورة آل عمران .
- 58 - ينظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، م:3، ط:1، ص:104 .
- 59 - من الآية (142) سورة آل عمران .

- 60 - من الآية (46) سورة الأنفال .
- 61 - ينظر : الفتوحات الإلهية، على تفسير الجلالين، ج:2، ص:247.
- 62 - من الآية (110) سورة النحل .
- 63 - ينظر : م.السابق، الفتوحات الإلهية، ج:3، ص:301 .
- 64 - من الآية (31) سورة محمد .
- 65 - ينظر : م.السابق، الفتوحات الإلهية، ج:4، ص:117.
- 66 - من الآية (125) سورة آل عمران .
- 67 - ينظر : حاشية الصاوي، على تفسير الجلالين، ج:1، ص:236.
- 68 - من الآية (249) سورة البقرة .
- 69 - من الآية (65) سورة الأنفال .
- 70 - معاني القرآن، للفراء، ج:1، ص:417.
- 71 - من الآية (66) سورة الأنفال .
- 72 - ينظر : حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن محمد، ج:1، ص:313 .
- 73 - من الآية (250) سورة البقرة .
- 74 - ينظر : التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، م:4، ص:119 .
- 75 - أسرار البلاغة، في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجرجاني، ج:1، ص:218 .
- 76 - من الآية (126) سورة الأعراف .
- 77 - من الآية (120) سورة آل عمران .
- 78 - ينظر : الفتوحات الإلهية، على تفسير الجلالين، ج:1، ص:308 .
- 79 - من الآية (21) سورة إبراهيم .
- 80 - من الآية (42) سورة الفرقان .
- 81 - ينظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، م:8، ص:249 .
- 82 - من الآية (6) سورة ص .
- 83 - ينظر : المصحف المفسر، للقرآن الكريم، ص:598 .

- 84 - من الآية (5) سورة الحجرات .
- 85 - ينظر : روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، م:8، ص:200 .
- 86 - من الآية (80) سورة القصص .
- 87 - ينظر : علوم البلاغة في ( المعاني والبيان والبدیع ) للمراغني، ط:6، ص:154 .
- 88 - من الآية (24) سورة فصلت .
- 89 - من الآية (16) سورة الطور .
- 90 - ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، م:4، ص:23 .
- 91 - من الآية (175) سورة البقرة .
- 92 - من الآية (111) سورة المؤمنون .
- 93 - من الآية (75) سورة لقمان .
- 94 - معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، محمد صالح مخيمر، ط:1، ص:16 .
- 95 - من الآية (12) سورة الإنسان .
- 96 - من الآية (54) سورة القصص .
- 97 - أخرجه البخاري، ص92، ومسلم، ص:54، والترمذي، ص:16، والنسائي، ص:344.
- 98 - من الآية (10) سورة الزمر .
- 99 - أخرجه الترمذي، ص:150، والنسائي، ص:2776 .
- 100 - من الآية (22) سورة الرعد .
- 101 - ينظر : الفتوحات الإلهية، على تفسير الجلالين، ج:2، ص:596.
- 102 - من الآية (22) سورة الرعد .
- 103 - من الآية (24) سورة الرعد .
- 104 - ينظر : م. السابق، الفتوحات الإلهية، ج:2، ص:205 .
- 105 - من الآية (24) سورة السجدة .

- 106 - من الآية (42) سورة النحل .
- 107 - ينظر : م. السابق، الفتوحات الإلهية، ج:2، ص : 571 .
- 108 - من الآية (137) سورة الأعراف .
- 109 - من الآية (128) سورة الأعراف .
- 110 - من الآية (35) سورة فصلت .
- 111 - ينظر : التعبير القرآني، دراسات بيانية، في الأسلوب القرآني، ط:1، ص:163 .
- 112 - من الآية (43) سورة الشورى .
- 113 - التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ط:1، ص:416 .
- 114 - من الآية (17) سورة البلد .
- 115 - علوم البلاغة في ( المعاني والبيان والبديع )، ط:6، ص:198 .
- 116 - من الآية (67) سورة الكهف .
- 117 - من الآية (68) سورة الكهف.
- 118 - من الآية (72) سورة الكهف.
- 119 - م: السابق، علوم البلاغة في ( المعاني والبيان والبديع )، ط:6، ص:95.
- 120 - من الآية (69) سورة الكهف.
- 121 - من الآية (75) سورة الكهف.
- 122 - من الآية (78) سورة الكهف.
- 123 - من الآية (82) سورة الكهف.
- 124 - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج:3، ط:1، ص:83.
- 125 - من الآية (11) سورة هود .
- 126 - ينظر : الفتوحات الإلهية، ج:2، ص:410 .
- 127 - من الآية (3) سورة العصر .
- 128 - من الآية (35) سورة الأحزاب .
- 129 - من الآية (45) سورة البقرة .

المصادر والمراجع:

- 1- لسان العرب، لابن منظور، دار الحديث، ج:1، القاهرة، 2003، مُختار الصحاح، لأبي بكر الرازي، ط:1، دار الكتب المصرية، القاهرة، لا.ت .
- 2 - منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، ط:1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2000 .
- 3 - التفسير الوسيط، لسورتي الفاتحة والبقرة، محمد سيد طنطاوي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1974 .
- 4 - معاني القرآن، للأخفش، تحق/فائز فارس، ج:1، ط:3، دار البشر والأمل، بيروت، 1981.
- 5 - معاني القرآن، للفراء، ج:1، ط:1، دار عالم الكتب، بيروت، 1986.
- 6 - البرهان في علوم القرآن، للزركشي تحق / محمد أبو الفضل إبراهيم، م:3، مكتبة التراث، القاهرة، 1968 .
- 7 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ج:1، تقديم / أحمد الحوفي - بدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، 1923 .
- 8 - روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الألوسي، م.9، تحق/ عبد الرحمن سراج عبد الغفار، القاهرة، 1983 .
- 9 - الفتوحات الإلهية، على تفسير الجلالين، للشافعي، ج:3، ط:1، القاهرة، لا.ت .
- 10 - حاشية الصاوي، على تفسير الجلالين، للصاوي، ج:2، ط:1، تحق/ صدقي محمد جميل، بيروت، 2007 .
- 11 - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج:2، ط:1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2003 .
- 12 - من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية أسلوبية، للزويجي، ط:1، دار النهضة العربية، بيروت، 1996 .
- 13 - المصحف المفسر للقرآن الكريم، محمد فريد وجدي، ط:1، مطبعة دار الشعب، القاهرة، لا.ت .



- 14 - جواهر البلاغة في ( المعاني والبيان والبديع )، السيد أحمد الهاشمي، ط:1، دار الكتب العلمية، القاهرة، لا.ت .
- 15 - حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن محمد، ج:1، ط:1، تحق/سيد الأفغاني، بنغازي، 1974 .
- 16 - التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، م:4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981 .
- 17 - أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجرجاني، ج:1، تحق/السيد محمد رشيد، بيروت، 1928 .
- 18 - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، م:8، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967 .
- 19 - علوم البلاغة في ( المعاني والبيان والبديع )، أحمد مصطفى المراغني، ط:6، القاهرة، 1972 .
- 20 - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، م:4، تحق/ محمد مرسي، القاهرة، 1987 .
- 21 - معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، محمد صالح مخيمر، ط:1، دار الكتاب للطباعة والنشر، الأردن، 2005 .
- 22 - التعبير القرآني، دراسات بيانية في الأسلوب القرآني، فاضل السامرائي، ط:1، دار الفجر، بغداد، العراق، 2008 .

#### مقدمة:

تعد السيمائية من العلوم الحديثة، والتي وصفت بأنها العلم الشامل لكل انطاق التواصل اللغوية وقر اللغوية، ولها علاقة مباشرة مع كل العلوم، وبأن موضوعاتها غير محددة على مجال معين على اعتبار أن الدلالة هي القاسم المشترك بين مختلف العلوم؛ فهي الاداة التي بها نستطيع قراءة السلوك الإنساني في أشكاله المختلفة. ويرجع ظهورها إلى النصف الاول من القرن الماضي، حيث ركزت اهتمامها بجميع السياقات اللسانية وغير اللسانية وتبحث عن المعاني ودلالاتها ووظائفها. ويرجع أساسها الاول إلى الاصول البنوية.

ويشير الباحث هنا إلى أن السيميولوجيا، والسيميوطيقا هما كلمتان مترادفتان لمعنى السيمائية في اللغة العربية وأن استخدامهما في هذه الورقة البحثية، لا يهدف للتقريب بينهما رغم وجود بعض الاختلافات الدلالية.

ويؤكد (تشاندرلر) بأن السيمائية هي دراسة الاشارات؛ وهي ليست محض منهج لتحليل النصوص، انما هي تتضمن نظرية الاشارات وتحليلها، اضافة الى الشفقات والممارسات الدالة. (1)

وترى (نسة) بأن علم السيميولوجيا يهتم بالإشارات، والدلالات التي تعكس المفاهيم الثقافية والاجتماعية المتعددة للظواهر، وايضا يولي أهمية خاصة للإشارات التي تعكسها الأدوات، والتقنية للوسيلة، وتأثيرها على المضمون المعرفي للرسالة، لاسيما، وان العلوم السيمائية قد فسحت مجالات متعددة لتحليل ودراسة هذا الجانب. وتعد هذه الحقائق من الاساسيات في هذه العلوم. (2)

لقد بات من المسلمات النظر الى السيمائية، بانها مدخلٌ منهجي، يجمع مناهج اكااديمية واعية، متنوعة، نفسية، واجتماعية، وبنوية، وتقنيكية... وغيرها في زمن تكنولوجيا الاتصالات والتي وصفها (مارشال ماكلوهان) بأنها استطاعت ان تمدد اجسادنا وحواسنا،

*السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها*

فقربت إلينا البعيد، وجعلتنا نصغي اليه، ونقرأه ونكتبه، ونحاوره، ويات الخطاب الإعلامي يتوفر على بنية عميقة، وآخر سطحية تنتجها الأولى، بما تمتلكه من خلفيات اجتماعية وثقافية وتاريخية، في سياق يربط الصورة بالكلمة.<sup>(3)</sup>

وبالتالي فهي "علم الاشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها، وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من اشارات ورموز هو نظام ذو دلالة، والسيمياء بدورها تختص بدراسة وبنية هذه الاشارات وعلاقتها في هذا الكون وكذا توزيعها ووظائفها الداخلية والخارجية.<sup>(4)</sup>

وتعد السيميائية حقلا من حقول المعرفة التي وسمت الدراسات الحديثة، ومنذ ظهورها، وهي تهتم بتفسير معاني الدلالات، والرموز، والاشارات. ورغم تعدد مصطلحاتها ودلالاتها، فقد قدمت خدمات جليلة للدرس الحديث، وهي تعترف بأن الكون كل نظامه قائم على رموز وإشارات ذات دلالة، ومن تم تدرس السيميائية بنية الاشارات وعلاقتها في هذا الكون وتوزعها ووظائفها الداخلية والخارجية.<sup>(5)</sup>

ويذكر (مازن) بأن أحد أكثر طرق التفكير بالإعلام قوة وتأثيراً في زمننا هذا هو المقاربة التي تعرف بالسيمياء او السميولوجيا، والتي تعني "علامة" او اشارة ، وهي طريقة تحليل المعاني بواسطة النظر الى العلامات، والكلمات مثلاً، وكذلك الصور، والرموز، وسواها التي توصل المعاني، ولأن المجتمع مغطى تماماً بالرسائل الاعلامية فان بوسع السيميائيات ان تسهم الى مدى ابعد من حدود فهمنا للإعلام بالمعنى الضيق، اي باعتباره مجموع منتجات اعلامية عامة.<sup>(6)</sup>

وبالتالي فإن الإعلام أيضاً من ضمن العلوم التي استفدت من الطرح السيميائي في معالجة الواقع وإعادة إنتاجه، من خلال النظر إلى الرسائل الإعلامية، والتي لم تعد فقط نقل الوقائع، والاحداث، والايخبار، بل مقاربتها سيميائياً بوصفها تمثلاً للواقع وإعادة بناء له.

ومن هنا يمكن القول بأن السيميائية تدرس العلامات ودلالاتها المختلفة لأجل البحث عن معاني هذه الدلالات ووظائفها المختلفة وهذا ينطبق على علم الإعلام الذي مبني في اساسه على رسائل، وصور، وحركات، ولغة منطوقة، أي أن الإعلام هو رسائل لغوية، وصور بصرية محمليتين بدلالات مختلفة وبالتالي فهي صورة أخرى للسميائية.

السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها

وتكمن أهمية هذه الدراسة لتسليط الضوء على بعض المفاهيم الاساسية للسيمائية، وكذلك التطرق لأهم المدارس والاتجاهات لهذا العلم وبالتالي يمكن القول بأن هذا الموضوع جدير بالبحث، والدراسة، والاهتمام وذلك لكونه من الموضوعات الحديثة في المكتبة العربية بشكل عام والمكتبة اللببية بشكل خاص وهذا بحسب علم الباحث.

**وتتحدد مشكلة الدراسة في طرحنا للتساؤلات التالية:**

1- ما مفهوم السيمائية، و أصولها التاريخية؟

2- ما أهم المدارس السيمائية؟

3- ما أهم الاتجاهات التي انبثقت عنها؟

**أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مفهوم السيمائية، وعلاماتها، واهدافها كعلم، وعلاقتها بالعلوم الاخرى. كما تهدف إلى معرفة أهم مدارسها واتجاهاتها.

وستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة القائم على جميع المعلومات والبيانات من المراجع ذات العلاقة وذلك لبناء الاطار المعرفي من خلال محورين رئيسيين ومن تم الوصول إلى جملة من النتائج.

وقد جاء المحور الأول كمدخل عام للسيمائية، والمحور الثاني تمثل في الحديث عن أبرز المدارس والاتجاهات لهذا العلم.

**المحور الاول: مدخل عام عن السيمائية:**

إن حقيقة تاريخ السيمائية يعود في أصوله الاولى إلى البحوث الفلسفية في إطار عام لنظرية المعرفة، و بذلك فإن الافكار الفلسفية تمثل الاصول المعرفية التي تقوم عليها كل المناهج؛ كما تختص السيمائية في ارتباطها الاول بمفهوم العلامة من حيث جذورها؛ هذه العلامة التي تجسدت مفاهيمها في علاقتها باللغة منذ العهود القديمة الاولى عند الاغريق إلى جانبهم الرواقيين مروراً بالمفكر أوغسطين، حيث تأخذ مرحلته إلى بلورة نظرة عامة للعلامات بما فيها العلامة اللسانية، إلى أن يأتي الفيلسوف (جون لوك) الذي يعد أول من استعمل مصطلح السيمائية.<sup>(7)</sup> ومع بداية القرن العشرين بشر عالم اللسانيات السويسري

*السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها*

(فرناندو دو سوسير) بميلاد علم جديد اطلق عليه اسم "السيمولوجيا"، سيكون مهمته هي دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، ولقد كانت الغاية المعلنة والضمنية لهذا العلم هي تزويدنا بمعرفة جديدة ستساعدنا على فهم افضل لمناطق هامة من الوجود الانساني بأبعاده الفردية، والاجتماعية، والتي ظلت مهمة لوجودها خارج دائرة التصنيفات المعرفية التقليدية. وفي نفس الفترة التاريخية تقريبا كان الفيلسوف الأمريكي (شارل سندررس بورس) في الضفة الأخرى من المحيط الأطلسي، يدعو الناس إلى تبني رؤية جديدة في التعاطي مع الشأن الإنساني- وقد أطلق على هذه الرؤية السيميوطيقا، والتي عربت إلى السيميائية<sup>(8)</sup> وتأسيساً على ذلك فإن السيميائيات بوصفها علماً جديداً لم يولد في استقلالية تامة عن العلوم، بمعنى أنه لم يستند إلى مرجعية مبدئية وفلسفية ومعرفية، بل استمد أصوله، ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات، والفلسفة، والمنطق، والتحليل النفسي، والاجتماعي، والأنثروبولوجيا. ومن هذه الحقول استمدت السيميائيات أغلب مفاهيمها وطرق تحليلها. كما أنه موضوع غير محدد في مجال بعينه، فالسيميائيات تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني: إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى.

ويؤكد (بنكراد) بأن كل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعاً للسيميائيات. وبعبارة أخرى فإن كل ما تضعه الثقافة بين ايدينا هو الأصل في الأصل والاشتغال علامات تخبر عن هذه الثقافة، وتكشف عن هويتها، فالضحك، والبكاء، والفرح، واللباس، وطريقة استقبال الضيوف، وإشارات المرور، والطقوس الاجتماعية، والأشياء التي نتناولها فيما بيننا، وكذلك النصوص الأدبية، والأعمال الفنية، كلها علامات نستند إليها في التواصل مع محيطنا. فكل لغة من هذه اللغات تحتاج إلى الكشف عن القواعد التي تحكم طريقتها في إنتاج معانيها<sup>(9)</sup>

وبالتالي يمكن القول بأن السيميائيات فتحت أمام الباحثين، افقاً جديدة في تجديد الوعي الثقافي من خلال إعادة النظر في طريقة التعامل مع قضايا المعنى، ودراسته.

### علم العلامات:

عرف (فرديناد دو سوسير Ferdinand de Saussure) علم الرموز (العلامات) بأنه العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية.<sup>(10)</sup> ويرجع اصل كلمة السيميولوجيا إلى الكلمة اليونانية ( Semeion ) ومعناها العلامة، وهي مركبة من العلامة، ولوغوس (Logos) هو العلم، وبالتالي فإن كلمة سوسيولوجيا تعني علم العلامات. والسيميائية علم خاص بالعلامات، هدفها دراسة المعنى الخفي لكل نظام علاماتي، فهي تدرس لغة الانسان، والحيوان، وغيرها من العلامات غير اللسانية باعتبارها نسق من العلامات مثل علامات المرور، وأساليب العرض في واجهة المحلات التجارية، والخرائط والرسوم البيانية وغيرها.<sup>(11)</sup>

ويقول (سوسير) في هذا الصدد " أن اللغة نظام من العلامات التي تعبر عن افكار، ومن هذه الناحية، فهي مماثلة للكتابة، وأبجدية الصم، والبكم، والطقوس الرمزية، وصيغ الاحترام، والإشارات العسكرية، ورغم هذه المماثلة تبقى اللغة أهم الانظمة. ولذلك يمكن ان نؤسس علماً يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، فيشكل هذا العلم جزءاً من علم النفس الاجتماعي وسنطلق عليه اسم علم العلامات أو السيميولوجيا، وسوف يكون علم اللغة قسماً من السيميولوجيا".<sup>(12)</sup> وفي نفس الفترة تقريباً بالولايات المتحدة الأمريكية ظهر الفيلسوف (شارل سندر بيرس) منشغلاً بهذا العلم الجديد (علم العلامات) وتحت مسمى آخر جديد (السيمبوتيقا \_ Semiotique) والذي يعني به دراسة الظواهر العلاماتية من حيث طبيعتها وخواصها وأنساقها دون معرفة مسبقة بتنبأ سوسير.<sup>(13)</sup>

وتعد السيميوطيقا منهجية تحليلية، تشغل في مقارنة النصوص والخطابات، والأنشطة البشرية تفكيراً وتركيباً، وتحليل، وتأويلاً، أو هي بمثابة القسم التطبيقي للسيميولوجيا.<sup>(14)</sup>

### إشكالية المصطلح بين (السمياتيات - السيميولوجيا - السيميوطيقا)

لقد تنوعت التسميات لمصطلح (السيميولوجيا، حيث ذهبت بعض المراجع إلى تسميتها بهذا الاسم والذي يرجع أصله إلى العالم السويسري (سوسير) قاصداً به العلم الذي يعني بالعلامات والدلالات، واللفظة مشتقة من الأصل اليوناني (semeion) وتعني الدليل. في

*السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها*

حين وضع الفيلسوف الأمريكي (بوريس) لفظة (سيميوطيقا) للدلالة على العلم نفسه كما اشرنا ذلك انفا، ولفظة ( semiotic ) يوناني الاصل تم وضعها من طرف (جالينوس) ليعني بها علم الأعراض في الطب. أما في المجال العربي، نلاحظ بأن قضية تسمية هذا المفهوم مطروحة بحدده. ذلك أن القارئ يواجه تعددا وتباينا مصطلحيا يضعه في الحيرة والارتباك. فإذا كان بعض الدارسين لجأوا إلى استخدام لفظة ( La sémiologie ) من اللغة الفرنسية، وتعريبها عن طريق إضافة مقطع في آخر الكلمة، متكون من ياء مزيدة بعد الجيم المكسورة، ثم إشباعها بمد مفتوح، لتجانس الصيغة المألوفة في تعريب أسماء العلوم شأن (البيولوجيا والسوسولوجيا) فقد أثر فريق آخر تعريب اللفظة الإنجليزية (Semiotics) عن طريق قلب كافها قاف، وتائها إلى طاء بحكم الجوار الصوتي، وطلباً للمجانسة الصوتية بين الإطباق الصوتي والاستعلاء، تم إشباعها بمد مفتوح، فجاءت تركيبية المصطلح كالآتي: (سيميو طيقا). ومال فريق ثالث إلى البحث عن كلمة عربية أصيلة تقي بالغرض، وتؤدي المعنى المراد بالمصطلح أحسن أداء، فوجدوا ضالتهم في مادة لغوية عربية تتضمن معنى الإشارة أو العلامة، وهي لا تقترب من اللفظة العربية في دلالتها فحسب، بلحتى في تركيبها الصوتي، إنها لفظة سيمياء مقابلاً للمصطلحين الفرنسي والإنجليزي، لاسيما أن صيغته الصرفية ليست غريبة عن صيغة أسامي العلوم في العربية، كاستعمال لفظة الكيمياء للدلالة على المادة، والفيزياء للدلالة على علم الطبيعة، لكن خوف اللبس دفع بعض الدارسين إلى استعمال اللفظة في صيغة الجمع (سيميايات). و ذلك لتتصرف دلالتها إلى العلم، مثلما هو الشأن مع علم الرياضيات<sup>(15)</sup>

ورغم اختلاف التسميتين واختلاف المنطلقات الابستمولوجيا فإن السيميايات ستنشع، عند المؤسسين معاً، حالة من وعي معرفي جديد لا حد لاستعداداته، فقد تبنت نتائجها النظرية، والتطبيقية علوم كثيرة كالأنثروبولوجيا، والسوسولوجيا، والتحليل النفسي، والتاريخ، والخطاب الحقوقي، وكل ما له صلة بالآداب، والفنون البصرية، وغيرها. بل لقد شكلت السيميايات، منذ الخمسينيات من القرن الماضي، في المجال الأدبي، تياراً فكرياً أثرى الممارسات النقدية المعاصرة وأمدتها بأشكال جديدة لتصنيف الوقائع الادبية وفهمها وتأويلها. <sup>(16)</sup>

## العلامة اللغوية:

يرى (سوسير) أن العلامة اللغوية لا تفرق شيئاً باسم، وإنما تفرق مفهوماً بصورة سمعية عنه. والمقصود بذلك أن الصورة السمعية ليست الصوت المسموع، أي الجانب المادي، بل هو الأثر النفسي الذي يتركه الصوت فينا. وبعبارة أخرى هو التصور الذي تنقله لنا حواسنا للصوت، فالنسق بين التصور، والصورة السمعية هو علامة. والعلامة اللغوية هي وحدة نفسية مزدوجة. والعنصرين (مفهوم- صورة سمعية) مرتبطان معاً ارتباطاً وثيقاً، ويتطلب وجود الواحد منهما الآخر.<sup>(17)</sup> ويذهب (سوسير) إلى أن العلامة اللغوية كعلاقة ثنائية بين دال (صورة صوتية) ومدلول (فكرة) أو (مفهوم ذهني) لا تشير إلى الواقع الفعلي الطبيعي بل تكنفي بصورة ذهنية عنه، فمثلاً كلمة شمس هي علامة والحروف (ش، م، س) هي الدال وما تثير في ذهن المتلقي هو المدلول، أو فكرة الشمس وليس الشمس الفعلية. ويؤكد (سوسير) أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، وليس لها مبررات منطقية أو دوافع طبيعية أو حوافز أو أوجه شبه لتدل على كوكب الشمس كمفهوم، أو مدلول هو واحد في كل العالم ولكن الدال الملازم له ليس واحد ولو كانت العلاقة بين الدال والمدلول طبيعية أو منطقية لكان هناك دال واحد ملازم لمدلول الشمس في كل الكون، وفي كل لغات العالم، فالعلاقة بين الدال والمدلول تخضع لأحكام اللغة ذاتها وليس لأحكام الطبيعة أو المنطق.<sup>(18)</sup> في حين اهتم (بيرس) بدراسة الرمز (Symbole)، واستخدمه بمعنى العلامة، والرمز عنده ذات ثلاثة أبعاد ويتضمن العلاقة بين العلامة، والموضوع، وبمعنى آخر فالعلامة عنده هي أي شيء من شأنه أن يرمز إلى شيء آخر موضوع يثير في ذهن المتلقي إشارة هي بمثابة معنى للإشارة الأولى. والمعنى هو يمثل المدلول عند دو سوسير أو المفهوم الناتج عن العلاقة بين العلامة والموضوع.<sup>(19)</sup>

ويوضح (بنكراد) بأن العلامة عند (سوسير) تختزل في عنصرين وترفض أن يتضمن تعريف العلامة عنصراً من خارج اللسان فالعلاقة ترتبط بين الدال والمدلول (بين صورة صوتية سمعية وتصور ذهني) لا بين أسم وشيء. وفي المقابل فإن السيميائيات عند (بيرس) ليست مرتبطة باللسانيات، فموضوع دراستها لا يختصر في اللسان، ذلك أن التجربة



*السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها*

الإنسانية (واللسان جزء منها) هي موضوع السيميائيات، كما أن العلاقة الرابطة بين الإنسان ومحيطه تتميز بكونها غير مباشرة، ويحكمها مبدأ التوسط، فالأشياء لا تدرك إلا رمزاً، أي تدرك باعتبارها جزءاً من نسق من العلامات، فما تدركه الذات ليس أشياء مفصولة عن وعي الذات. (20)

وبالتالي نرى بأن (بيرس) قد صنف العلامة إلى ثلاثة أصناف لتكون أكثر دقة، وتحديدًا وذلك على النحو التالي (21)

- المؤشر ( indice ) وهي الإشارة التي تتصل بشكل متلازم مع المدلول بعلاقة سببية، أو تقاربيه مثلما يشير الدخان إلى وجود نار، أو البرق والرعد يدلان على قدوم عاصفة.
- الأيقونة ( icone ) وهي الإشارة التي تمثل المدلول وتقيم علاقتها مع موضوعها من خلال الشبه الموجود بينهما، فالصورة الفوتوغرافية مثلا هي من العلامات الأيقونية لان بها شبه بين ما تمثله وموضوع الشخص. وبالتالي فإن المؤشر والأيقونة هما علامات لها دوافعها ومبرراتها أي وجود امكانية للتعليل بين الدال، والمدلول منطقيا أو فكرياً.
- الرمز ( Symbole ) وهو مثل علامة (x) أو العلامة المرورية، ويعتبر الرمز بمثابة العلامة اللغوية عند ( سوسير ) والتي تكون علاقتها بالموضوع اعتباطية أو عشوائية لا مبرر لها .

ويرى (بارث) بأن السيميولوجيا ما هي إلا نسخة من المعرفة الإنسانية، وهو بذلك فسخ المجال لدراسة الاساطير، والاهتمام بدراسة انظمة من العلامات التي لم يتحدث عنها (سوسير) كالأطعمة، والازياء والخطابات، والاعلانات الاشهارية وغيرها. (22)

ويؤكد (بارث) بأن السيميائية هي النظرية الصورية للعلامات، وبأنها تمثل الوصف الصوري لآليات انتاج الدلالة، وإقامة تصنيف للعلامات في حين ربط (بيرس) العلامة بالمنطق بحيث يمكن تعريف السيميائية من هذا المنظور بأنها النظرية العامة للعلامات وتم فصلها في الذهن، ويقصد (بيرس) بالعلامة كل ما يقوم بتبليغ مفهوم محدد عن موضوع بأي شكل كان. (23) وتأسيساً على كل ذلك يمكن القول بأن السيميولوجيا علماً يدرس حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية كما عرفها (سوسير)، أي دراسة حياة العلامات في

*السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها*

المجتمع مثل أساليب التحايا، وعادات الأكل، والشرب، والملابس، وغيرها عند مختلف الشعوب. وعليه يصبح موضوع السيميولوجيا هو دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة أو علامات تتمفصل داخل تركيب الاختلافات. وبأن السيميولوجيا علم جاء في الأساس ليهتم بالعلامات اللغوية وغير اللغوية، ولكنه مع ذلك اهتم في البداية بالعلامات اللغوية لارتكازه على علم اقدم هو علم اللسانيات.

**أهداف علم السيميائية:**

تعد السيميائية علم من العلوم الذي يخضع لضوابط ونواميس معينة، كما هو الشأن في العلوم الأخرى. وهناك من يرى بأن السيميائية هي منهجاً من المناهج أو وسيلة من وسائل البحث.<sup>(24)</sup> وهو من بين العلوم الحديثة وثمره من ثمار القرن العشرين، يدرس العلامات في إطار الحياة الاجتماعية، ويزعم لنفسه القدرة على دراسة الإنسان دراسة متكاملة من خلال دراسة العلامات المبتدعة من قبله، أي الإنسان لإدراك واقعه في آن واحد، فهو علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها واصلها، وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما يحتويه من علاقات ورموز هو نظام ذو دلالة وبالتالي يمكن القول بأن السيميولوجيا علم يدرس بنية الإشارة وعلاقتها بهذا الكون، وكذلك توزيعها، ووظائفها الداخلية والخارجية.<sup>(25)</sup>

ونستخلص مما سبق بأن السيميائية هي إحدى العلوم الحديثة التي انبثقت أهدافه من أهداف العلوم العام والمتمثل في فهم وتفسير الظاهرة ثم ضبطها والتحكم فيها وأخيراً التنبؤ بها.<sup>(26)</sup> ومن خلال هذه الأهداف الرئيسية في كل العلوم يصل أيضاً علم السيميائية من خلال فهم، وتفسير، والتنبؤ بالظواهر المستهدفة بالدراسة سوى كانت لغوية، أم غير لغوية إلى مبتغاه عن طريق تطبيقه لمنهجه.

**علاقة السيميائية بالعلوم الأخرى:**

تسعى السيميائية لأن تكون لها مكاناً مشتركاً بين مجموعة من العلوم مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وبصورة أوسع العلوم الإدراكية، والفلسفة، وخاصة أصولها المعرفية، واللسانيات، ومجالات التواصل، والفنون، والإعلام، وتزعم أنها قابلة للتطبيق على

السيمائية مفهوماً، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها

موضوعات اخرى كعلم الفضاء، وتشخيص الامراض، والحقوق، والاحوال الجوية، والموضة... وغيره.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل يستطيع السيميائي أن يحيط علماً بكل هذه الموضوعات المذكورة، وغيرها معاً؟

الإجابة لا، ولكن المهم في الامر هنا هو الأداة المنهجية التي تواجه نصه أو الحالة التي يعالجها، إذ من غير الممكن أن يكون الإنسان عالماً، وطبيباً، وفنائياً، وقانونياً، وفناناً، ولغوياً... في وقت واحد.

لكن السؤال الآخر هنا، ما هو القاسم المشترك بين هذه المجالات المختلفة؟ ألا يشوش هذا التوسع الكبير على صورة السيميائية؟

الإجابة هو أن الدلالة هي القاسم المشترك بينها، وهي التي تخلق حالة من الحوارية والانتظام فيما بينها، وترسم آلية بناء ادوات التقنية التي تخص كل هذه العلوم.<sup>(27)</sup>

إن السيميائية هي أساساً في مستواها الأعلى، متعددة الاختصاصات، على اعتبار أن حقلها يُعني بفهم ظواهر متعلقة بإنتاج المعنى في أبعاده الإدراكية، والاجتماعية، والتواصلية، إنها مجال بحث أكثر منها اختصاصاً في حد ذاتها، لها منهجيتها الموحدة وموضوعاتها المحددة.<sup>(28)</sup> كما توصف السيميائية بأنها العلم لكل انساق التوصل اللسانية وغير اللسانية، فهي بهذا نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته، ومن حيث مردوديته، وأساليبه التحليلية، له علاقات بمجموعة من الحقول المعرفية. كما أن موضوعه غير محدد في مجال بعينه، وإنما السيميائية هي أداة لقراءة السلوك الإنساني في مظاهره المختلفة.<sup>(29)</sup>

**المحور الثاني: المدارس والاتجاهات السيميائية:**

**أ- المدارس:**

يرى بعض العلماء بأن هناك مدرستين رئيسيتين للسيميائية هما :

1- المدرسة الأمريكية ورائدها (بيرس) ومعه (كارناب، وسيوك)

السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها

2- المدرسة الفرنسية ورائدها (دي سوسير) ومن سار على دربه مثل (بويسنس، وبريطو، ومويان، ورولان بارت)، وهناك اتجاهات فرعية يمثلها كريماس، وبوشنكي، وجوليا كريستيفا، ويعرف أحيانا بمدرسة باريس ومن أهم أعضائها (جوزيف كورتيس).

ويرى آخرون أن الاتجاه الروسي اتجاه رئيس ثالث.<sup>(30)</sup>

في حين يرى (حمداوي)<sup>(31)</sup> بأن مدارس السيمائية تتمثل في اربع اتجاهات يمكن

تلخيصها في التالي:

**1- المدرسة الامريكية:**

المدرسة الامريكية ورائدها الفيلسوف المنطقي (تشارل بيرس) وهو الذي اطلق على علم العلامات مصطلح السيميوطيقا، والتي استندت إلى المنطق، والظاهرية، والرياضيات، ومن تم فالسيميوطيقا تعد مدخل ضروري إلى المنطق، بل أن المنطق بمعناه العام ليس سوى تسمية اخرى للسيميوطيقا، كما يقول في ذلك (بيرس) وبالتالي فإن السيميوطيقا عنده مبنية على الرياضيات (صياغة الرضيات، واستنباط النتائج منها)، والمنطق، والفلسفة والظاهرية (تحليل مقولات، وتشكل الدليل). وأكد بيرس أن على أنه لم يكن بوسعها أن يدرس أي شيء، مثل الرياضيات، والاخلاق، والميتافيزيقا، والجاذبية، وعلم الاصوات، والاقتصاد، والتاريخ، وغيرها من العلوم، إلا بوصفها دراسة سيميوطيقية، وعليه فإن سيميوطيقا (بيرس) ذات وظيفة فلسفية، ومنطقية، لا يمكن فصلها عن فلسفتها. كما يمكن اعتبار سيميوطيقا (بيرس) أيضاً بمثابة سيميوطيقا الدلالة، والتوصل، والتمثيل في آن واحد، وأيضاً فهي اجتماعية وجدليه تعتمد على أبعاد منهجية ثلاثية، وهي البعد التركيبي، والبعد الدلالي، والبعد التداولي، والسبب في ذلك ان الدليل (البيروسي) ثلاثي، نظراً لوجود الممثل باعتباره دليلاً في البعد الاول ووجود موضوع الدليل (المعنى) في البعد الثاني، ويتمثل البعد الاخير في المؤول الذي يفسر كيفية إحالة الدليل على موضوعه انطلاقاً من قواعد الدلالة الموجودة فيه.

وهكذا يمكن القول بأن العلاقة التي تجمع بين الدال والمدلول ضمن الأيقونة هي علاقة

تشابه وتماتل، مثل الخرائط، والصور الفوتوغرافية، والأوراق المطبوعة، ومن تم تحيل على مواضعها مباشرة بواسطة المشابهة. اما العلاقة في الإشارة أو العلامة المؤشيرية بين الدال

السيمائية مفهوماً، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها

والمدلول فهي سببية، وعلية، ومنطقية كارتباط الدخان بالنار مثلاً، في حين ان العلاقة الموجودة بين الدال والمدلول التي تتعلق بالرمز، فهي علاقة اعتباطية وعرفية وغير معللة، وبالتالي لا توجد أي تجاور، أو صلة طبيعية بينهما.

ومن خلال ما تقدم يقول (حمداوي) بأن سيميوطيقة (بيرس) صالحة لتطبيقها في إطار المقاربة النصية، والخطابية باستعارة مفاهيمها، واستقراء ابعادها الدلالية الاخرى الثلاثة: البعد التركيبي، والبعد الدلالي، والبعد التداولي، بالإضافة إلى المفاهيم الدلالية الاخرى الثلاثة: الأيقونة، والرمز، والاشارة، لأن كثيراً من الانتاجات النصية والابداعية تحمل دلالات أيقونية، بصرية، تحتاج إلى تأويل وتفسير عبر استقراء الدليل، والموضوع، والمؤول.

**2- المدرسة الفرنسية:**

تنقسم وتتفرع هذه المدرسة إلى عدة تيارات ونظريات، ويمكن تلخيص بعض منها، لأن المساحة المخصصة لهذه الورقة العلمية لا تسمح بعرض الكل، وذلك على النحو التالي:

• السوسيرية: وهي نسبة إلى (فريناند دو سوسير)

مؤسس اللسانيات والسيميولوجيا من خلال كتابه (محاضرات في اللسانيات) الذي كتبها العام 1916م من القرن الماضي.

لقد كانت البداية الحقيقية للسيميولوجيا عن طريق التصور (السوسيري) والذي أعاد ترتيب العلاقات بينه وبين اللسانيات، والنظرية المعرفية (الأبستمولوجيا)، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع... وغيرها، حيث انتقلت السيميائيات من تبعيتها للسانيات إلى قيامها بجمع شمل العلوم، والتحكم فيها، وانتجت أدوات معرفية لمقاربات مختلف الظواهر الثقافية، باعتبارها انساقاً تواصلية ودلالات.

لقد اعتبر (سوسير) السيميائية علماً للعلامات، ووجد لها مكانة كبرى، إذ جعلها العلم العام الذي يشمل في طياته حتى اللسانيات، وحدد لها وظيفة اجتماعية، وتنبأ لها بمستقبل زاهر.

أن العلامة عنده تقوم على الدال والمدلول، مع اقضاء المرجع المادي، والحسي، وقد تميز الدليل (السوسيري) بالاتي:

- الدليل صورة نفسية مرتبطة باللغة لا بالكلام.
- يستند الدليل إلى عنصرين أساسيين هما: الدال والمدلول.
- اعتبارية الدليل مع استثناء الاصوات الطبيعية المحاكة، وصيغ التعجب، والتألم.
- أن الدليل (السوسيري) محايد، ومستقل، يقصي الذات والايديولوجيا.
- اغفل (سوسير) بعض المؤشرات الضرورية في التدليل كالرموز، والإشارة، والأيقون، وحدد علامته في إطار ثنائي قائم على الدال والمدلول.
- يعد (رولان بارث) أحد المنظرين الأساسيين في المدرسة الفرنسية، وأسهم كثيراً في تطوير المجالات الأدبية المتنوعة، من خلال إبداعاته في الخطاب النقدي الفرنسي.
- ولم يكتفي (بارث) باستخدام السيميولوجيا في المجالات الأدبية، وإنما تعدى ذلك إلى دخولها للثقافة الشعبية، فتناول بالدرس مظاهر ثقافية عديدة مثل الموضة، الاعلان، والطعام، الأثاث، والموضة... وغيرها من المظاهر المختلفة التي تجد في السيميولوجيا حقلاً خصباً تُقرأ على ضوءه، ومن هنا كانت مقارنة (بارث) اقرب إلى الدراسات الثقافية.
- وتعد السيميولوجيا (السوسورية) الفضاء الشرعي الذي انبثقت فيه سيميولوجيا (بارث)، لأنها المرجعية التي اعتمدها وخاصة في استحضاره الثنائيات السوسورية المعروفة لتأسيس مفهوم القراءة لديه، غير أن (بارث) قلب فكرة (سوسير) حول علاقة اللسانيات بالسيميولوجيا، فبينما جعل (سوسير) الالسننة جزء من العلامات، أعاد (بارث) النظر في هذه الاطروحة وقلبها، ووسع من دائرة الالسننة ليصبح علم العلامات جزء منها.<sup>(32)</sup> ويعد كتاب عناصر السيميولوجيا ( لبارث- 1964م) أول عمل يطمح لإخراج السيميولوجيا عن إطارها اللساني الذي عملت عليه منذ (سوسير)، لتشمل كل أنظمة الدلالات الأخرى.

### 3-المدرسة الروسية:

- تعتبر الشكلانية الممهد الفعلي للدراسات السيميوطيقة في غرب أوروبا، وخاصة فرنسا، والتي ارتكزت على مبدئين أساسيين هما:
- أن موضوع الأدب هو الادبية، أي التركيز على الخصائص الجوهرية لكل مجال أدبي على حدة.

- التركيز على دراسة الشكل قصد فهم المضمون، أي شكله المضمون ورفض ثنائية الشكل والمضمون.

وكانت ابحاث الشكلايين الروس نظرية وتطبيقية في آن واحد، ومن نتائجها ظهور مدرسة (تارتو) التي تعتبر أهم المدارس السيميائية الروسية، ومن أعلامها البارزين: (يوري لوتمان، أوسبينسكي، وتزتيغان) وغيرهم. لقد ميزت مدرسة (تارتو) بين ثلاثة مصطلحات هي: السيميوطيقا الخاصة، والتي تهتم بدراسة أنظمة العلامات ذات الهدف التواصلية، والسيميوطيقا العامة التي تدرس الأنظمة وما شابهما؛ السيميوطيقا العامة التي تتكفل بالتنسيق بين جميع العلوم الأخرى. وقد أهتمت هذه المدرسة أيضاً بالثقافة وأولتها عناية خاصة باعتبارها الوعاء الشامل الذي فيه جميع نواحي السلوك البشري الفردي منه والجماعي، ويتعلق السلوك هنا في نطاق السيميولوجيا بإنتاج العلامات واستخدامها، وبأن هذه العلامات لا تكتسب دلالاتها إلا من خلال وضعها في إطار الثقافة.

#### المدرسة الإيطالية:

يمثل هذه المدرسة كلاً من (أمبيرتو إيكو، و روسي لاندي)، اللذين اهتما كثيراً بالظواهر الثقافية باعتبار موضوعاتها تواصلية، وانساقاً دلالية على غرار سيميوطيقا الثقافة الروسية (إيكو) إن كل تواصل عبارة عن سلوك مبرمج، وأن أي نسق تواصلية يؤدي وظيفة ما، وبأن الثقافة لا تنحصر مهمتها في التواصل فقط، بل إن فهمها حقيقياً مشتملاً لا يتم إلا بمظهرها التواصلية.

ويحدد السيميائي (روسي لاندي) السيميوطيقا من خلال ابعاد البرمجة التي حصرها في ثلاثة أنواع والمتمثلة في التالي:

1- أنماط الإنتاج (مجموعة قوى الإنتاج، وعلاقات الإنتاج).

2- الإيديولوجيات (تخطيطات اجتماعية لنمط عام).

3- برامج التواصل (اللفظي وغير اللفظي)

فالسيميائية عنده، هي علم شامل للدليل، والتواصل (اللفظي ومهما كان المجال المدروس). وتتسم هذه السيميائية بالنزعة الإنسانية، لأنها تركز على الإنسان والتاريخ.

### ب- الاتجاهات السيميائية:

يشير (بركات)<sup>(33)</sup> بأن الاتجاهات السيميائية تصنف إلى ثلاث تيارات متميزة عن بعضها، لكنها متداخلة في الوقت نفسه بدرجات أكبر، ولهذا فإن التمييز بينها لا يكون إلا من مبدأ التوضيح لا التحديد القطعي، وهي سيميولوجيا الثقافة، وسيميولوجيا التواصل، وكذلك سيميولوجيا الدلالة، وذلك على النحو التالي:

#### الاتجاه الأول: سيميولوجيا الثقافة:

يرى هذا الاتجاه بأن العلامة لا تكتسب دلالاتها، أو قيمتها إلا في إطارها الاجتماعي، والثقافي الذي يضيف عليها صفة الوجود والتداول. وينظروا منطري هذا الاتجاه إلى أن العلامة كعنصر بنيوي علائقي يتبوأ مكانته ضمن الأنظمة الاجتماعية المترابطة، والمتكاملة. ويرتبط هذا الاتجاه بمجموعة من الباحثين الروس المعروفين بجماعة (موسكو-تارتو)، والتي كان يمثلها كلاً من (لوتمان، ولوكموتسيف، أو سينسكي)، وغيرهم.

ويعتبر (لوتمان) من أهم الشكلايين الروس الذين أهتموا بالسيميوطيقا الثقافة، حيث يرى بأن الفضاء الكوني يرفض الانعزال والانغلاق، والاحادية، فالكون هو الفضاء الحيوي الملائم لتطور الثقافة واستمرارها، وبأن سيميوطيقا الثقافة ترتبط بالفضاء الحيوي الذي تتدرج فيه، فلكل ثقافة كونها السيميائي الخاص بها. كما أن الباحثين الإيطاليين مثل: (إكو، وروسي) اللذين اهتموا كثيراً بالظواهر الثقافية، باعتبارها موضوعات تواصلية، وأنساقاً دلالية تتضمن عدة أنساق، وشكلوا اتجاهاً سيميولوجياً خاصاً بالثقافة، حمل على عاتقه دراسة الكثير من المظاهر، دراسة سيميولوجياً.

وأهم هذه المظاهر: النصوص، الصورة، الإشهار، ومختلف الفنون. كما أستفاد هذا الاتجاه أيضاً من فلسفة الاشكال الرمزية (لكاسيرر)، الذي اعتبر اللغة البشرية، بأنها تمثل التطور المتقدم للإنسان، حيث انتقل من طور الطبيعة إلى طور الثقافة، أي من طور العلامات إلى طور الرموز القابلة للتعميم، والعلامات تنتمي إلى عالم الطبيعة، والرموز تنتمي إلى فضاء للمعنى. وبما أن الإنسان حيوان رامت، فإن مبدأ الرمزية تساعده على عملية الابداع الثقافي، وإنتاج الأنساق السيميائية الدالة.



### الاتجاه الثاني: سيميولوجية التواصل:

يقوم هذا الاتجاه على تقسيم العلامة أياً كانت ما هيبتها (لسانية أو غير لسانية) إلى ثلاث عناصر: الدال، والمدلول، والقصد، فالكل علامة امتدادها بين هذه العناصر ويمكن أن تفهم عبر وسائط مختلفة كاللغة، أو الصورة، أو الصوت، أو الرائحة المميزة.. وغيرها، فمثلاً نستطيع أن نتعرف إلى نوع من الردود، إما بذكر اسمه لغوياً أو من خلال رائحته المميزة، أو تقديم صورته، أو رسمه، أو غير ذلك من أشكال الدلالة.

ومن جهة أخرى يرى (جاكسون) أن التواصل يستند إلى ستة عناصر أساسية وهي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والمرجع، واللغة، حيث يرسل المرسل رسالة إلى المرسل إليه، وتتضمن موضوعاً، أو مرجعاً معيناً، وتكتب هذه الرسالة بلغة يفهمها كل من المرسل، والمتلقي، ولكل رسالة قناة حافظة كالظرف بالنسبة للرسالة الورقية مثلاً.<sup>(34)</sup> وتهدف سيميولوجيا التواصل إلى الإبلاغ عن علاماتها، وأماراتها، وإشاراتنا، والتأثير في الآخرين عن وعي أو غير وعي، ويتعبّر آخر تستعمل سيميولوجيا التواصل مجموعة من الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتلبية الآخر والتأثير فيه عن طريق إرسال رسالة وتبليغها إياه، ومن هنا فالعلامة تتكون من الدال والمدلول، والوظيفة القصدية. كما أن التواصل نوعان: تواصل إبلاغي لساني لفظي (اللغة)، وتواصل إبلاغي غير لساني (علامات المرور مثلاً)، ويمثل هذا الاتجاه كلاً من: (موان، بريبطو، مارتينه، وبويسنس)، الذين يعتبرون الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ، وتحمل قصداً تواصلياً. وهذا القصد التواصلية موجود في الأنساق اللغوية وغير اللغوية.

### الاتجاه الثالث: سيميولوجيا الدلالة

يرجع هذا الاتجاه ويرسخه تراث (سوسير) المتعلق بالعلامة ودلالاتها بوصفها وحدة ثنائية المبنى، وخاصة العلامة اللغوية التي تتكون من وجهين: الدال (الصورة الصوتية) والمدلول (المفهوم، أو التصور) حيث يرى (سوسير) بأن العلامة اللسانية لا تربط شيئاً بأسم، بل تصوراً بصورة سمعية أما العلاقة بين الدال والمدلول عند (بارث) فقائمة على التكافؤ، والتقابل لا على المساواة ضمن ما يسميه (بارث) بالاتجاه الكلي. أن الدال بمفرده لا

السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها

معنى له من خلال العلاقة التي يقيمها مع المدلول، و وجود المتلقي الذي يدرك دلالات هذه العلاقة، وينظر (بارث) إلى البحث السيميولوجي على اعتباره دراسة الأنظمة والأنسقة الدالة، فجميع الوقائع والأشكال الرمزية، والأنظمة اللغوية تدل، فهناك من يدل باللغة، وهناك بدون اللغة المعروفة لدينا، بيد أن لها لغة خاصة، وبما أن الأنساق والوقائع كلها دالة، فلا عيب إذاً في تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللفظية، أي تطبيق الأنظمة السيميوطيقية غير اللسانية لبناء الطرح الدلالي. ومن خلال هذا أكد على وجود أنساق غير لفظية، حيث التواصل غير الإرادي، لكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة. وتعد اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل الإنسان، والأشياء غير اللفظية دالة. واعتبر السيميوطيقية هي التي تشكل فرعاً من اللسانيات.

ويرى بأنه من الصعب جداً تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور، أو أشياء خارج اللغة، فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة، وهكذا حاول (بارث) التسلح باللسانيات لمقاربة الظواهر السيميولوجية.<sup>(35)</sup>

**الخلاصة:**

من خلال هذه الورقة البحثية وما حملته من أفكار متنوعة لمجموعة من المفكرين والباحث حول مفهوم السيميائية ومدارسها، واتجاهاتها، ومناهجها، فقد توصل الباحث لمجموعة من النتائج التالية:

- 1- ترجع الجذور التاريخية للسيميائية إلى العهود القديمة الأولى عند الإغريق، والرواقيين ومروراً بالمفكر أو غسطين، والتي تميزت فيه هذه المرحلة إلى بلورة نظرة عامة للعلامات، إلى أن جاء الفيلسوف (جون لوك) والذي يعد أول من استخدم مصطلح السيميولوجيا.
- 2- بدأ الظهور الفعلي للسيميائية خلال النصف الأول من القرن الماضي على يد العالمين السويسري (سوسير)، والأمريكي (بيرس)، اللذين اهتمتا بدراسة هذا العلم الذي وصف بأنه العلم الشامل الذي يهتم بالإشارات، والرموز التي تعكس المفاهيم الثقافية، والاجتماعية، والنفسية، والإعلامية، والفنية للظواهر المختلفة، وبالتالي أصبح هذا العلم من العلوم الحديثة التي تقدم خدمات قيمة للدرس الحديث.

السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها

- 3- أن السيميولوجيا، والسيميوطيقا هما كلمتان مترادفتان لمعنى السيمائية في اللغة العربية، مهما كانت لهما من اختلافات دلالية.
- 4- ان السيميولوجيا التي يمثلها (سوسير) تعد تصور نظري في كنف الحياة الاجتماعية وتركز على الوظيفة الاجتماعية، في حين أن السيميوطيقا والتي يمثلها (بيرس) هي إجراء تحليلي وتطبيقي في مختلف العلوم، وتركز على الوظيفة المنطقية، وبالتالي يمكن القول بان السيمائية هي علم، ونظرية، ومنهج نقدي وتحليلي.
- 5- أن السيمائية تعد من بين العلم الحديثة التي برزت في القرن العشرين والتي تهتم بدراسة العلاقات في إطار الحياة الاجتماعية، والتي انبثقت أهدافها من أهداف العلم العام والمتمثل في فهم وتفسير الظاهرة ثم ضبطها والتحكم فيها، وأخيراً التنبؤ بها، وذلك من خلال منهجها المتبع في ذلك.
- 6- تنظر السيمائية إلى النظام الكوني بأنه يحتوي على علامات، ورموز ذات دلالة، وبالتالي فإن السيمائية تدرس هذه العلامات، وعلاقاتها في هذا الكون، وتبحث في أنظمة العلاقات اللغوية وغير اللغوية. كما أن موضوعاتها غير محددة بعينها، فالسيمائية أداة لقراءة السلوك الإنساني في مظاهره المختلفة، وتكمن أهميتها بالدرجة الأولى في اهتمامها بدراسة صناعة المعنى والتمثيل.
- 7- تعد الدلالة القاسم المشترك بين المجالات التي تدرسها السيمائية على أن مجالها يهتم بفهم الظواهر المتعلقة بإنتاج المعنى في أبعاده المختلفة: الإدراكية، والاجتماعية، والنفسية، والتواصلية.
- 8- أن السيمائية (السيميولوجيا، والسيميوطيقا) بوصفها علماً جديداً، لم تلد في كنف العزلة والاسقلالية عن بقية العلوم، بل استندت إلى العديد من المرجعيات العلمية الأخرى مثل: اللسانيات، والمنطق، والتحليل النفسي، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، والفنون، والإعلام... وغيرها.
- 9- لقد قسمت المدارس السيمائية إلى أربع مدارس رئيسية وتمثلت في التالي:

السيمائية مفهومها، أصولها، مدارسها، واتجاهاتها

- المدرسة الأمريكية ورائدها (بيرس)، ومجموعة أخرى من العلماء الذين اهتموا بعلم العلامات، واصطلحوا على تسميته السيميوطيقا، والذي استند على المنطق، والرياضيات، واستنباط النتائج، وبالتالي فإن السيميوطيقا ذات وظيفة فلسفية، ومنطقية، تعتمد على أبعاد منهجية ثلاثية، وهي: البعد التركيبي، والبعد الدلالي، والبعد التداولي، بالإضافة إلى المفاهيم الدلالية الأخرى وهي: الأيقونة، والرمز، والإشارة.
  - المدرسة الفرنسية، ورائدها (سوسير)، ومجموعة أخرى من العلماء وعلى رأسهم (بارث). وجاءت البداية الحقيقية للسيمائية عن طريق التصور (السوسيري)، والذي أعاد ترتيب العلاقات بينه وبين اللسانيات، والنظرية المعرفية (الأبستمولوجيا)، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع... وغيرها، حيث انتقلت السيميائية من تبعيتها لللسانيات إلى قيامه بجمع شمل العلوم، وانتجت أدوات معرفية لمقاربة مختلف الظواهر الثقافية، باعتبارها انساقاً تواصلية، ودلالات. واعتبر (سوسير) السيميائية علماً للعلامات، ووجد لها مكانة كبرى، إذ جعلها العلم العام الذي يشمل في طياته حتى اللسانيات، وحدد لها وظيفة اجتماعية، وتنبأ لها بمستقبل زاهر. ويعد (بارث) أول من أخرج السيميائية عن إطارها اللساني لتشمل كل أنظمة الدلالات مثل الاعلانات والصور، والموضة، والإعلام، والطعام،... وغيرها.
  - المدرسة الروسية، ومن أعلامها البارزين (تارتو، و لوتمان، و أوسبنسكي)، وغيرهم. وأهتمت هذه المدرسة بدراسة أنظمة العلامات ذات الهدف التواصلية، وكذلك بالتقافة وأولتها عناية خاصة باعتبارها الوعاء الشامل الذي فيه جميع نواحي السلوك البشري.
  - المدرسة الإيطالية، ويمثلها (إيكو، وروسي) اللذين اهتمتا بالظواهر الثقافية باعتبار موضوعاتها تواصلية وذات أنساق دلالية على غرار السيميائية الروسية.
- 10- أما الاتجاهات السيميائية، فصنفت إلى ثلاث تيارات متميزة عن بعضها البعض، لكنها متداخلة في الوقت نفسه بدرجات أكبر وهي:
- سيميائية الثقافة.
  - سيميائية التواصل.

• سيميائية الدلالة.

الهوامش:

- (1) دنيال تشارلز، أسس السيميائية، (تر) طلال وهبه، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008م)، ص 448.
- (2) نسمة أحمد البطريق، الإعلام والمجتمع في عصر العولمة، دراسة في المدخل الاجتماعي، ( القاهرة: دار غريب، للطباعة والنشر، 2004م) ص 114.
- (3) عقيل مهدي، سيميائية الصورة والخبر، جامعة بغداد، مجلة الباحث الاعلامي ، العدد 33-34 ، ص 9.
- (4) قدور عبدالله ، سيميائية الصورة مغامرة سيميائية في اشهر الارساليات البصرية في العالم،(عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2008م) ص 48.
- (5) محمد دائي، في ما هية السيميائية، ص 3. *Received: 12 Nov 2012; Revised :9 Jan- 20 Feb 2013; Accepted: 23 Feb 2013*  
*Published online: 1 May 2013*
- (6) مازن لطفي علي، سيميائية الإعلام ، مجلة الحوار المتمدن العدد 3436-2011م .  
محور الصحافة والإعلام. متاح 2019/10/11م  
[Alhewar.org/debat/ facemd.asp](http://Alhewar.org/debat/ facemd.asp)
- (7) محمد درويش. و نور الدين كنتاوي، تقويم نظرية غريماس في النقد الجزائري، مجلة آفاق العلمية المجلد 11- العدد04، 2019، ص 518.
- (8) سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، (اللانقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2012)، ص 9.
- (9) سعيد بنكراد ، المرجع السابق، ص 29.
- (10) آن اينو وآخرون، السيميائية، (تر) رشيد بن مالك،(عمان: دار مجدلاوي للنشر، 2008)، ص 33.
- (11) قدور عبدالله، سيميائية الصورة، مرجع سابق، ص 100

- (12) آن اينو وآخرون، مرجع سابق، ص 33.
- (13) عادل فاخوري، السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، (الكويت: عالم الفكر، المجلد الرابع والعشرون - العدد الثالث، 1996م) ص 190.
- (14) جميل الحمداوي، الاتجاهات السيميوطيقة، (المغرب: مكتبة المثقف، 2015م)، ص 11.
- (15) إبراهيم محمد سليمان، مدخل إلى مفهوم سيميائية الصورة، مجلة الجامعة، العدد الخامس عشر، المجلد الثاني، أبريل، 2014، ص 162.
- (16) سعيد بنكراد، السيميائيات وموضوعاتها، مجلة إشراف العدد 16، لسنة 2001م، ص 79.
- (17) آن اينو وآخرون، مصدر سابق، ص 33.
- (18) عادل فاخوري، السيمياء عند بريس، في عبدالله قدوره، مصدر سابق، ص 103.
- (19) قدور عبدالله، مصدر سابق، ص 104.
- (20) سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل. (الدر البيضاء: مؤسسة تحديث الفكر العربي، 2005م)، ص 77.
- (21) آن اينو وآخرون، مصدر سابق، ص 32.
- (22) كامل عصام خلف، الاتجاه السيميولوجي في ساعد وعبيدة صبطي، الصورة الصحفية دراسة سيميولوجية، (القاهرة: المكتب الجامعي الحديث، 2011م)، ص 15.
- (23) بشير أبرير، الصورة في الخطاب الإعلامي، الجزائر: الملتقى الدولي الخامس بجامعة محمد خيضر، "للسيمياء والنص"، 2008م، ص 12.
- (24) لخضر رويحي، علاقة السيمياء باللسانيات، في حنان سلامة، الدرس اللساني المعاصر في ظل التأويلات السيميائية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة بلقايد، الجزائر، 2017، ص 42.
- (25) شلواي عمار، السيمياء المفهوم والآفاق، الجزائر: الملتقى الأول للسيمياء والنص، جامعة محمد خيضر، 2000م، ص 12.

- (26) إبراهيم محمد سليمان، علم النفس الاجتماعي، (الزاوية: دار شموع الثقافة، 2014م)، ص 15.
- (27) وائل بركات، السيميولوجيا بقراءة بارث، مجلة جامعة دمشق- المجلد 18- العدد الثاني-2002م، ص5.
- (28) جان كلود دو مينجوز، المقاربة السيميائية في بشير إبيرير، الصورة في الخطاب الإعلامي، مصدر سابق، ص 10.
- (29) بشير إبيرير، المصدر السابق، ص 11.
- (30) سعدية موسى عمر، السيميائية : اصولها ومناهجها، ورقة بحثية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات، قسم اللغة العربية، (د.ت) ص12
- (31) جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقا، مصدر سابق، ص 17.
- (32) وائل بركات، السيميولوجيا بقراءة بارث، مرجع سابق، 19
- (33) المصدر السابق، ص 19.
- (34) جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقا، مصدر سابق، ص 44.
- (35) المصدر السابق، ص 46.

### الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة

د. عبد الكريم حسن عامر صولة

جامعة الزاوية/ كلية الآداب

#### المقدمة:

أن الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة كانت وما تزال أرق ما يخلج في حياة وحركة المجتمع من شتى الأهداف، والمطامح، والخصائص، والعادات والتقاليد العريقة الخاصة بالمجتمع، وتحمل من المتغيرات الثقافية ومعتقدات وقيم وقواعد وفروض، ومن الطبيعي أن ثقافة الفنون التشكيلية لها تأثير كبير على المجتمع الذي يعيش في الريف عنهم في الحضر حيث يختلفون في سلوكهم وخصائصهم الاجتماعية، أو مفاهيم أو علاقات ترتبط بشكل المجتمع واحتياجاته وإبداعاته في الأدب أو الفن أو الموسيقى وثقافة الفنون التشكيلية تعني اختلاف العقائد، والفلسفات، والأيدولوجيات، والعادات والتقاليد وهي نظام كلي متشابك متقدم مستمد من حضارة اجتماعية وتاريخ وتراث، وهذا النظام يشمل اللغة، والفن، والأخلاق، والقانون، والأفكار، والقيم التي تسود الواقع الاجتماعي وأن المجتمعات المتقدمة لم تركز تقدمها إلا بفضل اعتمادها على المفكرين، والمبدعين وأصحاب العقول المنتجة، وأصبحت قوة الدول تعتمد على مدى امتلاكها ناصية العلم والمعرفة<sup>(1)</sup>

فالثقافة في مجملها تتضمن الحضارة، فجميع الحضارات ليست سوى مراحل في تطور الثقافة على اختلاف درجات تحضر ثقافة المجتمع لتلك الثقافات التي يتم توارثها وانتقالها مع مر الزمن وتغيير الأجيال وتعاقب الحقب، ويؤكد (العساف) بأنه ليس مقتصر على الأخصائيين والخبراء، والعلماء، فالإنسان العاقل مبدع، حيث تنطوي شخصيته على عناصر إبداعية بغض النظر عما إذا كان يعي هذه العناصر أم لا. (2)

وتأتي هذه الدراسة لتكون إضافة - ومتواضعة إلى الدراسات، والبحوث التي تطرقت إلى موضوع الثقافة في الفنون التشكيلية على وجه العموم والفنون التشكيلية خاصة، وعند الحديث عن الثقافة، وعلاقتها بالفن التشكيلي، ولفهم طبيعة الفن يجب أن نضعه في إطاره التاريخي والثقافي، والسياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والترفيهي والإعلامي، والفن،



والإبداع والتفاعل مع الحاضر، والتطلع إلى المستقبل حسب المتغيرات على مر العصور من تطور الحضارات المختلفة.

#### مشكلة الدراسة:

عمد الباحث إلى دراسة موضوعها لكشف عن الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة بمختلف تعبيراتها وأشكالها، والتعرف على مستوى القدرات، والخبرات، والمهارات الفنية التشكيلية، والأسباب التي أثرت على الفنان التشكيلي، وانعكس ذلك على الأشكال الفنية والهوية الثقافية في الفن التشكيلي، وتكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال التالي:

- ما المعطيات اللازمة للهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة ؟

#### الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف بالجهود في الحاضر والمستقبل لتطور الهوية الثقافية والعلاقات الفنية والابتكارات، والمهارات وعلاقتها بالفنون التشكيلية، والالتزام بالعادات والتقاليد الأصيلة والتي تؤكد أن العمل الفني التشكيلي يحمل معه تطورات وأساليب جديدة وما يحويه من متغيرات ثقافية وسياسية.

**أهمية الدراسة:** تأتي أهمية هذه الدراسة في تكوين الشخصية الثقافية الفنية المبدعة والحضارية وزيادة القيمة المعرفية في الفن التشكيلي.

الذي يعطى لهذه الدراسة أهمية في الوقت الحاضر لما يعيشه الفنان التشكيلي من ظروف صعبة ومعقدة لها تأثيرها المباشر مما ينعكس على آثاره الفنية والجمالية.

**إجراءات الدراسة:** الرجوع إلى البحوث والدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة بهدف التوصل إلى توصيف دقيق على الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة، تتبناه الدراسة الحالية، كذلك التعرف على التجارب والخبرات السابقة في الحصول على معلومات حديثة تتعلق بموضوع الدراسة.

**حدود الدراسة:** تقتصر حدود الدراسة على الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة، أما الفترة الزمنية بداية من النصف الثاني في القرن العشرين حتى اليوم.

### منهج الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي الذي يتضمن موضوع الدراسة جانباً نظرياً نتطرق فيه إلى الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة.

### الإطار النظري للدراسة:

مباحث الدراسة. ويشمل على المباحث التالية:

### المحور الأول:

#### المبحث الأول: الهوية الثقافية في الفنون التشكيلية المعاصرة:

الهوية الثقافية تعني تلك الجذور العريقة التي تعطي للأعمال الفنية أصالتها وتفرداً وتميزها حيث بدأت بعض الشعوب العربية في إعادة كتابة تاريخها من وجهة نظرها ليمثل هذا ثروة إضافية نقدية لواقع مرحلة الاستعمار وانطلقت هذه المجتمعات على طريق البحث عن الذات وتأكيد ثقافتها التاريخية، وفعل عصري إبداعي متطور، لتغزو ثقافة عصرية وامتداد حضارياً وثيق الصلة بالتطور الاجتماعي العالمي الجديد.

ونعتقد بان الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة تستحق لقب، نهضة لأنها بعثت قيماً حضارية جديدة على الرغم الاختلاف الشديد في البيئات والمستويات الثقافية، فهذه النهضة، وعملية أحيائها في ميادين الفن التشكيلي تمثل ظهور نشاط فني وثقافي جديدين صاحبهما ازدياد وتعاطف الرغبة في التعرف على هذه الفنون الجديدة وقد صاحب ذلك خلق أسس جديدة مختلفة ومغايرة للذائقة الجمالية في ظل فترات من مظاهر الضعف والتخلف وأزمات في وسائل الاتصال ونقل الأفكار الجديدة حيث الجهل والتأخر وانحصار الثقافة، جعل من هذه النهضة الجديدة مظهراً من مظاهر إعادة أحياء مظاهر الحضارة المعاصرة وهي الغاية التي عمل من أجلها الرواد الأوائل، أن هذه النهضة التي تزامنت مع النهضة الحضارية في بداية العقود الأولى من القرن الماضي وعلى أصعدة الحداثة، تشبه إلى حد كبير نهضة العرب الأولى التي قادها الدين الإسلامي من الجاهلية التي لم يكن للعرب فيها فن قومي ذو طابع خاص إلى دولة عربية اتسعت ولها فنونها وحضارتها الخاصة بها بعد أن استفاد العرب من ذلك التراث الضخم الخاص بالشعوب الخاضعة لهم

*الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة*

فتعلموا مختلف الصناعات والحرف والفنون وأجادوها وهذبوها ثم نقلوها إلى أوربا لتستفيد منها.

وتعتبر الهوية الثقافية نتيجة من النتائج التي يكتسبها الإنسان من معلومات متصلة بالماضي ومتواصلة بما يحدد طابع أهلها وهي مكتسبة بفعل وتأثير البيئة بكل عواملها حيث يعتبر ذلك الاكتساب مدخلاً أساسياً لمقومات تكوين الهوية الثقافية. فالثقافة تدل على ما يمارسه الناس فعلاً من ألوان السلوك وأنواع الفنون وأما على مجموع ما لدى الشعوب من أنظمة اجتماعية وعادات وفنون.

وإرادة الفنان في الخلق والابتكار، ومحاولاته الجادة في تكوين شخصيته الفنية المتفردة والتميزة التي تخضع لقيم ومضامين جمالية؛ تحدها العلاقة القائمة بين الفنان والبيئة المحيطة به فهو يحصل على طابعه وإيقاعه وقوته من البيئة والمجتمع الذي ينتمي إليه والذي هو عضو فيه، مما يؤكد أن الفن هو نتاج الظروف المحيطة به.<sup>(3)</sup>

ونلاحظ اليوم بان كل عصر يخلق فنه متأثراً بالهوية الثقافية الذي تأثر بها الفنان التشكيلي من خلال أعماله والشخصيات الفنية التي يشهد لها التاريخ عن الفنون بصفة عامة، ومظاهرها الاجتماعية والتراثية ومنذ البدايات لقد سعى الفنان التشكيلي محاكاة الواقع بأساليب وأشكال مثالية تسجيلية حرفية متباينة من أجل الربط بين الفن والواقع بكل تفاصيله وحقائقه وهو الذي يملئ مطالبه الجمالية. وتتابع ما يحدث من مؤثرات الهوية الثقافية البيئية في بناء اللوحة الفنية التي هي مضمون الفن التشكيلي التي يبدع فيها عقل الفنان، ويندوقها الإنسان من خلال المعارض وما لها من أهمية خاصة في التأثير النفسي على معنوياته التي تساهم في الرفع من مستوى الفكر ونشر حب الاطلاع وتطور للفكر وإدراك جماليات العالم، في هذه المرحلة بالذات تمر علينا مراحل التطور والتغيير والتجديد في مناهجنا التعليمية لما تطلبه طبيعة المرحلة الحالية.

ولأن الحياة المحيطة بالفنان تتمثل في المكان والزمان، فإن لكل منهما تأثيره على ابداع الفنان وخلود أعماله، وعن فلسفة المكان يقول الدكتور نعيم عطية "أن علاقة الفنان بالمكان علاقة تبادلية محققة، ويكاد المكان يكتسب شخصية ذات وجود ملموس، تطبع بسماتها

وجدان الفنان كما تطبع طقوس الحياة ذاتها، ومن ثم يأتي النتاج الفني من صنف البيئة التي يتعامل معها. (4)

والعصور التي يعيش فيها الناس حياة تجري فيها حركات اجتماعية، وتغيرات في بنيتها السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية تدفع الناس إلى النشاط الحيوي، وتخلق أسس جديدة لفن أنساني جديد.

#### المبحث الثاني: المتغيرات الثقافية وأثرها على هوية الموروث الفني:

كلما ارتقى الإنسان ونضج تفكيره وأستقر في بعض الأرض القريبة من ينابيع المياه أو الأنهار. وكلما مرت القرون تطور ذهن الإنسان وارتقى تفكيره زاد عنده الاحساس بالجمال في شتى أشكاله، وأنواعه، وبدأ ينقش أو يرسم على جدران الكهوف الكثير من أشكال الحيوانات التي كانت تحيط بها.

فإن القدرة على التعبير الجمالي من الخصائص التي وهبها الله للإنسان كالقدرة على الكلام والتفكير ولكن أساليب هذا التعبير وأشكاله تختلف من شعب لآخر بل ومن بيئة لأخرى ذلك لأن الثقافة السائدة في مجتمع ما هي التي تحدد تلك الأساليب وربما كانت الفنون التشكيلية أكثر دلالة على المستوى الثقافي أو الحضاري عند شعب ما أو عند مجتمع معين على أنها تعبير صادر من أبناء هذا المجتمع. كما أن التقاليد السائدة فيه والعرف الساري عليه والمعتقدات المعتمدة فيه تتدخل إلى حد كبير في تشكيل الذوق العام السائد في ذلك المجتمع وفي تكوين مزاجه.

ويُعنى ذلك بالثقافة العلوم والمعارف والفنون الأدبية والفنية والموسيقية، وجوب التخلص من الوسائل التقليدية المرتبطة بالفنون التشكيلية التي كانت تتعلق بالمسائل الحيوية في حياة التنقل والترحال التي يعيشونها، فهي تدور حول مواشيهم وخيامهم، وتغير الفصول، يضاف إلى ذلك ما يجري بينهم من أحداث يتناقلون أخبارها، وما يتوفر للبدو من معارف في الفراسة والقيافة والكهانة والعيافة ومعرفة الأنواء، وقص الأثر ومواقع النجوم وتحركاتها، ليس سوى خبرات حيوية تقتضيها ظروف المعيشة، وذلك أن البداوة وما يرافقها من تنقل وعدم استقرار لا يفسح مجالاً للعلم والثقافة للنشوء والتطور، ثم التقدم والارتقاء. وقد كان هذا في عهود

الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة

الشفاهية والكتابية القديمة، إلا أن الأمر أخذ يتغير إلى حد بعيد، في عهد المعلومات الإلكترونية " وكان هناك البحث العلمي بمكتشفاته، والذي أثر تأثيراً كبيراً في الفن الحديث كله، فبتأثير الانتصارات الجديدة في مجال البحث العلمي بدأ بعض الفنانين يقيمون دراساتهم.<sup>(5)</sup>

ولما كان عصر المعلومات الراهن يتميز بسرعة التغير في المعلومات والتقنيات والمهن فقد صارت الهوية الثقافية العرضية تتسم بالتعلم الذاتي عن بعد، عن طريق أجهزة الهاتف وخاصة الخليوي. النقال والراديو والمسجلة، والتلفزيون، والفيديو، ولذلك لا بد من تعديل الأنظمة والمناهج التربوية لتلائم هذا التغير السريع في المعلومات والتقنيات والعمل على توفير معلومات تناسب ثقافتهم وحاجاتهم وظروف معيشتهم. وقد استفاد أغنياء البدو من التقنيات الحديثة أما المحافظون منهم، فقد قاوموها لأسباب تراثية، إلا أنهم عادوا بعد ذلك عن مقاومتهم تلك، وتدرّبوا عليها للاستفادة منها لأنها أصبحت مظهراً من مظاهر الجاه والنفوذ ووسيلة من وسائل الرفاهية في الحاضر والمستقبل.

ونجد الفنان قد اقتحم الزمان والمكان بل تجاوز ذلك محلقاً في الفضاء اللانهائي مستخدماً قوانين الحركة الكونية، وما يصدر عنها من أحاسيس وانفعالات.

ومن هذا المنظور فإن الاهتمام بثقافة الفنون التشكيلية مع المعطيات الحضارية يشكل العمود الفقري في بناء المجتمعات، وفي الوقت نفسه أصبح من الضروري مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي والتطور الفني على صعيد المستحدثات التقنية وما تحدثه من آثار على كل من الأفراد، والمجتمعات، وبما أن الفن يسهم في تكوين الفرد والمجتمع على هوية الموروث الفني وبلورة ملامحه في الحاضر والمستقبل.

**المبحث الثالث: المقومات الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية:**

أن المقومات الثقافية لشخصية الفنان المبدع تحتوي في داخلها المجتمع ذاته، إذ لا يخطر في بالنا بان المجتمع يوجد حول الفنان فحسب، مهما تفرد الإنسان التشكيلي المبدع باعتبار الإبداع قادر بان يكسر حلقة التخلف المفرغة ويزيح الطوفان الظلامي، ليلخلق حقيقة معرفية جديدة أكثر انسجام مع متطلبات واحتياجات الذائقة الجمالية، على اعتبار أن

الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة

الخلق والتلقي والتأثير ظواهر اجتماعية مشروطة بالبناء الاجتماعي في ثباته وحركته، فالمبدع في النهاية هو نتاج ظرف اجتماعي، ولهذا يمكن للفنان من إظهار تفرد ونبوغه ومن التعبير عن حاجات ذاتية ومجتمعية معينة.

ومن خلال هذه المقومات الثقافية والحضارية لا نستطيع في حديثنا عن شخصية الفنان التشكيلي أن نغفل أو نتجاهل على أن الفن لا يأتي ويخلق من عدم، فتأثير العوامل المحلية على شخصية الفنان التشكيلي من شأنها أن تعمل على بلورة إنتاجه وتحديد شخصيته المحلية فتأثير البيئة الحضارية بما فيها من عوامل جغرافية طبيعية وظروف سياسية واجتماعية وعقائد دينية وتراث حضاري، يساهم بدور فعال في تشكيل شخصيته الفنية.

وقد أدرك العديد من الرواد الأوائل بان يكون الفنان واقعياً، فهذا يعني عدم الابتعاد عن التراث بل تمثله والإفادة منه، بما يتلاءم مع روح العصر، ومع المضامين الواقعية المعاصرة ولا يمكن أيضاً فصل الواقع عن جذوره التاريخية والحضارية.

وشخصية الفنان الحضارية كانت صادقة مع نفسه وفنه، فإنه أثناء إبداعه الفني يعبر بقصد أو بدون قصد عن بيئته ومجتمعه الذي يعيش فيه في الخلق والابتكار، ومحاولاته الجادة في تكوين شخصيته الفنية المتفردة والتميزة التي تخضع لقيم ومضامين جمالية، تحدد لها العلاقة القائمة بين الفنان والبيئة المحيطة به، فهو يحصل على طابعه وإيقاعه وقوته من البيئة والمجتمع الذي ينتمي إليه والذي هو عضو فيه، مما يؤكد أن الفن هو نتاج الظروف المحيطة به.

وقد كان بداية هذا الحوار بين الفنان وبين البيئة والطبيعة منذ الفنان البدائي، والذي استمر التفاعل بينهما حتى يومنا هذا، مما أدى إلى ثراء لا حدود له في إبداعات الفنانين المعاصرين فظهرت عناصر البيئة والطبيعة في تناولها الجديد المليء بالمشاعر، وذلك لاندماجها في علاقات جديدة.<sup>(6)</sup>

وأمام الانفتاحات الجديدة، على ضوء التغيرات الكبيرة، بعد أن أصبحت التكيفات الإنسانية القديمة عرضة للتمزق، فقد كان لزاماً على الناس أن يحدثوا تكيفات نفسية طوال حياتهم ليتوافقوا مع تعاقب التغيرات المفاجئة وغير المتوقعة وغير العقلانية أحياناً والتي تحدث

**الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة**

بتسارع متزايد مستمر. لقد وجد الفنان نفسه مجبراً على أن يتساءل عما إذا كان في وسع فن أنساني حقا أن يرتضي لنفسه أن يكون بعيداً عن واقع الناس، ويحصر نفسه في الحدود الضيقة للنزعة الجمالية، بل ويدعو إلى اللامبالاة بالواقع وبالصراع الاجتماعي، فقد تأكد لهذا الفنان بأنه يعيش عصراً يحتاج الجميع بشكل خاص إلى فن يكشف الحقيقة، ويؤكد أن مصير الإنسان وحياة الأجيال المعاصرة يعتمدان على الناس أنفسهم، وفي هذا بالتحديد تجد أكبر درجة من الإنسانية تعبيراً عنها في بدايات الفن العربي.

**المبحث الرابع: الثقافة وأثرها على حضارة الفن التشكيلي:**

يقول المؤرخون أن الحضارة بدأت مع بداية عصر الكتابة في حدود 3000 ق.م، بينما قبل هذا الزمن لم يكن للإنسان حضارة، وأنه كان يعيش في همجية يأكل ما يحصل عليه من الطبيعة من الطعام، و كان يسكن الكهوف ويقتل أخاه في حالة الجوع، لكن بدأت الحضارة مع الإنسان الأول البدائي لأن الثقافة من صنع الإنسان وهي عبارة عن نتاج العلاقة بين الإنسان والطبيعة، فالإنسان الذي عاش على سطح الأرض لا بد من أنه صنع حضارته بعد أن بذل مجهوداً ونشاطاً في تحسين ظروف حياته.<sup>(7)</sup>

فالحضارة تعني نمطا من الحياة يتميز بخطوط ألوان من التقدم والرفي، والحضارة هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية، وهذا المفهوم للحضارة مرتبط بالتاريخ لأن التاريخ، كما سنرى هو الزمن، والثمرات الحضارية تحتاج إلى زمن لكي تطلع. أي أنها جزء من التاريخ، أو نتاج للتاريخ.

وتبنى الحضارة القيم الجديدة وترسيخ معاني الفنون التشكيلية المعاصرة في المجتمع، ولهذا فيمكن القول أن تلك المعاناة التي شعرها الفنان الأول كانت الدافع الرئيسي لترجمة أحاسيسه والتعبير عن رؤيته الفنية وتجاوز نفسه والارتقاء إلى الإبداع، ووجودها على العالم بخيرها وشرها وحطمت بدرجة أو أخرى المجتمعات السابقة عليها لتنشئ نظاماً عالمياً شاملاً بقيم وأخلاق وذائقات فنية وجمالية مختلفة وجديدة، لان القدماء لا يملكون حلاً لمشكلات الحاضر، فقد أصبحت الحضارة هي الموقف السائد في الفن التشكيلي الحديث، فالحضارة لم

الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة

تكتف بالوقوف ضد التحجر والتقليدية، بل أنها أيضا حرصت على تجربة الفرد الذي يقف وحيدا في مواجهة وسطه الاجتماعي، وما كان يفرضه من تفتت وعزلة وانطواء وتقديس للماضي، فيستطيع أن يتعلم الثقافة من فناني الماضي، وإرادة، ومهارة، فلنفكر في أعمال فنية كثيرة رسمها عدد كبير من الفنانين العرب، وبالتالي ضرورة نزع الأثواب التقليدية القديمة عن الفكر والذوق لأجل التكيف والملائمة فكراً وعملاً مع واقع فني متطور جديد، وان تصوغ رؤية فنية فلسفية تربوية تنويرية جديدة، على الفئات الناشئة الجديدة من الفنانين لان تشق طريقها إلى الفن بأيديها وجهودها، وان تبني محيط عقلي تنويري ملتزم بقيم جديدة وفكر أنساني أصيل جامع بين المجتمع من دون تمييز "والمجتمع هو الذي يوجه سلوك الأفراد ويضبطه بوسائل متعددة أما وظيفية فهي إطلاق نشاط الأفراد ووضع مقاييس للسلوك للمحافظة عليها.<sup>(8)</sup>

كما إن الحضارة بما تحتويه من تراث فني من أشكال ونماذج مرئية وملموسة إلى جانب ما أنحدر من أفكار وتصورات داخل هذه الحضارة، فأنها تحدد مسار الرؤية لدى الفنان، بل انها تفرض نوعا معينا في الرؤية، وهي ما نعرفها بالهوية.

ويتغير الوضع تغيرا جذريا حالما تأثر الحضارة والثقافة بالفنون التشكيلية على رؤية الفنان لمرحلة الرواد، ليباشر عملية الإثراء المستمر بالشكل والأسلوب، واتساع موضوعات المعرفة الفنية.

وفي سياق هذا المضمون نجد الثقافة قد لعبت دوراً هاماً في تكوين الفكر الفني وكان لها الأثر والتأثير البالغ على رؤية العناصر المكونة للعلمية الفنية، والعلمية الفنية تعرف بأنها حدث يتم بواسطة الفنان في زمان ومكان محدد، والعمل التي يعرف بأنه علاقة ثلاثية بين الشخصية والفنان والمتفرج المتذوق فإذا تناولنا موضوع الحضارة والثقافية الفنية في ظل تحديات هذا العصر فأنا نجد انها كانت ولا تزال تستند مقوماتها الأولى إلى البيئة الطبيعية التي كان لها اكبر الأثر الهامة والتي أثرت في ثقافتها.



**الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة**

ولقد كانت هناك تيارات متنوعة في مواضع متعددة متفاوتة ،أخذت تؤثر في الفن والحضارة والثقافة ولكنها لم تستطع إزالة الطابع الخاص بهما، بقدر ما كانت تحويرات وتعديلات محدودة على الطابع و تلوينات مختلفة فيه.

لهذا فان أصحاب الفن الجديد اخضعوا أنفسهم لجدلية المنهج الإبداعي وتنوع الأساليب على رؤية الفنان الحضارية ،والحق أن تحليل العديد من أعمال الفنانين الأوائل يبين لنا ازدهار الحضارة التنوع والغنى في الأساليب الفنية ،وهذا يعكس دور الفن الذي استمر بالنمو والتحديث ودلالته الاجتماعية في حياة الناس.

**المحور الثاني- ويشمل على المباحث التالية:**

**المبحث الأول: دورالفنون التشكيلية في تنمية الثقافة الاجتماعية:**

تحتاج عملية بناء الثقافة إلى يد الإنسان التي تلعب دوراً هاماً فيتنمية الثقافةاجتماعية فهو يمسك بالأشياء ويشكلها بيده مثل أدواته الشخصية ،أسلحة ،وأواني طبخ ،وأدوات زراعية.

وبعد أن أصبحت الثقافات القديمة عرضة للتمزق ،فان التغيرات الهائلة للحضارة التي هي المسار الأساسي للعلومة لم يكن ممكنا دون أن يصاحبها تغير ثقافي في الشخصية الإنسانية، وهي التي تدخل على أهمية التقارب كحالة اجتماعية ثقافية عامة ،فقد كان لزاما على الناس أن يحدثوا تكيفات نفسية طوال حياتهم ليتوافقوا مع تعاقب التغيرات الحضارية المفاجئة وغير المتوقعة وغير العقلانية أحيانا والتي تحدث بتسارع متزايد مستمر. لقد وجد الفنان نفسه مجبراً على أن يتساءل عما إذا كان في وسع فن أنساني حقا أن يرتضي لنفسه أن يكون بعيدا عن واقع الناس ،ويحصر نفسه في الحدود الضيقة للنزعة الجمالية ، بل ويدعو إلى اللامبالاة بالواقع وبالصراع الاجتماعي ،فقد تأكد لهذا الفنان بأنه يعيش عصرا يحتاج الجميع بشكل خاص إلى فن يكتشف الحقيقة، ويؤكد أن مصير الإنسان وحياة الأجيال الحضارية المتقفة يعتمدان على الناس أنفسهم.

ويحتاج بناء الهوية الثقافية إلى وجود خامات التي يمكن من خلالها أن يصنع الإنسان أدواته الحضارية فمن الصخور صنع أدوات زراعية وأدوات طبخ وآلات صيد وأسلحة يدافع

عن نفسه عند مواجهة الخطر ،ومن أوراق الشجر بني بيته على الشجر وعلى الأرض وصنع ملبسه من ورق الشجر وجلد وصوف الحيوان.

ومن بين طرق التفكير بشأن أهمية الثقافة بالنسبة للحضارة هي معرفة إدراك وتحريك الأفعال والأنشطة المحلية ثقافياً لضمان نتائج معلومة وهي تكمن في دمج الأفعال والمبادرات الفردية والجماعية ،الهائلة للعصر الحديث التي هي المسار الأساسي للعلومة استطاعت إلى حد بعيد تغيير نسيج التجربة الثقافية وهي في جوهرها تؤثر في الإدراك والإحساس بالهوية الحقيقية للثقافة في العالم الحديث.<sup>(9)</sup> فإن التفكير بالحضارة في بعدها الثقافي يكشف أيضاً طبيعتها الفنية بشكل بالغ الرؤية والوضوح في رؤية الفنان وأحاسيسه.

#### المبحث الثاني: الفنون التشكيلية ودورها في بناء الحضارة الاجتماعية:

تعني الحضارة الاجتماعية الفنية كل نشاط تمارسه الأمم من أجل بلوغ ما تصبو إليه. ومواجهة كل ما من شأنه أن يحول دون وصول الأمم إلى أهدافها وتطلعاتها الواقعية في الفن التشكيلي ،إلا أن هذا النشاط الفني لا يتساوى عند كل علماء الحضارة وعدم التساوي ينتج من خلال تفاوت درجات الوعي عند علماء الحضارة ،لأن الوعي ليس شيئاً آخر سوى الوجود الواعي ووجود البشر ،يعزز ذلك الإيمان النبيل بقدرة الإنسان على التحكم في مصيره ،قال فن من وجهة نظر هؤلاء إنما نشأ ليشبع حاجة جماعية ،بعد أن استبعدوا ما ظل عالقا بهذا الفن من جمود ،وتبادل الرؤية وانفعالات الفنان وعواطفه ،وتكرار في الشكل والتقنيات والتوجهات.

وتحتاج الفنون التشكيلية إلى قدرة عقلية من الحضارة الاجتماعية كي يسخرها في بناء المجتمعات الفكرية والحضارية ،فكانت الحضارات في الماضي محدودة المساحة والتأثير ولذلك كان هناك مجال لقيام أكثر من حضارة في نفس الوقت ،وفى مناطق مختلفة من العالم ولكننا نعيش الآن في عصر الحضارة العالمية التي تمكنت لأول مرة في تاريخ العالم من صبغ كل العالم بصبغتها الفنية وأفلحت في طبع مختلف شعوب العالم بطابعها ،ولما كان لهذا التغيير الكبير الذي اعتري حياة الناس في شكلها الخارجي من تأثير الحضارة في بناء المجتمعات العالمية انعكاسه الفاتر بالنسبة للتغيير الأعظم والأشمل الذي أحدثته هذه

**الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة**

الحضارة في عقول الناس وأرواحهم، فوجدت كل التيارات الفكرية والفنية التي ازدهرت في الغرب السبيل الممهّد إلى بقية الشعوب، فضعفت الثقافات القومية أو تلاشت، وحات محلها الأفكار الغربية والأوروبية، ولقد تعاضم هذا التأثير الفكري بحيث أصبح النموذج الغربي في الحياة الاجتماعية والفكرية هو المثل الأعلى الذي يتحدى به في معظم بقاع العالم، بصرف النظر عن ملائمته للبيئات المختلفة، وأصبح الحديث عن عالمية الثقافة ووجدانية الحضارة وضرورة مواكبة كل شعوب الأرض لها أمراً مقبولاً لا يكاد يثير الجدل.

**المبحث الثالث: ثقافة التكنولوجيا في تنمية الفنون التشكيلية:**

يتسم العصر الحالي بالثقافة والتوسع في جميع مجالات الفنون التشكيلية المختلفة، ويُعد جزءاً مكماً لتطور العالم، بما في ذلك تطور العقل والمجتمع والحضارة كل الدلائل تشير إلى أن الفنون في عصرنا الحالي تميل إلى الارتقاء، وإلى التبدل، وليس فقط في شدة التنوع في الصياغات التي جسمتها هذه الفنون، وأن التغيير من الأدوات البسيطة الصغيرة إلى الأجهزة المتقنة، ليكشف عن مدى هذا التقدم، وبسبب هذا الاتجاه الشامل إلى التغيرات المركب فإن هذا التقدم ليس عارضاً طارئاً وليس في طاقة الإنسان إبطاله أو التحكم فيه، ولكنه ضرورة ملحة ولضمان مسايرة هذا التوسع المعرفي والتطور العلمي والتوظيف التقني، يصبح دور الفنون التشكيلية بالكمبيوتر هو تنمية الثقافة في الجانب المعرفي والمهاري، وذلك بأساليب وطرق تدريسية متعددة تغرس في الطالب توظيف التكنولوجيا في الحياة اليومية وتمثل الوسائل التعليمية مجموعة من الأجهزة والأدوات والمواد التي يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم.

كما أن تقنيات التعليم عبارة عن عملية منهجية منظمة للعمل، وتقوم على إدارة تفاعل بشري منظم مع مصادر التعلم المتنوعة من المواد التعليمية والأجهزة أو الآلات التعليمية لتحقيق أهداف محددة، ولا ينكر أحد أن التكنولوجيا قد نقلت التدريس نقلة نوعية نحو الأفضل، وتوجد علاقة بين الذكاء والتعلم فكلما ارتفعت نسبة ذكاء الفرد كلما كان أكثر استعداداً للتعلم وكانت علمية أفضل لأنه طريق الذكاء يمكن للطالب إدراك البيئة المحيطة به واكتشافها وإدراك العلاقات بين الأشياء.

**الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة**

فالعلاقة بين الثقافة والفنون التشكيلية علاقة داخلية كعلاقة الشيء بعضه ببعض وليست خارجية كعلاقة الشيء بشيء آخر، وثقافة الجماعة الإنسانية هي طريقة حياتها، بما تضمه من فنون وعلوم، وعقائد وتقاليد، ولغة ودين، بل وتاريخ مُمثلاً في التراث، وجغرافيا مُمثلة في عبقرية المكان أي الخصوصية التي تختلف بها البيئة الطبيعية عن البيئات الأخرى، والثقافة بهذا المفهوم تشكل أسلوب الجماعة الإنسانية في التكيف مع الحياة. ويستطيع الأثنروبولوجيون من خلال الآثار الباقية من عصور ما قبل التاريخ، استقراء مواصفات ثقافات الجماعات الإنسانية القديمة التي لم تعرف الكتابة، ومدى ما بلغته من حضارة. فمن الرسوم التي خلفها الإنسان الصياد منذ أربعين ألف سنة، كما استنبطوا طريقة التفكير والمعتقدات والقدرات الذهنية، فظهرت صور رمزية ميثافيزيقية مختزلة للغاية.

**المحور الثالث - ويشمل على المباحث التالية:**

**المبحث الأول: العولمة والهوية الثقافية للفنان التشكيلي:**

لقد جاءت العولمة لتعبر عن مجموعة من المتغيرات الثقافية والفكرية التي يخوضها الفنان التشكيلي اليوم على كافة الصعد، لتأثير تقدم العولمة وتقنيات الفنون التشكيلية. فقد فتحت العولمة حركات التحرر لشعوب العالم مجالات بحثية جديدة تكشف عن ما قدمته الحضارات الغربية من صياغات ونظريات، ومعتقدات، وأسئلة من وحي الواقع الفني الجديد المتنوع.

فقام عدد من مثقفينا ومفكرينا وفنانينا بتمثل عمليات الفكر باعتبار أن هذه العمليات أدوات معرفية يمكن تسخيرها في ضوء معتقداتنا، لأجل فهم النفس، ورؤيتها كحياة، ودور وفعالية وعلاقة، ولأجل صوغها في انساق مع المعتقدات وأنماط التفكير، باعتبار الفرد العربي كيان له هويته المستقلة.

وفي ظل التساؤلات والتناقضات والتطورات الفنية والعلمية والعالمية فقد رأى العديد من الرواد التشكيليين العرب ضرورة التجذر في العصر وما يأمر الواقع به كاستجابة انتباه أو دعوة استيقاظ لنا جميعا كي نصحو من سبات فكري وجمالي امتد قرونا طويلة لنفهم الحقيقة الجديدة عن الفكر البشري، التجارب التي ورثها عن تفاعله معها في زمن معين، فهو الحقيقة

*الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة*

النبض الذي يعكس الحياة في البيئة ويجسدها ويخلدها في أعماله الفنية، ولولا عناء الفنان وتقانيه لما دخلت حضارات، ولما ظهرت تلك الآثار الفنية التي أوضحت حياة الإنسان وعقائده وأذواقه وآراءه عبر العصور.<sup>(10)</sup>

أن أهمية الثقافة الفنية بالنسبة إلى العولمة هي معرفة إدراك وتحريك الأفعال والأنشطة المحلية ثقافياً وفنياً لضمان نتائج، وهي تكمن في دمج الأفعال والمبادرات الفردية والجماعية. والتفكير بالعولمة في بعدها الثقافي والفني يكشف أيضاً طبيعتها بشكل بالغ الرؤية والوضوح التي تعني أن العولمة ليست عملية أحادية الاتجاه من صياغة الأحداث لكنها تتضمن في أبسط الأحوال، التدخل المحلي في العمليات العالمية. فالفن والأدب اللذان كان لهما طابع فردي وكانا يتوجهان للفرد ذاته، فلم يعد الفن مقصوراً على هاوي الفن الذي يجمع الكتب النادرة، أو على مجموعة محدودة، وإنما أصبح بفضل وسائل الاتصال الحديثة متاحاً للجميع، فالحفل الموسيقي الكونسير الذي يحضره مجموعة من البشر، يمكن أن يسمعه الملايين عبر الأقمار الصناعية في جميع أطراف الأرض، وهذا مكسب للفن، وتحول الفن من حدث فردي إلى حدث جماعي، وأصبحت الإشكالية هل يمكن أن تستفيد أجهزة الإعلام في تقديمها للأعمال الفنية في أن تقوم بدور في تثقيف الحواس لاستقبال الفنون الرفيعة، القادرة على تحريك الوعي في الاتجاه الذي ينمي إمكانات الإنسان الروحية والمادية.

فإن العمليات التحويلية الهائلة لعصر العولمة والفنون والثقافة التي هي المسار الأساسي للعولمة استطاعت إلى حد بعيد تغيير نسيج التجربة الثقافية، وهي في جوهرها تؤثر في الإدراك والإحساس بالهوية الحقيقية للثقافة في العالم الحديث، من مقومات العولمة هناك ظاهرة مرتبطة وهي التي تدخل على أهمية التقارب كحالة اجتماعية ثقافية عامة من الجدير أن تفهم على أنها تحول في الممارسة والتقنية والخبرة تدرك بقدر ما يستشعر في الوسائل التكنولوجية المتزايدة للوصول إليها أو الخروج منها.

فأدت العولمة إلى تغيير إنتاج الأعمال الفنية التشكيلية تغييراً جذرياً، فاللوحة والتمثال أصبح من الممكن عمل صور شديدة التطابق مع الأصل لا حصر لها، ولكن مهما اتضحت النسخة المنقولة من العمل الفني مع الأصل، فإنها تفتقد عنصرين هما الزمان

*الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة*

والمكان، ذلك أن خامات العمل الفني وطبيعته لا تظهر في النسخ المطبوعة التي تشير إلى زمانه ومكانه وبالتالي تبين ظروف إنتاجه، وموقعه في التاريخ والزمان والمكان.

**المبحث الثاني: صلة الفن بالحياة الثقافية:**

أن صلة الفن بالحياة الثقافية مازالت تتراءى لأذهاننا كفكرة عامة، كهدف منشود، كأمل نرجو أن يتحقق، في حين أن الفن ينبع من الناس، والأرض، ومن المعتقدات والماضي والتاريخ وبالرغم من أن الفنون التشكيلية العربية تطورت في كل بلد، وستطور، فإن الدلالة الشاملة للخبرات الأولى تتزايد، وستزيد هذه الدلالة مع اتساع العلاقات الثقافية لضمان اثرء متبادل للفنون في كل بلدان العالم.

ويُعنى بالحياة الثقافية العلوم والمعارف والفنون الأدبية والفنية والموسيقية، وثقافة البدو تتعلق بالمسائل الحيوية في حياة التنقل والترحال التي يعيشونها، فهي تدور حول مواشيم وقيامهم والملاهي والمناهل والأنواء وتغير الفصول يضاف إلى ذلك ما يجري بينهم من أحداث يتناقلون أخبارها، وما يتوفر للبدو من معارف في الفراسة والقيافة والكهانة والعيافة ومعرفة الأنواء، وقص الأثر، ومواقع النجوم وتحركاتها ليس سوى خبرات حيوية تقتضيها ظروف المعيشة، وذلك أن البداوة وما يرافقها من تنقل وعدم استقرار لايفسح مجالاً للعلم والثقافة للنشوء والتطور، ثم التقدم والارتقاء. وقد كان هذا في عهود الشفاهية والكتابية القديمة إلا أن الأمر أخذ يتغير إلى حد بعيد في عهد المعلومات الإلكترونية.

ولعل التنوع في هذه البيئة كان عاملاً مهماً في التجربة الفنية، حيث إن هذه البيئة التي أثرت على الفنان التشكيلي قديماً وحديثاً ليجد الفنان فيها جوانب ذات معطيات ثقافية مؤثرة تجسد الطابع البدوي المميز بعاداته وتقاليد، لتفتح المجال لإبداعاته في التعبير عن طبيعة البيئة الصحراوية الخصبة" فتنوعت الأساليب الحديثة في الفن بما يتماشى مع معطيات ما يسمى بفنون الحداثة ونحن بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى نهضة تعليمية مرجوة تلحقنا بركب العصر وعلومه وتجاهل إعادة إنتاج البدايات أو مواصلة نهجها.<sup>(11)</sup>

ولابد أن يكون لدينا القدرة على الوصول إلى التقنيات الحضارية مثل الكمبيوتر والتكنولوجيا الرقمية والالكترونيات سواء في مكان العمل أو في المنزل عبر الانترنت أو عبر

الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة

التلفزيون وهو ما يساعد على النمو الذاتي الذي يجب أن يشكل هدفاً أساسياً للتعليم، لأنها ضرورية لفهم الفروع الأخرى من المعرفة، فكلها تعتمد على الفنون بطريق أو بآخر، وليس هناك علم أو فن أو تخصص إلا وكانت الفنون مفتاحاً لها، ورأى عدد من الفنانين التشكيليين ضرورة للتشبع بروح الحاضر من أجل الخلاص من ظاهرة الشلل الحضاري والعجز أمام التحديات، لا بد من تعديل الحياة على ساعات العصر لضمان الخروج من السلبية إلى ايجابية وتثبيت الحضور، لقد وعى هذا البعض ضرورة خلق الأشياء والقيم والعلوم والفنون، فهو شرط الوجود الأكمل في هذا العالم من أجل اختراع النفس من جديد، فالثقافة ان نستوعب أسباب التقدم في كافة المجالات حتى يمكن تنمية المجتمع تنمية شاملة.

**المبحث الثالث: الموروث الثقافي في التدوق الفني التشكيلي:**

نعلم بان كل عصر يخلق ثقافة متأثر فنه وفكره، وهو الذي يملئ مطالبه الجمالية والعصور التي يعيش فيها الناس حياة حرة كريمة، وتجري فيها حركات اجتماعية وتغيرات في بنيتها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، تدفع الناس إلى النشاط الحيوي، وتخلق أسس جديدة لفن أنساني جديد، فالمثل تتغير كلما تطورت الحياة، ولا توجد مثل خالدة متحجرة، مناسبة لكل العصور ان المثل الجمالي هو نداء للكفاح من أجل حياة أفضل، وليس تعبيراً عن الرضا الذاتي بالحياة القائمة فوجود الفن في المجتمعات العربية هو مطلب اقتضته ظروف العصر، وحاجة هذه المجتمعات إلى الحرية، والكرامة، والاستقلال، والعدالة، والتقدم ان خلق عالم جديد، ومولد إنسان عربي جديد، هما جوهر ومضمون الحضارة، وثقافة العصر بعد عملية الاستقلال والتحرر مباشرة.

فالرؤية السليمة للعمل الفني من خلال هذه الرؤية نستطيع أن نكون سلوكاً جمالياً، أي أن التدوق الفني يؤدي إلى خلق سلوك جمالي، وكذلك تدعيم القيم، والعادات الحميدة، ذلك عن طريق تدوق الأعمال الفنية وممارستها، فتدوق العمل الفني يستطيع أن يرفع معنويات المتعلمين ويجعلهم أكثر تدوقاً للأشياء، إن المحصلة الإبداعية الفعالة تتطلع إلى مواقع الصدارة والتميز والقيادة وهذا يعني انه إذا لم يطمح الجهد الجماعي منذ البداية إلى موقع

الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة

التفوق فإنه لا يصل في الغالب إلى نتيجة إبداعية.<sup>(12)</sup>، والتراث الفني التشكيلي كونه عاملاً مهماً في حياة الإنسان منذ القدم، وازدادت أهميته في هذا العصر بسبب التطور العلمي والتكنولوجيا وحاجتنا إلى المعرفة التراثية في جميع مجالات الحياة تترتب عليه معرفة المواقف والتطورات والظروف والاتجاهات النفسية التي أحاطت بها والعوامل التي أدت إليها، ومعالمها والنتائج والقدرات الفنية التي تساعد على إتمام عملية التفكير في بناء العمل الفني، والفن علاقة مولدة مع الإنسان ومتمثلة في مجمل معاشته اليومية فهي في المأكل والمشرب والملبس، حتى في المعاشة مع الشريك الآخر، فإذا لم يكن هناك فن وصبغة شمولية لصياغة العلاقات الإنسانية الودية بغيره فلا يستطيع أحدنا أن يتواصل مع الآخر بشكل من الأشكال ويكون الحاصل هو خلل في الذوق العام يؤدي بالبنية الحياتية مهما اختلفت صيغتها سواءً كانت فردية أو جماعية إلى انحطاط بمستوى الإنسان، ويجب أن نعرف أن القدرة الإبداعية ليست مسألة متسامية عند كل الناس، فهناك علاقة نسبية في مسألة الخلق والإبداع الفني. ويرى "ستولينتز" أن التجربة الجمالية تعزل المتلقي والموضوع معاً فإعجاب المتلقي بذات الموضوع يفصل عن علاقاته المتبادلة بالأشياء الأخرى ويجعله يشعر وكأن الحياة قد توقفت فجأة ويتوحد مع الموضوع الجمالي دون أن يتطلع لغرض آخر أو يهتم بالأمور الماضية أو المستقبلية فهو يخوض التجربة الجمالية مركزاً انتباهه على الموضوع الجمالي فقط عن طريق الاندماج بالموضوع وإعطائه مزيداً من الحيوية والدلالة.<sup>(13)</sup> فقد حافظ الفنان التشكيلي على إبداعاته الفنية التي ورثها من جيل إلى جيل، رغم الظروف التي مرت على المنطقة، فنلاحظ تمسكه بالموروث والاهتمام بالوظائف الجمالية وما امتازت بها الصناعات التقليدية من الأشكال التي حملت ألواناً مختلفة من فخار وصناعة الجلود والمنسوجات والسروج وزخرفة العمارات القديمة تمثل إبداعات الفن الشعبي الليبي، ويرى الباحث من هذا المنطلق أن الفن ضرورة حياتية ذات ترتيب أساسي بين الأولويات في سبيل تحقيق النضال الفكري والثقافي للشعوب المهيأة لحياة أفضل.

فإن تعلم مهارات ثقافة الفنون التشكيلية تعتبر جزءاً من البناء الاجتماعي في المجتمع باعتباره يمثل إحدى المتطلبات الجوهرية التي تستحق درجة متقدمة ضمن أولويات اهتمامنا



الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة

ان ممارسة الطلبة للأعمال الفنية تهيئ أمامهم فرص التنفس عن بعض انفعالاتهم وأفكارهم ويكتسب الطالب المهارة والثقة والخبرة والاعتزاز بالنفس، ويؤكد ذلك ما يشهده الواقع المعاصر من تقدم علمي وتطورات سريعة متلاحقة في الفكر والعلم والثقافة، ويزخر التراث الفني بأشكاله المتنوعة والذي يمكن أن يكون إحدى أسس نقل المعارف والخبرات المتوارثة للإنسان في صنع أشكال ونمط حياته عبر الأجيال التالية بطوعية وبشكل مباشر وغير مباشر. (14)

**النتائج والتوصيات:**

أولاً. نتائج الدراسة:

من خلال العرض السابق تم التوصل إلى النتائج التالية:

1. افتقارنا إلى الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية على اللوحة الفنية والطرز الفنية التراثية بشكل خاص من وجهة وسائل الإعلام وأجهزة الثقافة.
2. كان للرواد دوراً واضحاً في نشر الوعي الثقافي بالفنون التشكيلية وتعميم مفهوم الفن باعتباره وسيلة للتطور والتنمية البشرية وتجلى ذلك من خلال تكوين الجماعات الفنية الخاصة أو استحداث فروع وأقسام الفنون التشكيلية في المدارس والمعاهد والجامعات والاهتمام بإعداد معلم الفنون التشكيلية وتأهيله على أسس حضارية تربوية ونفسية جديدة والذي يعتبر من أهم الاتجاهات الحديثة، التي كان، وما زال رافداً لتأهيل الأجيال الجديدة للمساهمة في إثراء الحركة الفنية.

**ثانياً - توصيات الدراسة:**

في ضوء نتائج الدراسة الحالية يوصي الباحث بما يأتي:

تعد هذه الدراسة من وجهة نظر الباحث والتي يعتقد بأنها ستسهم في فهم الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية فهي خلق جديد يكشف لنا عن عالم كنا نجهله فينشئ بذلك قيماً جديدة لرواد الفنون التشكيلية في نشر الوعي الثقافي والفني بما ينعكس بالفائدة، يتقدم الباحث بعدد من التوصيات والمقترحات ومن أهمها ما يلي:

الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة

1. يوصى البحث بالكشف عن الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية والتي بلا شك ستسهم في فهم الاحتمالات المتعددة ومحاولة رسم المعالم الأساسية للهوية الفنية والثقافية في المستقبل باعتبار أن المستقبل ليس قدرا محتوما، حيث إن الدراسات الواعية للمجتمع وظروفه والاهتداء بمدى الواقع والوقوف على متطلباته الاجتماعية والاقتصادية.
2. الاعتراف بجهود الجيل الرائد من فناني الرعب الأول إلى محاولة تطوير الهوية الثقافية في حركة الفنون التشكيلية الذين استطاعوا أن يتركوا بصمة واضحة المعالم على خارطة الفن التشكيلي لما قام به الفنان التشكيلي من دور كبير في وضع الأسس الرئيسية السليمة في تنمية الفنون التشكيلية للأجيال من خلال ما أنجزوه من أعمال فنية وأساليب تعبيرية متجددة استطاعت أن تواجه تحديات القيم الذوقية المتوارثة. ومحاولة التطوير والتواصل وبلورة ملامح متميزة.
3. الطموح في انجاز بحوث علمية أكاديمية أخرى تقدم للقارئ لتسهيل اطلاعه للجهد الكبير الذي بذله الفنان التشكيلي في سنوات الريادة، إضافة إلى السعي لتوحيد نشاط الفنان العربي المعاصر وتوحيد الجهود المتفرقة لصالح الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية.
4. لا بد من الاهتمام بطلبة الفنون التشكيلية وبأهدافهم وتحصيلهم ومشكلاتهم في عملية اتخاذ القرار ومساندتهم داخل الفصل وخارجه وحدث توافق في البيئة التعليمية والأسرية والاجتماعية حتى نرى معطيائهم من خلال استفادتهم من الهوية الثقافية وعلاقته بالفنون التشكيلية مدخلات الفنون التشكيلية.
5. نوصي ومن خلال هذه الدراسة إلى ضرورة الاهتمام بالحفاظ على الهوية الثقافية وعرض النماذج الفنية والإبداعية التي أنجزها الفنانون الرواد في معارض أو متاحف دائمة ومكتبات عامة والتعريف بها كي تطلع الأجيال الجديدة على هذه المنجزات والإفادة منها في تنمية الفنون التشكيلية.

**المراجع:**

1. جواد ومحمد، عباس حسين، خوله عبدا حميد: اثر رأس المال الفكري في الإبداع المنظمين مجلة أهل البيت، القاهرة، 2006 ص1.

2. العساف، صالح محمد: المدخل للبحث في العلوم السلوكية، الرياض العبيكان للطباعة والنشر، 1989، ص 32.
3. عبدالجواد العبد جبريل: التصوير المعاصر في ليبيا، رسالة ماجستير في الفنون الجميلة، كلية الفنون الجميلة، جامعة المنيا، 2005، ص 94.
4. نعيم عطية: المكان في فن التصوير المصري الحديث، دراسات في نقد الفنون الجميلة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1993 ص 8.
5. ارنول مؤنس: ر: الفن والمجتمع، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر، القاهرة - ت، ص 1، 2.
6. سعد السيد العبد: التأمل الصوفي للطبيعة لإثراء الجوانب الإبداعية في فن الرسم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان 1998 م، ص 30.
7. حسين مؤنس: الحضارة، مجلة عالم المعرفة، القاهرة، ب - ت، ص 15.
8. ر.م، شارلي ينج: المجتمع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1940 م، ص 16.
9. جون توملينسون: العولمة والثقافة، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2008.
10. نبيل وديع رزوق: البيئة الشعبية وأثرها في فن الحفر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان 1986 م، ص 93.
11. عبدالكريم صولة: الأسس الفنية لتقويم تصميم أغلفة الكتب المدرسية بالمرحلة الإعدادية ومدى تطبيقها في ليبيا، أطروحة دكتوراه في فلسفة تقنيات التعليم: 2013، ص 10.
12. الطيب، حسن: أثر: محاور لتنمية التجارب الإبداعية في استراتيجيات الإصلاح الإداري، مجلة الإدارة العامة العدد، 59، الرياض معهد الإدارة العامة، 1409، ص ، 12 ، 13.
13. دياب، عبير صبحي: برنامج مقترح للتربية المتحفي كمدخل للتذوق الفني للطفل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 1995، ص 252.

د. عبد الكريم حسن عامر صولة

الهوية الثقافية وعلاقتها بالفنون التشكيلية المعاصرة

14. المنيف، عبد الله وصالح، محمد: الإدارة المدرسية في ضوء مهام مدير المدرسة السلوكية والتربوية، الطبعة الثانية، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1998، ص 38.

### خُلَاصَة:

مما لا شك فيه أن كثيراً من طلاب اللغة الثانية/الأجنبية يواجهون صعوبة حقيقية في تذكر بعض الكلمات. ويبدو هذا واضحاً بشكلٍ خاص عند استعمالهم اللغة الثانية/الأجنبية في مواقف يكون تدخل المُعَلِّم فيها أقل كالمحادثة التفاعلية الحرة مثلاً، حيث تكون الكلمات اللازمة للتواصل صعبة التذكر حتى بعد تعلمها. والأسوأ من ذلك أنهم حتى عندما يعرفون معاني كثير من هذه الكلمات والسياقات المناسبة لاستعمالها، إلا أنهم لا يستطيعون تذكرها بشكلٍ إنتاجيٍّ وذو معنى. أما البعض الآخر فهو يراوح بين السهولة والصعوبة من حيث التخزين، والتذكر والاستخدام، فتارةً يمكن تذكره بسهولة، وتارةً أخرى ينعدم تذكره مؤقتاً (أو ما يُعرفُ بظاهرة الكلمة على رأس اللسان)، حيث تُسترجع المفردة من الذاكرة بجهدٍ وعناء. يدفعنا هذا للقول بأن هناك عوامل، داخلية أو خارجية، تكون هي المسؤولة عن سهولة أو صعوبة حفظ وتذكر مفردات اللغة الثانية /الأجنبية. ولإستكشاف تأثير العوامل الداخلية (وهي الخصائص الجوهرية الأصلية للمفردة المتمثلة في شكل الكلمة ومعناها) حددت الباحثة عينة عشوائية ضمت 60 مشاركاً من طلبة السنة الثانية الليبيين المسجلين للعام الجامعي 2017-2018 بقسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة الزاوية. أظهرت النتائج أن المشاركين تمكنوا وبسهولة ويُسرٍ ملحوظين من تذكر المفردات التي تتميز بسهولة في تلفظها أو كتابتها، أو ترتبط ببعضها البعض بتشابه في بينها في التهجئة أو التلفظ. أما تلك المفردات التي كانت ذات تلفظٍ عسيرٍ أو تهجئةٍ معقدةٍ وغير منتظمةٍ فقد كان معدل أداء المشاركين بخصوصها ضعيفاً بشكلٍ واضح. لذا خلصت الباحثة إلى الإستنتاج بأن أخذ تأثير العوامل الداخلية على تذكر المفردات بعين الاعتبار بالتأكيد سيعين المُعَلِّم في تبني الاستراتيجية الأنسب لتقديم الكلمات الجديدة في الدرس.

***Abstract***

The present study is an attempt to examine some factors (intra-lexical) that may affect the learner's ability to store, access the target-language word and retrieve it from storage quickly enough to use it for communication. To carry out this study, 60 Second-Year students at Dept. of English, Faculty of Arts, Zawia University (enrolled for the academic year 2017-2018) are divided into two groups, Group A and Group B, according to two lists of words: **List A** (containing items of very mixed level of difficulty) and **List B** (containing items of fairly low (uniform) level of difficulty). Vocabulary items selected for the test contain at least one factor of difficulty, e.g., *length*, *pronounceability*, *orthography*, *morphology*, *semanticity*, etc. During the test, partners in each group try to write down as many items as they can remember. Their results (i.e., the number of words they remembered) are recorded on the *Results Sheet*. Then participants in each group do the same thing again with the list they did not work on the first time. The results are recorded as before. Taking a general overview, results show that participants are significantly able to recall more if the vocabulary items can be linked with each other, or with already known words, through meaning-, spelling- or sound associations. T-test that compares the means of the two sets of data shows that there is sufficient evidence to suggest that the mean score in memory test for **List B** is greater than the mean score for **List A**, concurring with the experimental hypothesis.

**Key words:** intra-lexical, memory, memory strategies, word retention, word-recall

***Null hypothesis***

There will be no significant difference between the mean score in memory test for Group A and the mean score for Group B.

***Experimental hypothesis*** The number of words recalled on List B will be significantly greater than the number of words recalled on List A.

***Research Rationale***

This study is designed to investigate the effect of intra-lexical on memory recall of Libyan learners. Memory can be defined as retention

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

of information over time through three processes, which are encoding (input), storage (throughput) and retrieval (output). It should be stated that memory is looked at in some detail as one of the most important strategies that students depend upon in the course of learning and developing their vocabularies. The underlying assumption is that the study will produce practical results that undoubtedly have clear relevance for conventional vocabulary learning and teaching in the Libyan context.

#### ***1.1 Introduction***

Do we, as language teachers, feel the need to teach vocabulary? The obvious answer to this question is: ***Yes, we certainly do.*** Although vocabulary development, as such, is not a specific study skill, it relates to all language learning. The reason for this is that learners usually want to increase their store of vocabulary, regarding it as a standard by which to measure their language improvement. Vocabulary knowledge is the most essential component of second/foreign language competence regarding academic achievement. Lewis (2000: 8) points out that, "The single most important task facing language learners is acquiring a sufficiently large vocabulary."

Vocabulary development is equally of concern to all four language skills, listening and reading with their receptive understanding of language, and speaking and writing with productive use. This relationship has been expressly stated by Nattinger (1988) (in Jordan, 1997, p.149):

[C]omprehension of vocabulary relies on strategies that permit one to *understand* words and store them, to commit them to memory ... while production concerns strategies that activate one's storage by retrieving words from memory.

From this quotation, we can conclude that as memory here relates to any language leaning, it is one of the most important strategies that students depend upon in the course of learning and developing their vocabularies. But when doing this, students are often faced with the difficulty of recalling words at will. Many ESL/EFL students encapsulate the problem with remembering words in the following statement: '**What is learned today is forgotten tomorrow!**'. In our own everyday teaching, we often see that students have a real problem

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

when remembering many words. This is particularly clear when it comes to using the language in a somehow less controlled production. In situations of free spoken interaction, vocabulary is poor and difficult to recall, even after it has been learnt.

#### **1.1.1 What is involved in the learning and retention of a word?**

The idea of describing a word as a set of features or properties has been adopted and highly recommended by most linguistic analyses as a useful approach to the definition of a word. Laufer (1986) and Jordan (1997) have insisted that, for a learner to learn a word and remember it easily in the future, the knowledge of the following is essential:

- a. **Form** – spoken and written; i.e. recognizing it in pronunciation and spelling
- b. **Word structure** – the basic free morpheme (or bound morpheme) and the common derivations of the word and its inflections
- c. **Syntactic pattern** of the word in a phrase and sentence
- d. **Meaning**: (1) referential (including multiplicity of meaning and metaphorical extensions of meaning);  
(2) affective (i.e. the connotations and associations of the word);  
(3) pragmatic (i.e. the suitability of the word in a particular context/situation)
- e. **Lexical relations** of the word with other words, e.g. synonymy, antonymy, hyponymy, etc.
- f. **Common collocations**, i.e. the words it [the word] correctly goes with.

#### **1.1.2 Key Question for Background Research**

In view of all the above mentioned features, knowing a word would ideally imply familiarity with all those features, as is often the case with an educated native speaker. In the case of language learning, however, word knowledge may be partial, that is, the learner may



### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

have mastered some of the word's properties but not the others. What emerges is an acknowledgement of the fact that the multiplicity of features to be learned and remembered adds to the possibility of words being problematic and therefore only partially learned and remembered for future use, since difficulties can arise from one or more of the areas. Even when they know some words in the sense of knowing what those words mean in certain contexts, students cannot always remember or use them productively. Other words range from easy to difficult in terms of retention and production: some words can be recalled immediately; some are momentarily inaccessible (**the tip-of-the-tongue phenomenon**); others can be retrieved from memory only with effort (Schmitt & McCarthy, 1997).

The question to be asked at this point is "***What is in a word that makes it hard or easy to remember?***". In other words, are there any factors, *intra-lexical*, that pertain to the ease or difficulty of learning and retention of words in a non-native language? Providing an answer to this question will be our concern in the following discussion.

#### **1.2 Intra-lexical factors affecting word learnability and recall**

A detailed factor analysis presented by Laufer (1986) shows that there is a certain number of intra-lexical factors, i.e., the intrinsic properties related to the word's form and meaning, that may affect the learner's ability to store, access the target-language word and retrieve it from storage quickly enough to use it for communication. However, Laufer insists that the following factors are not exhaustive, but indicate a number of critical points.

##### **1.2.1.1 Pronounceability**

Foreign learners of English often experience phonological difficulties related to phonemes, combinations of phonemes and suprasegmentals. To a great extent, the learner's LI system determines what makes some words phonologically more difficult than others. The LI system may be responsible for the learner's inability to discriminate between some phonemes and subsequent problems of remembering words differing precisely in those problematic phonemes. Such words may be perceived as homophones. As

***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

evidence of this, Laufer (1986) cites Spanish and Arab speakers of English as an example. He points out that:

Spanish ... learners of English may have difficulty with distinguishing between pairs like *ban/van*, *day/they*, while Arab learners have difficulty discriminating between *park/bark*, *ferry/very*, *breath/breathe*. The Spanish speakers may have trouble with pronouncing [and remembering] words like *just*, *shop*, *strange*...

Arab speakers find it difficult to pronounce final consonant clusters in *clothes* and *films* ... (p.143)

Familiarity with phonological features and a word's phonotactic regularity (its familiar combinations of features) often affect accuracy in perceiving, saying and remembering the word. In this connection, Laufer (1986) reports a number of studies which investigated the recall problems caused by phonologically difficult words. Rodgers (1969), in a study with English learners of Russian, found that foreign words which were difficult to pronounce (e.g. *mglā*) were not remembered as well as the more pronounceable ones. Gibson and Levin (1975) report a series of experiments on nonsense words – some pronounceable, some unpronounceable (e.g. *sland* vs. *ndasl*). The results convincingly demonstrated that the pronounceable words were remembered more easily and quickly than the unpronounceable ones. Also, Ellis and Beaton (1993) experimented with English learners of German and showed that phonological regularity predicted long-term memorization of words.

**1.2.1.2 Orthography**

The degree of sound-letter correspondence in a word can be a facilitating or difficulty-inducing factor. For example, an English written word may provide no clues to its pronunciation (e.g. different pronunciations of the letter "o" in *love*, *chose*, *woman*, *women*, *odd*: /ʌ/, /əʊ/, /ʊ/, /ɪ/, /ɒ/ respectively). Words characterized by such sound-script discrepancy are good candidates for pronunciation and spelling errors as well as remembering difficulties (Laufer 1986).

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

Moreover, a different LI writing system can also be responsible for some retention problems. According to Ryan and Meara (1991) and Laufer (1992) (mentioned in Laufer, 1986), native speakers of Semitic languages, particularly Arabic, which puts great emphasis on consonants and hardly represent vowels in script, tend to confuse words with similar consonants and different vowels. *Pulls/pulse, decimal/dismal, available/valuable, embrace/embarrass* can be examples of such errors.

In this regard, Ewhaida (2014) mentions that Libyan learners of English, as other learners all over the world, have their own word-retention difficulties that are caused by ***pronounceability*** and ***phonological complexity (sound-spelling mismatch)***. Libyan learners seem to have difficulty in distinguishing English with a similar consonant structure. They are seriously confused by the excessive amount of information present in an English word, where all the vowels are written down. They always preserve the consonant structure whereas vowels are either changed or turn up in the wrong place. Here are some examples copied from some writing assignments:

- a. We get water from deep ***\*wheels***. (wells)
- b. We had delicious hot ***\*soap*** for dinner. (soup)
- c. ***\*Tow \*puls \*tow*** make four. (two – plus)
- d. Be careful with the plate; please don't ***\*bark*** it! (break)

#### **1.2.2 Length**

Intuitively, we can argue that longer words could be more difficult simply because there is more to learn and remember. The bulk of empirical research cited in Laufer (1986) seems to lend support to this argument. For instance, Greganov and Taseva (1982) report that Bulgarian learners of English memorized and recalled more easily one-syllable words than two-syllable ones. In Stock's study (1976), one-syllable Hebrew words had a higher retention rate than those with two syllables. Cole's findings (1982), on the other hand, suggest that word length had a strong effect on word recognition, at least in its written form. Even though all the words were supposed to be familiar to the subjects, the longer words were less remembered than the shorter ones. This was particularly the case with subjects whose LI

### **Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...**

had a non-Roman script. Phillips (1981) also investigated the learning of French words by English speakers and found that length had a significant influence on word retention. Also, Libyan learners find longer words more difficult to remember than the shorter ones (Ewhaida, 2014). Here are some examples:

a. **Length in phonemes** in terms of number of phoneme constituents in the word (especially in writing), e.g., \***Wendesday** (Wednesday)

b. **Length in syllables** in terms of number of syllable constituents in the word (both in writing and speech), e.g., \***available** (available); \***manger** (manager)

#### **1.2.3 Derivational complexity**

We know that the learner's ability to hold words in memory and retrieve them for productive use can be facilitated by the learner's ability to analyze a word into its constituent morphemes. For instance, familiarity with the meaning of the suffix *-ship* and the word *scholar* will enable the learner to recognize the meaning of *scholarship*. Similarly, the recognition of *ante-* and *pre-* as being synonymous can help the learner remember that *prenatal* and *antenatal* are identical in meaning (Laufer, 1986).

However, lack of regularity with which morphemes can or cannot combine to create meanings or the multiplicity of the meanings can present a memorization difficulty. For example, by simply realizing that *preview* is correct, but *antepreview* is not, it is possible to suggest that the former may be easily retained than the latter (Laufer, 1986).

Equally problematic is what could be called 'deceptive transparency' Words that look as if they were combined of meaningful phonemes are termed '**Deceptivelytransparent words**'. An example of this would be *out* in *outline*, where it doesn't mean *out of*.

In this connection, Ewhaida (2014) found that **Morphological complexity**, in terms of raw number of morphemes (stem + affixes) in the word, was problematic. For instance, in a translation test, some students translated the word *indifference* as the opposite of *difference*, thinking that *indifference*, like *disagreement* (opposite of *agreement*), *is* composed of a stem (differ), prefix (in-) and suffix (-ce). Thus

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

learners are faced with too much morphological content to be processed. The researcher thinks that this is caused by the great differences in the morphological structure between Arabic and English. The canonical word structure in Arabic is based on the trio-consonantal root where different vowels can be added to produce a whole family of words that share a common meaning. For example, the root *d-r-s* combines with other vowel patterns to produce *mudarris-* teacher; *madrassa-* school; *darrasa-* to learn. In English, words with similar consonant structure are not always semantically related. For example, *read, red, rid* are semantically unrelated, in spite of their similar consonant structure. So, it is entirely possible to view this problem as an L1-induced barrier.

#### **1.2.4 Synformy**

Similar lexical forms are technically termed '*synforms*'. According to Laufer (1986), general *synformy* refers to the characteristics that all synforms share, i.e., the identical number of syllables of the confused words, the identical syllabic position of the confused segments in the target word and error, the identical stress patterns, and the identical part of speech.

There is a wealth of empirical evidence (cited in Schmitt & McCarthy, 1997) that learners confuse words that are similar in pronunciation or spelling. Here is a summary of those studies. Henning (1973) found that the subjects were experiencing acoustic encoding interference. They, on a vocabulary recognition test, chose acoustically-associated words more than words associated semantically with the correct recognition response, or words which bore no association with it. Duskova's (1969) lexical corpus of errors made by Czech learners of English included pairs like *case/cause, incline/decline, depth/death*. This confusion of similar words, in turn, led to confusion both in recognition and retention. Likewise, Myint (1971) noticed that her Burmese students of English confused pairs like: *watching/washing, injure/endure, joy/join*, etc. Laufer and Bensoussan (1982), Bensoussan and Laufer (1984), and Laufer and Sim (1985) found that similar sounding and/or looking words induced a difficulty in reading comprehension even for advanced-level subjects, (e.g. *comprehensive/comprehensible; cancell/conceal;*

***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

*assume/consume*). Likewise, Zimmerman (1987, 1988) found many remembering problems with phonic-graphic orientation (e.g. *incitive* for *incentive*; *illucitation* for *elucidation*) and difficulties with morphological orientation (e.g. *consummation* for *consumption*; *farcelike* for *farcical*). Also, Laufer (1988, 1991) tested over 500 foreign learners of English on many confusing synforms like those in the studies listed above. Results showed that the most problematic synforms were those which differed according suffixes (e.g. *industrial/industrious*; *comprehensive/comprehensible*) and synforms which had the same consonants but different vowels (*adopt/adapt*; *proceed/precede*). He concludes that synformy proves to be a difficulty-inducing factor for learners of different native languages. However, speakers of Semitic languages (e.g. Arabic) were most prone to such confusions.

Also, *Synformy (wordlikeness)* caused Libyan learners to confuse English similar orthographic forms. For example, in a phonology test, some subjects drew *THREE* diagrams instead of one *TREE* diagram! (Ewhaida, 2014)

**1.2.5 Grammar — Part of speech**

In fact, it can be safely assumed that certain grammatical categories are more difficult to learn and remember than others. Laufer (1986) sees the grammatical categories as forming some kind of continuum: at one end, nouns seem to be the easiest; at the other end, adverbs are more difficult; verbs and adjectives are somewhere in between. Phillips' (1981) (in Laufer, 1986) findings demonstrate that nouns are better remembered than verbs or adjectives. However, he observes that the effect of part of speech decreases with the increase in the learner's proficiency. In an experiment involving Russian-English pairs of words, Rodgers (1969) (also in Laufer, 1986) finds that if the Russian word is a noun or an adjective, this makes the pair easier to remember than if the item is a verb or an adverb. Evidence, although indirect, against the effect of the part of speech on word retention can be found in Odlin and Natalico (1982) (also in Laufer, 1986). They report lexical errors which show that, even though learners acquire the semantic content of some words, they cannot remember their part of speech. Consequently, some nouns are replaced by verbs, adjectives

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

by nouns, or adverbs by adjectives. There is no evidence for prevalence of nouns or verbs over adjectives.

Similarly, Ewhaida(2014) reports that Libyan learners often forget the part of speech of some English words, even though they know their meanings. Here are two examples copied from some exam papers:

- a. There is a \**different* between a phoneme and a phone. (difference)
- b. I often \*loss the keys of my car. (lose)

#### **1.2.6 Semantic features of the word**

Semantic properties that can negatively affect the word memorability have been summarized under the following headings (Laufer 1986):

- abstractness
- specificity and register restriction
- idiomacity
- multiplicity of meaning

##### **1.2.6.1 Abstractness**

It is often claimed that concrete words are easier to remember than abstract words because the latter are intrinsically more complex than the former. As Allen and Vallet (1972, p. 114) (in Laufer, 1986) write: "Concrete words are the easiest to [remember]. Neither young nor older students have trouble in [memorizing] numbers, days of the week, colours, names of objects and the like."

This is true in the case of L1 acquisition, where lexical and cognitive development are closely associated. However, L2 learners have already developed abstract concepts in their L1. But in productive use, many abstract words may require remembering a new form for a familiar concept. Thus, words like *repugnance*, *aversion*, *animosity*, *antagonism*, *enmity*, *hostility*, *antipathy* may be problematic if they contain factors of difficulty, intra- or interlexical.

As for Libyan students, abstract words pose many recall problems as they convey heavier information content than concrete words. With respect to morphological complexity, abstract words tend to be more heavily inflected than concrete words. For example, many students couldn't remember the word *enlightenment*

***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

(en.light.en.ment) when answering a question on the history of novel as a literary genre. (Ewhaida, 2014)

**1.2.6.2 Specificity and register restriction**

We can assume that general and neutral words, which can be used in a variety of contexts and registers are less problematic for retention than words restricted to a specific register, or area of use. This assumption can be justified on the grounds that general terms may cover a large area of meaning and fit several contexts while the more specific terms may require the learner to familiarize him/herself with extra-linguistic phenomena, such as the socially-defined relationships between individuals in the language community. In this connection, it is worth mentioning that Blum and Levenston (1978) (in Laufer,1986) found that, in their study of lexical simplification, foreign learners tended to remember words set up as superordinates more easily than co-hyponyms. For instance, English learners of Hebrew could remember the Hebrew equivalent of *put* but not of *impose*.

**1.2.7.3 Idiomaticity**

It is a generally acknowledged fact that, for both teachers and foreign learners, idiomatic expressions are much more difficult to learn, retain and use than their non-idiomatic meaning equivalents. (Laufer, 1986) For example, *decide* would be easier to recall than *make up one's mind*. Marton (1977) (in Schmitt& McCarthy, 1997) considers the problem of idioms as the biggest obstacle to ease of recall for advanced learners. According to Dagut and Laufer (1985) (in Schmitt& McCarthy, 1997), difficulty of remembering accounted for the avoidance of phrasal verbs by Arab learners both in free expression and in elicited responses. For example, they preferred one-word verbs like *postpone* and *reprimand* to their idiomatic equivalents *putt off* and *tell off* respectively. Dagut and Laufer suggest that these results are not surprising, since the retention load in the case of idioms is particularly heavy. Not only is there more than one word to remember, but also there is little or no clue whatsoever as to the meaning of the idiom from the meaning of each individual word that builds it up.



**1.2.7.4 Multiple meaning**

The generally accepted assumption is that multiplicity of meanings associated with one word can cause many retention problems for foreign learners. In practice, one form can have several meanings and one meaning can be represented by different forms. Multiplicity of meaning can be either *polysemy* or *homonymy*, depending on whether meanings are related or not. An example of a polyseme is head which can mean **part of the body**, **part of a pin**, or **a person in charge of an organisation**. An example of a homonym is *file* as a **holder used to put papers in** and **a tool for cutting**. In practice, it is hard both to remember all the meanings and to distinguish which meanings are related and which are not. Therefore, Laufer (1986) suggests considering polysemy and homonymy as one problem in language learning, that of recalling and distinguishing between the different senses of the same form and of using each sense correctly.

Empirical evidence is available to illustrate the difficulty learners have with multiplicity of meaning. In connection with meaning retention, Bebsoussan's and Laufer's (1984) (in Laufer, 1986) study of lexical guessing revealed that words with multiple meanings resulted in the largest number of errors in comprehension of words. Learners who could not remember all the meanings of a polyseme/homonym and were familiar with only one of those meanings did not abandon this meaning even though it did not make any sense in context. For example, **since** in the sense of *because* was often remembered as *from the time when; yet and still* (meaning *but*) as *until now*; **course** (*duration*) as *dish*; and **state** (*situation*) as *country*.

Similarly, in Levenston's (1979) (in Laufer, 1986) study, Arabic speakers of English preferred the phrase *When the Labour Party was in government/power* to *When the Labuor Party was in office*. Levenston argues that this preference was possibly due to the fact that learners could remember that one word *office* could mean *place where one does his administrative work* but could not bring themselves to remember its other meaning *power*.

## **2.1 Memory and mnemonics**

At the beginning of the discussion, mention has been made of memory and the storage of words. As memory relates to any language learning, and not only vocabulary, we can strongly confirm that it is one of the most important strategies that students depend upon in the course of learning and developing their vocabularies. Therefore, it will be looked at in some detail.

### **2.1.1 Memory strategies**

Rubin (1987, p. 29) (cited in Schmitt & Schmitt, 1993) defines learning as " the process by which information is obtained, stored, retrieved and used". Therefore, vocabulary learning strategies could be any which affect this rather broadly-defined process. O'Malley and Chamot (1990) and Oxford (1990) (both cited in Schmitt & Schmitt, 1993) describe *Memory Strategies* as those requiring relating the word to be retained with some previously learnt knowledge using some form of imagery or grouping.

With respect to strategies specifically applicable to vocabulary learning and retention, it seems that learners do use many strategies for learning and remembering vocabulary, especially when compared to more integrated tasks. Chamot (1987) (cited in Schmitt & Schmitt, 1993) thinks that this might be due to the relatively discrete nature of vocabulary learning compared to more integrated language activities, like listening comprehension and giving oral presentations, making it easier to apply learning strategies effectively. Horwitz (1987) (also cited in Schmitt & Schmitt, 1993) claims that the higher strategy use may be a result of learners' awareness of the importance of vocabulary. She found that a substantial number of the ESL students completing her questionnaire (rating between %25 and %39) either agreed or strongly agreed that the most important part of learning an FL is learning vocabulary.

As for the classification of vocabulary learning and retention strategies, the most established taxonomy is the one that has been organized according to both the Oxford (1990) system and the Discovery/Consolidation system proposed by Cook and Mayer (1983) and Nation (1990) (all cited in Schmitt & Schmitt, 1993).

***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

However, in this section, our discussion will be limited exclusively to memory strategies since they are the most used traditional techniques which either organize mental information together or transform it in a way which makes it more memorable.

Mercer (2005, p. 28) defines memory strategies as, "... strategies how to memorize words that need to be learned." More properly, memory strategies refer to associating words with some previously learned knowledge, using methods such as matching images and organized groups. These strategies are technically termed **mnemonics**, i.e., aids to memory that can be verbal, visual or a combination of both. From an etymological viewpoint, the word "mnemonic" itself derives from the ancient Greek **mnemonikos** and is related to the Goddess of memory, **Mnemosyne**, so it should not be surprising that the best Greek orators could recite speeches several hours long without forgetting their lines. (<http://iteslj.org/Articles/Idoine-Mnemonics.html>)

From a pedagogical perspective, Thompson (1987) (cited in Schmitt & Schmitt, 1993) states that:

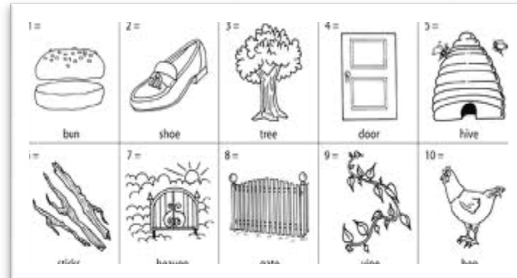
Mnemonics work by utilizing some well-known principles of psychology: a retrieval plan is developed during encoding, and mental imagery, both visual and verbal, is used. They help individuals learn faster and recall better because they aid the integration of new material into existing cognitive units and because they provide retrieval cues.

This integration requires deeper levels of semantic processing because words are encoded with elaboration. *The Depth of Process Hypothesis* ( Craik & Lockhart, 1972; Craik & Tulving, 1975) (both cited in Schmitt & Schmitt, 1993) suggests that this kind of elaborative mental processing is necessary for long-term retention. A new word can be integrated into many kinds of existing knowledge (i.e., previous experience or known words) or images can be custom-made for retrieval (i.e., images of the word's form or meaning attributes). Here are some mnemonic methods (Thompson 1987) (cited in Schmitt & Schmitt, 1993):

### **2.1.1.1 Unrelated words**

Words can be remembered by linking them to other unrelated, although known words. This can be done by using 'peg' or 'hook' words. According to Mercer (2005), the ***Peg Method*** works by memorizing a rhyme (e.g., *one is bun, two is shoe, three is tree*, etc.) and creating an image which is linked to the peg word. When the rhyme is then repeated, the images mentally linked to the peg words are recalled.

Similarly, a spatial mnemonic, like the ***Loci Method***, can be used to remember unrelated words. The Loci Method works by remembering a familiar place such as a street or room and mentally placing the items to be remembered at certain places in the chosen setting. In order to recall words, the learner has to mentally move to the locations and retrieve the words associated with each location (Schmitt & McCarthy, 1977). In this regard, Paivio and Desrochers (1979), Groninge (1971) and Bower (1973) (all cited in Schmitt & Schmitt, 1993) found that subjects could remember more words using Peg method and Loci method than rote memorization.

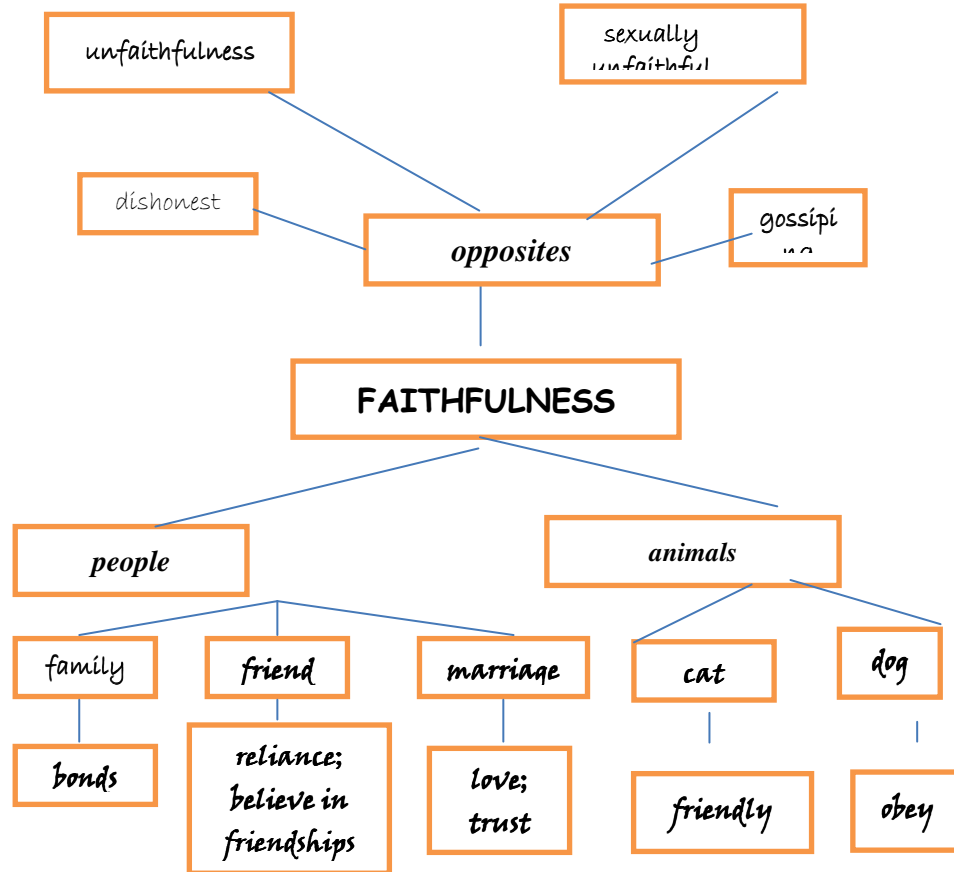


### 2.1.1.2 Related words

Words can be associated with L2 already known words by using some type of sense of relationship, e.g., **coordination** (apricot —apples, pears, peaches, cherries), **antonymy** (dead —alive), or **synonymy** (irritated —annoyed). In this connection, Oxford (1990) (cited in Schmitt & Schmitt, 1993) claims that *semantic maps* can be used to illustrate these sense relationships and to help recall vocabulary. Semantic mapping generally refers to brainstorming associations which a word has and then diagramming the results. For instance, Sökmen (1992) (cited in Schmitt & Schmitt, 1993) reported that low-intermediate ESL students, when asked to give words the remembered when they heard the word “**FAITHFULNESS**”, generated sixteen words or phrases. After clustering words which they felt went together, they mapped the relationships between these words as follows:

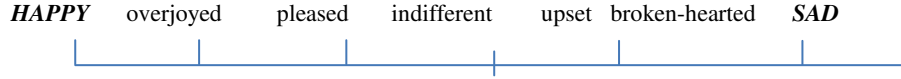
**Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...**

Based on Sökmen, 1992 (cited in Schmitt & Schmitt, 1993: 250)



A helpful way to remember words is to set them in a scale. Some words, particularly gradable adjectives, have meanings relative to other words in their set. For example, in Lennon’s study (1990) (cited in Schmitt & Schmitt, 1993), subjects were asked to unscramble (i.e., arrange the words) from **HAPPY** to **SAD** by putting them in logical order. Subjects were also encouraged to use pictorial schemata or grids, i.e., visual aids that help learners distinguish the differences between similar words and set up memory traces of the specific occurrence. After remembering the words related to **HAPPY** and **SAD**, students set them in a scale or cline as follows:

***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***



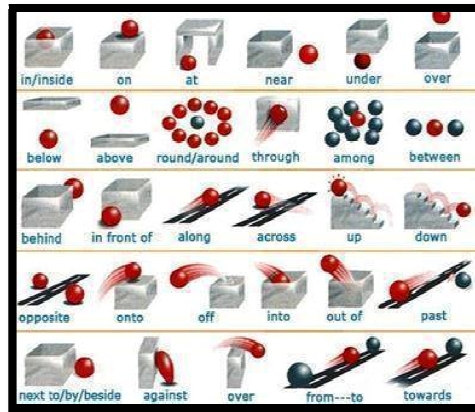
*Based on Sökmen, 1992 (cited in Schmitt & Schmitt, 1993: 250)*

**2.1.1.3 Grouping**

People seem to organize words into groups naturally to aid recall. Words can be grouped semantically, i.e., words belonging to each meaning category can be recalled together, for example, all animals first before moving on to another category like names (Bousfield, 1953) (cited in Schmitt & Schmitt, 1993).

Words can also be grouped spatially on a page of some sort of pattern. Bellezza (1983) (cited in Schmitt & Schmitt, 1993) found that L1 words grouped on the page in the shape of rectangles, pluses, Xs, Zs and Ks, were better recalled both immediately and after one week than words arranged in columns.

Similarly, words can be grouped together by using the in sentences or in a story. Bower and Clark's (1969) (cited in Schmitt & Schmitt, 1997) findings have shown that the narrative chain method was highly effective with L1 undergraduates, who recalled six to seven times as many words with this method than with rote memorization.



#### 2.1.1.4 Pictures/Imagery

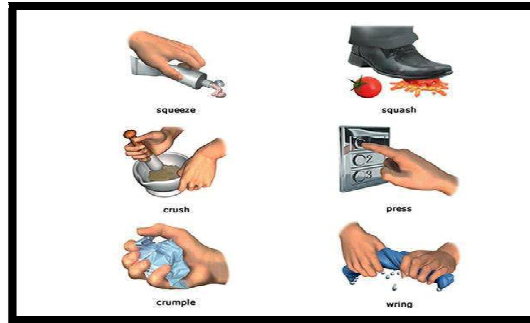
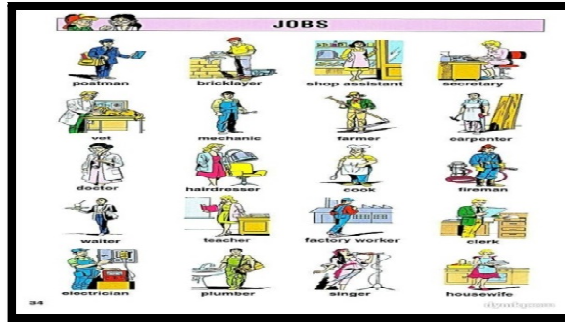
Learners can remember a word by using an image of its meaning instead of a definition. Kopstein and Roshal (1954) and Webber (1978) Thompson (1987) (both in Schmitt & Schmitt, 1993) found that matching English words with pictures was more effective than relating them with their L1 equivalents in Russian and Indonesian. Similarly, a mental image of a word's meaning has been shown to be more effective for vocabulary recall than mere repetition. Also, associating a word with a particular vivid personal experience of the underlying concept can be a great help to word retention. For instance,



د. فوزية أوحيدة

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

a learner can mentally connect the word *snow* to a past memory of playing in the snow while a child.



#### **2.1.1.5 Word's orthographic or phonological form**

Word recall can be facilitated by focusing on the target word's orthographic or phonological form. For example, Marchbanks and Levin (1965) and Timko (1970) (both in Schmitt & Schmitt, 1993) found that subjects used the following mnemonic devices to improve recall of words:

- explicitly studying the spelling or pronunciation of a word;
- visualizing the orthographical form of a word;
- making use of rhyming words;
- making acronyms, e.g., **SAD** is an acronym made of the first letters of the words *stable*, *adequate*, *dignity* respectively;
- the **Keyword Method** which combines the phonological forms and meanings of L1 and L2 words. It entails a learner finding an L1 word which sounds like the L2 word. When the L2 word

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

is later heard, the sound similarity prompts the L2 word's meaning;

Norman (1987: 119) (in Melka, 1982) suggests that the lack of information on the middle of a word does not necessarily harm the recall of a spoken word since the middle of a word is normally less salient than its beginning or ending (Atchison's "*bathtub effect*").

Similarly, Morton (1967) (also in Melka, 1982) insists that learners will remember a word even if one phoneme is inaudible or has been replaced by a cough: the "*phonemic restoration effect*". If a word is presented in context, the learner will not even discover that a phoneme is missing. Marslen-Wilson and Tyler (1981) (also in Melka, 1982) claim that that word recall is extremely fast ( $\frac{1}{5}$  of a second); they also claim that, in normal contexts, a word is located in the mental lexicon even before all the word has been heard or seen. Also, Brown and McNeil's *tip-of-the tongue* (TOT) experiment (1966) (in Melka, 1982) shows that subjects can remember words even though they are stored in the lexicon in an incomplete way (phonologically or orthographically).

#### **2.1.1.6 Chants/rhymes and songs**

A chant or rhyme is simply vocabulary spoken over a background of music and rhythm. A song, on the other hand, has a more varied melody, for example it has verses and chorus. With relation to word recall, chants/rhymes and songs can have the following advantages:

- They are a nice and funny way to introduce new vocabulary.
- They have the possibility of "being recalled" since the words can be easily stored in our minds.
- The rhyme and rhythm in a song help to remember the lyrics, which in turn facilitate remembering the words of the song.
- The context of a song helps in word recall
- A song can be helpful in remembering words from a certain area of learning. This song can include key vocabulary that has been taught through those areas.

## **2. 2 Experimental Method**

### **2.2.1 Participants**

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

A random sample of 60 participants (males and females aging between 18–19) was selected from second–year students, Dept. of English, Faculty of Arts, Zawia University. It should be mentioned that the participants have already received formal instruction in vocabulary building as a separate subject on the timetable.

#### ***2.2.2 Criteria for selecting words for memory experiment***

To minutely examine the influence of the factors discussed in the **Factors** section, items selected for the experiment ought to:

- contain at least one intra-lexical factor of difficulty, e.g., *length, pronounceability, orthography, morphology, etc.* ;
- have (memory) strategy use built in the logic of the experiment;
- not be too cognitively challenging;
- be interesting to students. (Kieger, 2005) (in Mercer, 2005).

#### ***2.2.3 Procedure***

- Participants were divided into two groups, Group A and Group B, with each group consisting of 30 participants.
- Being actually a memory experiment, the test involved the recall of as many items as possible on a learnt list (Ur, 1998).
- The test was conducted at the same time for both groups. The test took an hour, including instructions and discussion. Each round took 30 minutes. The researcher took on the role of timekeeper, telling participants when to start and finish the different rounds. The memory test was carried out in a quiet and private environment.

#### ***Stage 1: Preparation***

- A copy of the lists A & B in Table 1 and a recall sheet were prepared for each participant in the two groups. **List B** consisted of items of fairly low (uniform) level of difficulty, as compared to the very mixed level of **List A**;
- A **Results Sheet** in Table 2 was also prepared to be used by the researcher to write down the results of the two rounds of experiment for each group.

LIST A	LIST B
who	arm
dot	leg
ash	peg
lar	pig
sex	ton
oct	fox
for	dog
awe	cat
ion	man
can	boy
own	son
dig	mum
obi	dad
but	had

ROUNDS	LIST A	LIST B	AVERAGE
FIRST			
SECOND			
MEAN			

### Stage 2: Process

- **First round:** Participants in Group A worked on *List A*, while participants in Group B worked on *List B*. In each group, partners helped one another learn by heart the items on their list. After three minutes, participants concealed their lists and

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

tried to write down as many items as they could remember. The recall sheets were collected and their results (i.e., the number of words they remembered) were recorded on the **Results Sheet**.

- **Second Round:** Participants in each group did the same thing again with the list they did not work on the first time; but this time participants of Group B worked for a minute and stopped for a minute. Then they wrote down what they remembered. The 'stopping' minutes were filled with an activity that takes their minds off the lists: counting backwards from 100, for example (Ur, 1996: 66). The purpose of this step was to distract the participants temporarily before listing down the words they remembered. The duration of 3 minutes was chosen as it seemed long enough to prevent the subjects from rehearsing the last few pieces of information they have just received. The results were recorded as before.

### **Stage 3: Results**

The researcher worked out the *Mean* results for:

- Each list (in the bottom row of the table in the results sheet) to answer the question: ***Was there a difference? Can the results account for it?***
- Each round (in the extreme right-hand column of the table) to answer the question: ***Was there any difference between massed recall (doing all the remembering in one block of time) and distributed recall (having breaks between remembering sessions)?***

**Note:** The average results are calculated by adding scores together and then dividing this total by the number of scores (Nunan, 1992).

### ***1. Data analysis***

Statistics show that the overall mean of the Word Recall score for Group B on List B (i.e., the second round) was lower than the overall mean of Group A on the same list (i.e., the first round). According to Table 3 (a) below, participants of Group A scored higher on List B than Group B. However, statistics have not provided significant

**Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...**

evidence that Group A is superior to Group B. A mean score of 40+ suggests that participants in both groups scored above average, with more correct answers than errors.

	Variable (word recall)	Mean	St. Deviation
Group A	List B (First round)	40.29	9.30
Group B	List B (Second round)	45.45	5.54

**Table 3 (a): Descriptive Statistics of Recall Accuracy**

The overall mean of the Word Recall Error score of Group B was higher on List A (i.e., the first round) than the overall mean of the Word Recall Error score of Group A on the same list (i.e., the second round). Table 3 (b) below shows that participants of Group B made more errors on recall accuracy of words than participants of Group B. The number of errors made corresponds with the number of correct scores; as the error score increases, the accuracy score decreases.

	Variable (word recall)	Mean	St. Deviation
Group A	List A (Second round)	11.70	9.32
Group B	List A (First round)	6.68	5.59

**Table 3 (b): Descriptive Statistics of Word Recall Accuracy**

Table 4 below shows the mean distribution of word recall accuracy within each group. It shows that in each round of practice, the mean score of both lists A and B for Group A is higher than the mean score of Group B.

An independent t-test found a statistically significant difference in recall accuracy of words, with words on List B better recalled for the two groups than words on List A, ( $t_{.257} = 82, p = .798$ ) for List B, and

در فوزية أوحيدة

**Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...**

( $t = -1.894$ ,  $df = 82$ ,  $p = .062$ ) for List A. Therefore, the *experimental hypothesis* can be *accepted*.

Group	Variable	Stimuli	Mean	St. deviation	t	df	p
A	Word recall accuracy	List A	43.81	6.48	-1.894	82	.062
		List B	40.67	7.36	.257	82	.798
B	Word recall accuracy	List A	46.23	4.91	-1.894	82	.062
		List B	40.11	10.14	.257	82	.798

**Table 4: An Independent Sample T-test table displaying differences of Word recall accuracy between Group A and Group B**

Note: *p* significant at .05 level

#### Stage 4: Further discussion of results

The average results may probably show some significant differences. After examining the numerical data, the researcher tried to discuss the following questions:

- Were there any particular words that most participants seemed to remember better? Can results account for this?
- What *strategies* did participants use or invent to help themselves remember? Was there any significance in the placing of an item in a list? Were words from the beginning – or end – more easily remembered?

It is clear that List B has often produced near-perfect scores, whereas List A has noticeably produced less. This difference can be accounted for by two main factors:

1. The fairly low (uniform) level of difficulty of the items in List B, compared to the very mixed level of List A;
2. The fact that the words in List B are grouped according to meaning- or sound-associations, whereas in List A there is no such grouping.

### ***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

The results would indicate not only that we remember words better when we can easily assign meaning to them, but also that it is easier to recall words in groups, where one word can be associated with another. For instance, an association through rhyme (sad-dad) can be as effective as an aid to memory as one through meaning (mum-dad), though this may vary from one learner to another. Also, a comparison between massed and distributed recall may indicate a difference in support of the distributed recall.

Some possible answers to the research question "***What is in a word that makes it hard or easy to remember?***" are (Stevick, 1990) (in Ur, 1998):

1. ***Particular words that were remembered:*** people usually tend to remember words that have personal or emotive significance (*mum, dad, sex*).
2. ***Strategies:*** people commonly try to link items together in sense units, or find some reason to associate them, or look for personal significance. All these can be reinforced in word recall. It is worth mentioning here that a wide variety of strategies are used by different learners. A strategy found useful by one learner may be quite useless to another. Teachers can encourage individual students to find what '*works*' for them and to approach a remembering task in an appropriate way.
3. ***The placing of words in a list:*** words at the beginning of a list tend to be remembered better. This may affect lesson-planning: more important or newer words should be taught first, or at the beginning of a lesson.

### **2.3 Implications for teaching**

There are some practical conclusions for teachers to draw:

1. Teachers will get better results if the words to be remembered have clear, easily comprehensible meanings in the relevant contexts (McCarthy, 1990) (in Ur, 1998).
2. Teachers will get better retention results if words can be linked with each other, or with already known words, through meaning-, spelling- or sound associations (Nation, 1990) (in Ur, 1998).



***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

3. Remembering vocabulary in separated, spaced sessions is far better than remembering it all at once. For example, words will be recalled better if they are taught briefly at the beginning of a vocabulary lesson, reviewed later in the same lesson, and again in the next lesson than if the same total amount of time is used for remembering the words all at once. This needs careful lesson-planning, but will repay the effort (Richards, 1976) (in Ur, 1998).

***References***

1. Ewhaida, F. (2014). *Some Intra- and Interlexical Factors that Affect the Remembering of Foreign/Second-Language Words*. Published paper. English Language Conference. Language Center, Zawia University, Libya.
2. Jordan, R. R. (1997). *English for academic purposes: a guide and resource book for teachers*. Cambridge. Cambridge University Press.
3. Laufer, B. (1986). *What's in a word that makes it hard or easy: some intralexical factors that affect the learning of words*. In N. Schmitt & McCarthy. (Eds) (1997). *Vocabulary: description, acquisition and pedagogy*: 140-155. Cambridge: Cambridge University Press.
4. Lewis, M. (2000). *Implementing the lexical approach*. LTP.
5. Melka, T. F. (1982). Receptive versus productive aspects of vocabulary. In N. Schmitt & McCarthy. (Eds) (1997). *Vocabulary: description, acquisition and pedagogy*: 82-102. Cambridge: Cambridge University Press.
6. Mercer, S. (2005). *Vocabulary strategy work for advanced learners of English*. *English Forum Teaching*: 43 (2): 24-35.
7. Nunan, D. (1992). *Research methods in language learning*. Cambridge: Cambridge University Press.
8. Schmitt, N. & M. McCarthy. (1997). *Vocabulary: description, acquisition and pedagogy*. Cambridge: Cambridge University Press.
9. Schmitt, N. & D. R. Schmitt (1993). *Vocabulary learning strategies*. In N. Schmitt & McCarthy (Eds) (1997). *Vocabulary*:

در فوزية أوحيدة

***Some Intra-lexical Factors that Affect the Remembering...***

*description, acquisition and pedagogy*: 156-180. Cambridge: Cambridge University Press.

10. Ur, P. (1998). A course in language teaching: Practice and theory. (3<sup>rd</sup> ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

***Websites & Links***

11. (<http://iteslj.org/Articles/Idoine-Mnemonics.html>)